

# الروضُ الحَسَنُ

في أخبارِ سَيِّدِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْبَاشَا حَسَنٍ  
في أَيَّامِ وِلَايَتِهِ يَا قَلِيمَ الْيَمَنِ  
(تاريخ اليمن تحت حكم من باشا)

أَلْفُهُ بِمَحْرُوسِ كُوكَبَانَ  
الشيخُ عَامِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ الدُّعَامِيِّ الْهَمْدَانِيِّ  
كَانَ حَيًّا فِي ٩٩٣ هـ

تَحْقِيقُ

عَبْدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ الْمِخْلَافِيُّ

٢٠٢١ م

الرَّوْضُ الْحَسَنُ

جميع الحقوق محفوظة  
للمحقق

رقم إيداع: (٢٠٢١ / ٥٨٦)

الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع (صنعاء).

رقم إيداع: (٢٠٢١ / ٢٨)

الهيئة العامة للكتاب والنشر والتوزيع (مأرب).

للتواصل: +967-775909820

الطبعة الأولى

٢٠٢١ / ١٤٤٣ م

الرَّوْضُ الْحَسَنُ  
فِي أَخْبَارِ سِيرِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْبَاشَا حَسَنُ  
فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ بِإِقْلِيمِ الْيَمَنِ  
(تاريخ اليمن تحت حكم حسن باشا)

أَلْفُهُ بِمَخْرُوسِ كَوُكْبَانَ  
الشَّيْخُ عَامِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ الدُّعَامِيِّ الْهَمْدَانِيِّ  
كَانَ حَيًّا فِي رَجَبِ ٩٩٣ هـ

تَحْقِيقُ  
عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمُخْلَفِ  
٢٠٢١ م







## مقدمة المحقق:

يعدّ هذا الكتاب تاريخاً (رسمياً) لفترة مهمّة من تاريخ اليمن تبدأ من تاريخ توليّة حسن باشا اليمن سنة ٩٨٨هـ - ١٥٨٠م، وتنتهي في شهر رجب من سنة ٩٩٣هـ - ١٥٨٦م.

وتبتدى أهميّة الكتاب في أن مؤلّفه الشّيخ عامر بن محمّد بن حسن الدّعامي الهمداني، شارك في صناعة بعض الأحداث الواردة فيه، إذ كان كاتباً ومبعوثاً خاصاً لاثنتين من أهم أمراء السّلطنة العثمانية في اليمن، الأمير عزّ الدين محمّد بن شمس الدّين بن الإمام شرف الدّين، وولده الأمير أحمد بن محمّد بن شمس الدّين.

وبالرّغم من أنّ معظم التّواريخ الرّسميّة للسّلطنة العثمانية عن فترة سيطرتها في اليمن لا زالت مخطوطة، إلّا أنّ خروج هذا المؤلّف يقدم لنا مادة تاريخية ثريّة عن أحداث مهمّة في المرتفعات الشماليّة، ويعطينا صورة كاملة عن طبيعة العلاقات السياسيّة والعسكريّة بين الأمراء المتغلّبين من آل شرف الدّين والسّلطنة العثمانية.

وكان المستشرق الهولنديّ أنطونيوس روتخرس (١٨٠٥ - ١٨٨٤) أوّل من تنبّه لهذا العمل، إذ قام بترجمته للآتينيّة سنة ١٨٣٨م، وعلى الرّغم من أنّ الجمهوريّة التركيّة تبذل أموالاً ضخمة للعناية بتاريخ السّلطنة العثمانية، إلّا أنّه ومع تباعد السنين بين نشرة الترجمة الآتينيّة للمخطوط

ونشرتنا هذه، لم يتصدى أحد -فيما نعلم- لتحقيق هذا الكتاب، رغم جودة النسخة.

وقد أبان هذا الكتاب عن عناية الشيخ عامر الدُعامي بالمآثر الحميرية التي زار بعضها ووثق مشاهداته عنها، كما نقل جملة من الأخبار عن لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني (٣٣٦هـ) في وصف هذه القلاع والحصون.

ومن نقولاته النادرة، هذه القطعة المتزعة من أحد كتب الهمداني المفقودة اليوم؛ لعله أحد أجزاء الإكليل أو المقالة العاشرة.

قال الشيخ عامر الدُعامي: «قال الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، مؤلف كتاب (الإكليل) رحمه الله تعالى إنه: «كَانَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَأَلْفِي سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ مِنْ تَارِيخِ الطُّوفَانِ كَانَ الْقِرَانُ السَّادِسُ مِنْ مُثْلَثَةِ الْحَمَلِ وَالْأَسَدِ وَالْقَوْسِ، وَهِيَ الْمُثْلَثَةُ النَّارِيَّةُ، أَنَّ الْقِرَانِ فِيهَا قَصْرٌ فَوْقَ فِي آخِرِ الْحُوتِ، وَإِنَّهُ كَانَ اجْتِمَاعَ زُحَلٍ وَالْمُشْتَرِيِّ فِي دَرَجَةِ شَرْفِ الزُّهْرَةِ، الدَّرَجَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرُونَ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ، وَذَلِكَ فِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِينَ وَأَلْفَيْنِ، وَكَانَ تَحْوِيلُ سَنَةِ الْقِرَانِ وَالطَّلَاعِ الْعَقْرَبِ، وَالْأَوْتَادِ زَائِلَةً، وَالتَّحْوِيلُ لَيْلِي، وَزُحَلٌ وَالْمُشْتَرِيُّ وَالْمِرْيَخُ وَعُطَارِدٌ وَفِي الْحُوتِ وَالْقَمَرِ فِي بُرْجِ السُّنْبُلَةِ، وَالرَّأْسِ فِي دَرَجَاتِ الطَّلَاعِ، وَالزُّهْرَةِ فِي

خَمْسَةَ عَشَرَ دَرَجَةً مِنَ الثَّوَرِ، وَقَدْ سَقَطَتْ مِنَ الْوَيْدِ وَبَلَغَتْ الْمُنتَهَى إِلَى الْحَمَلِ».

قَالَ: «وَلَهُمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ شَرْحٌ يَطُولُ ذِكْرُهُ إِلَّا أَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ قَبُولَ الزُّهْرَةِ هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى سَلَامَةِ أَنْفُسِ النَّاسِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَفِي الْعَرَبِ أَيْضًا كَذَلِكَ كَانَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

وَقَالَ: «وَهَذَا الْقِرَانُ عَلَى مَا ذَكَرُوا مُشَاكِلَ لِلْقِرَانِ السَّادِسِ وَمُثَلَّثَةُ الْحَمَلِ الَّتِي عَلَيْنَا مِنْهَا»<sup>(١)</sup>، يَوْمَ أَلْفَ كِتَابِهِ (الْإِكْلِيلِ) - وَهُوَ يَعْنِي الْقِرَانِ السَّابِعَ -، هَذَا كَلَامُهُ».

وَقَدْ وَثَّقَ الشَّيْخُ عَامِرٌ فِي كِتَابِهِ زِيَارَاتِهِ لِمَنَاطِقِ أَثَرِيَّةٍ مَوْغِلَةٍ فِي الْقِدَمِ مِثْلَ حَصْنِ ثُلَا، وَحَصْنِ قَهْرَانَ، وَشِبَامِ سُخَيْمٍ، وَجُرُوفِ جَبَلِ قَهَالٍ، وَجَامِعِ بَيْتِ رَيْبِ فِي مَسُورِ الْمُنتَابِ.

وَأُخْرَى أَتَى عَلَى ذِكْرِهَا مِثْلَ مَآثِرِ الطَّاهِرِيِّينَ فِي جُبْنَ وَالْمِقْرَانَةِ وَرَدَاعِ وَثُلَا وَتَعِيزِ، مَادِحَا السُّلْطَانِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الطَّاهِرِيِّ، بِقَوْلِهِ: «كَانَ أَعْظَمُهُمْ قُوَّةً وَأَحْسَنُهُمْ عَدْلًا وَأَطْهَرُهُمْ ذَيَالًا»، وَكَذَلِكَ مَآثِرُ السَّيِّدِ الْمُطَهَّرِ بْنِ شَرَفِ الدِّينِ فِي حَصْنِ ثُلَا.

(١) هَذِهِ التَّنْقِيَةُ نَقْلُهَا مِنَ الْمُؤَلَّفِ مِنْ أَحَدِ أَجْزَاءِ الْإِكْلِيلِ الْمَفْقُودَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد كان تأليف الدُّعَامِي لكتابه هذا بمبادرة ذاتية أقرَّه عليها الباشا حسن، في لقاء جمعه به في محروس كوكبان؛ يقول الشَّيْخ عامِر: «فحين استتمَّ ذلك الشَّاعِرُ إنشادَ شِعْرِهِ، التَفَّتْ إِلَيَّ أَيْدُهُ اللهُ تَعَالَى وَقَالَ: «كُلُّ قَدْ جَاءَنَا بِمَا هُوَ مِنْ صِنَاعَتِهِ مِنْ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَأَنْتَ سَأَلْنَاكَ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تَأْتِنَا بِهَا، مِمَّا هِيَ عِنْدَكَ»، فَقُلْتُ لَهُ: «يَا مَوْلَانَا قَدْ عَمِلْتُ خَيْرًا»<sup>(١)</sup> مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ، مَا يَجْمَعُ الثَّنَاءَ وَالْمَدْحَ لِأَحْوَالِكُمْ وَيَنْتَشِرُ بِهِ ذِكْرُكُمْ فِي عُقْبَى الزَّمَانِ؛ قَدْ أَلَفْتُ كِتَابًا نَفِيسًا وَجَعَلْتَهُ بِرِسْمِكَ فِي ذِكْرِ مُحَامِدِكَ وَمَحْمُودِ أَحْوَالِكَ، وَمَكَارِمِ صِفَاتِكَ، وَحُسْنِ سِيرَتِكَ، وَشَائِعِ عَدْلِكَ، وَفَائِضِ جُودِكَ، وَعَظِيمِ مُرُوءَتِكَ، وَاشْتِهَارِ عَفْوِكَ، وَحَمِيدِ مَنَاقِبِكَ، وَمَا عَمَرَتْهُ مِمَّا دَرَسَ وَامْحَى مِنْ مَآثِرِ الْكِرَامِ فِي إِقْلِيمِ الْيَمَنِ، وَمَا نِلَتْهُ مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْقِلَاعِ الشَّامِخَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْأَقْطَارِ الْوَسِيعَةِ، وَحَكَيْتُ فِيهِ مَا قَدْ أَنَالَكَ اللهُ إِيَّاهُ وَاخْتَصَّكَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَحْوَالِ الْمَشْكُورَةِ الرَّشِيدَةِ».

فَقَالَ: «إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأُطْلِعْنَا عَلَيْهِ»، وَكُنْتُ قَدْ أَعَدَدْتُ مَا قَدْ أَلَفْتُهُ يَوْمئِذٍ مَعِي، فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ كُمِّي وَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَرَ السَّيِّدَ الْعَلَّامَةَ وَزِيرَ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ [٢٢٠] مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْحَمَزِيِّ أَنْ

(١) «خير»: هكنا في الأصل.



يقرأه، فابتدأ السيد المذكور بقراءة خطبته واستدعاء تأليفه، فأشفر وجهه، وأشرقت أسرته.

ولما انتهى في القراءة إلى ذكر دخوله غمدان وقعوده على الإيوان شاور ترجمانه فلم أشعر إلا جاء ووضع عليّ خلعة شريفة ووضع في يدي صلة سنية، فقمْتُ قبلت يده الكريمة، ودعوتُ له بالبقاء والحراسة، فشكر لي واستملح بوضع هذا التاريخ المبارك إن شاء الله تعالى برسمه، واستمر السيد محمد بن الحسن في قراءته حتى وصل إلى فتح مخروس ظفار فترك القراءة حينئذٍ لأمرٍ عرضت في أمور الأوامر والنواهي، فقبض النسخة التي قد ألفتها، وكُنْتُ قد وصلتُ فيها إلى ابتداء الحرب على مخروس مسور.

وفي تحقيقنا لهذا المخطوط اعتمدنا على نسخة جامعة ليدن الهولندية، باذلين فيه العناية اللازمة لخروجها على الوجه الذي نتوخاه.

وهذه النسخة لا تلتزم بقواعد النحو العربي في كثير من المواضع، كما تكثر فيها الألفاظ والتراكيب العامية، فكان أن صوبنا منها ما لا يستقيم المعنى إلا بتصويبها، وكذلك أثبتنا في الحواشي نقولات عن الفتوحات المرادية للمقارنة بين ما جاء عند الدعامي وصاحب الفتوحات.

## المؤلف:

هو الشيخ عامر بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن الدعامي، من بيت رئاسة وجمالة وتقدم، له حفظ بحوك الرسائل، وعناية بأخبار المآثر الحميرية القديمة، طيب القول، إخباري، فلكي، من أهل مدينة كوكبان، كان حياً في آخر شهر رجب ٩٩٣ هـ - ١٦٠٤ م.

نسبه ينتهي إلى آل الدعام من همدان، وصفهم صاحب (الإكليل) فقال (١): «وسؤدد آل الدعام عظيم، وأخبارهم كثيرة»، ومن يعرف همدان يعرف قدر آل الدعام ومكانتهم.

والمؤلف كان امتداداً لسؤدد قومه وتقدمهم؛ فأهله رؤساء في قومهم، فأبوه محمد وجده حسن من المشايخ، كما يقول عنهم في كتابه هذا. ولا نعرف عن عامر الدعامي إلا ما ألفيناه في كتابه هذا، حيث يحكي أنه سكن مع والده الشيخ محمد حصن قهران من بلاد كحلان عفار، قبل أن يصير إلى بلدة كوكبان كاتباً ومبعوثاً خاصاً لصاحب كوكبان الأمير عز الدين محمد بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين (ت ٩٩٢ هـ) ثم كاتباً لولده الأمير شمس الدين أحمد بن شمس الدين محمد.

(١) [الإكليل (١٠/١٣٥)].



من آثاره هذا الكتاب وكتاب آخر مفقود جعله في سيرة الأمير عز الدّين  
محمّد أسماه (الرّوض النّاضِر في أخبار الأمير عزّ الدّين).

حسن باشا:

ترجمه صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، فقال:  
«الوزير صاحب اليمن، كان من أعيان الوزراء، أرسله السلطان مراد بن  
سليم إلى اليمن في سنة ثمان وثمانين وتسعمائة، فدخل إلى صنعاء عاشر  
المحرّم سنة تسع وثمانين، وكان ذلك الوقت جبال اليمن وحصونها في  
أيدي الحكّام من الأشراف الآتي ذكرها، كان حصن ثُلا ومُدَع وحصن  
مَسُور وبلادهم تحت حكم السيّد علي يحيى بن المُطَهَّر بن الإمام شرف  
الدّين، وكان حصن ذَمَرَمَر وبلاده وبلاد الشَّرَف تحت حكم السيّد لطف  
الله بن المُطَهَّر، وكان حصن عَفّار وبلاده في حكم السيّد غوث الدّين بن  
المُطَهَّر، وحصن مَبِين وبلاد حَجّة في يد السيّد عبد الرحمن بن المُطَهَّر،  
وحصن ظَفّار وبلاد الظّاهر في يد السيّد محمد النّاصر الجوّفي، وصعدّة  
وبلادها في يد الإمام الحسن بن علي المؤيّد القائم في زمان مراد باشا،  
وحصن كُحلان وبلاده في يد السيّد الحسن بن شرف الدّين، وكان الوزير  
المذكور كما قال الشّاعر:

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَّةُ      أَحَلَّهُ اللهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ  
وَكَانَ عَادِلًا وَقُورًا عَارِفًا خَيْرًا رَاجِحًا مَشْكُورًا مُهَابًا، يُحِبُّ الْأَشْرَافَ  
وَيُنْصِفُهُمْ، وَمَنْ أَعْجَبَ الْأُمُورَ أَنَّهُ كَانَ بَعْضُ أَعْدَاءِ آلِ الْمُطَهَّرِ حَسَنَ لَهُ  
التَّقْبِيحُ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «لَا أَغَيِّرُ شَيْئًا لآلِ الرَّسُولِ، وَلَا أَرْمِيهِمْ بِالنَّارِ رَعَايَةَ

لجُدِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي دخوله إلى صنعاء فكَّر ودبَّر في أحوال اليمن، وشاور العقلاء وجالس ذوي الفِطْن، ثُمَّ نهض لحرب ملوك اليمن (١).

وكانت ولاية الباشا حسن لليمن إثر مراد باشا، الذي يصفه صاحب روح الرُّوح بقوله: «وكان مُراد باشا عادلاً وقوراً، راجحاً مشكوراً، يحبُّ الأشراف، وينصفهم غاية الإنصاف، ويتجاوز عن مسيئتهم، ويصفح عن جانبيهم، ومن أعجب ما جرى منه أنَّ بعض أعداء آل المظَهَّر حَسَنَ له الفتح عليهم، والاستيلاء على ما لديهم فقال له: والله لا غيَّرتُ نعمة على من له وصلة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولو كان بلاد تثمر الدرَّ والياقوت، وما يكون عذري يوم الحساب، وجُدِّهِمْ المَفْوُض في ذلك الجنب، معاذ الله أن أيقظ فيهم فتنة، أو أنبئ عليهم محنة، أو أرميهم بالنار، وأرجو الشِّفاعة من النَّبِيِّ المختار، إلَّا إن امتدَّت أيديهم إلى شيء من بلاد السُّلطان، أو يحصل منهم التعدِّي إلى محل من ذلك أو مكان، دفعتهم عنه، وصددتهم منه» (٢).

(١) أنظر ترجمة رقم (٣٦١)؛ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: (٧٣/٢). وعند صاحب روح الرُّوح عيسى بن لطف الله بن المُظَهَّر أنَّ القاتل هو الوالي مُراد باشا، وقد كان الوالي حسن باشا هَجَرَ آل لطف الله بن المُظَهَّر إلى إسطنبول.

(٢) أنظر: روح الرُّوح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح؛ (٢١٣).

## التحقيق اللاتيني للمخطوط:

سبقنا إلى تحقيق هذا المخطوط بترجمته إلى اللاتينية -  
المستشرق الهولندي أنطونيوس روتخرس (١٨٠٥-١٨٨٤)،  
وهو باحث متخصص في دراسات الكتاب المقدس، وأستاذ في  
اللغات الشرقية، وقد جعل له عنواناً تعريبه: (تاريخ اليمن تحت  
حكم حسن باشا)، والعنوان غير دقيق فأحداث الكتاب تبدأ من  
تاريخ تولية حسن باشا اليمن سنة ٩٨٨هـ - ١٥٨٠م، وتنتهي في  
منتصف سنة ٩٩٣هـ - ١٥٨٦م فيما امتدت فترة حكم حسن باشا  
إلى سنة ١٠١٢هـ - ١٦٠٤م.

وقد أثبت المستشرق في نشرته نتفاً من النص العربي، والظاهر من  
هذه النلاف أنه قد بذل جهداً عالياً في تحقيق النص العربي إلى  
اللاتينية.

## الوصف المادي للمخطوط:

المخطوط نسخة تامة، من محفوظات مكتبة جامعة ليدين الهولندية، ونسخته خزائية برسم الباشا حسن، ورقه عثماني، عدد أوراق المتن ١٦٩ ورقة، رُقِمَت صفحاته إلى ٣٣٨، ومسطرته ١٧ سطرا.

غلافه من الكرتون المقوّى المغطّى بالجلد، عليه رسوم هندسيّة مكبوسة قوامها سُرّة ودالتان، كُبِسَت بداخلهما زخارف هندسيّة ونباتيّة، وفي أطرافه زخارف نباتيّة مكبوسة أشبعت باللون الذهبي.

وله لسان كعبه رُسِمَت بداخله سُرّة مشابهة لسُرّة الغلاف، أُطِرَّ كَعْب اللّسان بخطّين هندسيّين أشبعت بالذهبة، ولسانه مُثلث يتوسطه دالة مُشعبة بزخرفة نباتيّة.

أُطِرَّ الغلاف بخطوط هندسيّة في أربعة خطوط يتوسطها ظفيرة أشبعت بالذهبة.

رَمَمَ المخطوط حديثاً وأُعِيدَت حِباكته على النَّمط الإسلامي، وفي حافتي الحِباكة زينة مزدوجة من ظفيرة من الخيط مُهمّتها حماية حافة المَلَازم.

وفي أول المخطوط ثلاث ورق حماية وكذا في نهايته؛ الورقة الأولى عبارة عن لوحة رُسِمَت فيها زخرفة إسلامية اقتداء بالمصحف الكريم، ونقِشَت البسملة داخل مستطيل يتوسطه زخرفة نباتيّة، وفي وسط الورقة

دائرة من خمسة خطوط مُشَبَّعة بزخرفة نباتية، أُخْرِجَ منها ستة عشر فرعاً يتوسط كل فرعين ثلاثة رموش، ثُمَّ لوحَة استهلالية لمقدمة الكتاب مُشَبَّعة بالذهبة والحبر الأزرق تيمّناً بالمصحف الكريم، رُسِمَت فواصل عباراتها بشكل زهرة خماسية الشكل.

والمخطوط معتنى به ومُذهَّب، وأورقه مؤطرة بالمِداد الأسود وبالذهبة، وفواصل العبارات كذلك رُسِمَت بالذهبة، ومُيِّزَت بعض ألفاظ المخطوط بالحبر الأحمر وبعضها بالأزرق، والبعض الآخر بالبني.

وكتب المخطوط بخط النسخ النقيس، وفيه تعقيب، وفي هوامشه العليا عناوين جارية، وعليه تعليقات ووقفات توضيحية لما ورد في المتن منها؛ كأعمال الباشا حسن، وتحركات العسكر والأمراء.

تعرّض المخطوط للرطوبة والبُكُل فتأثرت بعض أوراقه ولم تُضَرِ بِمَتْن الكتاب، وفي بعض أوراقه أثر الأرضة.



## صور من المخطوط

**الحمد لله** المختص من يشاء من عباده بنيل مراتب السعادة  
 ونواحيها من مراتب المروة بكل حسنى وزيادة • وجاعلة للناس نعمة  
 غامرة • وجمعة عام • ومجى بهما اندرس وعفى من مائر الكرماء  
 ومكارم العناء • ومحمد السابقين فيما سلف في مضمار الجدى من  
 اجلة الفضلاء • والصلوة على سيدنا محمد سيد الانام • وعلى آله  
 الاطهار الاعلام • واصحابه السادة الغر الكرام • مدى الايام  
 واختلاف السنين والاعوام • نال مع برق وجمع حكام  
**المابعد** فانه لما كان المقام الاعظم • والمقر السامي المكرم  
 نقطة بكار الباشوات السلطانية • وسيف الدولة السعيدة  
 العثمانية • وعين امراء المملكة الخاقانية • ممن تمت مغالبيه على  
 النجوم الزواهر • وضحت مكارمه لارباب الفضائل والبصائر  
 وطلعت في الافاق مناقبه مطلع ثمر الفضائل البواهر • منخران  
 وباشا اقليم اليمن • المتصف بكل معنى حسن • مولانا صاحب



السعادة الباشا حسن • حرى الله تعالى سمعه • وادام بجلده وعلوه •  
 وبلغه من الخيرات امله ورجى • ولازال موفقا في ارائه وتدبيره •  
 سعيدا في جزئه وتشميمه • احبنا الله به ما عفى من محامد الكرام • ونعش  
 مناقات ودرى مائر الاكارم الفخام • ومنحة منح الله بها الاقطار العينية  
 وسعادة خصه بها سلطان البرية • ورايت سمعت من صفات محامد  
 ما يطبق الافاق • وقد قال السبع الطبايق • واجتمع عليه بالاتفاق  
 من شايع كرمه • وبجية فضله وحسن سيرته وحيد عفو • وقا  
 عدله • وجلالته • واعلان الاسن بشكره • ومحمود ذكره •  
 وانتشار مناقبه • وعصيم جوده وانعاماته الثامنه • على الخاصة  
 والعامة • وتشديد رتبته واولاده واختص بجنابه • وسارع الى  
 طاعة سلطانه • سلطان الامم • ممالك رقاب العرب والعجم •  
 ملك الخافقين • وحامي جنى المؤمنين الشريفين • الذائب بسيفه  
 وعزاه عن حوزة الدين • مولانا السلطان الاعظم • والمخافات  
 المكرم **مراد بن سليم بن سليمان بن سليم** اصلح الله بحميد مساعيه  
 احوال العباد • وكف با كف عناياته وعزاه ارباب العناد • انه  
 كريم جواد **احببت** ان اشرف بيا ليف كتاب يجتمع بعض اجبا  
 ومحمد افاره • وحسن سيرته وهدله • وفضاله وكرمه •

للعساكر السلطانية اولاً بامرهم بالتجيم عند مسجد فروع بن مسيك  
المذكور رضي الله تعالى عنه ثم بقوا هناك اياماً حتى يتم لهم ما يريدون من  
افتقارهم وحشد من تآخروا من العساكر السلطانية فاذا تم لهم ما ارادوا  
امرهم بالمسير الى حيث يريدون جميعهم وهذا التجيم الخامس من  
من جيم عند مسجد فروع بن مسيك الصحابي رضي الله عنه واملأه الله  
تعالى هذه العساكر المنصور بجميع ما يحتاجون من خيام وتجارمك  
وعدد وبارود ورماس ونحو ذلك وعمل لهم في المسجد سجاداً عظيماً  
وحضر عليه بنفسه الكريمة واملأه الامير سنان وهذه العساكر المنصور  
بالمسير الى جوار من بلاد ظليمة المشاجمة لجبل الالهونوم لمحاربة الامم  
الحسن بن علي وقبائل الالهونوم ومحاصرتهم حتى يصلح امرهم بدخولهم  
في الطاعة السلطانية ويسلموا لجبل الالهونوم فساروا واصبح خوار  
الخميس السابع والعشرون على جملة المسلمين والنبي والنايبيد  
والنصر والظفر والكرامة في اتجاه المظلل لغمامه  
وقد تم رقم هذا التاريخ المبارك بحمد الله وحسن توفيقه  
والحمد لله اقولوا خروا ظاهرًا وباطنًا

في يوم الثلاثاء الثمانية والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٢٨٥ هـ  
ناييف العبد الفقير عبد الله بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن الدغايني بحمد الله



## [الجزء الأول]

❁ الحمد لله الْمُخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِنَيْلِ مَرَاتِبِ السَّعَادَةِ وَنَوَاجِ  
 الْمَسَرَاتِ الْمُقَرَّرَةِ بِكُلِّ حُسْنَى وَزِيَادَةٍ، وَجَاعِلِهِ لِلنَّاسِ نِعْمَةً غَامِرَةً،  
 وَرَحْمَةً غَامِرَةً، وَمُحْيِي بِهِ مَا إِنْ دَرَسَ وَعَفَا مِنْ مَآثِرِ الْكُرَمَاءِ، وَمَكَارِمِ  
 الْعُظَمَاءِ، وَمَحَامِدِ السَّابِقِينَ فِيمَا سَلَفَ فِي مَضْمَارِ الْمَجْدِ مِنْ أَجَلَّةِ  
 الْفُضَلَاءِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبَاءِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ  
 الْأَعْلَامِ، وَأَصْحَابِهِ السَّادَةِ الْغُرِّ الْكَرَامِ، مَدَى الْأَيَّامِ وَاخْتِلَافِ السِّنِينَ  
 وَالْأَعْوَامِ، مَا لَمَعَ بَرَقٌ وَسَجَّعَ حَمَامٌ.

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَقَامَ الْأَعْظَمَ، وَالْمَقَرَّ السَّامِي الْمُكَرَّمِ، نُقْطَةُ  
 بِيكَار<sup>(١)</sup> الْبَاشَرَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَعَيْنِ  
 أَمْنَاءِ الْمَمْلَكَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، مِمَّنْ سَمَّتْ مَعَالِيهِ عَلَى النُّجُومِ الزَّوَاهِرِ،  
 وَوَضَحَتْ مَكَارِمَهُ لِأَرْبَابِ الْفَضَائِلِ وَالْبَصَائِرِ، وَطَلَعَتْ فِي الْأَفَاقِ مَنَاقِبَهُ  
 مَطْلَعِ شَمْسِ الْفَضَائِلِ الْبَوَاهِرِ، مَفْخَرِ الزَّمَانِ وَبَاشَا إِقْلِيمِ الْيَمَنِ،

(١) بیکار: لفظة فارسية أصلها (بُرکار) بالباء المُثَلَّثَة، وهي آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر في علم الهندسة [معجم عطية (٣٣)].



الْمُتَّصِفِ بِكُلِّ مَعْنَى حَسَنٍ، مَوْلَانَا صَاحِبُ [١] السَّعَادَةِ الْبَاشَا<sup>(١)</sup> حَسَنٌ -  
حَرَسَ تَعَالَى سُمُوهُ - وَأَدَامَ مَجْدَهُ وَعُلُوَّهُ، وَبَلَغَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ أَمَلَهُ  
وَمَرْجُوهُ، وَلَا زَالَ مَوْفَقًا فِي أَرَائِهِ وَتَذْيِيرِهِ، سَعِيدًا فِي جِدِّهِ وَتَشْمِيرِهِ، أَحْيَا  
اللَّهُ بِهِ مَا عَفَى مِنْ مُحَامِدِ الْكِرَامِ، وَنَعَشَ بِهِ مَا فَاتَ وَدَرَسَ [مِنْ] مَآثِرِ  
الْأَكَارِمِ الْفِيخَامِ، وَمِنْحَةً مَنَحَ اللَّهُ بِهَا الْأَقْطَارِ الْيَمْنِيَّةَ، وَسَعَادَةً خَصَّهُ بِهَا  
سُلْطَانُ الْبَرِّيَّةِ، وَرَأَيْتُ وَسَمِعْتُ مِنْ صِفَاتِهِ مَا طَبَقَ الْآفَاقُ، وَرَقَا إِلَى السَّبْعِ  
الطُّبَاقِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ بِالِاتِّفَاقِ، مِنْ شَائِعِ كَرَمِهِ، وَسَجِيَّةِ فَضْلِهِ وَحُسْنِ  
سِيرَتِهِ وَحَمِيدِ عَفْوِهِ، وَفَائِضِ عَدْلِهِ، وَجَلَالَةِ نَيْلِهِ، وَإِعْلَانِ الْأَلْسُنِ بِشُكْرِهِ،  
وَمَحْمُودِ ذِكْرِهِ، وَانْتِشَارِ مَنَاقِبِهِ، وَعَمِيمِ جُودِهِ وَإِنْعَامَاتِهِ النَّامَّةِ، عَلَى  
الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَتَشْيِيدِهِ لِرُتَبِ مَنْ وَآلَاهُ وَاخْتَصَّ بِجَنَابِهِ، وَسَارِعَ إِلَى  
طَاعَةِ سُلْطَانِهِ؛ سُلْطَانِ الْأُمَمِ، مَالِكِ رِقَابِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، مَلِكِ  
الْخَافِقِينَ، وَحَامِي حِمَى الْحَرَمِينَ الشَّرِيفَيْنِ، الذَّابِّ بِسَيْفِهِ وَعَزَائِمِهِ عَنِ  
حَوَزَةِ الدِّينِ، مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ، وَالْحَاقَانَ الْمُكْرَمِ، مُرَادِ بْنِ سَلِيمِ

(١) باشا Paşa: لقب يطلق على حكام الولايات، ثم أصبحت أعلى لقب تشريفي في الدولة، وهو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة عسكرية ومدنية. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (٥٢)].

بن سُلَيْمَانَ بن سليم أَصْلَحَ اللهُ بِحَمِيدٍ مَسَاعِيهِ أَحْوَالَ الْعِبَادِ، وَكَفَّ بِأَكْفَ عَنَائِيهِ وَعَزَائِمِهِ أَرْبَابَ الْعِنَادِ، إِنَّهُ كَرِيمٌ جَوَادٌ.

أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَشَرَّفَ بِتَأْلِيفِ كِتَابٍ يَجْمَعُ بَعْضَ أَخْبَارِهِ وَمَحَامِدِ آثَارِهِ، وَحَسَنِ سِيرَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَفَضَائِلِهِ وَكَرَمِهِ [٢] وَمَكَارِمِهِ وَسُنِيِّ مَنَاقِبِهِ، وَمَحَاسِنِ صِفَاتِهِ، وَصِدْقِ أَقْوَالِهِ، وَصَلَاحِ أَحْوَالِهِ، وَعَطَايَاهُ الْبَاهِرَةِ، وَفَوَاضِلِهِ الْغَامِرَةِ، وَمَا خَصَّه اللهُ بِهِ مِنْ خِصَالِ الْكَمَالِ، وَكَمَالِ الْخِصَالِ، وَمَا وَقَعَ عَلَى يَدَيْهِ لِجَانِبِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ مِنَ الْفَتْوحَاتِ الْوَسِيعَةِ، وَاسْتِيلَائِهِ عَلَى الْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ، وَالْمَعَاقِلِ الرَّفِيعَةِ، فِي الْأَقْطَارِ الْيَمْنِيَّةِ، وَمَنْ كَانَتْ صِفَاتُهُ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَبَلُوغُهُ مِنَ الْمَحَامِدِ الْغَايَاتِ، الَّتِي لَمْ يَبْلُغَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنْ بَاشَرَاتِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، فَيَمُنُّ تَوَلَّى الْأَقْطَارَ الْيَمْنِيَّةِ، فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا يُعْرِفُ لَهُ نَظِيرٌ يُشَابِهُهُ فِي هَذَا الْأَوَّانِ، حَقٌّ لَهَا أَنْ تُجْمَعَ، وَأَنْ لَا تُهْمَلَ وَلَا تُضَيَّعَ.

وَسَمَّيْتُ هَذَا التَّأْلِيفَ الْمُبَارَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بِكِتَابِ : (الرَّوْضُ الْحَسَنُ فِي أَخْبَارِ سِيرِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْبَاشَا حَسَنٍ فِي أَيَّامِ وَلَايَتِهِ بِإِقْلِيمِ الْيَمَنِ).

وَمِنْ هَهُنَا نَطْلُبُ مِنَ اللهِ الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالْهُدَايَةَ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ، وَلِنَبْتَدِئَ بِإِيرَادِ طَرَفٍ مِنْ ابْتِدَاءِ أَحْوَالِهِ وَبَعْضِ صِفَاتِ مُحَامِدِهِ، ثُمَّ نَتَّبِعُ ذَلِكَ بِذِكْرِ سِيرِهِ وَأَخْبَارِهِ.



هُوَ مَمَّنْ تَرَبَّى فِي حِجْرِ السُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَشَمِلَتْهُ سَعَادَاتُ الدَّوْلَةِ  
 الْعُثْمَانِيَّةِ، وَلَوَائِحُ الْكَمَالِ وَالنَّجَابَةِ ظَاهِرَةٌ عَلَى مَخَايِلِهِ، نَاطِقَةٌ بِحَمِيدِ  
 صِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ، وَأَحْوَالُهُ تَنْمُو، وَهَمَمُهُ تَعْلُو، فَلَمْ يَخُلْ مِنْ حَالٍ رَشِيدٍ،  
 وَحُسْنَى مَقْرُونَةٍ [٣] بِمَزِيدٍ، حَتَّى بَلَغَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ إِلَى الْحِجَابَةِ  
 السُّلْطَانِيَّةِ، وَالتَّقْلِيدِ لِلْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ فِي الْمَمَالِكِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَالنَّظَرِ  
 السُّلْطَانِيِّ يُلَاحِظُهُ بَعِينَ السَّعَادَةِ، وَيُرْقِيهِ إِلَى مَجَالِسِ الرِّئَاسَةِ وَالسِّيَادَةِ،  
 وَهُوَ مَجْدٌ فِيمَا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنَ الْخِدْمِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَوْلَانَا  
 سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ، الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْأَنَامِ، الْمُؤَيَّدُ بِرَبِّ الْعِبَادِ، مَوْلَانَا  
 السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ مُرَادُ أَيْدِهِ اللَّهُ بِحِرَاسَتِهِ، وَحِفْظِ كَرِيمِ ذَاتِهِ، بِمَا خَصَّهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى بِبَرَكَتِهِ نَظَرَهُ إِلَيْهِ، وَشَفَقَتْهُ عَلَيْهِ، وَأَوْدَعَ فِيهِ مَحَامِدَ الْخِصَالِ، وَخِلَالَ  
 الْكَمَالِ، أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِوَلَايَةِ الْأَقْطَارِ الْيَمْنِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِسَيُوفِهِ مَحْمِيَّةٌ، وَعَقْدَ لَهُ  
 الْوَلَايَةَ عَلَيْهَا فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ.

وَحِينَمَا تَقَلَّدَ وَتَوَلَّى مَوْلَانَا الْبَاشَا الْأَفْخَمَ وَالْوَزِيرَ الْمُكْرَمَ، تَدَبَّرَ وَتَفَكَّرَ،  
 تَفَرَّسَ وَتَصَوَّرَ بِأَنَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ رَفِيقٍ شَفِيقٍ، وَحَبِيبٍ صَدِيقٍ، مُشِيرٍ  
 وَمُسْتَشَارٍ، مُوَافِقٍ وَمُعَاضِدٍ فِي الْخِدْمَةِ وَالْمُقَاوَضَةِ، وَيَكُونُ دَفْتَرْدَارًا  
 وَنَازِرًا يَسِيرُ عَلَى السَّيْرِ الْحَسَنَةِ فَاخْتَارَ لِهَذِهِ الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ السَّنِيَّةِ  
 مَوْلَانَا الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ وَالْمَقَامَ الْفَخِيمَ، ذُو الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالْأَوْصَافِ  
 السَّيِّدَةِ، مَوْلَانَا الْأَمِيرَ مُصْطَفَى بْنِ طَاهِرٍ، وَهُوَ حِينَئِذٍ الْقَاضِي بِقَضَاءِ

ترخاله<sup>(١)</sup> وهو رَجُلٌ عَالِمٌ وفاضِلٌ دَيِّنٌ قَوَالٌ بِالْحَقِّ لا يَخَافُ لَوْمَةَ لَائِمٍ صَاحِبُ بَسْطٍ [٤] ومُحَابَرَةٌ وَسِيَاسِيَّةٌ وَشَجَاعَةٌ وَبَسَالَةٌ، فَأَعْطَاهُ السُّلْطَانُ دَفْتَرْدَارِيَّةً<sup>(٢)</sup> أَقْطَارَ الْيَمَنِ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ وَيَكُونَ مُعِينًا لَهُ، فَسَارَ مِنَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى وَحَرَسَ مُلْكَ مَالِكِهَا إِلَى مِصْرَ فَدَخَلَهَا فِي شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الَّتِي عُقِدَ لَهُ الْوِلَايَةُ فِيهَا، فَعَسَكَرَ بِهَا وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْيَمَنِ الْمَخْرُوسِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَعِيْدَ عِيدِ الْإِفْطَارِ بِالْيَنْبُوعِ<sup>(٣)</sup>، حَكَى لِي ذَلِكَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ الْخَارِجِينَ صُحْبَتَهُ إِلَى الْيَمَنِ وَزَارَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ حَرَسَهُ اللهُ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ.

وَأَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَبْنَاءِ عَرَبِ الْيَمَنِ مِنْ عَسْكَرِ السُّلْطَانِ وَكَانَ قَدْ دَخَلَ مِصْرَ وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا وَخَرَجَ فِيمَنْ خَرَجَ مِنْ مِصْرَ مَعَهُ إِنَّهُ سَمِعَ مَوْلَانَا

(١) ترخاله: يُرِيدُ سَنَجَقَ (ترخاله) أَوْ (ترحالا) وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ (ترخاله) وَهُوَ فِي نَوَاحِي بَلَدِ الْيُونَانَ.

(٢) دَفْتَرْدَار: Defterdar: الْقَابِضُ عَلَى الدَّفْتَرِ، وَهُوَ أَكْبَرُ مَنْصَبٍ لِلشُّؤْنِ الْمَالِيَةِ فِي السَّلْطَنَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، يُقَابِلُهُ فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ وَزِيرُ الْمَالِيَةِ، وَبَعْدَ نَهَايَاتِ الْقُرُونِ السَّادِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ، أَصْبَحَ لِكُلِّ وِلَايَةٍ دَفْتَرْدَارٌ يَقُومُ بِتَنْظِيمِ الشُّؤْنِ الْمَالِيَةِ فِي الْوِلَايَةِ. [الْمَعْجَمُ الْمَوْسُوعِيُّ لِلْمَصْطَلَحَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ: (١١٤)].

(٣) الْيَنْبُوعُ: يَرِيدُ (يَنْبُع): مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَهِيَ مِنْ أَرْضِ تِهَامَةٍ، قَرِيبَةٌ مِنْ طَرِيقِ الْحَاجِ الشَّامِيِّ. [مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ (٥/٤٥٠)].

صاحب السَّعادة الباشا حسن وهو يقول - وهو ممَّن يَعْرِفُ بِاللِّسَانِ  
التركي - حَال طَيَّافَتِهِ بِالْبَيْتِ مَا مَعْنَاهُ: «رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ بَيْتُكَ وَمَقَامُ الْعَائِذِ  
وَالْمُسْتَجِيرِ بِكَ، وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يُضْمِرُهُ قَلْبِي فَإِنْ كُنْتُ أُرِيدُ  
ظُلَامَةً لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَرُدَّنِي مِنْ غُرْبَتِي إِلَى أَهْلِي».

وهو أَيْدُهُ اللهُ تَعَالَى أَرْقَ النَّاسَ بِالْمُؤْمِنِينَ قَلْبًا وَأَبْعَدَهُمْ طَمَعًا لِمَا فِي  
أَيْدِي النَّاسِ وَالسَّعَايَاتِ عِنْدَهُ بِالْشَّرِّ كَاسِدَةً، يَعْفُو عَنِ الْجَانِي إِذَا هَفَا وَلَا  
يَأْخُذُ أَحَدًا بِذَنْبِ أَبِيهِ وَجَرِيرَةِ أَخِيهِ أَوْ وَلَدِهِ، بَعِيدٌ عَنِ الْمَظَالِمِ، قَرِيبٌ إِلَى  
الْمَكَارِمِ.

وَعَمِلَ فِي مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى مِنَ الْمَنَاقِبِ وَالْمَكَارِمِ مَا هُوَ أَهْلُهُ  
وَجَدِيرٌ بِهِ، مِنْ جُمَلَتِهَا أَنَّهُ كَانَ سُعْيِي [٦] بِالْقَاضِي الْجَلِيلِ الْفَخِيمِ الرَّئِيسِ  
النَّبِيلِ حُسَيْنِ الْمَالِكِيِّ<sup>(١)</sup>، قَاضِي مَكَّةَ وَرَئِيسَهَا يَوْمَئِذٍ إِلَى الْأَبْوَابِ  
السُّلْطَانِيَّةِ، وَالْعَتَبَاتِ الْخَاقَانِيَّةِ، مَا يُؤَدِّي إِلَى هَلَاكِهِ وَقَطْعِ رَأْسِهِ، وَقَدْ كَانَ  
مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ أَيْدُهُ اللهُ أَمَرَ صَاحِبَ السَّعَادَةِ حَالَ مَسِيرِهِ مِنْ  
مَقَامِهِ إِلَى الْيَمَنِ أَنَّهُ مَتَى صَارَ فِي مَكَّةَ حَرَسَهَا اللهُ تَعَالَى وَتَحَقَّقَ مَا سُعْيِي بِهِ  
إِلَيْهِ عَلَى الْقَاضِي الْمَذْكُورِ أَنْ يُمَضِّي فِيهِ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ هَلَاكِهِ وَقَتْلِهِ، فَلَمَّا  
وَصَلَ مَكَّةَ تَحَقَّقَ الْأُمُورَ فِي شَأْنِ الْقَاضِي الْمَذْكُورِ، فَإِذَا هِيَ سَعَايَاتٌ غَيْرُ  
صَادِقَةٍ وَأَنَّ الْقَاضِي الْمَذْكُورَ لِحِلَالَةِ نُبْلِهِ وَرَفِيعِ مَحَلِّهِ وَفَضْلِهِ يَسْتَحِقُّ مِنْ

(١) لم أقف على ترجمته.

الإِنعامات السُّلْطَانِيَّة والإِبْقَاء له على رِئاستِهِ فَعَرَضَ <sup>(١)</sup> له بِعَرُوضٍ كَرِيمَةٍ  
وَشَفَاعَاتٍ شَرِيفَةٍ إِلَى الْعُتَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ بِمَا يَكُونُ بِهَا صَلَاحُ أَحْوَالِهِ  
وَالْإِبْقَاءُ لَهُ عَلَى مَحَلِّهِ مِنْ رِئاستِهِ، فَقُبِلَتْ شَفَاعَاتُهُ فِيهِ وَأَبْقِيَ عَلَى رِئاستِهِ  
المعتادة.

وهذا القاضي المَذْكُورُ مَشْهُورٌ بِالْجَلَالَةِ وَالنَّفَاسَةِ، مَعْرُوفٌ بِالْفَخَامَةِ  
وَالرَّئَاسَةِ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - فِي تِسْعٍ  
مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ تِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ هُوَ وَالْفَاضِلُ الْعَلَّامَةُ قُطْبُ  
الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْكَاشَانِيِّ النَّهْرَوَالِيِّ <sup>(٢)</sup> صَاحِبُ

(١) عَرَضَ Arz: تقديم معلومات شفوية أو تحريرة للسلطان، تتناول في الغالب الشؤون المتعلقة  
بالدولة، وبإستثناء بعض الموظفين في القصر السلطاني فإن بقية موظفي السلطنة لا يستطيعون  
تقديم هذه المعلومات إلا مكتوبة. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية:  
١٥٣].

(٢) جاء في الأصل «النَّهْرَوَالِي» والصَّوابُ إِنَّهُ النَّهْرَوَالِي نسبة إلى (نَهْرَوَال)، وسنورد ترجمته  
كاملة ليستزِدَ من أخباره من أراد.

هو قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان محمود المكي الحنفي،  
القادرِي الخرقاني مفتي مكة في القرن العاشر الهجري وقاضيا ومدرس الحديث ومؤرخ مكة  
واليَمَن في أوائل العهد العثماني.

وُلِدَ سَنَةَ ٩١٧ هـ (= ١٥١١ - ١٥١٢ م) بِبَلَاهُورٍ مِنْ أَعْمَالِ الْهِنْدِ سَابِقًا (بِالْإِسْلَامِ حَالِيًا) فِي أُسْرَةٍ  
اهْتَمَّتْ بِالْعِلْمِ، وَأَصْلُهَا مِنْ عَدَنَ وَلَكِنَّا اسْتَقَرَّتْ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ فِي نَهْرَوَالَةِ (المعروفة اليوم باسم  
باتان) فِي حِجْرَاتٍ، وَتَنَكَّلَمُ عَنْهُ بَعْضُ الْكُتُبِ - وَمِنْهَا الْقَدِيمَةُ فَتَسْمِيهِ بِالنَّهْرَوَالِيِّ.



تلقي تعليمه الأول على يد أبيه وكان مفتياً وعالماً بالحديث، ثم نقله أبوه إلى مكة، حيث درس على أيدي عدة من العلماء والشيوخ من بينهم المؤرخ اليمني الدُّيَّع (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) قبل رحلته إلى مصر سنة ٩٤٣ هـ لمزيد من التعليم، والتقى في مصر بكثير من الشيوخ البارزين من بينهم بعض تلاميذ السيرطي (ت ٩١١ هـ) وقدموه إلى الوالي العثماني خسرو باشا في ديوانه، وإلى المتوكل محمد (ت ٩٥٠ هـ = ١٥٤٣ م) الذي كان آخر خليفة من خلفاء الظل العباسيين.

وقد اتقن التركي منذ صغره اتقاناً ساعده على أن يتعرف على كثير من الموظفين والعمال العثمانيين الذين وفدوا إلى هنا أو من أقاموا في تلك الناحية وكان لمعرفته التركية وتقدمه في كتابة الإنشاء فضل في التحاقه بإحدى الوظائف عند أشرف مكة فاستخدموه في معاملاتهم مع العثمانيين، وأصبح قطب الدين الرجل الذي يلتصقه الزوار العثمانيون لمعرفة مكة، وقد مكنته مكانته عند حكام الدولة العثمانية من أن يتولى وظائف تدريس هامة كما صار مفتي مكة.

ولما كان جمادى الأولى سنة ٩٧٥ هـ تولى تدريس المذاهب الأربعة في مدرسة السلطان سليمان الجديدة، وقد درّت عليه هذه الوظيفة إلى جانب الإفتاء دخلاً كبيراً عاش عليه بقية حياته، ولقد رحل قطب الدين مرتين إلى استانبول، فقدموه في كليتهما إلى السلطان سليمان، كما أنه صُحِبَ في سنة ٩٤٣ هـ الوزير بهادر شاه في سفره إلى استانبول لتبعث مدداً حربياً إلى ججرات.

أمّا رحلته الثانية التي قام بها في سنة ٩٦٥ هـ (= ١٥٥٧ - ١٥٥٨ م) فكانت إلى شريف مكة، ولقد أدرج رحلته عبر بلاد الشام والأناضول في كتابه الموسوم بـ: (الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية)، وكان من بين الأحداث التي صادفها مقابلته مع الأمير بابيزيد غداة منازعته مع أخيه وذلك في تشيع جثمان حُرَّم زوجة أخيه السلطان وكذلك كان لقاءه مع شَيْخ الإسلام الشهير أبي السُّعود أفندي.

أمّا فيما يتعلق بتاريخ وفاة قطب الدين بمكة فالأرجح أنه كان يوم ٢٦ ربيع الثاني ٩٩٠ هـ (= ٢٠ مايو ١٥٨٢ م)، ويظهر أنه قد خلف من بعده ولداً واحداً على الأقل اسمه محمد، الذي وضع

كتاباً سماه (ابتهاج الإنسان) وقد ألفه لحسن باشا والى اليمن العثماني الذي طالبت مدة ولايته من ٩٨٨ - ١٠١٢ هـ (= ١٥٨٠ - ١٦٠٤).

أما مؤلفاته الكثيرة والتي أشار إليها كل من الجاسر، بروكلمان فتناول على وجه الخصوص الدين والأدب أو التاريخ، ومن بينها كتاب عن العلماء الحنفية سماه (طبقات الحنفية) وكتاب في الحديث يعرف باسم (الجامع لكتب السنة الستة)، لكنها ضاعت حين شبت النار في بيته ومكتبته. أما كتابه المسمى بـ: (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) فهو تاريخ لمكة وقد أتم وضعه سنة ٩٨٥ هـ (= ١٥٧٧ م)، وقد ترجمه إلى التركية الشاعر التركي "باقى" وطبعه "فستفلد"، وهو كتاب يتضمن مقالات من بينها واحدة عن الفتح العثماني لقبرص (٩٧٨ - ٩٧٩ هـ = ١٥٧٠ - ١٥٧١ م) وقد اختصره ثم أكمله ابن أخيه عبد الكريم وسماه (إعلام العلماء الأعلام) أما تاريخه عن اليمن المسمى (الفتوحات العثمانية للأقطار اليمنية) ثم غيره فيما بعد فصار (البرق اليمني في الفتح العثماني) فقد أتمه سنة ٩٨١ هـ (= ١٥٧٣ م) ثم أعاد صياغته من جديد بعد قليل وقد استحسنته الوزير العثماني سنان باشا (ت ١٠٠٤ هـ = ١٥٩٦ م) حينما كان قطب الدين في صحبته بمكة سنة ٩٧٨ هـ (= ١٥٧٠ م) وذلك في أعقاب إعادة الفتح العثماني لليمن، وقد أمد سنان باشا بمعلومات عن حملته التي استغرقت ثمانية عشر شهراً في ٩٧٦ - ٩٧٨ هـ (١٥٦٨ - ١٥٧٠ م) وكذلك أمد بقصيدة ملحمة عن نفس الموضوع نظمت بالتركية وسميت (فتوح اليمن) وهي التي نظمها "مُصطفى رموزى" أحد الضباط العثمانيين باليمن.

ومع ذلك فقد خصص قطب الدين نصف كتابه لتاريخ اليمن بدءاً من القرن العاشر الميلادي حتى السادس عشر، وقد صدرت له ترجمتان بالتركية واحدة منهما قبل سنة ٩٩٨ هـ (١٥٩٠ م) وقد قام بنشرها الجاسر.

وإن التفاصيل الجمة عن حياة قطب الدين واردة في كل من البرق اليمني والإعلام، لاسيما في الأخير منهما الذي طبع لأول مرة بواسطة (فستفلد) كما توجد طائفة جمة ومفيدة من الأخبار في



التاريخ والمُصَنَّفَات المفيدة في سَنَةِ وَاحِدَةٍ وَكَانَ بَيْنَهُمَا صَدَاقَةٌ وَمَوَدَّةٌ حَسَبَمَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ.

وَمَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ لَمْ يَحْجِجْ فِي تِلْكَ السَّنَةِ بَلْ سَارَ بَعْدَ زِيَارَتِهِ لِبَلَدِ الشَّرِيفِ مُسْرِعًا إِلَى بِلَادِ وَلَايَتِهِ وَرَكِبَ الْبَحْرَ مِنْ بَنْدَرِ جِدَّةٍ حَتَّى خَرَجَ [٧] إِلَى تِهَامَةٍ، وَكَانَ الْمُتَوَلَّى قَبْلَهُ لِإِقْلِيمِ الْيَمَنِ الْبَاشَا مُرَاد<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا بَلَغَ الْبَاشَا مُرَادَ خَبَرَ عَزْلَهُ عَنِ الْيَمَنِ وَحُصُولَ وَلَايَتِهِ لَمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْبَاشَا حَسَنَ، سَارَعَ مِنْ مَدِينَةِ تَعِزٍّ ثَانِي شَهْرَ [ذِي] الْقَعْدَةِ الْحَرَامِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، وَلَمْ يَجْتَمِعْ بِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَدَامَ اللَّهُ سُمُوهُ وَعُلُوهُ بَلْ سَارَ مُسْرِعًا لِأَجْلِ إِدْرَاكِ الْحِجِّ عَلَى زَعْمِهِ، وَجَاءَتْ طَرِيقُهُ السَّرَاةُ<sup>(٢)</sup>، وَوَجَّهَ رَجُلًا مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا

المقدمة التي وصفها حمد الجاسر لكتابه البرق وسفاد غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة. [موجز دائرة المعارف الإسلامية (٣٢/ ٩٨٧)].

(١) مراد باشا: من خواص المماليك السلطانية السليمانية، من طائفة (دُو سُرْمَه) يُروى إنه كان يسقي الأمراء اليمانيين السُّم ليتخلص منهم، وينهب أموالهم، مثل أميرِ جبلة وعَدَن، وقد عُيِّنَ واليًا على البلاد التهامية من اليمن، وكانت بينه وبين واليِ رضوان باشا منافسة، أفضت إلى تقربه من الإمام المُعَلَّهَر والأشراف، وإنصافه لهم غاية الإنصاف من واليِ على جهاتهم رضوان باشا [البرق اليماني (١٦٣)]. [الجوائز الهنية (٣٧)].

(٢) السَّرَاة: جَبَلٌ أَوَّلُهُ قَرِيبٌ مِنْ عَرَفَاتٍ وَيَمْتَدُّ إِلَى حَدِّ نَجْرَانَ الْيَمَنِ؛ النَّاج: (سري). وهي سلسلة الجبال التي تقوم على طول الجانب الغربي من هضبة جزيرة العرب؛ ويقول الهمداني وهو عمدة

صاحب السعادة الباشا حسن وأصحابه هدية من الخيل وغيرها وطلب منه عروضاً شريفة إلى الأبواب السلطانية -رفع الله قدرها وخلد مثلك مآلكها- وكان مولانا صاحب السعادة يومئذ في الصليفي<sup>(١)</sup>.

ولما استقر ركاب<sup>(٢)</sup> مولانا صاحب السعادة الباشا حسن -حماء الله من نوائب الزمن- بتهامة، أظهر العدل في إقليم اليمن ورفع عن الرعايا ما كان عليه من المصائب والمحن، وسهل حجابته، وألان جنابه، لمن وصل إليه من المتظلمين، وكف أكف المعتدين، ورد كثيراً من المظالم على أهلها، وسار من تهامة إلى مدينة تعز المخروسة، وقد وصل إليه من وصل من الأمراء وأعيان الكبراء، ودخل قلعة تعز المسمى بالقاهرة، فوجد بها جماعة كثيرة في السجن من رؤساء العرب، ومن أهل المناصب

---

الجغرافيين العرب عن شبه الجزيرة العربية: إن أطراف هذه الجبال التي تقوم حاجزا بين نجد والغور (تهامة)، ومن ثم سماها العرب (حجازاً)، تقبل من أقصى اليمن إلى الشام؛ وقال الأصمعي: إنها تمتد حتى جبال أرمينية. [موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٨/٥١٣)].

(١) الصليفي: مدينة إلى الغرب من مدينة الزيدية بمسافة ٤٠ كيلاً، وهي على شكل اللسان الممتد في داخل البحر الأحمر حيث يحيط بها الماء من ثلاث جهات، وحولها عدد من الجزر الصغيرة، وترجع شهرتها إلى وجود مناجم الملح الصخري فيها. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٩١٨)]

(٢) ركاب Rikab: حاشية الوزير والمقربين منه الذين يرافقونه في حركته وسكونه. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (١٢٨)]

والحسب، ورأى وجوههم مُغبرة، قد لحقتهم المشاق وعمتهم المضرة،  
والفاقة من الإملاق، ولا يجدون ما يقوم [٨] بحالهم من الإنفاق، فرَّق  
لهم ورحمهم وسأل عن أمرهم وعن سبب سجنهم، فإذا هم مظلومين،  
فهزت أعطافه أريحية العفو والكرم، وما أودعه الله فيه من محاسن  
الأخلاق والشيم، فأمر بإطلاقهم وتخليه سبيلهم والإجراء لهم على  
عادتهم في خدمة الدولة السلطانية، وردّ عليهم ما يعتادونه من الجريات  
السلطانية، والإبقاء لهم على رئاستهم، وخلع عليهم الخلع السنيّة<sup>(١)</sup>،

(١) الخلعة: خيار المال، ويضم، وإنا قيل: خلّع فلان على فلان كأن معناه أعطاه ثوباً، واستعيد  
معنى العطاء من هذه اللفظة بأن وصل به لفظة على لا من مجرد الخلع؛ الناتج: (خ ل ع). وفي دائرة  
المعارف الإسلامية: خلعة: كلمة عربية مشتقة من خلع أي خلع لباسه. والخلعة حلة من خل  
السلطان يكف عن لبسها ويخلعها على من يريد تكريمه، وهذه الحلة تكون بطبيعة الحال ثمينة  
فاخرة عظيمة القدر، وهي تخلع أيضاً على العامل من عمال الدولة إشعاراً بتوليّه منصبه،  
ويستعاض عنها أحياناً بقدر من المال. ومن ثم أطلقت عبارة اخلعت - بها - أي ثمن حلة  
التشريف في تركيا على ذلك القدر من المال الذي يوزع على ضباط الإنكشارية عند اعتلاء  
السلطان العرش، وجرى ملوك فارس على أن يبعثوا حلة مع رسول خاص إلى ولاية الأقاليم الذين  
يرغبون في تشريفهم، ويرتدى هؤلاء هذه الحلة في المناسبات الخاصة، ويكرمون الرسول اعترافاً  
بهذا الفضل ويغدقون عليه الهدايا.

وكانت الخلع في آسيا الوسطى تصنع من خيوط الذهب المنسوج في جزائر الهند ومن شيلان  
الكشمير ومن الحرير المختلف الألوان. وكان المُنعم عليه بكساء من هذه الكسي يلبس الخلعة  
(خلعت بالفارسية والتركية) فوق الملابس التي يرتديها.

وأعطاهم العطايا الهنيئة، ورحل عن مدينة تَعَز قاصداً مدينة صَنْعَاءَ الْيَمَنَ  
فدخلها في اليوم السَّابع والعشرين<sup>(١)</sup> من شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ تِسْعٍ  
وَتَمَانِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، فِي زِيٍّ حَسَنٍ، وَأَبْهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهَيْئَةٍ فَخِيمَةٍ، وَعَسَاكِرَ  
وَاسِعَةٍ، وَأَجْنَادَ نَافِعَةٍ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنْ بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ،  
فَلَمَّا دَخَلَ غُمْدَانَ<sup>(٢)</sup>، وَاسْتَقَرَّ عَلَى الْإِيوَانِ<sup>(٣)</sup>، قَرَّبَ رُؤَسَاءَ الْعَرَبِ مِمَّنْ  
لَهُ شَرَفٌ وَمَنْصَبٌ وَعَمَّهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَغَمَّرَهُمْ بِمَكَارِمِهِ وَنَوَالِهِ، وَاسْتَدْنَا مِنْ  
بَعْدُ مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَعَظَّمْ شَعَارَ مَنْ وَفَدَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ كُلَّ مَظْلَمَةٍ،

وكانت كسوة التَّشْرِيفِ فِي مِصْرَ عَلَى عَهْدِ الْمَمَالِيكِ مَنَازِلُ أَوْ مَرَاتِبُ بِحَسَبِ رَتَبَةِ الْأَشْخَاصِ  
الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بِهَا. وَكَانَ هَؤُلَاءِ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ رِجَالُ السَّيْفِ، وَرِجَالُ الْقَلَمِ أَيْ عَمَالُ الْحُكُومَةِ  
الْعُلَمَاءُ.

وكان يضاف إلى خلعة التَّشْرِيفِ سَيْفٌ مَحَلًى بِالذَّهَبِ يُؤْخَذُ مِنْ دَارِ الصَّنْعَةِ (سِلَاحْخَانَه)، وَجُودٌ  
كَامِلٌ الْعِدَّةُ عَلَيْهِ كَنْبُوشٌ (بِالْفَارَسِيَّةِ كُونْبُوشٌ أَيْ غِطَاءٌ) مِنَ الذَّهَبِ يُؤْخَذُ مِنَ الْأَصْطِطِلَاتِ الْمَلِكِيَّةِ  
(رِكَابْ خَانَةِ) [مَوْجُزُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (١٥/٧١٦)]

(١) «العشرون»: هكنا في الأصل.

(٢) غُمْدَانٌ: بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَسُكُونِ ثَانِيهِ، وَآخِرُهُ نُونٌ: قَصْرٌ بِصَنْعَاءَ بِالْيَمَنِ، كَانَ مَنْزِلُ الْمُلُوكِ، وَلَمْ  
يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَدَمَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ. [مَرَاوِدُ الْأَطْلَاعِ (٢/١٠٠٠)].

(٣) الْإِيوَانُ: الصُّفَّةُ الْعَظِيمَةُ كَالْأَرْجِ، وَمِنْهُ إِيوَانُ كَيْسَرِي، النَّجَاحُ: (أَوْن). قَالَ الشَّاعِرُ:  
النَّارُ قَارَانِي: إِيوَانٌ وَغُمْدَانُ

، النَّجَاحُ: (ر ز ب).



ويؤثّل<sup>(١)</sup> كل مكرمة، ويسعى في تشييد الممالك السلطانية في الأقطار اليمنية، والزيادة على من تقدّمه من باشوات الدولة الخاقانية<sup>(٢)</sup>، وصار لأهل بلاد ولايته كالأب الشفيق، والخذن<sup>(٣)</sup> الرفيق، وقويت مدينة صنعاء المحروسة في أيام إقامته بها وسكونه فيها واعتمرت [٩] أسواقها وانسأقت الخيرات إليها، وعم أهلها وقاطنيها الأمان والسلامة في سفرهم والإقامة، وقصدها أهل التسبب والتجارة من كل قطر وناحية، ولقد جاءه تاجر هندي يشتكي عليه أن تجارته سُرقَت وهو يبكي ويستغيث به ولا يعرف من سرقه، فأمر له من ساعته تلك بدراهم أكثر من ثمن تجارته، فخرج ذلك الهندي وهو يدعو له بالحراسة والبقاء، ويشكره على تفضلاته عليه وإحسانه إليه، وقد رأيتُ هذا الهندي بعد ما ناله ما نال من إكرام مولانا صاحب السعادة بما حكيناه بعد سريقتِهِ وقد أثرى وحسن حاله وعظمت تجارته.

وبعد استقراره بمدينة صنعاء المحروسة وجّه الأمير جعفر إلى السيد الشريف الأمير السامي الأكرم الهمامي، نسل السلالة الهاشمية، ثمرة

(١) أثّلْتُ الشيء: أدفنته؛ التاج: (أ ث ل).

(٢) خاقان: اسم لكل ملك حقنه الترك على أنفسهم، أي ملكوه ورأسوه، وليس من العربية في شيء؛ التاج: (خ ق ن).

(٣) الخذن: الصاحب والمحدث؛ التاج: (خ ذ ن).



الشَّجَرَةُ النَّبَوِيَّةُ، وَتَاجُ الْعَصَابَةِ الْعَلَوِيَّةِ، وَعَيْنُ نَضَارِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْمَمَالِكِ الْيَمَنِيَّةِ، أَمِيرُ اللُّوَاءِ الشَّرِيفِ الْخَاقَانِي الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْإِمَامِ شَرْفِ الدِّينِ<sup>(١)</sup>، بِخِلْعَةِ سَنِيَّةٍ وَمَرَاسِيمِ شَرِيفَةٍ يَقْتَضِي مَعَانِيهَا الْإِتِّحَادَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَذَلِكَ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، فَتَلَقَاهُ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ بِالْقَبُولِ التَّامِّ، وَقَابَلَ الْخِلْعَةَ<sup>(٢)</sup> بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ وَالتَّفْخِيمِ وَالْإِكْرَامِ، وَلِبَسَهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَنَامِ بِمَجْمَعٍ عَظِيمٍ فِيهِ الْخَاصُ وَالْعَامُ [١٠] وَمِنْ ثَانِي وَصُولِ الْأَمِيرِ جَعْفَرٍ خَلَعَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ خِلْعَةَ سَنِيَّةٍ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةَ هَنِيَّةٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُقَادَ إِلَيْهِ مَرْكُوبٌ مِنْ نَجَائِبِ خَيْلِهِ الْجَيَادِ، وَأَجَابَ عَلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْبَاشَا حَسَنٍ بِجَوَابِ كَرِيمِ شَافِيٍّ، وَخَطَابِ رَاقٍ وَافِيٍّ،

(١) عَزَّ الدِّينُ بْنُ شَرْفِ الدِّينِ: تَوَلَّى لَعَمَهُ الْمُعْطَهَّرَ قِيَادَةَ جَيْشِهِ لِلْإِسْتِيلَاءِ عَلَى مَدِينَةِ نَعَزٍ وَحِصْنِهَا وَنَوَاحِيهَا، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ حَازِمٍ وَلَا مَدِيرٍ كَمَا وَصَفَهُ صَاحِبُ كِتَابِ (رَوْحُ الرُّوحِ) فَقَدَّرَ مِنْ قَاهِرَةٍ نَعَزَ لَا يَلُوحِي عَلَى شَيْءٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَمِّهِ الْمُعْطَهَّرِ فِي ١٣ مُحَرَّمٍ سَنَةِ ٩٧٧ هـ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٩٩٢ هـ. [هِجَرُ الْعِلْمِ (٤/١٨٧٢)]. وَمِنْ مَآثِرِهِ (عَارِضَةُ كَوَكَبَانَ) وَبَنَى بِهَا مَسْجِدًا وَبِرْكَةً وَهِيَ مَطْلَعٌ عَلَى مَدِينَةِ شَبَّامِ [الْجَوَائِزُ الْهَنِيَّةُ (١١٨)]. وَلَهُ سِيرَةٌ مَفْقُودَةٌ بِعَنْوَانِ: (الرَّوْضُ النَّاضِرُ فِي أَخْبَارِ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينِ) أَلْفَهَا صَاحِبُ هَذَا التَّارِيخِ الْوَزِيرِيُّ.

(٢) الْخِلْعَةُ Hilat: اسْمٌ عَرَبِيٌّ لِمَا يُسَمَّى بِالْتُرْكِيِّ: قَفْطَانٌ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَلَابِسِ الْخَارِجِيَّةِ أَوْ مَا يُسَمَّى بِالْبِشْتِ أَوْ الْعِبَاءَةِ أَوْ الرِّدَاءِ، وَلِهَذَا الْخِلْعَةُ دَرَجَاتٌ وَأَنْوَاعٌ كَانَتْ أَعْلَاهَا مَا تَمْنَحُ لِلشَّرِيفِ وَهِيَ مِنْ (فِرْوِ السُّمُورِ). [الْمَعْجَمُ الْمَوْسُوعِيُّ لِلْمَصْطَلَحَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ (١٠٣)]

فيه الدعاء لمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الأعْظَمِ، والخاقان المُكْرَمِ، والشُّكْر والشَّاء لمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ والتَّعْرِيفِ لَهُ بِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى سَاقِ الاسْتِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَةِ وَمَوَالَةِ جَانِبِ السُّلْطَنَةِ وَقِيَامِهِ عَلَى مَنْ عَانَدَهَا وَالْمَتَابَعَةِ لِأَنْصَارِهَا وَأَعْوَانِهَا.

ثُمَّ تَقَدَّمَ الْأَمِيرُ جَعْفَرُ الْمَذْكُورِ مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ إِلَى سُودَةِ شَطَب<sup>(١)</sup> وَمَعَهُ مَكْتُوبَيْنِ كَرِيمَيْنِ وَخِلْعَتَيْنِ سَنِيَّتَيْنِ شَرِيفَتَيْنِ مِنْ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ إِلَى السَّيِّدَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ عَلِيِّ يَحْيَى<sup>(٢)</sup> وَصِنُوهُ<sup>(٣)</sup> لُطْفَ

(١) سُودَةُ شَطَب: بلدة عامرة في الشَّمالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ صَنْعَاءَ عَلَى مَسَافَةِ ١٠٧ كِيلُو مِثْرَاتٍ، كَمَا تَبْعِدُ عَنْ مَدِينَةِ عَمْرَانَ بِنَحْوِ ٥٨ كِيلُو مِثْرًا، وَتُدْعَى سُودَةُ شَطَبَ نِسْبَةً إِلَى جَبَلِ شَطَبَ الَّذِي تَقَعُ السُّودَةُ فِي الْجَزَاءِ الْمُنْخَفِضِ مِنْهُ وَهُوَ الطَّرْفُ الشَّمَالِيُّ بِغَرْبِ، وَتَعْرِفُ أَيْضًا بِسُودَةِ ابْنِ الْمَعَاذِيِّ، نِسْبَةً إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعَاذِيِّ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّرَفِيُّ فِي ذَيْلِ بَسَائِمَةِ صَارِمِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَزِيرِ فِي قَوْلِهِ:

وَسُودَةُ ابْنِ الْمَعَاذِيِّ كَمْ بِهَا عَيْبٌ ، أَفَنَتْ خِلَافَتَهُ وَاهْدَتْ عَلَى الْأَثَرِ

وَكَانَ لَهَا سُرُورٌ بِنَاءِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعَاذِيِّ، ثُمَّ أَمَرَ الْإِمَامُ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِهَدْمِهِ. [هَجَرُ الْعِلْمِ وَمَعَاذِلُهُ (٢/٩٨٥)].

(٢) عَلِيُّ يَحْيَى: بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ الْمُطَهَّرِ انْتَفَضَ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ حُكْمِ أَبِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا فِي احْتِدَامِ الْمَنَافَسَةِ بَيْنَ أَوْلَادِ الْمُطَهَّرِ، وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ تَوَلَّوْا عَلَى عَهْدِ أَبِيهِ الْمُطَهَّرِ. [الْفَتْوحَاتُ الْمُرَادِيَّةُ (ق ٣١٣/ب)].

(٣) الصَّنُو: (الْأَخُ الشَّقِيقُ) ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: (عَمُّ الرَّجُلِ (صِنُّ أَبِيهِ) يُقَالُ: هَذَا صِنُّ فُلَانٍ إِنْ كَانَ أَخَاهُ وَشَقِيقَهُ لِأَبِيهِ، وَلَا يُسَمَّى (صِنُوًّا) حَتَّى يَكُونَ مَعَهُ آخَرُ النَّجَاحِ: (صِنُو)).

الله<sup>(١)</sup> ابنا الْمُطَهَّر بن الإمام شَرَف الدِّين، يَقتضي أَمْر المَكْتُوبِينَ الإخبار لَهُما بِقُدُوم مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ إلى مَحْرُوس مَدِينَةِ صَنْعَاءِ اليَمَن والتَّعْرِيف لَهُما بِاتِّحَادِ الحَالِ بَيْنَهُمَا وَبَيْن جَانِبِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الخَاقَانِيَّةِ، فَلَمَّا وَصَلَ الأَمِير جَعْفَرُ إِلَى مَا هُنَالِكَ وَأَوْصَلَ إِلَى الْمَذْكُورِينَ الْخِلَعَتَيْنِ وَالْمَكْتُوبِينَ قَابِلَاهُ بِالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِفْخَامِ وَالتَّكْرِيمِ، وَأَظْهَرَ مِنْ إِطَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ - شَيْدِ اللَّهِ بَنِيَانِ مَلِكِهِ، وَجَعَلَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا مِلْكَهُ - مَا يَجِبُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى أَمْثَالِهِمَا مِنْ أَشْبَاهِهِمَا، وَخَلَعَ عَلَى الأَمِيرِ جَعْفَرَ خِلَعَتَيْنِ سَنِيَّتَيْنِ وَأَمَرَ لَهُ السَّيِّدَ [١١] عَلِيَّ يَخْيِي بِمَرْكُوبٍ مِنْ نَجَائِبِ خَيْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ الأَمِيرُ جَعْفَرُ بِجَوَابٍ مِنْهُمَا مَضمُونُهُ الشُّكْرُ لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَالبَقَاءُ عَلَى طَاعَةِ السُّلْطَنَةِ.

---

(١) لطف الله: سكن حصن دمرمر بعد أن صار متوليًا لأمره من قبل والده، فحاصره القوات العثمانية سنة ٩٩١هـ ثمانية أشهر ثم خرج منه بصلح، فانتقل إلى حصن كوكبان، ثم أسرته القوات العثمانية ونفي مع آخرين إلى تركيا حيث توفي بها سنة ١٠١٠هـ. [هجر العلم ومعاقله (٨٠٣/٢)]. وترجم له العلامة صلاح بن أحمد الوزير، فقال: اللطف الله بن المطهر، ذو النفس الأبية، والهمة العالية، والجلالة والرئاسة، والرجاحة والنفاة، والقلب الذي لا تبتته المصائب وإن عظمت، ولا تفرعه الخطوب وإن جسمت، روح الروح: (٢١٦).

ولما عاد الأمير جعفر من السُّودَة<sup>(١)</sup> إلى مقام الأمير عز الدين بجواب من ذكرنا، أمرني<sup>(٢)</sup> الأمير عز الدين بالمسير صحبته إلى حَضْرَة مَوْلَانَا صاحب السَّعادة إلى صَنْعَاء المَحْرُوسَة فدخلت مع الأمير جعفر إلى حَضْرَة مَوْلَانَا صاحب السَّعادة فَسَلَّمْتُ عليه فقابلني بالترحيب، وخلع عليّ وبقيت بمقامه ثمانية أيام، في بيت الأمير جعفر قم رحلني وأصحبني كتاباً إلى الأمير عز الدين تقتضي ألفاظه ومعانيه الشُّكر له والثناء عليه وأن رأيه معتمد وشفاعته مقبولة، ونفعاته مَبْدُوءَة. ورأيت من أحوال مَوْلَانَا صاحب السَّعادة في هذه الوافدة عليه ما بهر عقلي من محامد صفاته، وحسن أخلاقه وإلانة جنابه، وفحولة رجاله، وعظيم كماله وتقريبه لأكابر العرب والإحسان إليهم وإيفائه لكل منهم ما يستحق ويختص بكل أحد منهم على انفراده حتى يظن أحد أنه هو خاصته، فتيقنت أن أمره سيعظم وأحواله ومكارمه منافية لغيره ممّن تقدمه من باشوات السُّلْطَنَة الخاقانيّة.

(١) السُّودَة : مديرية من أعمال محافظة عمران جنوب مديرية (السود) وتقع السُّودَة في ذروة جبل يطل على واديي أخرف، وعُقْمَان الشَّهيرين بزراعة البُن الواقعين أسفل جبل ظَلِيْمَة حُبُور من بلاد حاشد. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٨٢٨)].

(٢) المؤلف.



وفي خلال ذلك عمل مؤلاًناً صاحب السعادة على توجيه العساكر  
السلطانية إلى مدينة صعدة واسترجاعها إلى الممالك السعيدة الخاقانية،  
والمتعلّب عليها يومئذ السيد الشريف أحمد بن الحسين المؤيدي [١٢]  
الحسني<sup>(١)</sup>، وكان الأمير الشريف محمد بن الناصر الحمزي<sup>(٢)</sup> صاحب  
الجوف ممّن قد لجأ إلى جانب الدولة السلطانية ونالته سعادتها وتفيّاً في  
ظلالها في أيام ولاية الباشا بهرام بن مصطفى<sup>(٣)</sup> للبلاد اليمنية، وأنعم عليه  
بسُنّجق<sup>(٤)</sup> سلطاني، وجعل له جامكية<sup>(٥)</sup> سنجقه محصول بلاد رداع<sup>(١)</sup>

(١) أحمد بن الحسين المؤيدي: الملك الأمجد الأوحّد أحمد بن الحسين بن المؤيد، كانت  
صعدة مقر مملكته، وكانت مبتدأ مملكته من حدّ خيوان إلى أقصى نجران. [الفتوحات المُرادية  
ق ٣١٣/ب].

(٢) محمد بن الناصر بن أحمد الحمزي: كانت له بلاد الجوف من زمن الإمام المظهر بن سُرف  
الدين. [الفتوحات المُرادية]، وحاصرته القوات العثمانية في ظفار سنة ٩٨٩هـ فاضطر إلى  
التسليم. [هجر العلم ٣/١٣١٠].

(٣) بهرام بن قرة شاهين مصطفى باشا (ت ١٥٨٥م): الوالي العثماني على اليمن (٩٧٧-  
٩٨٣/١٥٧٠-١٥٧٥) من أصول بوسنية، له تاريخ صغير عن فترة ولايته في اليمن، ألفه اليمني  
الفقيه محمد بن يحيى المطيب الحنفي الزبيدي، وأسماء: (بُلُوغُ المَرَامِ في تاريخ دولة مؤلانا الباشا  
بهرام).

(٤) سُنّجق: مرادفة للكلمة العربية (لواء) و (ولاية).

(٥) جامكية: عطاء، راتب، أجر، وظيفة. [تكملة المعاجم ٢/١٢٧].



من الأموال السُّلْطَانِيَّةِ وبقي في رَدَاعٍ مُدَّةَ أَيَّامٍ في أرغد عيش وأجل نعمة حتى ظهر في أَيَّام ولاية الباشا مُراد المُقَدَّم ذكره الشَّريف الحَسَن بن علي بن داؤود المُؤَيَّدِي<sup>(٢)</sup> في جبل الأهُنُوم<sup>(٣)</sup>، في سَنَةِ سِتِّ وَتَمَانِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وادعى الإمامة وأَنَّهُ أَهْلٌ لِلرَّئَاسَةِ وَالزَّعَامَةِ، فجنح الأمير مُحَمَّد بن النَّاصِر عن جانب السُّلْطَنَةِ السَّعِيدَةِ إِلَيْهِ، وَكَاتَبَهُ وَبَايَعَهُ، وَقَالَ بِإِمَامَتِهِ وَلِزُومِ جُمُعَتِهِ وَجَمَاعَتِهِ، وَسَارَ عَنْ رَدَاعٍ إِلَى الْجَوْفِ، وَاجْتَمَعَ

(١) رَدَاع: مدينة شرقي مدينة دَمَار بمسافة ٥٣ كيلاً، ولها تاريخ موغُلٌ في القَدَم. [البلدان والقبائل (١/٦٨١)]. وأورد صاحب مراصد الاطلاع أَنَّها مدينة أَهْل فارس بِالْيَمَن، وَأَنَّهَا مِنْ مَخَالِفِ بِلَادِ خُولَانَ، وَهِيَ عِنْدَهُ (رَدَاع) وَ (رَدَاع). [مراصد الاطلاع (٢/٥١٢)]. وَيُرِيدُ بِالْفُرسِ (الْأَبْنَاء) الَّذِينَ جَاءُوا بِرَفْقَةِ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزَنَ، وَقَدْ حَكَمَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ شُعْمَةَ مِنَ الْفُرسِ سَكَنُوا رَدَاعَ، قَالَ صَاحِبُ مَعْجَمِ الْبِلَادِ: «رَدَاعُ: بِالْفَتْحِ: مَدِينَةٌ وَهِيَ وَثَاتٌ كَانَتْ مَدِينَتِي أَهْلِ فَارسِ بِالْيَمَنِ؛ عَنْ نَصْرٍ». (٣/٣٩).

(٢) الحَسَن بن علي (١٠٢٤هـ). حَسَن بن علي بن دَاؤُود بن الحَسَن بن علي بن المُؤَيَّد: إِمَامُ الْيَمَنِ فِي عَصْرِهِ. قَامَ بِالإِمَامَةِ سَنَةَ ٩٨٥ هـ فِي صَعْدَةٍ، فَفَتَحَ عِدَّةَ قُرَى وَتَسَلَّمَ عِدَّةَ حُصُونٍ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُرَادُ بَاشَا (وَالِي الْيَمَنِ) جَيْشًا بِقِيَادَةِ الْأَمِيرِ سِنَانٍ، فَاعْتَصَمَ الْإِمَامُ فِي جَبَلِ الْأَهْنُومِ، ثُمَّ ضَعَفَ أَمْرُهُ، فَاسْتَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ (تُرْكِيَّة) وَتَوَفَّى فِيهَا. [الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ (٢/٢٠٤)].

(٣) الْأَهْنُومُ: سِلْسِلَةٌ جَبَلِيَّةٌ فِي بِلَادِ حَائِدٍ، تَشَكَّلُ فِي أَعْمَالِهَا الْيَوْمَ وَحَدَّتَانِ إِدَارَتَانِ (الْمَدَنَانِ، شَهَارِد) مِنْ أَعْمَالِ مَحَافِظَةِ عَمْرَانَ. [البلدان والقبائل الْيَمَنِيَّةُ (١/١١٥)]

بجماعة من اتباع الإمام منهم حيي الأمير عبد الرحمن<sup>(١)</sup> وتقدم إلى مدينة صعدة فهزموا عنها السيد أحمد بن الحسين المؤيدي واستولوا عليها، وقيل إن الإمام الحسن حال مكاتبة<sup>(٢)</sup> الأمير محمد بن الناصر له، شرطها له إن والاه، وقال بإمامته، ومما يدل على صحة ذلك أنه قبض ما تحصّل من صعدة ومخاليفها من الزكاة والخراج له وسار إلى الأهنوم إلى الإمام الحسن وبقي عنده أياماً يسيرة ورجع إلى مدينة صعدة وهو مع ذلك يكتب إلى الباشا مراد إلى تعزيز مآكره ويخادعه، ويظهر أنه باق على طاعة مولانا السلطان وأنه من جملة الأنصار والأعوان زوراً<sup>(٣)</sup> منه وبهتان [١٣] وهو بخلاف ما يكتب به ووقع في تلك الأيام بعد ظهور هذا الإمام بالأهنوم الاضطراب في أكثر بلاد اليمن وثارت في كثير من نواحيه الحروب والفتن وتغيرت قلوب كثير من الرعايا على ملوكها وأمرائها.

(١) عبد الرحمن بن المظفر بن شرف الدين: أمير همام، أقطعه والد بلاد حجة فسكن مبيّن. قُتل في مستزه (الحوضين) تحت حصن مبيّن في منتصف رجب الأصب، سنة ٩٩٢هـ، وكان القاتل له ابنه عبد الرحيم، ثم أظهر أن قاتله أحد عبيده فقتل به. [هجر العلم (٤/١٩٣٧)].

(٢) «مكاتبة»: هكنا في الأصل.

(٣) «زوراً»: هكنا في الأصل.

وقد ذكرنا تلك الحوادث مستوفاة في  (الرَّوضُ النَّاصِرُ فِي أَخْبَارِ  
الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ) <sup>(١)</sup>، فَمَنْ أَرَادَ الْاطْلَاعَ عَلَى أَخْبَارِهَا فَلْيَطْلُبْهَا هُنَالِكَ.  
ومال إلى الإمام الحَسَنِ فِي ابْتِدَاءِ ظَهْرِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْيَمَنِ مِثْلَ  
السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَأَخِيهِ <sup>(٢)</sup> غوث الدِّينِ <sup>(٣)</sup> وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالسَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنَ  
الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيَّ بَعْدَ هَزِيمَتِهِ عَنْ صَعْدَةِ وَقَاسِمِهِ يَوْمَئِذٍ أَكْثَرَ الْبِلَادِ الَّتِي  
كَانَتْ تَحْتَ يَدِهِ الْأَمِيرِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُطَهَّرِ وَالْأَمِيرِ مُطَهَّرَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ  
الشَّوَيْعِ، وَلَهُ مَعَهُ وَقَائِعٌ وَمَلَا حِمٌّ. وَقَالَ هَؤُلَاءِ بِإِمَامَتِهِ وَاسْتَوْلَى فِي ابْتِدَاءِ  
أَمْرِهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ عَلَى غَيْرِ مَوَالَاتِهِ وَمَتَابَعَتِهِ وَلَا دَعْتِهِ  
نَفْسَهُ إِلَى مَوَالَاتِهِ وَمَتَابَعَتِهِ إِلَّا الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ،  
وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْهُ رِسَائِلٌ فَلَمْ يُجِبْهُ <sup>(٤)</sup> عَلَيْهَا وَبَقِيَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ

(١) هذا الكتاب مفقود فيما نعلم، ولعلَّ الله يسهل بالوقوف عليه.

(٢) «وأخوه»: هكنا في الأصل.

(٣) غوث الدِّينِ بْنِ الْمُطَهَّرِ بْنِ شَرْفِ الدِّينِ: سَكَنَ مَدَّوْمَ، وَكَانَ وَإِخْوَتُهُ مِنَ الْمَنَاوِثِينَ لِلْحَكَمِ  
الْعُثْمَانِيِّ فِي الْيَمَنِ، وَقَدْ اعْتَقَلَهُمْ سِنَانُ بَاشَا وَأَرْسَلَهُمْ مِنَ الْمَخَا إِلَى تَرْكِيَا، وَكَانَتْ وَفَاةُ غَوْثِ الدِّينِ  
فِي صَفْرَةِ سَنَةِ ٩٦٦ هـ، وَمَوْلَدُهُ فِي عَفَّارَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ ٩٤٢ هـ. [هَجَرَ الْعِلْمَ (٤/ ٢٠٠٠)]. وَكَانَ  
غَوْثُ الدِّينِ حَاكِمًا مِنْ قَبْلِ وَالِدِهِ الْإِمَامِ الْمُطَهَّرِ بْنِ شَرْفِ الدِّينِ عَلَى حَصُونِ عَفَّارَ، وَكُيْبَعَانَ،  
وَمَدَّوْمَ بِبِلَادِ الشَّرَفِ، وَوَشْحَةَ، وَكُحْلَانَ نَوَسَانَ، وَمَا يَنْسَبُ إِلَى هَذِهِ الْقِلَاعِ مِنَ الْقِبَائِلِ وَالْمَمَالِكِ  
الْوَايِعَةِ الْبِلْدَانِ. [الْفَتْوحَاتُ الْمُرَادِيَّةُ (ق ٣١٣/ ب)].

(٤) «يجيبه»: هكنا في الأصل.

موالاة جانب السلطنة حافظاً لثغور بلاده وما يقاربها من بلاد السلطنة، ولم يزل على ما هو عليه وهو مع ذلك يكاتب ويراسل إلى بني عمه وغيرهم<sup>(١)</sup>، ويحذرهم منه على نفوسهم وبلادهم، حتى قبض الإمام الحسن على الأمير عبد الله بن المظهر حال قدومه عليه إلى الأهنوم وحبسه له [١٤] وتقييده وأخذه لسلحه وعبيده، فعند ذلك كرر على بني عمه وغيرهم - الأمير عز الدين - المراسلة بالميل عن الإمام حتى استمالهم جميعاً بعد أن ضمن لهم بأنه يحرب دونهم الإمام الحسن وأتباعه ويسترد لهم ما قد أخذه من بلادهم فسارعوا إليه وإلى جانب الدولة السعيدة الخاقانية.

وقد كان دخلت طوائف من أتباع الإمام الحسن إلى أطراف بلاد مؤلانا السلطان واستولوا على بعض بلاد البون<sup>(٢)</sup>، فقام الأمير عز الدين بحربهم

(١) «وغيره»: هكذا في الأصل.

(٢) البون: من مخاليف اليمن. [مراصد الاطلاع (٣/ ٢٤١)]. قال الحموي: «بون: مدينة باليمن، زعموا إنها ذات البشر المعطلة والقصر المشيد المذكورين في القرآن العظيم... وهما كورتان ذواتا قرى: البون الأعلى، والبون الأسفل، ولا يقوله أهل اليمن إلا بالفتح». (١/ ٥١١). وهو اليوم قاع فسيح يمتد جنوب مدينة عمران إلى شوابه، ومساحته لا تقل عن ٦٠ كيلو متراً في عرض ستة كيلو مترات، وهو قسمان جنوبي ويقال له (البون الأعلى) وفيه من البلدان: عمران، قاعة، قارن، دغوان، قهال. وشماله شرقي ويقال له (البون الأسفل) وفيه من البلدان: ريدة، جوب، ذيقان، حمده، غولة عجيب. [البلدان والقبائل (١/ ٢٠٥)].



مع عَسَاكِرِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَأَسْرَوْا وَاسْتَرْجَعُوا مَا فَاتَ مِنْ  
بِلَادِ السُّلْطَنَةِ، وَخَرَّبَتْ بِلَادَ الَّذِينَ وَالُوا الْإِمَامَ الْحَسَنَ وَأَتْبَاعَهُ، وَوَقَعَتْ  
أُمُورٌ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَّبِعُ شَرْحَهَا، وَيَعْظُمُ ذِكْرُهَا، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ إِبْرَادِهَا.  
وَالْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ النَّاصِرِ بَقِيَ بِصَعْدَةِ أَيَّامًا فَلَمَّا مَالَ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ  
مَنْ قَدْ كَانَ وَالَاهُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَحِكَايَةُ خَبَرِهِ، قَصَدَهُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ  
الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيُّ فَهَزَمَهُ وَأَخْرَجَهُ عَنْ صَعْدَةِ وَاسْتَوْلَى عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ  
وَعُدَّتِهِ<sup>(١)</sup> وَآلَاتِهِ فَسَارَ إِلَى طَرْفِ ظَاهِرِ هَمْدَانَ<sup>(٢)</sup> وَكَانَ فِي الظَّاهِرِ يَوْمَئِذٍ  
عَسْكَرُ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَرِئِيسُهُمُ النَّقِيبُ مُبَارَكُ شُعْبَانَ وَمَعَهُ الْأَمِيرُ مُطَهَّرُ  
بَنِ مُحَمَّدٍ الشَّوَيْعِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكُتِبَ الْإِمَامُ إِلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ  
[بَنِ] النَّاصِرِ وَإِلَى سَائِرِ قَبَائِلِ الظَّاهِرِ أَنْ يَجْتَمِعُوا وَيُحْرِبُوا عَسْكَرَ الْأَمِيرِ  
عِزِّ الدِّينِ فَاجْتَمَعَتْ قَبَائِلُ الظَّاهِرِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ وَمِنْ لَقِيهِمْ [١٥]  
مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ الْمَقَارِبَةِ لَهُمْ وَأَرَادُوا قَصْدَ عَسْكَرِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَقَطَعَ  
مَوَادَّ مَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَغَيْرِهَا فَجَاءَتْ الْأَخْبَارُ إِلَى الْأَمِيرِ عِزِّ

(١) الْعُدَّةُ، بِالضَّمِّ: مَا أَعْدَدْتَهُ لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ، مِنَ الْمَالِ وَالسَّلَاحِ، وَخُصَّ بِهِ السَّلَاحُ لَفْظًا، النَّاجِ:  
(عرد).

(٢) الظَّاهِرُ: وَهِيَ مَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ بِدِيَارِ بَنِي صُرَيْمٍ أَحَدِ أَفْخَاذِ قَبِيلَةِ حَاثِدِ الْهَمْدَانِيَّةِ. [البلدان  
والقبائل (١/ ٩٧١)].



الدِّينَ بذلك، وهو يومئذ بمدينة ثُلا<sup>(١)</sup> بعد مباينة ولد عمّه علي يَحْيَى للإمام الحسن وحرّيه، فسار من ساعته مُغيّراً على أصحابه وعساكره إلى الظَّاهِر، وكنْتُ يومئذ فيمن سار صُحْبَةً رِكَّابِهِ، فلمّا وصل إلى الظَّاهِر، وذلك في شهر محرم سنة سَبْعٍ وثمانينَ وَتِسْعَمِائَةٍ واجتمع بعساكره التي هُنَالِكَ قصد الأمير محمّد بن النَّاصِر وجموعه فهزمها وأسر وقتل وخيم في خَمَر<sup>(٢)</sup> حيث تخيّم عساكره وهرب أهل الظَّاهِر إلى بلادهم وأجلّوا عن أوطانهم، فبذلّ لهم الأمير عزّ الدِّين الأمان بشرط الطَّاعة ويرجعوا إلى بيوتهم فلم يفعلوا بل أصرّوا واستكبروا، فخرّب كثيراً من قراهم وقطع أعناباً كثيرة من أعنابهم وسار عن بلادهم، وحينَ عمل على المَسِير أمر بخراب خَمَر وتحريقه.

قلتُ: وخَمَر كان به مَوْلِدُ أشعد الكامل<sup>(٣)</sup> وبه أساس قصر عجيب، وبناء غريب. قال الهمداني<sup>(١)</sup> في (الإكليل)<sup>(٢)</sup> في الجزء الثامن منه: «خَمَر

(١) ثُلا: من حصون اليمن. [مرآة الاطلاع (١/٢٩٨)] ومعجم البلدان (٢/٨٢). وتُطلق اليوم (ثُلا) وهي مدينة وحصن بالشَّمال الغربي من مدينة صنعاء بمسافة ٤٥ كيلاً، ويحيط بالمدينة القديمة سور مُحْكَم البناء له ستة أبواب، وهي من مراكز العلم وينسب إليها كثير من العلماء. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٢٥٨)].

(٢) خَمَر: مدينة مشهورة من بلاد حاشد شمال مدينة عَمْرَان بمسافة ٤٠ كيلاً. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٥٨٠)].

(٣) أشعد الكامل: ملك جُمُيَري يمني نَعَج بأخباره كتب التراث العربية.

مما يُقايِس ناعِط<sup>(٣)</sup> إلَّا أَنَّهُ أَوْسَعُ وَفِي الْقَصْرِ حِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ، طُولُ كُلِّ حَجَرٍ مِنْ خَمْسَةِ<sup>(٤)</sup> عَشَرَ ذِرَاعًا إِلَى عَشْرَةِ وَبَخْمَرٍ مَوْلِدٍ أَسْعَدَ الْكَامِلِ،  
يقول: (مَنْ الْخَفِيفُ)

خَمَرٍ مَوْلِدِي وَفِي مُسْنَدِهَا مَوْلِدِي حِينَ تَمَّ نُورُ الْهَلَالِ

(١) الحسن بن أحمد بن يعقوب: من بني هَمْدَانَ، أبو محمَّد: (ت ٣٣٦) مؤرِّخ، عالم بالأنساب عارف بالفلك والفلسفة والأدب، شاعر مُكثِّر، من أهل اليَمَن. كان يعرف بابن الحانك، وبالنسابة، وبابن ذي الدُّمَيْنَةِ (نسبه إلى أحد أجداده: ذِي الدُّمَيْنَةِ بن عَمْرٍو) ولد ونشأ بصنعاء وأقام على مقربة منها في بلدة (رَيْدَة)، وطاف البلاد، واستقرَّ بمكَّةَ زمنًا. وعاد إلى اليَمَن. [الأعلام للزركلي (١٩٧/٢)].

(٢) جاء في الإكليل الجزء الثامن: «ومنها خَمَرٌ، وهو قصر عجيب من عيون ما في بلد هَمْدَانَ، وهو مما يُقايِس بناعِطَ، وهو أَوْسَعُ، وفيها معازِبُ عِظَامٍ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ ذِرَاعًا إِلَى عَشْرَةِ أَذْرُعِ الطُّوْلِ، وبه آثار وهو كثير المياه وهو في ظاهر عجيب. وخَمَرٍ مَوْلِدٍ أَسْعَدَ الْكَامِلِ وفيه يقول أسعد بُنْع: خَمَرٍ مَوْلِدِي وَفِي مُسْنَدِهَا مَوْلِدِي<sup>(١)</sup> حِينَ تَمَّ نُورُ الْهَلَالِ، [الإكليل (١٢٦/٨)].

(٣) نَاعِطُ: قصر على جبلين باليَمَن لَهْمْدَانَ [مراصد الاطلاع (٣/٣٥٠)]. وجاء في معجم البلدان: «ناعِطُ: حصن في رأس جبل بناحية اليمن قديم كان لبعض الأذواء». (٥/٢٥٣). وهو اليوم اسم لمدينة أثرية مشهورة تقع على رأس جبل ثُبَيْن، أحد جبال قاع البُون وتقع إلى الشرق من مدينة عمران بمسافة ١٦ كيلاً، وقد أفاض الهمداني صاحب الإكليل في ذكر خبر ناعِط. [البلدان والقبائل اليمنية (٢/١٧١١)]

(٤) «خمس»: هكذا في الأصل.

[١٦] فأما الأمير محمد بن الناصر بعد رحيل الأمير عز الدين عن الظاهر، أعطاه الإمام الحسن حصن ظفار<sup>(١)</sup> والميقات<sup>(٢)</sup>، وبقي يتردد في قرى الظاهر وتارة يسكن في ظفار، وساق إليه من الجيوب والشحن<sup>(٣)</sup> ما قدر عليه.

ومولانا صاحب السعادة-أيده الله تعالى- حال قدومه اليمن المحروس بلغته أحوال محمد بن الناصر جميعها وما هو عليه من الأحوال التي ذكرناها وهو مع ذلك يكتب إليه أنه من جملة أتباع الدولة الخاقانية؛ مماكرة منه ومخادعة، ومولانا صاحب السعادة يجيب عليه: «إن كان ذلك صحيحاً منك وصلت إلينا وقدمت علينا ليكون بقدمك صحة ما حكيت عن حالك أنك من جملة أتباع الدولة السلطانية والمملكة

(١) ظفار: اسم مشترك بين جملة بلدان في اليمن، والمقصود هنا هو ظفار الظاهر الذي يقع إلى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة ذي بئن، على بعد ٨٥ كيلاً شمال مدينة صنعاء، وكان الإمام المنصور عبد الله بن حمزة قد اتخذها عاصمة لدولته، وقد يقال لهذه البلدة: ظفار داود، نسبة إلى داود بن الإمام عبد الله بن حمزة، وفيها عجائب الأبنية التي تشي بقدم سكانها من أهل اليمن قبل الإسلام وبعده، واعتيادهم على اتخاذها مركزاً من مراكز الحكم. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٩٧٤)].

(٢) الميقات: قلعة غربي مدينة حور من بلد حاشد. [البلدان والقبائل (٢/١٦٩٨)].

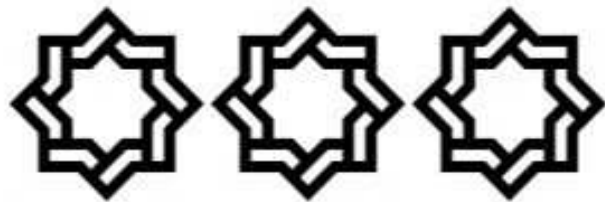
(٣) الشحن: ما يُفأض للدواب من العلف الذي يكفيها يوماً وليلتها. الشحن: الرابطة من الخيل؛ التاج: (ش ح ن).

الْخَاقَانِيَّةُ» وَكَانَ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ سَيَقْدُمُ إِلَى حَضْرَةِ مُؤَلَّانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَهُوَ عَلَى خِلافِهِ، فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ لِحَالِهِ كَانَ هَيَّأَ سَبَابَ وَصُولِهِ إِلَى حَضْرَةِ مُؤَلَّانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بَعْدَ دُخُولِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ الْمَحْرُوسَةِ؛ إِذْ نَالَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَالسَّعَادَةِ مَأْمُولِهِ وَمُرَادِهِ، لَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ الَّتِي يَرِيدُ اللَّهُ إِنْفَازَهَا وَقَضَائِهَا<sup>(١)</sup> فِيهِ، وَقَدْ كَانَ جَرَتْ مِنْهُ مَظَالِمُ كَثِيرَةٌ أَيَّامَ إِقَامَتِهِ بِظَفَّارِ هَذِهِ الْمُدَّةِ عَلَى عَابِرِي الطَّرِيقَاتِ مِنْ أَهْلِ التَّسْبِيَّاتِ وَتَرْوِيْعِهِمْ وَأَخَذَ بَعْضُ أَمْوَالِهِمْ وَغَيْرِهِمْ.

---

(١) «وقضاها»: في الأصل.

## الجزء الثاني





## [الجزء الثاني]

ولما تحقق مؤلانا صاحب السعادة [١٧] حقيقة حاله وطلعية أمره وإصراره على الميل عن جانب السلطنة السعيدة الخاقانية وإضماره للفساد والمماكرة والعناد، وميله بقلبه وقالبه إلى جانب الإمام الحسن صاحب الأهنوم، أعذر إليه وأنذر، وحذره ما يصير إليه عاقبة أمره فلم يلتفت إلى ذلك فأمر مؤلانا صاحب السعادة بعزل ولادة الأمير محمد بن الناصر عن رداع وولاها رجل من عسكر السلطنة؛ لأن الباشا مُراد أبقى للأمير محمد بن الناصر ولاية رداع بعد ميله إلى الإمام الحسن رجاء أن يرجع إلى جانب الدولة الخاقانية حسبما كان عليه.

وربما أن الأمير محمد بن الناصر كان يظن أن الأمر يكون فيما بينه وبين مؤلانا صاحب السعادة مثل ما كان بينه وبين الباشا مُراد؛ الإبقاء له على ولاية رداع ويمأكره ويخادعه بكتبه ورسائله بأنه مستقيم على قدم الطاعة للدولة السلطانية ومؤلانا صاحب السعادة ممن لا يجوز عليه المخادعة والكذب.

وفي خلال ذلك طلبَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ من الأَمِيرِ عَزَّ الدِّينِ وصولَ وزيره الشَّريفِ العَلَّامةِ مُحَمَّدَ بنِ الحَسَنِ بنِ صَلاحِ الحَمَزِيِّ<sup>(١)</sup> إليه، فأرسله الأَمِيرُ عَزَّ الدِّينِ إلى حَضْرَتِهِ في شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، وَوَجَّهَ صَحْبَتَهُ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ مَمَالِيكِهِ وَعَسْكَرِهِ. فَلَمَّا أُشْعِرَ<sup>(٢)</sup> مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِقُدُومِهِ أَمَرَ بِتَلْقِيِ الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ بِالتَّبَجِيلِ وَالتَّكْرِيمِ وَأَمَرَ بِتَفْرِيعِ دَارٍ فِي مَدِينَةِ [١٨] صَنْعَاءَ لِلْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ وَمِنْ مَعِهِ.

وَدَخَلَ الْوَزِيرُ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً مِنْ عَظِيمِ مَلَابِسِ الْأَقْبِيَّةِ<sup>(٣)</sup> وَأَعْطَاهُ مِنَ التُّخَفِ وَالْهَدَايَا مَا يَعْظُمُ قَدْرُهَا

(١) مُحَمَّدُ بنُ الْحَسَنِ الْعَبَّاسِيِّ: مِنْ أَهْلِ كَوَكَبَانَ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ، أَخَذَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حُسَيْنِ النَّزِيلِيِّ، وَكَانَ عَظِيمُ الْقَدْرِ، عِنْدَ عَامَةِ النَّاسِ وَخَاصَّتِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى الصُّلْحَ بَيْنَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بنِ مُنْقَسِ الدِّينِ، وَالْوَزِيرِ حَسَنِ بَاشَا، تَوَفَّى سَنَةَ ١٠١٧ هـ. [فوائد الارتحال (١/ ٢٣٧)].

(٢) «شعر»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٣) الْقَبَاءُ: نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ، مِنْ مَلَابِسِ الْأَعَاجِمِ فِي الْأَغْلَبِ، يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَيُذَكَّرُ؛ قِيلَ: فَارِسِيٌّ؛ وَقِيلَ: عَرَبِيٌّ؛ النَّاجُ: (قَبْو). وَفِي مَوْجِزِ نَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنَّ السَّلَاجِقَةَ وَالْأَيُوبِيَّونَ كَانُوا يَفْضُلُونَ ارْتِدَاءَ الْمَعَاطِفِ التَّرْكِيَّةِ الَّتِي تَسْمَى الْأَقْبِيَّةِ التَّرْكِيَّةِ وَكَانَتْ حَاشِيَتِهَا تَمُرُّ عَلَى الصَّدْرِ فِي شَكْلِ مَائِلٍ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ.

وأجرى على الوزير من الضيافات السنية وما يلحق بها ما هو معروف من كرمه وفائض جوده وأمر مولانا صاحب السعادة أن يعمل سباط<sup>(١)</sup> عظيم للوزير المذكور - لم يرى الرأون مثله في بلاد اليمن - خارج مدينة صنعاء في بستان هنالِك وعليه أنواع الحلوى وأجناس الطباخ وأنواع اللحوم والطعومات مسافة، قيل إن جملة ما عمل فيه من الدجاج نحو الخمسمائة من غير الغنم والله أعلم.

ولما أفرغ خرج صاحب السعادة إليه ومعه الأمراء وسائر الكبراء وجميع من عنده من العساكر السلطانية من عربها وعجمها، ووزير الأمير عز الدين وأصحابه وغير من ذكرنا من أهل مدينة صنعاء وممن بها من أهل البوادي لا تحصى عددهم، فطعم منه مولانا صاحب السعادة وجميع من ذكرنا.

---

أما أمراء المماليك فكانوا يلبسون الألبسة الثرية وكانت حاشيتها تمر على الصدر بشكل مائل من اليسار إلى اليمين، ويرتدون فوق الألبسة حزام من المعدن يسمى الجياصة يُمتلئ حول الوسط. [موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٨/٧٣٦)].

(١) السباط: ما يُمدُّ عليه الطعام، والعامة تَصْمُهُ، والجَمْعُ: أسِطَعةٌ، وبِسماطاتٍ: النَّاج: (س م ط).

وبلغني أن الصُّحون التي جُعِلت في هذا السَّماط فوق خمسمائة صُحْن،  
وقائل أكثر من ذلك، عليها أنواع الأطعمة والطَّبائخ وغير ذلك من أنواع  
الْحَلْوَى.

ولَمَّا طَعِمَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ من ذلك السَّماط رجع إلى مدينة صَنْعَاء  
والوزير معه وأمر للوزير المَذْكُور بحِصَانٍ نَجِيبٍ مُحَلَّى<sup>(١)</sup>، وخلع عليه  
أيضاً خِلْعَةً سَنِيَّةً، وأمر له بِصِلَةٍ<sup>(٢)</sup> مِنَ الدَّرَاهِمِ [١٩] هَنِيَّةً وأمر أيضاً  
بِكِسْوَةِ لِمَن جَاءَ صُحْبَةَ الوزير مِنْ مَمَالِيكِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَعَسْكَرِهِ، كَلَّا  
منهم على قدر حاله ورُتَبَتِهِ، وأمر لَهُمْ أيضاً بِدَرَاهِمٍ ففُرِقتَ فِيهِمْ، وبعد  
وصول الوزير بِأَيَّامِ قِلَاتِلٍ وَقَعَتِ الْمَفَاوِضَةُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ عَلَى أَخْذِ الْعُهُودِ وَالْأَيْمَانِ وَعَلَى اتِّحَادِ الْحَالِ فِيمَا بَيْنَ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَوَلَدِهِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ فِي طَاعَةِ  
الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْقِيَامِ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَوْامِرَهَا وَنَوَاهِيهَا مِنْ  
قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَأَنَّ الْأَمِيرَ عِزِّ الدِّينِ مَتَى تَوَجَّهَتْ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى  
مَدِينَةِ صَعْدَةَ لِاسْتِرْجَاعِهَا إِلَى الْمَمَالِكِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ أَنْ يَعِينَ  
بِعَسْكَرِهِ وَكَذَلِكَ إِذَا قَصَدَتِ الْأَمِيرَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّاصِرِ الْحَمْزِيُّ وَغَيْرُ مَنْ  
ذَكَرْنَا مِمَّنْ أَرَادَ مُحَارَبَةَ عَسَاكِرِ السُّلْطَانَةِ.

(١) حِصَانٌ مُحَلَّى: أَيُّ حِصَانٍ مَجْهُزٌ بَعْدَ كَامِلَةٍ. [تكملة المعاجم العربية (٣/٢٩٦)].

(٢) صِلَةٌ الْأَمِيرِ: جَائِزَتُهُ وَعَطِيَّتُهُ؛ النَّاجِ: (وَصَلَّ).



ورجع الوزير المذكور إلى الأمير عز الدين وصحبته من قبل مولانا صاحب السعادة ترجمانه يومئذ الجناب السامي حسين ترجمان<sup>(١)</sup>، وهو رجل جليل القدر له نباهة وذكاء وحسن مفاكهة ومحاورة ودربة بالأمور، وله معرفة عظيمة باللسان التركي، وقد كان خرج إلى اليمن في أيام الباشا بهرام بن مصطفى وتوسط في بعض الأمور فيما بين حي السيد المظهر بن الإمام شرف الدين والباشا بهرام في تلك الأيام، وأقام مع الباشا بهرام مدة بدمار<sup>(٢)</sup>، ثم سار عن دمار [٢٠] وخرج عن اليمن صُحبة ركاب مولانا صاحب السعادة وصُحبة التُرجمان المذكور الشريف الأمير مظهر بن الشويح والشيخ علي بن متاش الخولاني، ووجه مولانا صاحب السعادة صُحبة التُرجمان بخُلعة فخيمة للأمير عز الدين وخُلعة أخرى لولده

(١) تُرجمان: المُفسر للسان، وقد تُرجمهُ وتُرجم عنه: إذا فسر كلامه بلسان آخر، التاج: (ت ر ج م).

(٢) دُمار: دُمار بالكسر، قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء. [معجم البلدان (٧/٣)]. وهي اليوم مدينة كبيرة موعلة في القدم تقع جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كيلاً، منبئة في سهل زراعي منبسط، وقد اشتهرت مع ظهور الإسلام كمركز من مراكز العلم. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٦٤٩)] وفي دائرة المعارف الإسلامية: دُمار أو دُمار أو دُمار وهي في نقوش سبأ، وهي مخلاف ومدينة في اليمن إلى الجنوب من صنعاء. وكان مخلاف دُمار خصباً جداً به حقول القمح الغناء والبساتين الفححاء والقلاع والقصور القديمة، وقد سمي لخصب تربته: بضر اليمن. واشتهرت خيل دُمار في طول اليمن وعرضها بأنها الخيل العتاق. [موجز دائرة المعارف الإسلامية (١٦/٩٨٩)].



الأمير شمس الدين، وكتاب كريم تقتضي ألفاظه؛ الإخبار للأمير عز الدين بما وقعت عليه المفاوضة وتقرير القاعدة فيما بينه وبين وزيره بما قد سبق ذكره.

فلما وصل المذكورون إلى مقام الأمير عز الدين تلقاهم بالتجليل والتعظيم، ولبس الخلعة الشريفة وولده الأمير شمس الدين كذلك لبس خلعته، ومن ثاني وصول المذكورين<sup>(١)</sup> أخذ حسين الترجمان العهد على الأمير عز الدين وعلى ولده في حضرة الأمير مطهر بن الشريع والشيخ علي بن متاش الخولاني، ووزير الأمير عز الدين والنقيب مبارك شعبان على تقرير ما سبق ذكره.

ولما قبضت العهود وربطت العقود، خلع الأمير عز الدين على حسين الترجمان خلعة فخيمة وأمر له بصلية جسيمة، وبمركوب من نجائب خيله، وخلع على الأمير مطهر والشيخ علي خلعتين سنيتين وأمر بكساء لجميع من وصل مع المذكورين، ورجع حسين الترجمان ومن جاء صحبته ووزير الأمير عز الدين إلى حضرة مولانا صاحب السعادة لقبض العهد للأمير عز الدين من [٢١] مولانا صاحب السعادة على تقرير تلك الأمور المذكورة أولاً، فلما وصل حسين الترجمان ومن معه ممن ذكر وأخير مولانا صاحب السعادة بقبض العهد من الأمير عز الدين وولده،

(١) المذكورون: هكنا في الأصل.

قَبَضَ الْعَهْدَ مِنْهُ وَزِيرَ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً عَظِيمَةً، وَبَقِيَ بِمَقَامِهِ أَيَّامًا قَرِيبَةً فِي دَارٍ مَفْرُغَةٍ وَأَكْرَمَهُ غَايَةَ الْكِرَامَةِ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ جَزِيلَةٍ وَرَجَعَ إِلَى مَقَامِ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ إِلَى مَحْرُوسِ كُوكَبَانَ<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا تَمَّ لِمُصَاحِبِ السَّعَادَةِ الْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَهُ مِنْ اتِّحَادِ الْحَالِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ أَمَرَ بِتَأْهِيبِ عُدَدِ الْمَدَافِعِ وَاسْتِعْدَادِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلتَّوَجُّهِ عَلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدَ بْنَ النَّاصِرِ إِلَى ظَفَّارِ وَالْقَبْضِ لِبِلَادِ الظَّاهِرِ وَمَحَاصِرَةِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ ظَفَّارٌ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَصْدِ لِمَدِينَةِ صَعْدَةَ وَمَصِيرِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَمَالِكِ الْخَاقَانِيَّةِ.

وَفِي خِلَالِ مَا كَانَ مَوْلَانَا مُصَاحِبُ السَّعَادَةِ بِصُدْدِهِ مِنْ تَجْهِيزِ مَا ذَكَرْنَا انْتَهَى إِلَى الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ مِنْ غَوْثِ الدِّينِ الْإِخْبَارِ لَهُ أَنَّ أَخَاهُ<sup>(٢)</sup> عَلِيَّ يَحْيَى وَلُطْفُ اللَّهِ وَسَائِرُ إِخْوَتِهِمَا مَعَهُمْ وَحُشَّةٌ عَظِيمَةٌ وَتَوَهُّمَاتٌ كَثِيرَةٌ

(١) كُوكَبَانَ: قَالَ الْحَمَوِيُّ: كُوكَبَانَ: جَبَلٌ قَرِبَ صَنْعَاءَ وَإِلَيْهِ يُضَافُ شِبَاؤُ كُوكَبَانَ وَقَصْرُ كُوكَبَانَ. [معجم البلدان (٤/٤٩٤)]. وَبِهِ قَصْرٌ كَانَ مَبْنًى بِالْفُضَّةِ وَالْحِجَارَةِ، وَدَاخِلُهُ بِالْيَاقُوتِ وَالْجَوْهَرِ، وَكَانَ ذَلِكَ الْيَاقُوتُ وَالْجَوْهَرُ يَلْمَعُ بِاللَّيْلِ كَمَا يَلْمَعُ الْكُوكَبُ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ. [مراصد الاطلاع (٣/١١٨٨)]. وَقَدْ تَحَصَّنَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَثَمَةِ وَالْأَمْرَاءِ، وَدَارَتْ حَوْلَهُ وَفِيهِ حُرُوبٌ يَصْعَبُ حَصْرُهَا، وَنَسَبَ إِلَى بِلَدِهِ أَعْلَامٌ مِنْ عُلَمَاءَ وَشُعْرَاءَ وَأَدْبَاءَ. [هجر العلم ومعاقله (٤/١٨٧٠)].

(٢) «أَخِيهِ»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

فيما جرى بينه وبين مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنَ الْمُعَاهَدَةِ وَالْمُعَاقِدَةِ إِذْ لَمْ يَشَاوِرْهُمْ قَبْلَ وَقْعِهَا وَأَنَّهُ إِنَّمَا كَتَمَ ذَلِكَ مِنْهُمْ؛ إِلَّا يَرِيدُ لِحَرْبِهِمْ. وَكَانَ انْتِهَاءُ هَذَا الْخَبَرِ بَعْدَ رَجُوعِ حُسَيْنِ تَرْجُمَانٍ وَقَبْضِهِ لِلْعَهْدِ مِنْهُ وَمُسِيرِ وَزِيرِهِ [٢٢] الشَّرِيفِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَوَقُوفِهِ هُنَالِكَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ يَخْبِرُهُمْ بِتَحْقِيقِ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَقَرَّرَتْ، وَالْعُهُودِ الَّتِي تَأَكَّدَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَأَن مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِلَادِ لَهُمْ مَهْمَا بَقُوا عَلَى طَاعَةِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَنَّهُ إِذَا جَرَى غَيْرَ ذَلِكَ كُنْتَ مَعَكُمْ وَالْمَحَارِبَ دُونَكُمْ، فَلَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ التَّصَدِيقُ بِمَا حَقَّقَهُ لَهُمْ وَسَعَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ مَنْ يَحِبُّ الْفَسَادَ بَيْنَهُمْ وَالتَّغَايِرَ وَإِثَارَةَ الْفِتَنِ.

فَوَجَّهَنِي <sup>(١)</sup> الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا إِلَى وَلَدِ عَمِّهِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى، إِلَى مَعْمُورِ السُّودَةِ وَأَصْحَبَنِي إِلَيْهِ كِتَابًا بِخَطِّ يَدِهِ مَضمُونُهُ زِيَادَةُ الْإِيضَاحِ لَهُ فِي التَّحْقِيقِ بِمَا تَقَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدُ الْمَذْكُورَةُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي قَصْدِ مَدِينَةِ صَعْدَةِ وَقَصْدِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ، لَمَّا جَرَى مِنْهُ مِنَ الشَّقَاقِ وَالْغَضَبَانِ <sup>(٢)</sup> وَالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ وَجُحُودِهِ لَمَّا نَالَ مِنَ الْخَيْرَاتِ

(١) المؤلف.

(٢) يريد: (الغضب).

ونيل المراتب العاليات من سَعَادَاتِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَجِزَاءٍ مِنْ فِعْلِ  
كِفْعَالِهِ حَرْبُهُ وَنِكَالِهِ، وَاحْتِجَّ فِي شَأْنِ صَعْدَةِ بِحَجَجٍ وَاضِحَةٍ وَأَنَّهَا مِنْ  
جُمْلَةِ الْمَمَالِكِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَأَنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ إِنَّمَا هُوَ  
مُتَغَلِّبٌ عَلَيْهَا.

وَأَمَّا فِيمَا يَخْصُكُمْ جَمِيعًا أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ فَالْأُمُورُ مَصُونَةٌ وَالْأَحْوَالُ  
جَمِيلَةٌ، إِلَّا أَنَّ [٢٣] تَمِيلُوا عَنْ طَاعَةِ السُّلْطَانَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَتَوَالُوا مَنْ عَادَاهَا  
وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهَا كَانَتْ الْحُرُوبُ عَائِدَةً عَلَيْكُمْ وَتُوجَّهَ الْعَسَاكِرُ  
السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى بِلَادِكُمْ.

وَكَانَ السَّيِّدُ عَلِيٌّ يَخْبِي يَوْمئِذٍ بِمَعْمُورِ السُّودَةِ فِي مُحَارَبَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ  
وَأَتْبَاعِهِ، وَقَدْ كَانَ سَارَ عَنْهُ صِنْوُهُ لُطْفُ اللَّهِ إِلَى بِلَادِهِ إِلَى حِصْنِ كُخْلَانَ  
الشَّرَفِ<sup>(١)</sup> فَلَمَّا وَصَلَتْ<sup>(٢)</sup> إِلَى السَّيِّدِ عَلِيٍّ أَعْطَيْتَهُ كِتَابًا وَلَدَ عَمِّهِ  
الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ فَأُطْلِعَ عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ وَخَوَاصَّهُ وَشَاوَرَهُمْ فِيمَا ذَكَرَهُ لَهُ  
الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ وَحَقَّقْتُ لَهُ بَعْدَ تَحْقِيقِهِ الْكِتَابَ مَا أَوْدَعَنِي بِهِ الْأَمِيرُ عِزُّ  
الدِّينِ إِلَيْهِ بِمَا يَطِيبُ بِهِ قَلْبَهُ وَيَقَرُّ بِهِ خَاطِرُهُ وَحِينَ وَصَلْتُ إِلَيْهِ جِئْتُ وَقَدْ

(١) كُخْلَانُ الشَّرَفِ: تَقَعُ إِلَى الشَّمَالِ مِنْ مَحَافِظَةِ حَاجَّةَ بِمَسَافَةِ ٣٧ كَيْلًا، وَمَرْكَزُهَا الرَّيْسِيَّ مَدِينَةُ  
الشَّرْقَيْنِ. [الْبُلْدَانُ وَالْقَبَائِلُ الْيَمَنِيَّةُ (٢/ ١٣٣٠)]. وَهِيَ غَيْرُ كُخْلَانَ رُغَيْنِ. [مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ  
(٤/ ٤٣٩)].

(٢) الْمَوْلَفُ.



عمل على الرجوع إلى مدينة ثلا وهو مُتَخَوِّفٌ من ابن عمّه الأمير عَزَّ الدِّين وقد جعلَ بينه وبين الإمام الحسن هُدنة سَنَةً، ويكون للإمام مع الأهُنوم بلاد حَجُور<sup>(١)</sup> وظَلِيمَة<sup>(٢)</sup> المتاخمة للأهُنوم.

ولما أعاد قراءة كتاب الأمير عَزَّ الدِّين في اليوم الثاني من قدومي عليه حَقَّقَتْ له أيضاً حقائق الأمور ظاهرها والمستور وشرحت له أحوال مَوْلَانَا صاحب السَّعادة المحمودة وبُعده عن حربه مهما بقي مستقيماً على حاله في طاعة السُّلْطَنَة، وعرفته بما تقدَّم من قيام الأمير عَزَّ الدِّين معه منذ مات والده رَحِمَهُ اللهُ تعالى إلى الآن على كافة إخوته وغيرهم، وبذله لنفسه في صلاحه وبذلتُ كلَّ جهدٍ في النصيحة له فأظهر لي [٢٤] بعد ذلك أنه بعد قدومه إلى مدينة ثلا يتَّفِقُ هو والأمير عَزَّ الدِّين وما يخالفه، ويتفاوضوا في شأن هذه الأمور.

(١) حَجُور: موضع باليمن سَمِيَ بِحَجُور بن أسلم بن عليان بن زيد بن جشم بن حاشد بن جشم بن حيوان بن نوف بن همدان. [معجم البلدان (٢/٢٢٥)]. وحَجُور من مخاليف بلاد سُراة قُدَم حَجَّة، شمال غرب صَنْعَاء، ولهذه البلاد ذِكْرٌ يتردد في كثير من أحداث تاريخ اليمن في فترة الإسلام، وينسبُ إليها كثير من العلماء والشُعراء والفرسان. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٤٢٥)]. وضبطه صاحب مراصد الاطلاع (حَجُور). [مراصد الاطلاع (١/٣٨٣)].

(٢) ظَلِيمَة: جبل وبلد واسعة من بلاد حاشد تقع إلى الشمال الغربي من بلاد عَمْران الواقعة إلى الشمال من صَنْعَاء [البلدان والقبائل اليمنية (١/٩٧٨)].



وأجاب صحبتي بكتاب منه إلى الأمير عز الدين مضمونه ما أظهره لي بعد قدومه إلى مدينة ثلا وسرت من السودة صحبتته إلى جبل عيال يزيد<sup>(١)</sup>.

وقد كان كاتبه الأمير محمد بن الناصر وهو في معمر السودة أنه يريد الاجتماع به حال رجوعه في دعان<sup>(٢)</sup> وإنه يكون معه من جملة الأنصار والأعوان، فاتفقا في دعان، وحين عمل على الاتفاق بالأمير محمد بن الناصر نهيته ونصحته وخوفته من عواقب ذلك فلم يلتفت إلى كلامي وذلك لأمر يريده الله وينفذ قضاءه<sup>(٣)</sup> فيه مع أنه عارف بما كان بينه وبين الأمير محمد بن الناصر من المودة حين كان في جناب حي والده وفيما بعد في جنابه، وكان محله عنده بالمحل الأرفع، والمكان الأمنع، تعظيمه على سائر إخوته وجميع أعيان أصحابه، وكان حالفاً<sup>(٤)</sup> له يميناً زبيرية<sup>(٥)</sup> فنكثها ومال عن جانبه هارباً ومعادياً له، وكانت صلاته إليه

(١) جبل عيال يزيد: بلاد واسعة تقع إلى الغرب من مدينة عمران.

(٢) دعان: من قرى بلاد جبل عيال يزيد، شمال مدينة عمران. [البلدان والقبائل اليمنية (١/٦١٢)]

(٣) «قضاؤه»: هكنا في الأصل.

(٤) «حالف»: هكنا في الأصل.

(٥) يميناً زبيرية: يمين مغلفة يروى أن الإمام يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب حلفها عبدالله بن مصعب بن الزبير.

متواترة، وإنعاماته عليه متكاثرة. فكيف يزيد يثق به<sup>(١)</sup>، ويعود إلى مصادقته ومعاهدته!

وحين سار إلى لقاء الأمير محمد بن الناصر سرت عنه إلى مقام الأمير عز الدين إلى مخروس كوكبان وأعطيته الجواب وأخبرته بما ذكره لي ولد عمه السيد علي يحيى.

وحال اتفاق [٢٥] السيد علي يحيى ومحمد بن الناصر في دعان حصلت بينهما من المفاوضة هنالك ما أراده وجرت بينهما محالفة ومعاهدة.

ولما قدم السيد علي يحيى إلى مدينة ثلا أرسل وزيره يومئذ السيد الشريف العلامة علي بن أحمد الحسني، وهو رجل عظيم في كماله، ووافر عقله، ومن أهل العلوم، وفرسان المنثور والمنظوم، ومن فحول الرجال المعروفين بالكمال، إلى حضرة الأمير عز الدين وكان الوزير المذكور يومئذ ممن يحب اتحاد الحال فيما بين علي يحيى وجانب الدولة السلطانية والأمير عز الدين ممن بذل نصحه وجهده في ذلك، فلم يقبل منه.

فلما اجتمع بالأمير عز الدين وقع الأمر بينهما على الاتفاق بين الأمير عز الدين وبين ابن عمه علي يحيى في قاع حوشان<sup>(١)</sup> وتكون المفاوضة

(١) قوله: فكيف يزيد يثق به: تركب عامي، يريد به: فكيف له أن يثق به مرة أخرى.

بينهما هُنَالِكَ في أمر مدينَةِ صَعْدَةَ والمراجَعَةُ لَمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ في مكاتِبَةِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِي أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي طَاعَةِ السُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَيُسَلِّمُ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ وَيَسْلِمُهَا إِلَى السُّلْطَنَةِ وَيُسْكِنُ بِذَلِكَ الدَّهْمَاءَ وَتَحْقِنُ بِهِ الدَّمَاءَ.

فَلَمَّا عَادَ الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ إِلَى عَلِيِّ يَحْيَى بِذَلِكَ، وَالْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ تَاهَبَ لِمُلْقَاهُ فَلَمْ يَسَاعِدْ عَلِيَّ يَحْيَى إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ بَلْ بَعُدَ عَنْهُ، وَقَالَ: «إِنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ خَلِيفَتُهُ وَصَدِيقُهُ، وَأَنَّ بَيْنَهُمَا عَهْدٌ وَعَقْدٌ أَكِيدُهُ وَلَا يُمَكِّنُهُ السُّكُوتُ عَنْ الْحُرُوبِ دُونَهُ وَلَا يَسَعُهُ لِمَا [٢٦] بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُحَالِفَةِ إِلَّا الْقِيَامُ مَعَهُ». وَكَانَ عَلِيُّ يَحْيَى يَوْمئِذٍ فِي قُوَّةٍ مِنْ رَجَالِهِ وَكَثْرَةِ مِنْ عُدَدِهِ وَأَمْوَالِهِ، وَاغْتِرَارًا بِاجْتِمَاعِ إِخْوَتِهِ عَلَى يَدِهِ وَكَوْنِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالْأَمِيرِ مُحَمَّدَ بْنِ النَّاصِرِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنْ جَمَلَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُطَاقُ لِحَرْبِهِ وَالْأُمُورُ فِي ذَلِكَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ مِنْ عِنْدِهِ، وَالْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ التَّجَارِبِ، وَمَنْ قَدْ مَارَسَ النَّوَائِبَ؛ أَنْ يَدَّ الدَّوْلَةُ السَّعِيدَةَ السُّلْطَانِيَّةَ قَاهِرَةَ لِمَنْ عَانَدَهَا، وَتَعَرَّضَ لِحَرْبِهَا، وَأَنْ عَسَاكَرُهَا الْمَنْصُورَةُ، وَكُتَاتِبُهَا الْمَوْفُورَةُ، مَا تَوَجَّهَتْ عَلَى عَاصٍ أَوْ مَعَانِدٍ إِلَّا وَمَلَكَتْ قِيَادَهُ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَى بِلَادِهِ، وَغَنِمَتْ أَمْوَالَهُ، وَقَتَلَتْ أَبْطَالَهُ، وَشَرَّدَتْ رَجَالَهُ، وَأَنَّ الْمُلُوكَ

(١) حَوْشَان: قَاعٌ فَسِيحٌ يَمْتَدُّ مِنْ مَدِينَةِ شِبَامَ إِلَى مَدِينَةِ حَبَابَةِ.

العُظماء الأكابر مُطْطِطُونَ<sup>(١)</sup> رؤوسهم لمهابتها، لا ئذِينَ باعتبارها، مُسارعِينَ إلى طاعتها، ممثِلين لأوامرها ونواهيها، مخافةً ممّا يصير بهم عند المُخالفة، وأنّ من استقام على قدم طاعتها، وبذل نفسه وماله في نصرتها، لاحظهُ شُعاع سَعادتها، وبلغ من المراتب السَّنِيَّة أَعْلَاهَا، ولبسَ ملابس السَّلَامة والأمن والعافية.

ثُمَّ أَنَّ الأمير عَزَّ الدِّين بعد عدم إسعاف ولد عمّه علي يَحْيَى إلى تلك المفاوِضة الواقعة بينه وبين وزيره، كَرَّرَ إليه المراسلة، وأَعذر إليه في المكاتبة في ترك تعرّضه لِعساكر الدَّوْلَة الخاقانيَّة، وَجَلَب الحُرُوبَ على نفسه وبلاده [٢٧].

وممّا كَتَبَ به إليه: «إِنَّكَ متى أَحْرَبْتَ عَسَاكِرَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ أَحْرَبْتُكَ وَإِنْ سَاكَنْتَ سَاكَنْتُكَ».

وفي شَهْر شَعْبَانَ المُقَدَّم ذكره جاءت الأخبار إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ من مِصْرَ بوفاة أبيه حُسَيْن هُنَالِكَ.

وانتهى إلى الأمير عَزَّ الدِّين خَبَرُ ذَلِكَ فَكَتَبَ إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ هذه<sup>(٢)</sup> الرِّسَالَةَ البليغة الرَّافِلة في أثواب البلاغة، ومنشئ دَرَّها، وموشي

(١) «مطاطيئون»: هكنا في الأصل.

(٢) «هذا»: هكنا في الأصل.



برودها<sup>(١)</sup>، السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الْفَاضِلُ مَنْ يَطْرُقُ عَنْ سَمَاعِ بِلَاغَتِهِ وَفَصَاحَتِهِ  
سَحْبَانَ وَائِلَ<sup>(٢)</sup>، ويقول هذا ملحق الآخر ببلغاء الأوائل، محمد بن  
عبد الله بن الإمام شَرَفُ الدِّينِ<sup>(٣)</sup>.

وأمرني الأمير عَزَّ الدِّينُ بتسطير ألفاظها إلى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ يَعْزِيهِ عَنْ أَبِيهِ - رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ - وَهِيَ هَذِهِ:  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ وَالِدَوَامِ، وَقَضَى عَلَى كُلِّ الْبَرِيَّةِ بِالْفَنَاءِ  
وَالْإِعْدَامِ، الْقَائِلُ فِي كِتَابِهِ مَخَاطِبًا لِلْكَافَةِ مِنَ الْأَنَامِ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ  
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٦-٢٧]

(١) الْوَشْيُ: نَقْشُ الثُّوبِ؛ النَّاجِ: (وشى). وَالْبُرْدُ، بِالضَّمِّ: ثَوْبٌ مُخَطَّطٌ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ  
الْوَشْيُ؛ النَّاجِ: (برد).

(٢) سَحْبَانَ بْنِ زُفَرٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْوَائِلِيِّ: مِنْ بَاهِلَةَ: خَطِيبٌ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْبَيَانِ يُقَالُ: أَخْطَبَ  
مِنْ سَحْبَانَ، وَ«أَفْصَحَ مِنْ سَحْبَانَ». اشتهر في الجاهلية وعاش زمنًا في الإسلام، وكان إذا خطب  
يسيل عرقًا، ولا يعيد كلمة، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ. أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع  
به، وأقام في دمشق أيام معاوية، وله شعر قليل، وأخبار. [الأعلام للزركلي (٣/٧٩)].

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: عَالِمٌ فقيهٌ أديبٌ شاعرٌ، عُغَوِي، أَجَادَ نَظْمَ الشَّعْرِ الْمُعَرَّبِ الْمَعْرُوفِ فِي  
الْيَمَنِ بِالْحَكَمِيِّ، وَالشَّعْرَ الْمَوْشَحَ الْمَلْحُونِ، وَغَالِبُ شَعْرِهِ مِنْهُ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى الْغَزْلِ وَالنَّشِيبِ،  
وَكَانَ زَيْدِيًّا جَارُودِيًّا، ثُمَّ صَارَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَلَدَ فِي سَنَةِ ٩٣٠ هـ وَوَفَاتَهُ بِ(الدَّنُوبِ) فِي  
جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ١٠١٠ هـ وَقِيلَ فِي سَنَةِ ١٠١٦ هـ. [هجر العلم (٢/٧٢٣)]. [المُستطاب  
(١٩٠/١)].



خلق الإنسان وصوره، ورزقه وعمره، ثُمَّ أماته فأقبره، ثُمَّ إذا شاء أنشره،  
 جَعَلَ رزقه بميزان مُقَدَّر، وعمره إلى أجل لا يُؤَخَّر، كل ذلك لحكمة بالغة  
 تنبه في مراميهها<sup>(١)</sup> العقول [٢٨] وتتحير، والصلاة والسلام على ثمر هذا  
 العالم، وصفوة الصفوة من ولد آدم، مَنْ لولاه ما ظهر الوجود من غيابات  
 الغيب، ولا انفتق عن الموجودات من العدم جيب، نقطة دائرة الرسالة،  
 ومركز بيكارها بلا مزية ولا ريب، صاحب المقام الأسنى، ورب الدُّنُو  
 الأدنى، المختص بالمكالمة في حضرة قاب قوسين أو أدنى، سيد العوالم  
 على الإطلاق، محمد بن عبد الله صاحب المعراج والبراق، المتجاوز  
 حجب النور والظلمة بعد اختراقه السبع الطباق، وعلى آله أدلة النجاة  
 وصحبه اللاحقين به أحسن لحاق، ما بكت حمامة ذات أطواق، وشقَّ  
 البرق جيب الغمامة الغيداق<sup>(٢)</sup>، وبعد:

فصدور هذا المَهْرَاق إلى تلك الحضرة التي ضربت على المجرة  
 أطناها، وخدمت الملوك والسلاطين أعتابها، ولاحظتها عيون السعادة،  
 وقضت العناية الربانية بالحسنى وزيادة، حضرة مولانا المقام الأعظم،  
 مفتخر العرب والعجم، أعظم الباشوات السلطانية، وأفخم رؤساء  
 الحضرة الخاقانية، ربُّ الرُتَب السنية، وزاكي الأعمال والنية، مَنْ أصلح

(١) «موايهها»: هكنا في الأصل.

(٢) غبث غيداق: كثير الماء؛ التاج: (غ د ق).

الله تعالى ببركة مَسَاعِيهِ هذه الْأَقْطَارِ الْيَمْنِيَّةِ، فخر الزَّمنِ مَوْلَانَا الْبَاشَا  
حسن بلغه الله تعالى قصارى آماله، وجعل إلى أعالي الفردوس الأعلى  
غاية مَالِهِ، وأنهى إلى [٢٩] مقامه الْأَسْمَى، وَخَضَرَتِ الرَّفِيعَةُ السَّمَاءُ،  
الْمَتَسِمَةُ بِمَحَامِدِ السَّمَاتِ الْمَتَسِمَةِ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، سَلَامًا يَنْطَوِي فِي  
نَشْرِهِ رُوحَ الْمَحْزُونِ، وَيَفُوحُ مِنْ نَشْرِ مَطَاوِيهِ عَرْقُ رِيَاضِ الْحَزُونِ، يَتَأَرَّجُ  
بِرُوحِ النَّفْسِ وَالْجَنَانِ، تَنْزِلُ بِهِ مَلَائِكَةُ السَّكِينَةِ مَهْدِيًا لِلرُّوحِ وَالرَّاحَةِ إِلَى  
كُلِّ نَفْسٍ حَزِينَةٍ، سَلَامًا هُوَ رِيحَانَةُ لِرُوحِ الْمَكْرُوبِ، وَرَاحَةُ النَّفْسِ مِنْ  
أَسْرَارِ الْكَآبَةِ وَالْكُرُوبِ، بَعْدَ أَنْ انْتَهَى إِلَيْنَا خَبْرًا أَزْعَجَ الْقُلُوبَ وَأَقْلَقَهَا،  
وَأَجْرَى مَدَامِعَ الْعَيُونِ وَأَرْقَهَا، وَشَتَّتْ جُرْأَةَ قُلُوبِ الرِّجَالِ، لَا جِيوبَ  
رَبَاتِ الْحِجَالِ<sup>(١)</sup>، ذَلِكَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ، وَالرَّزُّؤُ الَّذِي يَطِيشُ لَهُ الْحَلِيمُ، هُوَ  
مَا أَمْضَاهُ اللَّهُ عَنْ حِكْمَةٍ بَالِغَةٍ حَكِيمَةٍ، وَأَنْفَذَهُ بِقُدْرَةٍ قَاهِرَةٍ عَظِيمَةٍ، مِنْ  
إِجَابَةِ رُوحِ عَبْدِهِ حُسَيْنٍ وَالِدِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْبَاشَا الْأَفْخَمِ، لَمَّا  
دَعَاهُ مُنَادِي أَجَلِهِ الْمَحْتُومِ، وَتَلَبَّيْتَهُ لِدَاعِيهِ مِنْ قَبْلِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَالْمَوْتُ  
لِكُلِّ حَيٍّ مَضْمَارٌ، وَالْأَجَلُ غَايَةٌ لِابْنِ آدَمَ لَيْسَ دُونَهَا فِرَارٌ، وَالْحِمَامُ مِنْهَلٌ

(١) رِبَاتِ الْحِجَالِ: يريدُ النِّسَاءَ، وَالْعِبَارَةُ وَرَدَتْ فِي خُطْبَةٍ مَنْسُوبَةٍ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ  
يَخَاطَبُ بِهَا أَهْلَ الْعِرَاقِ قَائِلًا: «يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ، وَلَا رِجَالًا، وَيَا طَعَامَ الْأَحْلَامِ. وَيَا عُقُولَ رَبَاتِ  
الْحِجَالِ». [الكامل في اللغة والأدب (١/ ٢١)]

لا بد أن يرده سفر تخب<sup>(١)</sup> به ركائب الليل والنهار، ولو كان الخلود في حيز الإمكان، أو أمكن لأحد من نوع الإنسان، لخلد سيدنا محمد ﷺ سيد ولد عدنان، وهو سيد الأمم، وخيرة الله من صنف العرب والعجم، وعلة ظهور العوالم إلى نور الوجود من حنادس<sup>(٢)</sup> العدم، ولو بقي أحد [٣٠] لنجدة الأجداد، وكرم الأولاد، والتنزه عن الشين، والتخلق بكل خلق زين، لكان والد مولانا الأعظم حسين، لكن أبي الله أن يخلد أحد في هذه الدار،

وعهد إلينا على السنة رسله أنه إنما جعلها سبيلاً إلى دار القرار، فطوبى لمن تجافا هذه الدار العاجلة، وتحامى عنها وجعل الهمّ همّاً واحداً في طلاب الآخرة وسعى لها سعيها، أولئك هم أولوا الألباب، طوبى لهم وحسن مآب.

وإنّ محبّ الحضرة الرفيعة والعقوة السامية المنيعة، لما انتهى إليه ذلك الخبر الذي سلك<sup>(٣)</sup> المسامع وأجرى نجيع المدامع، أزعج فؤاده وأجزعه، واقتاد عنانه من أكفّ القرار والدعة، وأودعه شجواً وأشجاناً، وغادره بحر أيدي الجزع منه مقوداً وعنانياً، لما جبل الله عليه غرائز

(١) حَبّ الفَرَس: جَرَى؛ التاج: (خ ب ب).

(٢) الحِنْدِس: الليل المُظْلِم؛ التاج: (ح ن دس).

(٣) اشْتَكَّتِ الْمَسَامِعُ: أَي صَمَّتْ وَضَاعَتْ؛ التاج: (س ك ك).

النُّفوس، وأشرب به لطيف طباعها، وطبعه في نحائر القلوب والأرواح المتعارفة قبل مقابلتها، لهذه القوالب بشعاعها وامتزاجها، بجواهر هذه الأجرام وانطباعها، التي إليها أشار سيد من عبر ومن سلف، المتسنّم ذرّوات الكرم وصهوات الشرف، بقوله: «أجنّادُ مجنّدةٌ ما تعارفَ منها أثّلف، وما تناكرَ منها اختلف» من التّوجّع لجزع الصّديق والتّألم لوجعه إن دُفعَ إلى مضيق، وكان محبّ الحضرة ممّن اعترف بقلب المولى في القدم قلبه، وامتزج بشغافه وسويداه حُبّه [٣١] لا جرم لما نَمى إليه خبر ذلك المصاب، وقرع مسامعه ما رمى الأفئدة بسهم الجزع وأصاب، كان قسيما لصاحب السّعادة جدد الله سعده وأسعد جده، فيما حزنَ فؤاده من ذلك النّبا الفادح، والخبر الذي قدح زنادة الحزن بين أحنى الجوانح، فيا له من نَبأٍ أقرَحَ القلوب والعيون، وأغلق في أيدي الجزع مِنّا الوثائق والرّهون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، رضاء بما أمضاه تعالى من نافذ قضائه وتسليماً لما قضى على عبّده بنفوذه ومضائه، فشأنه إمضاء ما قدّره في أم الكتاب، وشأننا التّمسّك بأذيال الصّبر والأخذ بعظيم الاحتساب، والحمد لله على حالتي المسرّة والاكتئاب، والشّكر الكافل لمن التّزّمه بجزيل الثّواب.

هذا والمقام أعظم شأنًا، وأذكى نفسًا وجنانًا، من أن تُقرع له العصا، أو يُطرق له بالحصى، أو يُنبّه على اعتصامه بعصمة الصّبر على مضض الأقدار، والتّزامه بعروة الشّكر والاعتبار، فهو من استوائه على عرش



الكمال، واشتماله بمطارف حميد الخلال، في رتبة تتعالى عن التثويه،  
وتجلّ عن الاحتياج إلى مزيد إرشاد وتنبيه، ولكننا نتأدّب معه بالأدب  
النّبويّ، وننتهج في التعزية له في النهج المصطفويّ، ونسأل الله أن يوزعه  
الشكر في المصاب في الملمّ إذا حلّ، وأن يلزمنا [٣٢] وإياه شكره  
وحمده، ويرزقنا الخاتمة الحسنى إذا انقطعت المدة، وأن يخلف على  
مَوْلَانَا أحسن خلف، وأن يُثقل به ميزانه ويجعله أكرم قرط<sup>(١)</sup> وسلف،  
ويجعل أجره عن الصبر على مصابه الخلود في فراديس الجنان وأعالي  
الغرف.

وليَعِذُّ مَوْلَانَا بهذه نفثة مصدرٍ أبرزها حنو قلب تنطوي على صدق  
الوداد والصفاء، ويُشارك الحَضْرَةَ فيما حزن وسر، وأحلّولى وأمر،  
ويدعوا لها بدوام البقاء وبقاء الدوام، والعروج إلى أرفع منزلة في المُلْك  
الأثيل<sup>(٢)</sup> الثابت الدّعائم الرّفع الآطام<sup>(٣)</sup>، والعزّ الذي لا يُسام بمكروه  
ولا يُضام، بحق سيّد الأنام، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه  
مصاييح الظلام، ولا برح المولى في حفظ الله على مرّ الليالي وكرور  
الأيام، وبَعْد السّلام.

(١) قرط الرجل ولده: تقدّمه إلى الجنّة؛ النّاج: (ف ر ط).

(٢) أثل المُلْك أثولاً: عظّم، وسرّف أثيل: قديم؛ النّاج: (أ ث ن).

(٣) الأطمّة مثل الأكمّة: الحصن، والجمع: (أطام) والأطوم: القصور؛ النّاج: (أ ط م).



وأما الأمير لطف الله بن المطهر فكان يومئذ في حصن كحلان الشرف واقفاً به بعد رجوعه من عند أخيه علي يحيى فانتهدت إليه الأخبار بحركة مولانا صاحب السعادة وتأهب العساكر السلطانية المنصورة على الأمير محمد بن الناصر وقصده إلى قلعة ظفار وفتح الظاهر، وقد كان الأمير مطهر بن الشويح قدّم إلى مقام مولانا صاحب السعادة بعد وقوع معاهدة بينه وبين محمد بن الناصر، كان عاقبتها مذاكرة ومغادرة وبينهما وبين أهليهما عداوة قديمة لا يمكن أن [٣٣] يتجدد<sup>(١)</sup> لهما حال، وأنعم عليه مولانا صاحب السعادة بسنجد شريف وغمره بإحسانه وتفضلاته وامتنانه وسيأتي خبر ذلك إن شاء الله تعالى في ذكر مكارم مولانا صاحب السعادة. فعمل الأمير لطف الله حينئذ على المسير إلى دمرمر<sup>(٢)</sup>، والبقاء على ما هو عليه من طاعة الدولة الخاقانية فكتب إلى مولانا صاحب السعادة يعرفه ويستأذنه بمسيره إلى دمرمر فأذن له وشكر له بما أظهر من طاعة

(١) «يتخذ»: هكذا في الأصل.

(٢) دمرمر: من حصون صنعاء اليمن. [معجم البلدان (٧/٣)]. وهو جبل مشهور شامخ في بلاد بني حشيش، شمال شرق صنعاء بمسافة ٣٥ كيلاً، وفيه ما لا يقل عن ثلاثمائة مدفن لاختزان الحبوب، وفي عرضه الكهوف المنحوتة، وسدود الماء الصغيرة، وفي رأسه مأثر قديمة، وفي سفح الجبل محل (الغراس) التي عُثر فيها على موميات قديمة. [البلدان والقبائل (١/٦٥١)].

مَوْلَانَا السُّلْطَان، فَسَارَ إِلَى دَمْرُومَر خَفِيَّةٍ مِنْ أَخِيهِ عَلِيٍّ يَحْيَى، وَلَمْ يَجْتَمِعْ  
بِهِ فِي طَرِيقِهِ هَذِهِ وَلَا أَشْعَرَهُ بِمَسِيرِهِ.

## خُرُوجُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى بِلَادِ الظَّاهِرِ :

ولَمَّا كَانَ فِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ عَسَاكِرَ جَمَّةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنَ التُّرْكِ وَالْعَرَبِ بِالتَّوَجُّهِ عَلَى ظَفَارٍ وَفَتْحِ الظَّاهِرِ وَمَحَارَبَةِ مُحَمَّدَ بْنِ النَّاصِرِ وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ مِنْهُمْ الْأَمِيرُ حَيْدَرُ، وَمُطَهَّرُ بْنُ الشَّوَيْعِ، وَأَعْطَاهُمْ جَوَامِكُهُمْ، فَخَيَّمُوا فِي الْحَصْبَةِ<sup>(١)</sup> خَارِجَ مَدِينَةِ صَنْعَاءِ الْمَخْرُوسَةِ ثُمَّ رَحَلُوا عَنْهَا إِلَى دَيْفَانَ<sup>(٢)</sup>، وَوَجَّهَ مَعَهُمْ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِمَدَافِعِ وَزُرْبَانَانَاتِ<sup>(٣)</sup> وَخَزَائِنِ وَعُدَدٍ، ثُمَّ تَوَجَّهُوا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِلَى الظَّاهِرِ، فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ لِقِتَالٍ وَلَا حَرْبٍ فَخَيَّمُوا فِي الْكَوْلَةِ فَوَاجَهُهُمْ جَمِيعُ قَبَائِلِ الظَّاهِرِ وَدَخَلُوا تَحْتَ طَاعَةِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ.

(١) الْحَصْبَةُ: حَيٌّ يَقَعُ فِي الشَّامِ مِنْ مَدِينَةِ صَنْعَاءِ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّازِي فِي تَارِيخِهِ وَقَالَ إِنَّ: «بِهِ مَسْجِدٌ قَدِيمٌ الْبِنَاءِ وَالْيَوْمَ هُوَ مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّتِي تَتَوَسَّعُ مَدِينَةُ صَنْعَاءِ الْحَدِيثَةِ. [البلدان والقبائل (١/٤٧٠)].

(٢) دَيْفَانُ: نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِي بِلَادِ رَيْدَةَ، وَأَعْمَالُ عَمْرَانَ. وَدَيْفَانُ: قَرْيَةٌ بِمَنْطِقَةِ الْجُدُمِ فِي جَبَلِ مَسُورٍ، مِنْ أَعْمَالِ حَجَّةٍ. [البلدان والقبائل (١/٦٥٧)].

(٣) زُرْبَانَانَةُ: ضَرْبٌ مِنَ السَّلَاحِ النَّارِيِّ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ مِنَ الْبِنَادِقِ الْعُطُولَةِ. [تكملة المعاجم (٥/٢٩٩)].

فلما تمت مواجهة جميع قبائل [٣٤] الظاهر وبذلوا الطاعة وقبضت رهائنهم وكسي كبارهم ومشايخهم، وأمنوا في بلادهم، أمر مولانا صاحب السعادة العساكر السلطانية ومن عليهم من الأمراء ومن فيهم من الرؤساء والكبراء بالتقدم على حصن ظفار ومحاصرة محمد بن الناصر به، فتقدمت العساكر السلطانية إلى ظفار فانحاز الأمير محمد بن الناصر فيه.

وقد كان صاحب السعادة حين عمل على توجيه العساكر السلطانية إلى الظاهر وظفار طلب من الأمير عز الدين عسكراً من عسكره تسير مع العساكر السلطانية حسبما تقررت به القواعد فيما بينه وبينه، فوجه بجماعة من عسكره إلى مقامه إلى مخروسة صنعاء، فلما قدموا عليه كسى رئيسهم خلعة قبا، وكسى الآخرين من البر الهندي<sup>(١)</sup> ما يليق بأحوالهم وأمر لهم ولرئيسهم بدرهم كثيرة ففرقت فيهم وأمرهم بالمسير صحبة العساكر السلطانية إلى الظاهر وإلى ظفار وحيث توجهوا والأمير محمد بن الناصر إنما تحيز في ظفار ظناً منه أن تحيزه فيه من حسن تدبيره وثاقب أشواره، وأنه حصن منيع وجبل وسيع، لا يكاد أن يتم عليه الحصار من جميع جوانبه، وأن الإمام الحسن صاحب الأهنوم سيؤدّه

(١) البر: الثياب. وقيل: ضرب من الثياب، وقيل: البر من الثياب: أمتعة البراز، أو متاع البيت من الثياب خاصة ونحوها، التاج: (برز).

بأمواله ورجاله، ويقوم بنصرته؛ كونه على قدم طاعته، وقائل بإمامته  
لجُمعته وجماعته، وأن قبائل الظَّاهِر لا تدخل تحت [٣٥] طاعة الدَّولة  
السَّعيدة السُّلْطَانِيَّة وأن السَّيِّد علي يَحْيَى والسَّيِّد أحمد بن الحُسَيْن  
سيمدونه بأموالهم ورجالهم ويحاربون دونه مَنْ حَاصِرُهُ، فكان بتدبيره  
تدميره وبرأيه الذي اختاره لنفسه هلاكه، ولم يمدَّ السَّيِّد علي يَحْيَى إلا  
بثلاثين نفراً من أصحابه وبما فتح الله من البزَّ الهندي -على ما قيل-  
والسَّيِّد أحمد قد كان أرسل له بما فتح الله من البارود والرَّصاص قبل  
حِصَّارِهِ، وقيل إنه أمدَّه بثلاثمئة دينار ووَعَدَهُ بأنه يشور ويقوم معه.

وكان قد وقع بينهما معاهدة ومخالفة قبل الحِصَّار بأَيَّام على التناصُر  
والتَّظافر، وقد كان سبق بينهما حروب ومعاداة قديمة ظاهرة مشهورة، ثُمَّ  
مخالفة، ثُمَّ تبعها أيضاً نكث عُهُود ومغادرة في أَيَّام متقدمة.

وكان في ابتداء محاصرة العساكر السُّلْطَانِيَّة لحصن ظفار أرسل مؤلَّاناً  
صاحب السَّعادة للمقرِّ الكريم، والمقام الأَمجد الفخيم، الأمير  
سِنان<sup>(١)</sup> وهو يومئذ كِيخِيته وهو ببلاد رِيْمَة<sup>(٢)</sup> ووجَّهه إليها بعد دخوله

(١) سِنان باشا: من قادة الجيش العثماني في اليَمَن، في فترة الوالي حسن باشا، ومن خلال ما ذكرته  
المصادر عنه فإنَّه كان بطاشاً فتاكاً ومقداماً.

(٢) رِيْمَة: بلاد جبلية واسعة كانت تعرف بـ(رِيْمَة الأشايط)، تقع إلى الغرب من صنعاء وتُعلَّل على  
بلاد المنصوريَّة وبيت الفقيه من سهول تهامة، وهي من بلاد الخيرات وقد نُسِبَ إليها كثير من



صَنَعَاءِ الْمَحْرُوسَةِ، فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ لِقَبْضِ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي عَلَيْهَا، وَإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ فِيهَا، وَكَانَ وَالِي رَيْمَةِ أَمِيرٌ مِنْ بَنِي الْجَعْفَرِيِّ<sup>(١)</sup> يُقَالُ لَهُ: «أَبُو بَكْرٍ<sup>(٢)</sup>».

وَأَهْلُ رَيْمَةِ أَهْلُ عِنَادٍ وَشِقَاقٍ وَفِيهِمْ غِبَاوَةٌ؛ لَا تَزَالُ تَتَوَجَّهَ عَلَيْهِمِ الْعَسَاكِرُ إِلَى بِلَادِهِمْ [٣٦] فَيُحْرِبُونَهُمْ وَيُخْرِبُونَ كَثِيرًا مِنْ بِلَادِهِمْ وَيُسْتَوْلِي عَلَى حَصُونِهِمْ، وَيُخَرَّبُ مِنْهَا مَا يَخَرَّبُ، وَيُقْتَلُ مِنْهُمْ خِلَاقٌ، وَيُقَبْضُ مِنْهُمْ الْأَمْوَالُ، وَتَبْلُغُ بِهِمُ الْمَشَاقُّ غَايَتَهَا أَيَّامَ وَقُوفِ الْعَسَاكِرِ فِيهَا، فَإِذَا ارْتَفَعَتِ الْعَسَاكِرُ مِنْ بِلَادِهِمْ، لَمَّا قَدْ حَلَّ بِهِمُ مِنَ التَّعَبِ وَالْفَاقَةِ وَالنَّصَبِ يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّهُمْ يَسْتَقِيمُوا عَلَى الطَّاعَةِ وَلَا يَمِيلُونَ عَنْهَا، فَمَا يَكُونُ بِأَقْرَبٍ مِنْ خِلَافِهِمْ وَعَصْيَانِهِمْ وَتُعَاوَدُهُمُ الْعَسَاكِرُ فَيَنَالُهُمْ مَا ذَكَرْنَا وَتَدْمُرُ بِلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَيَعُودُوا إِلَى الطَّاعَةِ، كَذَا دَائِبُهُمْ.

وَلَمَّا وَصَلَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ وَجَّهَهُ بِمَنْ مَعَهُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمُنْصُورِ بِظَفَّارٍ وَجَعَلَهُ رَأْسًا عَلَى مَا

---

العلماء والأدباء والشعراء. [البلدان والقبائل (١/ ٧٢٤)]. قُلْتُ: ولريمة تاريخ من الصدام العنيف مع الحملات العثمانية وأعوانها من أهل اليمن، وقد جمعت ما تيسر لي من التواريخ المعتبرة عن ذلك، ولعلي أهيته للنشر قريباً، إن شاء الله.

(١) الجعفرى: نسبة إلى ناحية الجعفرية من نواحي بلاد ريمة. [البلدان والقبائل (١/ ٣٣٧)].

(٢) الشيخ أبو بكر الجعفرى الريمى، ولم أقف على ترجمته.

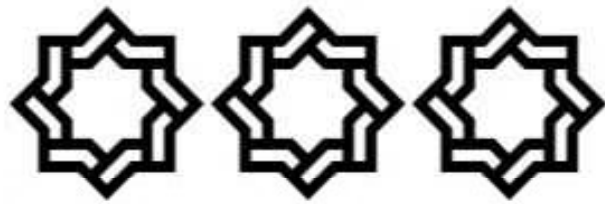
هُنَالِكَ مِنْ جَمِيعِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ عَرَبُهَا وَعَجَمُهَا. فَأَحْكَمَ الْأُمُورَ، وَنَظَّمَ حَالَ الْجُمْهُورِ، وَأَحْكَمَ الْحِصَارَ، وَضَبَطَ عَلَى الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ جَلِيلَهَا وَوَضِيعَهَا، وَصَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، فَتَوَارَدَتِ الْخَيْرَاتُ إِلَى الْمُخَيِّمِ الْمُنْصُورِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي.

وَهُوَ رَجُلٌ عَالِي الْهِمَّةِ، كَثِيرُ التَّنَبُّهِ، قَلِيلُ الْغَفْلَةِ، لَهُ كَمَالٌ وَرَجَالَةٌ وَشَجَاعَةٌ وَبَسَالَةٌ، وَلَمْ يَزَلِ الْحِصَارُ عَلَى حِصْنِ ظَفَّارٍ فَوْقَ شَهْرَيْنِ، وَبَلَغَتِ الْمَشَاقُ بِمُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ وَمَنْ مَعَهُ نَهَايَتَهَا، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ الضَّعْفَ وَالرَّكَّةَ، وَأَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِمُحَارَبَةِ عَسَاكِرِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَلَمْ يَرِ أَيْضًا شَيْئًا<sup>(١)</sup> مِمَّا [٣٧] قَدْ كَانَ أَمَلَهُ وَرَجَاهُ، مِمَّنْ حَالَفَهُ وَوَالَاهُ، طَلَبَ لِنَفْسِهِ الْأَمَانَ، وَيَخْرُجَ عَنْ ظَفَّارٍ وَيَسْلِمَهُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَعَلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، فَشَاوَرَ الْأَمِيرَ سِنَانَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي أَمْرِ تَسْلِيمِهِ وَتَقْرِيرِهِ قَوَاعِدَهُ وَتَأْمِينِهِ، فَعَمِلَ لَهُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَمَانًا وَلَمَنْ مَعَهُ فِي ظَفَّارٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ، فَخَرَجَ عَنْ ظَفَّارٍ إِلَى يَدِ الْأَمِيرِ سِنَانَ، وَدَخَلَتِ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ حِصْنَ ظَفَّارٍ.

(١) شَيْئًا: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ دَرَجَ النَّاسُ عَلَى إِهْمَالِ الْهِمَزَةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، وَإِبْتَاهَا حَيْثُ لَا يَكُونُ إِتْبَاعُهَا جَائِزًا!

ثُمَّ سَارَ بِهِ الْأَمِيرُ سِنَانٌ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فَلَمَّا قَدِمَ مَقَامَهُ  
خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ سَنِيَّةٍ، وَكَسَى مَنْ وَصَلَ صَحْبَتَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ، وَأَمَرَ بِإِفْرَاقِ دَارِ  
لَهُ بِمَحْرُوسِ صَنْعَاءَ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ الْجَرَائِدَ السَّنِيَّةَ.

## الجزء الثالث



## [الجزء الثالث]

ومما وقع على الأمير محمد بن الناصر من الحوادث ونالته من الكوارث، في أيام حصاره بظفار، خلاف أخيه<sup>(١)</sup> وهاس عليه، وخذلانه له بميله إلى ظل الدولة السعيدة السلطانية، وكان مُستَنبِهاً له في الزاهر<sup>(٢)</sup> وبعض الجوف مكانه صنوه الهادي بن الناصر، وكان الهادي يومئذ محبوساً في دمرمر، أسرهُ الأمير لطف الله في هَرَّان<sup>(٣)</sup> بالقرب من بلاد دُيَّان<sup>(٤)</sup>، وذلك أنه غزى إلى هَرَّان وهو يومئذ للأمير لطف الله، وأراد الاستيلاء عليه وقبض حبوه، فكانت الدائرة عليه، وقبض في تلك الغزاة وكان قبضه في أيام ولاية [٣٨] الباشا مُراد وميل محمد بن الناصر

---

(١) «أخوه»: هكنا في الأصل.

(٢) الزاهر: مدينة وحصن في بلاد الجوف. [البلدان والقبائل (١/٧٢٩)].

(٣) هَرَّان: من قُرى بلاد أَرْحَب، الواقعة إلى الشمال من صنعاء [البلدان والقبائل (١/١٨١٤)]. وجاء في الفتوحات المُرادية: «وفاضت العساكر الجَرارة عقيب فتح بلاد الحَسَب إلى فتح سُوابَةِ وهَرَّان، وما إليهما من الرّسائيق والبُلدان، وهما واديان مشتملان على إِنْهار وجَنان، ويسكنهما بنو أَسَد وهم من أحياء بَكِيل، حتى نصر يُضْرَبُ بشجاعتهم المثل». [الفتوحات المُرادية (٣/٢٧)]. وهَرَّان: من حصون دُمار. [معجم البلدان (٥/٣٩٦)].

(٤) دُيَّان: من قبائل بلاد أَرْحَب الواقعة شمال صنعاء [البلدان والقبائل (١/٦٥٦)].



وإخوته إلى الإمام الحسن صاحب الأئمة، وكان محمد بن الناصر يفضل الهادي على سائر إخوته ويثق به في أموره ويتكل عليه في حروبه، ولا يرى أنه يضبط الجوف وأهله غيره لشهامته وبسالته ولقيامه في مقابلة خصومه، وكان من المحرّضات لوهاس في ميله إلى جناب الدولة الخاقانية أن أخاه حفيظ لم يبرح مكانه في ظل الدولة السلطانية ولم يمل مع أخيه محمد حين ولي الأمام الحسن ومحاربته لعساكر السلطان بل جد واجتهد في نكاية صنوه وحربه، وكان من جملة عساكر السلطان وأعيانها في حرب أخيه في أيام الحصار على ظفار.

ولما رأى مولانا صاحب السعادة من صحة استقامة قدمه على الطاعة في السر والعلانية ممثلاً لأمره، أكرم محله ومكانه وغمرة بتطولاته وإحسانه.

ولم يزل حاله ينمو معه حتى جعله أميراً وأعطاه سنجقاً شريفاً سلطانياً، وسيأتي خبر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى من هذا التاريخ. فكتب إلى أخيه وهاس بأمر مولانا صاحب السعادة، - وهاس أخوه من أمه وأبيه - وضمن له بكل خير يناله من صاحب السعادة بما يصلح به حاله ويعظم بذلك جاهه، فساعده إلى ذلك وتقررت بعد مساعدته

بالخلاف على أخيه قواعده، وجعل له بتمامها مراسيم<sup>(١)</sup> [٣٩] شريفة وجعل له مولانا صاحب السعادة جامكية وافرة.

ولما تمت قواعده أظهر الخلاف على أخيه والإعلان بطاعة الدولة السعيدة السلطانية والميل إلى جانبها الشريف وظلها الخصيب المريف. وبلغ السيد أحمد قضية وهاس هذه فسأه ذلك وعظم أمرها عليه لأنه محاذ<sup>(٢)</sup> له وحال انتهى إلى مولانا صاحب السعادة ما جرى من وهاس من الطاعة وخلافه على أخيه أمر له أيده الله تعالى بتشريفات وصلات سنيات، وشكره على عمله بدخوله في طاعة الدولة السلطانية ووصل إلى مقامه بعد ذلك بأيام يسيرة فأكرمه غاية الإكرام.

وأما الأمير محمد، محمد بن الناصر وما آل إليه أمره وحاله بعد تسليمه لظفار وقدمه إلى مقام مولانا صاحب السعادة فإنه لم يلبث إلا أياما يسيرة حتى ارتفعت عنه أخبار كثيرة إلى مولانا صاحب السعادة أنه صار يكتب إلى الإمام الحسن وإلى السيد أحمد بن الحسين المؤيدي وإلى السيد علي يحيى وغير هؤلاء، ويحرضهم على الفساد والإصرار على العناد، فلم يصدق مولانا صاحب السعادة الأخبار المنقولة عنه حتى وقعت إليه بعض كتبه وعرف فيها خطه التي يريد بها الفساد، فعند ذلك

(١) المرسوم: كتاب مطبوع، والجمع مراسيم: التاج: (ر س م).

(٢) مجاور له.

أمر بحبسه وتقييده بعد أن عاتبه على أفعاله وتخليط أعماله، وتعريفه بذنبه، ولم يزل مَحْبُوسًا بِعُمْدَانٍ [٤٠] حَتَّى مَاتَ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ.

وفي أَيَّام مُدَّة حَبْسِهِ وَمَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ مَجْرِيٌّ عَلَيْهِ جَرَايَاتُ الْقُوتِ وَالْمَصْرُوفِ تَفْضُلًا وَتَطَوُّلًا، وَكَانَ الْاِسْتِيلَاءُ عَلَى حِصْنِ ظَفَّارٍ وَفَتْحُهُ وَدُخُولُهُ فِي الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْعَشْرِ الْأُولَى مِنْ شَهْرِ الْحِجَّةِ الْحَرَامِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ.

قلت: وظفَّار هو الَّذِي شَيَّدَ فِيهِ الْقُصُورَ وَعَمَّرَ<sup>(١)</sup> فِي أَنْحَاةِ الدُّورِ، الْإِمَامُ الْمُنْصُورُ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمْزَةَ الْحَسَنِيِّ<sup>(٢)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَوْلَادُهُ بَعْدَهُ، وَكَانَ كُرْسِيُّ مَمْلَكَتِهِ وَأَوْلَادُهُ أَيْضًا مِنْ بَعْدِهِ وَعَمِلَ فِيهِ مِنَ الْبِرِّ الْعَظِيمَةِ الْوَاسِعَةِ الْكَثِيرَةِ، وَمُشْهَدُهُ<sup>(٣)</sup> هُنَالِكَ، وَكَانَ تَحْصِينُهُ لظَفَّارٍ وَاتِّخَاذُهُ لَهُ مَعْقَلًا يَلْجَأُ إِلَيْهِ إِذَا نَابَتْهُ نَائِبَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا عَظُمَ أَمْرُ الْغَزِّ بِالْيَمَنِ وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُمْ وَعَظُمَ أَمْرُهُمْ وَمَلَكُوا أَكْثَرَ الْيَمَنِ وَحَصُونَهُ وَمَدَنَهُ وَكَانَ بَيْنَهُ

(١) «وعمرت»: هكنا في الأصل.

(٢) عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ): بُويعَ لَهُ سَنَةُ ٥٩٣ هـ وَاسْتَوْلَى عَلَى صَنْعَاءَ وَدَّمَارٍ، فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِ وَقَاتَلَهُ الْمَسْعُودُ سَنَةَ ٦١٢ فَاسْتَمَرَّتِ الْوَقَائِعُ إِلَى أَنْ مَاتَ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي كَوْكَبَانَ، وَنُقِلَ إِلَى ظَفَّارٍ. [الأعلام للزركلي (٤/٨٣)]. وَلَهُ سِيرَتَيْنِ، وَأَخْبَارُهُ مَبْنُوثةٌ فِي بَطُونِ الْكُتُبِ، قُلْتُ: وَقَدْ كَانَ مِنْ أَسَاطِينِ الْعِلْمِ الْمَشْهُورِينَ بِالْفَنِّ.

(٣) الضَّرِيحُ الَّذِي يَزُورُهُ النَّاسُ.

وبينهم ملاحم مشهورة ووقائع مذكورة، رأى المَنصُورِ عَمَّارته وتحصينه بعد مشاورته لأصحابه من أهل مملكته وطِيفَتِه بجبله، وكان قلعة للإمام أبي الفتح الدَّيْلَمي<sup>(١)</sup>، فشرعَ في عَمَّارته يوم الاثنين لِعِشْرِينَ ليلة خَلَّتْ من شَوَّال سَنَةِ سِتْمِائَةٍ.

(١) أبو الفتح الدَّيْلَمي (ت ٤٤٤ هـ): الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى الحسيني الطَّلَبي، أبو الفتح، المعروف بالدَّيْلَمي: مفسر، من أئمة الزَّيْدِيَّة وشجعائهم. ولد وتعلم في بلاد الدَّيْلَم (في الجنوب الغربي لبحر قزوين) ودخل اليمن سنة ٤٣٧ هـ فدعا إلى نفسه بالإمامة. وباعته قبائل اشتدَّ بها أزره، فاستولى على مدينة صَعْدَة، وامتلك صَنْعَاء. وجعل إقامته في (ذي بَيْن) واختطَّ حصن (ظَفَّار ذي بَيْن) وظهر الصُّلَحيُّون في أيامه، فقاتله علي بن محمد الصُّلَحي. ووقع غلاء شديد في اليمن (سنة ٤٤٣) حتى أكل النَّاس المَيْتَةَ في عهده. واستمرَّ في جهاد ونضال إلى أن قتله الصُّلَحي، في وقعة كانت بينهما بقاع فَيْد (أو نَجْد الجاح) من بلاد عَنَس وقبره في قرية أُوَيْق (بفتح الهمزة وكسر الفاء) من بلاد عَنَس. وله ذرِّيَّة في مدينة دَمَار وغيرها يعرفون ببني الدَّيْلَمي، وكان فقيها عالما، له كتاب في (التفسير) أربعة أجزاء. وفي اسمه ونسبه وتاريخ دخوله اليمن وعام وفاته، خلاف، وعرفه صاحب نيل الحسينين: بالإمام الأعظم المنصور بالله أبي الفتح الشَّهيد بقاع الدَّيْلَمي، بين شِراع ودَمَار، سنة ٤٤٦ هـ. [الأعلام للزركلي (٣٤٦/٧)].



وكانَ في صَنعَاءَ على ما حكاها صَاحِبُ (العِقد) مِنَ الغَزِّ ورِدِشَارُ<sup>(١)</sup>،  
ومِمَّا وُجِدَ مَكْتُوبًا في دار للإمام المَنْصُورِ في حَجَرِ ظَفَّارِ [٤١] في مَفْرَشِ  
من مَفَارِشِ هَذِهِ الدَّارِ، هَذَا الشِّعْرُ:

(مَنْ البسيط)

|                                                   |                                                  |
|---------------------------------------------------|--------------------------------------------------|
| يَا دَاخِلَ الْقَصْرِ حَقَّقْ عَيْنَكَ النَّظْرَا | حَتَّى تَرَى عَجَبًا يُقْضَى بِهِ الْوَطْرَا     |
| إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي أَنْشَأَهُ مُعْتَمِدًا   | بَغَى بِهِ حِفْظَ دِينِ اللَّهِ وَافْتِخَرَا     |
| لَمْ يَعْتَمِدْ لَذَّةَ الدُّنْيَا وَرُخْرَفَهَا  | وَلَا الَّذِي يُعْجِبُ الْأَسْمَاعَ وَالْبَصْرَا |
| لَكِنَّهُ أَصْلَحَ الدُّنْيَا فَبَادَرَهَا        | بِالصَّالِحَاتِ وَأَبْقَى بَعْدَهُ الْأَثْرَا    |
| لَوْ أَكْمَلَ النَّاسُ فِي الْأَقْطَارِ هِمَّتَهُ | فِي هَدْمِ مَا شَيَّدَ الْمَنْصُورُ مَا قَدَرَا  |
| فَاللَّهُ يَحْشُرُنَا فِي وَجْهِ زُمْرَتِهِ       | بِحَقِّ مَنْ أَنْزَلَ الْآيَاتِ وَالسُّورَا      |

وَوُجِدَ أَيْضًا مَكْتُوبٌ فِي مَنْظَرَةٍ<sup>(٢)</sup> فِي هَذِهِ الدَّارِ لَوْلَدِ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ  
مُحَمَّدِ هَذِهِ الْآيَاتُ:

(مَنْ البسيط)

أَدْخُلْ إِلَى قُمْرٍ فِي وَسْطِهَا قُمْرٌ      وَسَيِّدٌ أَنْجَبَتْهُ لِلْعُلَا مُضَرٌ [٤٢]  
مُحَمَّدُ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي شَهِدَتْ      بِفَضْلِهِ أَشْهُرُ الْآيَاتِ وَالسُّورُ

(١) علم الدين بن وردسار بن يمامي الكردي الأمير: كان من أعيان أمراء الأكراد ومن المشتهرين بالإحسان الأجواد. [مجمع الآداب في معجم الألقاب (١/ ٥٥٩)]. وفي بعض المصادر اليمنية هو (وردسار) بالسّين المهملة. وأخباره كثيرة في سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة.  
(٢) الْمَنْظَرَةُ: الْمَرْقَبَةُ. وإطلاقها على موضع من البيت يكون مُستَقِلًّا عامِّيًّا؛ النَّاج: (نظر).



إِذَا تَرَبَّعَ فَوْقَ التَّخْتِ قُلْتُ لَهُ: هَذَا الْفَتَى مَلِكٌ، مَاذَا الْفَتَى بَشَرٌ  
بَنَى وَشَيْدَ لِلْعَلْيَاءِ مَنَظَرَةً لِلْوَفْدِ فِي سَوْحِهَا حَجٌّ وَمُعْتَمَرٌ  
قَدْ زُخِرَتْ بِصِنَاعَاتٍ مُلَوَّنَةٍ وَزَادَهَا بِهَجَّةٍ أَيَّامُهُ الْغُرُ  
لَا زَالَ فِيهَا مُقِيمُ الْمُلْكِ فِي نَعَمٍ وَدَامَ فِينَا لَهُ الْإِقْبَالُ وَالْعُمُرُ

ومن ها هنا نرجع إلى ما نحن بصددده؛ ولما استتم لمولانا صاحب  
السَّعادة ما أَراده من فَتْحِ الظَّاهِرِ وَظَفَّارٍ وَمِيلِ وَهَّاسِ بْنِ النَّاصِرِ وَفَتْحِ  
الرَّاهِرِ وَقَبْضِ حِصْنِ الْمَيْقَاعِ طَلَبَ مِنَ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ الْمَعْرِفَةَ بِتَحْقِيقِ  
أَحْوَالِ وَلَدِ عَمِّهِ عَلِيِّ يَحْيَى وَمَا هُوَ عَلَيْهِ الرَّجُوعُ إِلَى طَاعَةِ الدَّوْلَةِ  
السُّلْطَانِيَّةِ وَبِقَاوُهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ إِذَا تَوَجَّهَتْ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ  
السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى مَدِينَةِ صَعْدَةِ أَوْ الْمُخَالَفَةِ لِأَوَامِرِهَا وَنَوَاهِيهَا، وَالْمُحَارَبَةِ  
لِعَسَاكِرِهَا، فَكَّرَ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينَ [٤٣] الْمَرَايِجَةَ وَالْمَرَّاسِلَةَ إِلَى وَلَدِ عَمِّهِ  
عَلِيِّ يَحْيَى بِأَنْ يَجْنَحَ إِلَى طَاعَةِ السُّلْطَانَةِ وَيَتْرَكَ مَا صَارَ يَبْلُغُ عَنْهُ مِنَ  
الْمُخَالَفَةِ وَتَلْقَى الْفِتْنَةَ وَجَلِبْهَا إِلَى نَفْسِهِ وَبِلَادِهِ عَنِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ  
الْحُسَيْنِ، وَبَذَلَ النُّصْحَ جِهَدَهُ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى نَصْحٍ مِّنْ نُّصَحِهِ وَهُوَ فِي تِلْكَ  
الْأَيَّامِ أَلِيمًا مِّنْ وَجَعِ الْكُلَى وَالْمَثَانَةِ.

وفي خلال ذلك أرسل إليَّ السيّدان الأفاضلان الأعلمان الوليّ بن عبد الله<sup>(١)</sup> وعليّ بن أحمد وزير السيّد عليّ يحيى في تلك الأيام والحصار يومئذ على مخروس ظفار أن أصل إليهما إلى مدينة ثُلا وكتبنا إليّ بخبر ذلك فأطلعت الأمير عزّ الدين على كتابهما وما طلبناه مني، واستثدانه في المسير، فأذن لي فسرّت إلى هُنالك فاجتمعت بهما في بيت السيّد الوليّ فقالا: «إن عليّ يحيى صديق لك، وبينكما مودة، ويجب عليك نصحه وعذله<sup>(٢)</sup> عما صار بصدد من المحاربة مع السيّد أحمد وتلقي الشرور والفتن دونه، ونريد أن تراجع وتبذل جهدك في نصحه، فإن مدينة صعدة للسلطنة وإن السيّد أحمد المتعلّب عليها» وغير ذلك مما أبدياه لي، مما يكون به صلاحه.

---

(١) الوليّ بن عبد الله المعروف بالحاجريّ: من أعيان السادة، والعلماء الأكابر، وكانت العيون قد لمحتة بالشرف والرّهد، والعبادة والعلم، والتّخلي عن الدُّنيا وزينتها، وكانت نذوره كثيرة تغد إليه من كل جهة، زوجه الإمام المُطهر بن شرف الدين، ابنته فلا بنت مُطهر، وكانت كلمته مسموعة عند الإمام المُطهر وأولاده من بعده، وقد اضطرّته الحروب مع العثمانيين إلى الهرب نحو مكّة، فتوفي هنالك سنة ١٠٠٤ هـ بعد أن أصابه ألم شديد ابتلي به قرابة تسعة أشهر. [اللائح المضيئة (أخبار الإمام الحسن بن علي)]. وقد كان من المشيدين بعلم الإمام الحسن بن علي ومكانته، إلا أنّه لم يصرّح بإماماته لمكانته عند آل شرف الدين، لا سيما عليّ بن يحيى بن المُطهر. [المستطاب (١٨٣/١)].

(٢) العذل: الملامة الناج: (ع ذ ل).

وبلغ السيد علي يحيى وصولي وأتى في بيت السيد الولي فجاء صبح تلك الليلة التي جئت فيها إلى بيت السيد الولي فلقبته إلى الباب أسلم عليه، فلما بصرتني، نهري وتوعدني [٤٤] وقال: «لو علمت بمجيئك لأمرت من يمنعك من دخولك مدينة ثلاً» فلم أكثرث من ذلك ودخلت معه بيت السيد الولي، وهو كثير ما يأتي إليه لأجل عظم محله لديه ولجلالة رتبته في العلم والفضل، وبين السيد الولي مصاهرة؛ أخت السيد علي يحيى تحت السيد الولي، وبنته تحت ابنه محمد بن الولي ثم إنَّه [٤٥] بعد أن سكن غضبه علي، كررت المراجعة فلم يلتفت إلى ما راجعته به بل أصر على ما هو مضور في نفسه، ثم خرج من عند السيد الولي.

وبت عند السيد الولي تلك الليلة ورجعت إلى مخروس كوكبان، ومع ذلك فإن السيد علي يحيى المعروف من حاله قبل هذه المدة محبته السكون والدعة والبعد عن الحروب والفتن، إلا أن لا يجد عنها بداً، وكانت هذه الأمور منه {لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [سورة الأنفال: ٤٢] {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [سورة

الأحزاب: ٣٨]

وفي شهر رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا انتهت إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَخْبَارَ متواترة بأنَّ الأَمِيرَ لُطْفَ اللَّهِ صَارَ يَكْتُبُ قُبْلَ<sup>(١)</sup> خَوْلَانَ ويحرضهم على الشَّقَاقِ والعَصِيَانِ، وعلى الخروجِ عَنِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ، فكَتَبَ بِأَخْبَارِ ذَلِكَ إِلَى الأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ فعند ذلك كَتَبَ إِلَى الأَمِيرِ لُطْفَ اللَّهِ بخبر ما قد انتهى إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ عَنْهُ وَحَذَرُهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ هَذَا [٤٥] الأَمْرَ إِذَا صَحَّ عَنْهُ يُوْدِي إِلَى حَرْبِهِ وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى بِلَادِهِ، فَأَنْكَرَ مَا قِيلَ عَنْهُ وَتَبَرَّأَ عَنْ ذَلِكَ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بما انتهى لديه من تلك الأخبار التي ذكرنا، وتوعَّده بأنَّه إن لم يَبْقَ عَلَى طَاعَةِ السُّلْطَانَةِ لِيُوجِّهَنَّ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرَ الْمَنْصُورَةَ السُّلْطَانِيَّةَ لِحَرْبِهِ وَاعْتِقَالِهِ فِي حَصْنِهِ، وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى بِلَادِهِ، وَحَذَرَ وَأَعَذَرَ وَأَنْذَرَ، فَخَافَ الأَمِيرَ لُطْفَ اللَّهِ عَلَى بِلَادِهِ وَهِيَ فِي اسْتِقْبَالِ الثَّمَرَةِ<sup>(٢)</sup> فَأَرْسَلَ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ النَّقِيبِ بِلَالِ<sup>(٣)</sup>، وَأَصْحَبِهِ كِتَابًا يُعَرِّفُهُ بِأَنَّهُ لَا يَمِيلُ عَنِ الطَّاعَةِ وَتَبَرَّأَ عَنْ تِلْكَ الْأَخْبَارِ الْمُنْقُولَةِ عَنْهُ، فَلَمَّا قَدَّمَ النَّقِيبُ الْمَذْكُورَ إِلَى حَضْرَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ طَلَبَ مِنَ الأَمِيرِ لُطْفَ اللَّهِ أَنْ يَعَْاهِدَ لِحِجَابِ الدَّوْلَةِ

(١) قبائل.

(٢) يريد: قرب حلول موسم الحصاد.

(٣) وفي الفتوحات المرادية «فبعث من قبله السيّد عبد الله بن محمد الملقب بابن الوزير، والنقيب

بِلَالٍ مِنْ ... النُّغَارِيِّ». [الفتوحات المرادية (٣/ ١٥)].



السُّلْطَانِيَّةَ وَأَن يُمَدَّ جَانِبُهَا الشَّرِيفَ بِعَسْكَرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَاثْمَثَلَ الْأَمِيرَ لُطْفَ اللَّهِ لَمَّا ذَكَرَ.

فَوَجَّهَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ إِلَى الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ لِقَبْضِ الْعَهْدِ مِنْهُ لِلدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْجَنَابِ السَّامِيِّ، حُسَيْنِ جَاوُشٍ<sup>(١)</sup> فَسَارَ إِلَى هُنَالِكَ وَأَخَذَ الْعَهْدَ الْوَثِيقَ مِنْهُ بِأَنَّهُ بَاقٍ عَلَى طَاعَةِ السُّلْطَنَةِ مُحَارِبٌ لِمَنْ حَارَبَهَا، مَوَالٍ لِمَنْ وَالَاهَا، وَخَلَعَ الْأَمِيرَ لُطْفَ اللَّهِ عَلَى حُسَيْنِ جَاوُشٍ بَعْدَ أَنْ عَاهَدَ خِلْعَةَ سَنِيَّةٍ، وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةِ هَنِيئَةٍ، وَكَانَ فِي صُحْبَةِ حُسَيْنِ جَاوُشٍ [٤٦] حَالٍ مُسِيرِهِ إِلَى الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ وَفِي رَجُوعِهِ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ النَّقِيبُ بِلَالٌ، لِقَبْضِ الْعَهْدِ لِمَوْلَاهُ لُطْفِ اللَّهِ وَوَجَّهَ الْأَمِيرَ لُطْفَ اللَّهِ بِجَمَاعَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ تَسِيرَ مَعَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ حَيْثُ سَارَتْ.

(١) جَاوِشُ Çavuş: نوع من الموظفين، كانوا يستخدمون في مختلف الوظائف، وجاوش في الأصل بمعنى الحاجب، وهو صاحب البريد والدليل في الحروب، وجامع الأخبار، وهو رأس العشرة، وتعني العريف في المصطلح الحديث. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (٨٠)]



ولَمَّا وَصَلَ النَّقِيبُ بِلَالٍ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَقَبَضَ الْعَهْدَ مِنْهُ وَعَادَ النَّقِيبُ بِلَالٍ إِلَى الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِخُلْعَةٍ سَنِيَّةٍ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً جَزِيلَةً.

ولَمَّا تَحَقَّقَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنْ عَدَمِ التِّقَاتِ عَلَيَّ يَحْيَى إِلَى طَاعَةِ السُّلْطَنَةِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى مَعَانَدَةِ أَمْرِهَا وَمُحَارَبَةِ عَسَاكِرِهَا وَأَنَّهُ لَا يَتَأْتِي لَهُ فَتْحُ مَدِينَةِ صَعْدَةَ إِلَّا بَعْدَ حَرْبِهِ وَأَخْذِ بِلَادِهِ وَقِلَاعِهِ، أَوْ صَلَاحِهِ، فَأَمَرَ الْأَمِيرُ سِنَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ بَعْدَ قَبْضِ ظَفَارٍ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى جَبَلِ عِيَالٍ يَزِيدٍ مِنْ بِلَادِ السَّيِّدِ عَلَيَّ يَحْيَى وَكَانَ بِهِ يَوْمَئِذٍ طَوَائِفُ جَمَّةٍ مِنْ عَسَاكِرِ عَلَيَّ يَحْيَى وَأَتْبَاعِهِ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُمْ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةُ، وَلَوْ الْأَدْبَارُ مُنْهَزِمِينَ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ إِلَى بِلَادِ الْأَشْمُورِ<sup>(١)</sup> مِنْ مَخَالِفِ حَصْنِ مُدَعٍ<sup>(٢)</sup>، فَاسْتَوْلَتْ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى جَبَلِ عِيَالٍ يَزِيدٍ وَمَا إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ [٤٧] وَذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ الْحِجَّةِ الْحَرَامِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ أَوَّلًا، وَدَخَلَ أَهْلُ جِبَالِ عِيَالٍ يَزِيدٍ كَافَةً

(١) الْأَشْمُورُ: جَبَلٌ غَرْبِيٌّ مَدِينَةُ عَمْرَانَ، بِمَسَافَةِ ٢٢ كِيلَا، يَتَّصِلُ مِنَ الْجَنُوبِ بِجَبَلِ حَضُورِ الشَّيْخِ، وَمِنْهُ تَمَرُ الطَّرِيقِ النَّاهِيَةِ إِلَى كُحْلَانَ عَقَّارٍ. [البلدان والقبائل (١/٧٣)].

(٢) مُدَعٌ: مِنْ حَصُونِ حَمِيرٍ بِالْيَمَنِ. [معجم البلدان (٥/٧٧)]. وَهُوَ حَصْنٌ وَقْرِيَّةٌ فِي جَبَلِ الْمَصَانِعِ، بِالْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ مَدِينَةِ ثَلَا، وَهُوَ حَصْنٌ مَنِيعٌ، وَلَهُ شُهْرَةٌ لِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ حَوَادِثَ تَارِيخِيَّةٍ. [البلدان والقبائل (٢/١٤٦٤)].

فِي الطَّاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَلَمْ يَغَيِّرْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَالَ وَلَا نَالَ حَرِيمَهُمْ  
وَأَوْلَادَهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ ضَرْراً، وَكَسَى الْأَمِيرَ بِنَانٍ مَشَايِخَهُمْ وَأَكَابِرَهُمْ.

## عمارة قلعة عمران:

وفي خلال ذلك وقعت المراجعة من الأمير عز الدين لمولانا صاحب السعادة في شأن ابن عمه علي يحيى لعله يرجع عما هو عليه وما يقع بسبب معاندته من هلاك الرعايا وخراب القرى وسفك الدماء، ورجا الأمير عز الدين أن يرجع ابن عمه إلى معقوله، ويستمع رأي نصحه ويتنبه من غفلته رعاية لحق الرحم والقربة.

ورجع لمولانا صاحب السعادة عمارة عمران البون ليكون من يسكنها من العساكر السلطانية وأتباعها في نحر علي يحيى وضراً على ثلا، وقد كان أخربها حي السيد مطهر بن الإمام شرف الدين خراباً محكماً إلى حد بيوتها في سنة سبع وسبعين وتسعمائة في تلك السنة التي خرج فيها الوزير سنان وحاصر فيها مخروس كوكبان.

فأمر مولانا صاحب السعادة إلى الأمير سنان أن يسير بمن معه إلى عمران ويخيم بها، ولما صار الأمير سنان بها أمر مولانا صاحب السعادة بعمارة عمران، وأمر كثيراً من أهلها بالرجوع إليها والسكون بها وسار إليها وطافها واجتمع بالأمير [٤٨] سنان والعساكر السلطانية هنالك، وأمر حينئذ بعمارة سورها وعاد إلى مدينة صنعاء المخروسة وبعث

بالصُّنَّاعِ وَالْعَمَلَةِ<sup>(١)</sup> مِنْ نَوَاحِي الْيَمَنِ إِلَى عَمْرَانَ لِعِمَارَةِ سُورِهَا وَقَصْرِ  
الإِمَارَةِ فِيهَا، فَعَمَرَ دَائِرَهَا فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَهَذَا شَيْءٌ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ؛ بَأَنَّ  
دَائِرَ مَدِينَةِ يُعَمَّرُ وَيَتَمَّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ الْقَلِيلَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَمِيرَ سِنَانًا<sup>(٢)</sup>  
كَانَ يَحْضُرُ كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْعِمَّارِ وَالصُّنَّاعِ وَالْعَمَلَةِ، فَيَحْمِلُ الْحِجَارَةَ  
بِنَفْسِهِ مِنْ جَمَلَتِهِمْ، فَحِينَ تَرَاهُ عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ، كُلُّ مِنْهُمْ يَبَادِرُ بِحَمْلِ  
حِجَارَةٍ أَوْ طِينٍ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَصَلَ سُرْعَةُ نَجَاحِ<sup>(٣)</sup> دَائِرِهَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ  
لِكَثْرَةِ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَالصُّنَّاعِ وَالْعَمَلَةِ.

وَكَانَتْ تِلْكَ السَّنَةُ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْيَمَنِ سَنَةً خِصْبٍ وَرَخِصٍ فِي الْأَسْعَارِ  
وَصَلَاحٍ فِي الثَّمَارِ وَتَنَابُعِ الْأَمْطَارِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عَدَنَ.

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيِّ رَجُوعَ الْعَسَاكِرِ  
السُّلْطَانِيَّةِ مِنَ الظَّاهِرِ وَجَبَلَ عِيَالِ يَزِيدَ إِلَى الْبَوْنِ وَالْبَقَاءِ فِي عَمْرَانَ  
وَالْعِمَارَةِ لَهَا، وَجَّهَ وَلَدَهُ مُحَمَّدٌ وَهُوَ أَنْجَبُ أَوْلَادِهِ وَأَعْظَمُهُمْ بَسَالَةً فِي  
عَسْكَرٍ عَظِيمٍ إِلَى مَدِينَةِ ثَلَاثَةِ نَجْدَةٍ لِلْسَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى لِأَنَّهُ حَلِيفُهُ، وَقَدْ تَلَقَّى  
الْحُرُوبَ دُونَهُ وَيُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْحُرُوبُ عَنْهُ بَعِيدَةً وَيَكُونَ هُوَ وَبِلَادُهُ عَنْهَا  
بِمَعْزُولٍ وَالْقُدْرَةُ الْإِلَهِيَّةُ حَاجِبَةٌ عَنْهُ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ [٤٩] فِي عَقَبَى الْأُمُورِ

(١) الْعَمَلَةُ: الْعَامِلُونَ بِأَيْدِيهِمْ ضُرُوبًا مِنَ الْعَمَلِ فِي طِينٍ أَوْ حَقْرِ أَوْ غَيْرِهِ؛ النَّجَاحُ: (ع م ل).

(٢) «سنان»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٣) نَجَاحٌ: إِكْمَالٌ، إِتْمَامٌ؛ عَامِيَّةٌ.

وجاءت طريق محمد بن السيد أحمد بلاد عذر<sup>(١)</sup> وخرج منها إلى بلاد شطب حتى وصل إلى بلاد مدع، واجتمع بالسيد علي يحيى فرأى وقوفه بعسكره في بلاد الأشمور وبني الوضاح.

وقد كان السيد علي يحيى بعد هزيمة عساكره من جبل عيال يزيد وجه وزيره السيد علي بن أحمد إلى قرية مدع في عسكر لحفظ تلك الجهات. وفي أيام وقوف العساكر السلطانية بعمران في أيام عمارتها اعتمر ما قد كان خرب من قرى البون ورجع أهلها إليها بعد أن كان بعد مدة سكون أهلها بها لأن هذه القرى خلا<sup>(٢)</sup> أهلها عنها في أيام الحروب بين عساكر الدولة الخاقانية وبين حي السيد مطهر بن الإمام شرف الدين وعمر حصن نجر<sup>(٣)</sup> ورتب به جماعة من عساكر السلطنة السعيدة.

ولما رجع أهل هذه القرى من البون إلى بلادهم واتصلوا بأموالهم بعد الإياس منها قرر لهم مولانا صاحب السعادة جبرية<sup>(٤)</sup> من الأموال

(١) عذر: وتطلق اليوم (عذر) بكسر العين المهملة، وهي بلاد واسعة تقع في الجانب الشمالي من مدينة عمران، ومركزها مدينة (الفلة)، وعذر هذه قبائل حاشد العزيرة. [البلدان والقبائل (١٠٣٣/٢)].

(٢) «خلت»: هكنا في الأصل.

(٣) نجر: جبل في بني حجاج من مديرية (عيال سريج) جنوب مدينة عمران، ذكره الهمداني في بعض مؤلفاته التي وصلتنا. [البلدان والقبائل (١٧٢٢/٢)]. [صفة جزيرة العرب (١٠٧)].

(٤) جبرث فلانا فاجبر: نعشته فانتعش، واستجبرته: بالغت في تعهده؛ التاج: (ج ب ر).



السُّلْطَانِيَّةَ حَتَّى يَنَالُوا خَيْرَ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ كَانَ لِلْأَكْثَرِ مِنْهُمْ مِنْهَا نَحْوُ تِسْعَةِ  
وِثْلَاثِينَ سَنَةً، وَصَارُوا يَدْعُونَ [نَ] لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ نَصْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِحِفْظِهِ  
وَتَأْيِيدِ مُلْكِهِ وَيَشْكُرُونَ <sup>(١)</sup> لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَيُثْنُونَ عَلَى تَفَضُّلاتِهِ  
بِإِرْجَائِهِمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ.

وَفِي خِلَالِ تِلْكَ الْأَيَّامِ [٥٠] وَقَعَ بَيْنَ عَسَاكِرِ السُّلْطَانَةِ وَبَيْنَ عَسَاكِرِ عَلِيِّ  
يُحْيَى حُرُوبٍ عَظِيمَةٍ وَمَلَّاحِمٍ <sup>(٢)</sup> جَسِيمَةٍ، وَكَانَتْ مَعَ السَّيِّدِ عَلِيِّ يُحْيَى  
يَوْمُئِذٍ أَجْنَادٌ وَاسِعَةٌ وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ وَيُزْعَمُ أَنَّهُ لَا يَقُومُ أَحَدٌ  
لِحَرْبِهِ لِكثَرَةِ عَسَاكِرِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَمَقَامِهِ مَقَامَ وَالِدِهِ فِي تَخْتِهِ وَالنَّصْرِ مِنْ عِنْدِ  
اللَّهِ وَالتَّأْيِيدِ مِنْهُ، فَمِنْ تِلْكَ الْحُرُوبِ وَالْمَلَّاحِمِ مَلْحَمَةٌ فِي وَادِي تَعُودٍ <sup>(٣)</sup>  
بِالْقُرْبِ مِنْ نَجْرٍ قُتِلَ فِيهِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ شُعُورِ الْأَمِيرِ  
سِنَانَ وَلَا أَمْرٍ بِحَرْبِ يَوْمُئِذٍ.

وَمِنْهَا وَقَعَةٌ فِي الْعَنْتَرِيِّ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ ثُلَا، انْتَصَرَتْ فِيهَا عَسَاكِرُ  
السُّلْطَانِ وَكَادَتْ أَنْ تَسْتَوْلِيَ عَلَى جَبَلِ الْعَنْتَرِيِّ جَمِيعِهِ، وَثَبَّتَ الْأَمِيرُ سِنَانَ

(١) «وَيَشْكُرُوا»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٢) «مَلَّاحِي»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٣) تَعُودُ: مِنْ قُرَى قَاعِ الْبُؤُنِ، إِلَى الشَّامِ مِنْ صَنْعَاءَ ذَكَرَهَا الرَّازِيُّ فِي كِتَابِهِ (تَارِيخُ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ)  
وَقَالَ: «سُمِّيَتْ بِتَعُودٍ لِأَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ عَادُوا مِنْهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى عِنْدَ اجْتِمَاعِهِمْ بِهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
لِغَزْوِ صَنْعَاءَ» [الْبُلْدَانُ وَالْقَبَائِلُ (١/ ٢٣٤)].

عساكر السلطان في الأماكن التي وقع الحرب فيها وهي أماكن وعرة المسالك وانهزم أكثر عسكر علي يحيى لولا إنه ثبت ذلك اليوم وتولى الحرب بنفسه وهو معتل من مرضه ومعه أخوه إبراهيم وولد أخيه محمد الهادي، وافترق الفريقان ورجعت عساكر السلطان إلى عمران.

ومنها ملحمة أخرى وهي من أعظم الملاحم وأشهرها فيما وقع تلك المدة من الحروب هنالك وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسعين وتسعمائة في بلاد أرهق من مخاليف ثلا، قتل فيها جماعة من عساكر السلطان ومن أصحاب علي يحيى جماعة يسيرة وممن حضر الواقعة الوزير السيد علي بن أحمد ومحمد بن السيد أحمد [٥١] بن الحسين ممن عندهما من العساكر ومن لف لفهما من قبائل تلك الجهات فثبت الأمير سنان غاية الثبات ولم تزل الحرب قائمة على ساق حتى جاء الله سبحانه تعالى بالمطر الغزير الذي لم ير مثله، فافترق الفريقان وكل منهم عاد إلى مكانه ولم يهل مؤلانا صاحب السعادة مع ما وقع في تلك الأيام من الحروب وانضراب بعض البلاد السلطانية في بلاد ولايته، بل ثبت غاية الثبات وقام بأمر الحروب أشد القيام وبذل الأموال وأعطى الرجال، وقام بما تحتاجه العساكر، وأنفق الإنفاقات العظيمة التي لا يقدر ينفقها غيره، وتفضل على كل من وصل من أعيان العرب وأنسهم لديه، وصبر وحلم، وتطول وامتن وأنعم.

وفي أيام هذه الحروب لم يسمع كلام أحد في أحد إذا كان فيه الإغراء، وإن سعى بأحد أنه يريد خلافاً<sup>(١)</sup> أو موالاةً عدوٍ تأتئ وصبر حتى يتحقق الأمور.

ومما قاله -أيده الله- وقد عرض كلام بحضرته في نحو هذا المعنى في أيام هذه الحروب وتشتتها عليه في أماكن كثيرة سنذكرها في مواضعها من هذا التاريخ إن شاء الله تعالى -: «لو نصغي الأسماع<sup>(٢)</sup> لما يقوله الناس في بعضهم بعضاً<sup>(٣)</sup> تعبنا وأتعبنا» وناهيك بكلامه هذا في حلمه وفضله وصبره.

ومن حسن ذكائه وبرهان المعية وراجح عقله ووافر كماله وفضل أنظاره وحسن [٥٢] سياسته أنه عرف سياسة العرب وأحوالهم من أول اتصالهم بجنابه وما يكون به تقريبهم وصلاح أمورهم ونظام حالهم وما يرغبهم إليه وتكثر به محبتهم لجانب الدولة الخاقانية وله، كأنه نشأ بينهم ولم تميل العرب إلى أحد من ملوك عربها ولا إلى غيرهم من باشوات الدولة السعيدة الخاقانية مثل ميلها إليه، ولا اجتمعت لأحد مثل اجتماعهم عليه حتى ظهر واستولى على من ناوأه وحاربه.

(١) «خلاف»: هكنا في الأصل.

(٢) «لو نصغي إلي الأسماع»: هكنا في الأصل.

(٣) «بعض»: هكنا في الأصل.

ومن عظم سعادته الظاهرة ويؤمن أحواله الشهيرة الحميدة الباهرة ما هيأه الله له، وفتح به عليه ويسره لديه، من أول وقت قدومه اليمن موالاة الأمير عز الدين لجنابه وقيامه معه في حروبه بقلبه وقالبه، ولم يزل الأمير عز الدين على موالاته في طاعة السلطنة إلى أن مات رحمه الله تعالى.

وفي أيام هذه الحروب والسبل والطرق آمنه وذلك من سعادته وطيب سيرته وصالح طويته.

والمعهود في جميع بلاد اليمن في أيام الفتن والحروب فيه تغير الطرق ومخاوف السبلات، والقتل للمار بها من اللصوص والتعسر في المضي فيها في أغلب الحالات.

وإذ قد ذكرنا في هذا الموضع بعض مناقب مولانا صاحب السعادة ومكارمه وكرمه فلينبغي أن نورد هنا [٥٣] لمعا يسرة من محاسن وصفه ومكارمه، وينابع جوده وفائض كرمه، واشتهار فواضله وفضائله التي عم وغمر إقليم اليمن ذكرها، وسارت الركبان بانتشار محامدها وشكرها، وتهادت الخلال جميل وصفها، وتناقلت في الأقطار محمود أثرها وخبرها فما أجدره وأحقه بقول القائل:

(من الكامل)

|                                          |                                                |
|------------------------------------------|------------------------------------------------|
| تُجَبَّى إِلَيْهِ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ | بَثَّ الصَّنَائِعَ فِي الْبِلَادِ فَأَصْبَحَتْ |
| سُوقُ الشَّنَاءِ يُعَدُّ فِي الْآفَاقِ   | وَأَقَامَ سُوقًا لِلشَّنَاءِ وَلَمْ يَكُنْ     |



وَصَارَتْ أَيَّامُ وَلَايَتِهِ لِلْأَقْطَارِ الْيَمَنِيَّةِ بِمَا اخْتَصَّهَ اللَّهُ بِهِ مِنْ خِلَالِ الْمَحَامِدِ  
وَالْفَضَائِلِ بَغُرَرِ الْمَحَاسِنِ مَوْسُومَةً، وَبِأَقْلَامِ سَطُورِ الْحَمْدِ وَالْفَخْرِ  
مَرْقُومَةً، فَلَا زَالَ لِأَسْرَارِ الْمَحَاسِنِ مُبْدِيًا، وَلِفُرُوضِ الْمَكَارِمِ مُؤَدِّيًا.  
وَحَضْرَتُهُ مِنْهَا لِلْوَارِدِينَ، وَمَقْصَدًا لِلطَّالِبِينَ، وَأَيَادِيهِ وَائِكْفُهُ وَكُوفُ  
الْغَمَامِ، عَلَى كُلِّ خَاصٍّ لَدَيْهِ وَعَامٍ، وَهُوَ بِسَعْدِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ  
مَاضِي الْحَلِّ شَدِيدِ الْإِبْرَامِ، فَلَعَمْرِي إِنَّ حَضْرَتَهُ بِكَثْرَةِ قَاصِدِيهَا جَدِيرَةٌ بِمَا  
قِيلَ فِي مَدْحِ حَضْرَةِ بَعْضِ الْكِرْمَاءِ [٥٤]

(مَنْ الْكَامِلِ)

تَرِدُ الْعُفَاةَ شَرَائِعًا مِنْ جُودِهَا نَسَحَتْ بِهِنَ شَرَائِعَ الْأَعْدَامِ  
وَقَدْ كَانَ إِسْمُ الْكَرَمِ فِي أَقْطَارِ الْيَمَنِ فِي الزَّمَنِ مُسْتَعَارًا وَرَبْعَ السَّمَاحَةِ  
وَالْفَضَائِلِ فِدْفَدًا<sup>(١)</sup> وَقِفَارًا، حَتَّى مَنَحَ اللَّهُ بِلَادَ الْيَمَنِ وَأَهْلَهُ بِإِنْعَامِ مَوْلَانَا  
سُلْطَانِ الْبَرِيَّةِ خَلَدَ اللَّهُ مَلِكُهُ بِوَلَايَتِهِ عَلَيْهِ، فَأَظْهَرَ مِنْ شَرْعِهِ مَا كَانَ خَفِيًّا،  
وَجَدَّدَ مِنْ رِسُومِهِ وَأَوْجَبَ مِنْ فُرُضِهِ مَا كَانَ مُنْفِيًّا. وَفِي الْمَعْنَى، بَيْتٌ.

(مَنْ الْكَامِلِ)

مَا لَانَ مِنْ شَرَفِ السَّجِيَّةِ نَفْسُهُ يَحْوِي الْفَضَائِلَ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا

(١) الْفِدْفَدُ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ فِيهِ صَلَاةٌ؛ النَّاجِ: (فدد).



ولقد بنى من المناقب في أرض اليمن، وأولى أهله من التفضلات  
والمنن، ما يبقى ذكره على صفحات الدهور، واختلاف السنين  
والعصور، ويخلد إلى يوم البعث والنشور، لأنه لا يمر له يوم أو ليلة أو  
يمضي وقت من الأوقات حتى يبني فيه مكرمة، أو يؤثّل مجدداً أو منقبة،  
أو يكرم وافداً، أو يُنيل مُسترفداً، أو يعفو عن مذنب ولا يمنن بما أسداه  
وأعطاه في اليوم الأول على مُستمنحيه في اليوم الآخر، وهو في مكارمه  
وكرمه كما قال الشاعر:

يُعْطِي عَطَايَاهُ لِسُؤَالِهِ      مِنْ غَيْرِ تَوْقِيعٍ وَلَا كَاتِبٍ

وفي بعض ما سأورده من محامده ومكارمه فيه [٥٥] أدل الدلائل بما  
حواه من الفضائل، والمناقب ما لم يبلغه كثير من الكرماء وفضلاء  
الأوائل، منها؛ أنه إذا خرج في موكبه أو سار في طريقه ورأى أحداً من أهل  
الفلاحة من البادية يحرق أو يعمل عملاً وعليه حالة رثة، وجسمه عار أو  
عليه شملة<sup>(١)</sup>، رقى له ورجمه، أدخل يده الكريمة في جيبه وجباه<sup>(٢)</sup>  
بعطية،

(من الطويل)

يَدْ أَلَفَتْ بَذَلِ الْأَيْدِي وَفَتَحَتْ      لَنَا كُلَّ بَابٍ فِي الْمَكَارِمِ مُقْفَلِ  
إِذَا هِيَ جَادَتْ أَوْ مَضَ الْبِشْرُ قَبْلَهَا      كَأَيْمَاضٍ بَرَقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ  
تَخَفْتُ إِلَى بَذَلِ الْأَيْدِي بِنَانِهَا      وَتَحْمِلُ مِنْ ثَقْلِ النَّدَى كُلَّ مُثْقَلِ  
وَمِنْ مَكَارِمِهِ مَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَهُوَ - أَيْدُهُ اللَّهُ - سَائِرًا فِي  
طَرِيقِهِ كَمَا هِيَ عَادَةُ أَهْلِ الْبَوَادِي فِي بِلَادِ الْيَمَنِ إِذَا سَارَ الْبَاشَا أَوْ الْأَمِيرُ أَوْ  
أَحَدٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ مَلُوكِهِمْ وَرؤسائِهِمْ بِالْقُرْبِ مِنَ الْقُرَى خَرَجُوا يَتَلَقُّونَهُ

(١) الشَّمْلَةُ عِنْدَ الْعَرَبِ: مِزْرٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرٍ، يُؤْتَرُ بِهِ، فَإِذَا لَفَّقَ لِفَقَيْنِ فَبُهِتَ شِمْلَةً، يَسْتَوِلُ بِهَا  
الرَّجُلُ إِذَا نَامَ بِاللَّيْلِ، النَّجَاجُ: (ش م ل).  
(٢) جَبَاهُ تَجْبِيَةً: إِذَا أَعْطَاهُ النَّجَاجُ: (ج ب و).  
(٣) «أَحَدًا»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

بالعقائر<sup>(١)</sup> البقر فيعقرونها قدام<sup>(٢)</sup> السائر ممّن ذكرنا عندهم ولا ينالون منهم شيئاً ولا يُعطوا على ذلك درهماً بل يأخذ العقيرة ناسٌ يعتادون أخذها كسائس الخيل<sup>(٣)</sup> التي للملك أو الرئيس والمهاتير<sup>(٤)</sup> [٥٦] ونحوهم ومولانا صاحب السعادة من فعل ذلك استملح منه وأمر له بعطيّة ما يقوم بثمن العقيرة مرتين أو أكثر، وله جبيان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره يعطي منهما بغير عدد حتى لا يبقى فيهما شيئاً فيعروض ما أنفق إلى جيبه، هذا دأبه على مرّ الأيام.

ومن أهدى إليه هديّة أو أضافه بضيافة وصله بعطاياه السنّية، وأنعم عليه بإنعاماته الجزيلة الهنيّة، وذلك من شرف نفسه وعظيم مروءته. ومن فضائله العلّية [أنّه] لا يطمع فيما بأيدي الناس الرعايا والتجار وسائر الكبراء من [ذوي] الترف<sup>(٥)</sup> والغنى، إلا الأموال السلطانيّة التي

(١) كانت العرب إذا أرادوا نحر البعير عقّروه، أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نَحَرُوهُ، يُفَعَّلُ ذَلِكَ بِهِ كَيْلًا يَشْرُدُ عِنْدَ النَّحْرِ، التاج: (ع ق ر).

(٢) يريد: أمام السائر.

(٣) السائس: من يقوم على الدواب ويروضها؛ التاج: (س و س).

(٤) المهاتير: طائفة من الناس يتنقلون بين القبائل، يرقصون مع نسائهم في المناسبات، ولعله أراد بهم بقايا التّجّاحيين في اليمن. [مطلع البدور (٤/٤١٩)]. والمفردة عاميّة مستخدمة للإشارة لأولئك الذين يوصفون بأنهم من أدنى الطبقات الاجتماعية.

(٥) «الترف»: هكلنا في الأصل.

على أربابها، ولقد عمّت كثيراً من العرب أياديه وإحسانه، وغمرهم بتفضلاته وامتنانه، وأعطى شعرائهم، وأحسن إلى كبرائهم، وأنعم على علمائهم، مع تعظيم مراتبهم ورفع منازلهم، والعفو عن مُسيئهم، ويُثيبُ على الشعر ويُجيز عليه، ويُفرّح بالمدح وتهنئ له أعطافه ومروءته، وصنائعه لا تُحصى لكثرتها ولا يمكن تعدادها.

وممن قدّم عليه ووفد إليه من كبراء أشراف الجوف إلى مدينة صنعاء ونالته مكارمه، وعمته تفضلاته، وشملته<sup>(١)</sup> امتنانه وتطولاته، الأمير الشريف مطهر بن محمد الشريع الحمزي الحسني في جماعة من إخوته وأقاربه فأمر له بالعطايا الكثيرة [٥٧] والصلوات الجزيلة، وخلع عليه من الخلع الأقيّة النفيسة، ما يجل قدرها، وغير ذلك من الكساء من ملبسه الشريفة، وأعطاه خيلاً محلّية عليها سروج محلّية، وأعطاه أيضاً خياماً وفُرُشا ودنانير كثيرة، وأمر أيضاً بعطايا جمّة لمن وصل صحبته من إخوته وأقاربه، وقرر له جوامك سلطانية، وأنعم عليه بسنّجق سلطاني، وهو أول سنّجق أنعم به مؤلّنا صاحب السعادة في أيام ولايته اليمن وعرض له به إلى الأبواب الشريفة السلطانية، وقرّر له جوامك سنّجقه وولاه بلاد ظاهر همدان.

(١) «وشملته»: هكذا في الأصل.

وَحِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالسَّنَجَقِ الشَّرِيفِ تَحْمَلُ عَنْهُ جَمِيعَ مَا يُصْرَفُ بِسَبَبِ  
السَّنَجَقِ مِنْ كِسَاءٍ وَخِلْعٍ وَدِرَاهِمٍ وَسَّمَاطٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَعَظُمَ بِذَلِكَ حَالُهُ  
وَكَثُرَتْ بِهِ ثَرَوَاتُهُ، وَصَلَ إِلَيْهِ فَقِيرٌ أَفْصَارٌ غَنِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ مُثْرِيًّا.



الجزء الرابع



## [الجزء الرابع]

وكان الأمير مُطَهَّر بعد وفاة صَنُوه الأمير علي بن محمد الشَّويع<sup>(١)</sup> صاحب الملاحم المشهورة، والمكارم المذكورة، في جناب السيّد علي يحيى وخدمته، ثم صار [مع] الإمام الحسن صاحب الأهنوم، ثم رجع إلى جناب السيّد علي يحيى وخدمته بعد مباينته للإمام، وتقرّر بينه وبين علي يحيى قواعد وموضوعات على نظر الأمير عزّ الدين وضمانته، ثم وقع من الأمير مُطَهَّر ضعفٌ عن التحمّل بما تقرّر بتلك القواعد [٥٨] فلم يتم له علي يحيى بها فوقعت بينهما مواخشة ورفع عنه إلى علي يحيى ما غير قلبه عليه، وخرّج صدره، وأمورٌ يطول شرحها وليس هذا موضع ذكرها.

وقد كان وقد إلى مقام مؤلّاناً صاحب السعادة ولد الأمير مُطَهَّر بن محمد الشَّويع، المسمّى علياً إلى مدينة تعز ومعه جماعة من أقاربه، وجّهه يومئذ الأمير عزّ الدين محمد بن شمس الدين وشفع له أن يقرّره مؤلّاناً صاحب السعادة في خدمة السلطنة السعيدة، وأن ينظر إليه بعين برّه وبفضله فقبل الشفاعة فيه وأنعم عليه بخلع سنيّة وأعطاه عطايا وافرة من

---

(١) من أعوان الإمام المُطَهَّر بن شرف الدين.

الخيل والكساء والدراهم والخيام وأنعم أيضاً على جميع من وصل  
صحبه بكساء ودراهم وقرّر له ولهم جوامك سلطانية ما يستحقونها.

ولما رأى مولانا صاحب السعادة من الأمير عز الدين قيامه معه في  
الخدم السلطانية بجده وجهده، والإعانة منه حيث توجهت العساكر  
السلطانية لحرب أو حصار أو جهة يعسر فتحها واستصعب أمرها بماله  
ورجاله، استمن واستملح له وشكر له على ذلك، وأناله من مكارمه  
وإحسانه وهداياه وصلاته ما اشتهر ذكره وعمّ خبره بين الأنام وعند  
خاص وعام؛ أمر له بخمسمائة دينار من الذهب، ووجه له بخيل سنية  
مراراً متكررة، ووجه أخرى بمفارش رومية [٥٩] عليها بدائع الصور  
العجيبة والنقوشات البديعة من الأسود وأنواع الطيور والظباء وغير ذلك،  
ولم يزل يتعهده بالهدايا والتحف في أوقات متعدّدة.

وأنعم على ولد الأمير عز الدين السيد الأمير شمس الدين أحمد بن  
محمد<sup>(١)</sup> بسنجد شريف سلطاني، وعرض له به إلى الأبواب السلطانية  
والعتبات الخاقانية، وقرّر له جوامك سلطانية بسنجدقه، وكذلك قرّر  
جوامك الجماعة من خواص الأمير عز الدين وأعيان أصحابه، منهم

(١) شمس الدين أحمد: أمير كوكبان، جنح لمصالحه الدولة العثمانية وكان من أكبر أعوانهم على  
محاربة الإمام القاسم بن محمد، وله مواقف مشهورة في معارضته له. توفي بكوكبان في ١١ شوال  
سنة ١٠١٣ هـ. [هجر العلم (٤/ ١٨٧٢)].

النقيب مبارك شُعْبَان والسيد علي بن الحسن وزير الأمير عز الدين وكاتب رسائله.

ورجّة مولانا صاحب السعادة بالسنجق الشريف إلى مولانا الأمير عز الدين إلى مخروس كوكبان صُحْبَة الآغا<sup>(١)</sup> مُصْطَفَى وخِلْعَة للأمير عز الدين وخِلْعَة لولده الأمير شمس الدين وأمر أيده الله تعالى الأمراء والأعيان<sup>(٢)</sup> الكبراء ومن في مخروسة صنعاء بتشجيع هذا السنجق إعظاماً لحقه وقدم به الآغا مُصْطَفَى إلى مخروس كوكبان نهار الجمعة مستهلّ محرم سنة تسعين وتسعمائة، وأمر الأمير عز الدين ولده وجميع عسكره

(١) آغا Ağa: مصطلح من أصل فارسي، ويعني السيد، وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة، منها أنها كانت تطلق على الضباط الأميين مثل الإنكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراءة والكتابة، ومنها أيضاً صاحب المنصب الكبير، وكان هذا اللقب مهماً للغاية في عهود القوة والنُفوذ. وفي الفترة الأخيرة من العهد العثماني أصبح يطلق على الإنسان الكريم صاحب المكانة العالية وصاحب الفضيلة، كما كان يدلّ في الوقت ذاته على التَّكَبُّر والتَّفاخر. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (١٥)]

(٢) الأعيان Ayan: أشراف البلد، وهو الاسم الذي أطلق أيضاً على الوسطاء الذين يقومون بتنظيم العلاقات بين الدولة والمجتمع العثماني في المدن والقرى، ويشمل بشكل عام القاضي والمفتي والمدرس والسيد وشيخ الطريقة وكبار رجال الجيش وكبار التجار وأعيان البلد. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (٣٣)]

بَنَقْل السَّنَجَق إِلَى سَوَادِ شِبَام<sup>(١)</sup> بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ  
وَالْمَسَارِ.

وَمِمَّا أَمَرَ بِهِ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ لِلْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ بِحَصَانِ نَجِيبِ  
مُحَلِّي عَلَيْهِ سَرِجٌ مُحَلِّي وَسَيْفٌ مُحَلِّي [٦٠] وَخِلْعَةٌ سَنِيَّةٌ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا وَجَّهَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ هَدِيَّةً لِمَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ حِصَانَيْنِ نَجِيبَيْنِ عَرَبِيَّيْنِ مُحَلِّيَّيْنِ، مِنْ مَخْتَارِ مَرَاكِبِهِ وَعَلَيْهِمَا  
دِرْعَانِ لَيْسَ لَهُمَا نَظِيرٌ فِي الْيَمَنِ، وَخَوْذَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَسَيْفَانِ مُحَلِّيَّانِ،  
وَسَرِجٌ أَحَدُهُمَا مُحَلِّيٌّ، وَلُجْمُهُمَا مُحَلِّيَّةٌ.

وَلَمَّا وَصَلَ مَا ذَكَرْنَا إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ دَامَ إِقْبَالُهُ  
أَحْسَنَ تَلْقِيهَا وَأَثْنَى عَلَى مُهْدِيهَا وَأَنْعَمَ عَلَى الْوَاصِلِينَ بِهَا بِإِنْعَاقَاتِ سَنِيَّةٍ  
مِنَ الْخَلْعِ الْأَقْبِيَّةِ الْعَالِ<sup>(٢)</sup>، وَصَلَاتِ جَسِيمَةٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ، وَلَمْ يَكُنْ الْأَمِيرُ  
عِزُّ الدِّينِ يَهَادِي أَحَدًا فِيمَا مَضَى مِنْ بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ غَيْرَ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعَادَةِ.

(١) شِبَام: بَلَدَةٌ عَامِرَةٌ فِي الْغَرْبِ الشَّمَالِيِّ مِنْ صَنْعَاءَ عَلَى بَعْدِ نَحْوِ ٤٠ كِيلُو مِتْرًا، كَانَتْ تُدْعَى  
(شِبَامِ أَقْيَان) وَ (شِبَامِ جَمْفِير) وَالْيَوْمَ غَلَبَ عَلَيْهَا اسْمُ (شِبَامِ كَوُكْبَان) لَوُقُوعِهَا فِي السَّفْحِ الشَّرْقِيِّ  
لِجَبَلِ دُخَارِ الَّذِي يَقَعُ فِي ذُرُوتِهِ حَصْنُ كَوُكْبَانِ. [هِجَرُ الْعِلْمِ وَمَعَاقِلُهُ (٢/ ١٠٠٥)].

(٢) الْعَالُ: النَّفِيسُ؛ عَامِيَّةٌ.



قُلْتُ: ولم يكن أحد من باشوات الدولة الخاقانية بل ولا من ملوك العجم فيما سبق من الزمان يتمهد له إقليم اليمن جباله وسهوله ويفتح معاقله وحصونه وتجري على يديه الفتوحات العظيمة للدولة السعيدة الخاقانية، ويملك ملوك اليمن ويُنزلهم من حصونهم الشامخة القنن<sup>(١)</sup> وتسير تحت أعلامه وتقبل إليه العرب بأسرها وتحبه المحبة الأكيدة الصادقة وتأنس به مثله.

ولم يكن بعد ورود هذه الهدية إلا أيام يسيرة حتى وجّه مولانا صاحب السعادة أيده الله تعالى للأمير عز الدين بهدايا [٦١] سنية وتحف ما يهديها ملك إلى ملك.

وممن اتصل بجنابه ونالته مكارمه وإحسانه، وقلد طوله وامتنانه، وعظم محله ومكانه، الأمير الشريف عبد الله بن المظهر بن الإمام شرف الدين بواسطة الأمير عز الدين في شهر محرم سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، وسيأتي الكلام في ذكر أخباره ووصوله إلى حضرة مولانا صاحب السعادة إن شاء الله تعالى، وحين نعى إلى مولانا صاحب السعادة خبر قدومه أمر ولده الأمير الفخيم حسين وجميع خواصه وكافة العساكر السلطانية الذين

(١) القنن: قلعة الجبل، وهو أغلاء، الناج: (قنن).

بمدينة صنعاء يومئذ وعليهم زِيٌّ حسن لم يُر مثله بتلقيه إلى المنجل<sup>(١)</sup> فدخل الأمير عبد الله مدينة صنعاء في هيئة عظيمة وقد اجتمع يومئذ عساكر جمّة ودخل من حينه إلى حضرة مولانا صاحب السعادة إلى عمّدان فتلقاه أيّده الله تعالى بالقبول والتكريم والإجلال والتفخيم، وخلع عليه حينئذ خلعاً عظيمة من أنفُس الأقبية وبعد أن لبس الخلع خرج مولانا صاحب السعادة وهو معه إلى سَماطٍ قد هُبِيَ وأُعدّ لِقْدوم الأمير عبد الله من أعظم السّمّاطات فيه ألوان متعدّدة كثيرة من طبائخ اللّحوم على اختلاف أنواعها ومن سائر الطّعومات والحلوى والألوان صنعتها ما يكثر تعدّاده [٦٢] ويعظم ذكره فطعم مولانا صاحب السعادة والأمير عبد الله وسائر الأمراء وكافة الكبراء، وجميع من حضر من عساكر مولانا السلطان، وكافة من كان هنالك من أكابر الرعايا حتى لم يبق أحد فقام مولانا صاحب السعادة من مكانه إلى الأمير عبد الله، وخرج بعده إلى دار للأمير عز الدين بصنعاء قد كانت هُبِيت له وكنت أنا فيمن سار صحبة ركاب الأمير عبد الله إلى مقام الأمير مولانا صاحب السعادة بأمر الأمير عز الدين.

(١) المنجل: موضع بغربي صنعاء. [معجم البلدان (٥/٢٠٨)]. وهو اليوم شمال غرب صنعاء، عند مدخل قرية (مذبح) كان فيه باب يُعرف بباب المنجل، وهو في فتحة بين جبلين، ويقابله اليوم الباب الغربي الشمالي لجامعة صنعاء. [البلدان والقبائل اليمنية (٢/١٦٥١)].

ولما كان في اليوم الثاني من وصول الأمير عبد الله أمر له مؤلانا صاحب السعادة بمركوب عليه سُرج مَحَلِّي ولجام مَحَلِّي، وثلاثمائة دينار وبجُمْلَة من الكساء النَّفيس من ملابيسه، من القطائف ونحوها، وبعمامة متعممة من عمامه الشريفة، وأمر ولد مؤلانا صاحب السعادة الأمير حُسَيْن للأمير عبد الله بحصان عليه حليّة كاملة ودرع وخوذة مَحَلِّيَّة وخِلعة سَنِيَّة وكساء نَفِيسَة ومئة دينار، وأمر مؤلانا صاحب السعادة أَيْدَهُ الله تعالى حال قدوم الأمير عبد الله إلى الدار التي سكنَ فيها بجماعة من الطَّبَّاحِينَ، ومن ينضم إليهم وأمر بسياسة ما يحتاجونه لأقوات الأمير عبد الله من الغنم والسمن والدجاج والأرز، وسائر ما يحتاج إليه من الحِنْطَة وغيرها وحوائج المطابخ [٦١] والشَّمع والسكر والبُن واللوز والقَات (١) والقهوة وأمر بمائة وخمسين ثوباً، ومثل عددها دنانير لجماعة من أصحاب الأمير عز الدين صُحْبَة ركاب الأمير عبد الله بن المُطَهَّر.

وفي اليوم الثالث من قدوم الأمير عبد الله طلبه مؤلانا صاحب السعادة إلى حَضْرَتِهِ فَسَارَ إِلَيْهَا فَانْسَه غَايَة الْإِنْسَانِ وَأَجَلَّ مَكَانَهُ وَأَكْرَمَ مَحَلَّهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً مَلُوكِيَّةً وَأَمَرَ لَهُ بِخَنْجَرٍ مَحَلِّيٍّ، مُفَصَّصاً (٢) لَهُ قِيَمَةٌ كَثِيرَةٌ وَأَمَرَ لَهُ أَيْضاً بِسَيْفٍ عَظِيمٍ مَحَلِّيٍّ.

(١) وقد كان شاع ذكر شجرة القات في عهد الإمام شرف الدين يحيى.

(٢) فَصُّ الْخَاتَمِ.

ومن ثاني هذا اليوم أيضاً أرسل له إلى حضرته فدخلها فكساه سموراً<sup>(١)</sup> لا ينتهي إلى مثله ولم يزل يتعهدده بالعطايا والتخف في تلك المدة صُحْبَةَ الْجَنَابِ السَّامِيِّ عَلِيِّ خَوَاجَا، وهو من خواص مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَعَظْمَاءِ أَصْحَابِهِ وَمِنْ دُهَاءِ الرِّجَالِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْفَحُولَةِ وَالْكَمَالِ.

ثُمَّ إِنَّ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ رَأَى الْإِنْعَامَ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ وَالتَّشْرِيفَ لَهُ بِسَنَجَقِ سُلْطَانِيٍّ، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهِ فِي الشَّهْرِ الَّذِي قَدِمَ إِلَيْهِ فِيهِ وَعَرَضَ لَهُ بِهِ إِلَى الْأَبْوَابِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَمَرَ أَنْ يُزَفَّ إِلَيْهِ وَتَحْمَلَ عَنْهُ جَمِيعُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْرَفَ فِي إِعْطَاءِ السَّنَجَقِ مِنْ خِلَعٍ وَدِرَاهِمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَأَمَرَ أَنْ يُعْمَلَ عِنْدَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ سَمَاطٌ عَظِيمٌ صَرَفَ فِيهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَمْوَالِ وَأَنْ يُطْعِمَ مِنْهُ بَعْدَ أَنْ يُزَفَّ السَّنَجَقُ وَحَضَرَهُ الْأُمَرَاءُ وَسَائِرُ الْأَغَاوَاتِ [٦٤] وَالْكَبَرَاءِ وَنَاهِيكَ بِهَذِهِ مَنَقِبَةٍ وَمَكْرَمَةٍ، وَمَنْ يَقْدِرُ فِي الْيَمَنِ فِيمَنْ مَلَكَهُ أَوْ تَوَلَّاهُ عَلَى مِثْلِ فِعْلِ هَذِهِ الْمَكَارِمِ أَوْ دُونِهَا أَوْ يَتَحَمَّلُ بِمِثْلِهَا. وَمَنْ أَجَلَّ مَكَارِمَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَشَرَفَ نَفْسَهُ جَاءَتْ لَهُ تَشْرِيفَاتُ سُلْطَانِيَّةٍ بَعْدَ وَصُولِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ فَخَرَجَ فِي تَلْقِيهَا إِلَى

(١) «سَنَجَابًا»: هكذا في الأصل، وأثبت النّاسخ فوقها: «سمورا».



حَمْرَاءَ عَلَب<sup>(١)</sup> فَبَعْدَ أَنْ لَبَسَ الْخِلْعَةَ الشَّرِيفَةَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمًا عِنْدَهُ وَسَائِرَ الْأُمَرَاءِ فَبَصُرَ بِهِ مُؤَلَّانًا صَاحِبَ السَّعَادَةِ فَأَعْطَاهُ الْأَمِيرُ عَبْدَ اللَّهِ مِنْهَا خِلْعَةً سُلْطَانِيَّةً فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَأَمَرَ الْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يَتَهَيَّأَ لِلخُرُوجِ مَعَهُ إِلَى الْمَحْطَةِ الَّتِي هِيَ يَوْمُنْذَ عَلَى مَخْرُوسَ دَمْرَمَرِ

وَقَدْ كَانَ أَمْرٌ أَنْ يُهَيَّأَ هُنَالِكَ سَمَاطٌ عَظِيمٌ لَوْصُولِهِ إِلَى هُنَالِكَ فَهَيَّئَ عَمَلُهُ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَسَارَ إِلَى هُنَالِكَ وَالْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ صُحْبَةً رِكَابِهِ وَجَمِيعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَغْوَاتِ وَرُؤَسَاءِ الْعَرَبِ وَعَسَاكِرِ السُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ نُصِبَتْ هُنَالِكَ خِيَامٌ كَثِيرَةٌ لَوْصُولِهِ وَبَاتَ هُنَالِكَ لَيْلَةً وَطَعِمَ مِنْ ذَلِكَ السَّمَاطِ، وَجَمِيعَ مَنْ فِي تِلْكَ الْمَحْطَةِ مَعَ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّذِينَ مَعَ مُؤَلَّانًا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَمَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي وَبَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ حَمَلَتْهُ أَهْلُ تِلْكَ الْبَوَادِي إِلَى بِيُوتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَلْفَافِ الْعَسْكَرِ وَصُرِفَ فِي ذَلِكَ السَّمَاطِ أَمْوَالٌ جَمَّةٌ كَثِيرَةٌ [٥٦].

وَلَمَّا عَمِلَ الْأَمِيرُ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى مَخْرُوسَ كَوُكْبَانَ قَرَّرَ لَهُ مُؤَلَّانًا صَاحِبَ السَّعَادَةِ جَامِكِيَّةَ السَّنَجَقِ وَعَاهَدَهُ لِلْسُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَأَعْطَاهُ بَعْضَ جَامِكِيَّتِهِ بِلَادَ السُّودَةِ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ بِلَادٍ حَنِيبٍ وَبَاقِي

(١) حَمْرَاءُ الْعَلَبِ: قَرْيَةٌ فِي السَّفْحِ الْجَنُوبِيِّ لِجَبَلِ نُقْمٍ، شَرْقِيَّ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ بِنَحْوِ ٥ أَكْيَالٍ، وَبِهَا قَبْرِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الْمُحَدَّثِ الْمَشْهُورِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامِ الصَّنَعَانِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٢١١ هـ. [البُلْدَانُ وَالْقِبَالُ (١/٥٠٣)]. وَقَدْ أُثْبِتْنَا فِي الْأَصْلِ بِضَبْطِ الْمُؤَلَّفِ.



جَامَكِيَّتُهُ تَعَدُّ لَهُ مِنَ الدِّيَّانِ الْكَرِيمِ ذَهَبًا عَيْنًا، وَأَمَرَ لَهُ بِجُمْلَةٍ كَسَاءٍ مِنَ الشَّاشِ<sup>(١)</sup> الْغَالِ، وَالْقَطَائِفِ النَّفِيسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّخَفِ وَجُمْلَةٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ، وَأَعْطَاهُ جَمَالًا تَحْمِلُ كِسْوَتَهُ وَآلَاتَهُ، وَأَنْعَمَ عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِهِ بِكَسَاءٍ وَدِرَاهِمٍ، فَلْيَنْظُرِ النَّاطِرُ بِعَقْلِهِ مَا نَالَ الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنَ التَّفَضُّلَاتِ الْعِظَامِ، وَالْمَكَارِمِ الْجِسَامِ الَّتِي سَارَ ذِكْرُهَا بَيْنَ الْأَنَامِ، فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ، وَهَذِهِ وَاللَّهُ هِيَ الْمَكَارِمُ الَّتِي فِي نَهَايَةِ الْمَنَاقِبِ وَالْمَحَامِدِ يَصِلُ إِلَيْهِ الْوَاصِلُ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْفَاقَةِ وَنَهَايَةِ الْحَاجَةِ مِنْ رُؤُسَاءِ الْأَوَانِ، مِمَّنْ لِحَقِّقَتُهُمْ نَكَبَاتُ الزَّمَانِ، فَيَغْمُرُهُ بِإِحْسَانِهِ وَتَفَضُّلَاتِهِ الْعِظَامِ، وَأَيَادِيهِ الْجِسَامِ، حَتَّى يَصِيرَ رَئِيسًا كَبِيرًا، أَوْ أَمِيرًا جَلِيلًا خَطِيرًا.

وَأَمَرَ سَائِرَ الْأُمَرَاءِ وَجَمِيعَ كِبَرَاءِ الْعَرَبِ وَكَافَةِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ بِصَنْعَاءِ أَنْ يَشِيعُوا الْأَمِيرَ عَبْدَ اللَّهِ حَالَ رَجْوَعِهِ إِلَى الْمَنْجَلِ وَمَعَهُ الزَّمَرُ وَالطَّبْلُ تَجْلِيلًا وَتَفْخِيمًا لِلْسَّنَجِقِ الشَّرِيفِ السُّلْطَانِيِّ.

وَأَمَّا هَدَايَاهُ وَصِلَاتُهُ وَمَكَارِمُهُ إِلَى الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينُ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَهُ جَلِيلُ الْمَكَانَةِ عَظِيمُ [٦٦] الْجَاهِ فَهِيَ رُتَبَةٌ يَجِلُّ شَأْنُهَا وَيَعْظُمُ مَكَانُهَا.

(١) شاش: قطعة طويلة من النسيج الموصلي أو الحرير تُلَفُّ حول طاقية. [تكملة المعاجم العربية (٦/٣٧٩)].

وقد تقدّم ذكرُ بعضها ولا يُقدّر أن يُحاط بها لكثرتها منها ما أمر له به في شهر رَمَضان سنة إحدَى وتسعينَ بهدية جلييلة من العطر الهندي وغيره من التُّخف ومن جملتها كُوزٌ<sup>(١)</sup> من فضة، وصحنٌ من فضة بديع الصنعة من فضة ومسِنَّة<sup>(٢)</sup> غريبة الشكل من فضة، ومِجْمَرَةٌ<sup>(٣)</sup> من فضة، وجُمْلَةٌ من الملابس النفيسة التي هي من أجلّ الملابس وذلك صُحْبَةُ الجَناب الفخيم الخواجه عليّ المُقدّم ذكره.

وأهدى مرةً للأمير عزّ الدّين سَمُوراً<sup>(٤)</sup> من قَبَاء من ملابسه، ممّا كساه به مولانا صاحب السعادة، وأمر له مرةً بِتُرْسٍ<sup>(٥)</sup> مُحَلَّى ووجّه له مرةً أخرى بخنجر مُحَلَّى [بذهب، مفصص بياقوت وفيروزج<sup>(٦)</sup> يسوى قيمة ثلاثمائة دينار، وكذلك ما أهداه للأمير شمس الدّين ولد الأمير عزّ الدّين قبل وفاة أبيه من الخلع والملابس ما يجلُّ شأنها.

(١) كُوز: وعاء لحفظ الماء.

(٢) مَسِنَّة: حوض من النحاس. [تكملة المعاجم العربية (١٠/٦٦)].

(٣) مِجْمَرَةٌ البخور.

(٤) سَمُور: حيوان ثديي ذو فرو ثمين، غير أن العرب خلطوا بينه وبين البادستر الذي أطلقوا عليه

اسم سَمُور أيضاً. [تكملة المعاجم العربية (٦/١٤٢)]

(٥) التُّرْس: من السلاح: المُتَوَقَّى بهاء التّاج: (ترس).

(٦) الفيروزج: من الأحجار الكريمة.

ومكارمه ومحامده وفائض كرمه وعظيم مروءته أجل من أن تحصر  
وكلما رَوَيْتُهُ وسَأَزُوِيهِ من مكارمه ومناقبه ومحامد أحواله فإني مختصر  
فيها لعدم قدرتي على ضبطها وسعة دائرتها ولقد نال عطاياه خلائق كثيرة  
من أهل اليَمَن لا يحصى عددهم ولا نرى له راحة ولا تمام نعمة إلا  
التلذذ بالعطايا وإسداء المكارم وابتدائه بها وإنالته النوال لقاصديه والوافد  
عليه والمقيم لديه أحسن الله إليه [٦٧] وَجَّهَ بِالصَّلَاتِ الجزيلة والهدايا  
النَّبِيلَةَ إلى مِصْرَ وغيرها أيام إقامته باليَمَن لجماعة من أهل العلم والفضل  
وجاءت جواباتهم عليه يدعون له ويشكرونه على جميل تفضلاته، منهم  
الفاضل المشهور صاحب العلم المذکور شيخ أهل الطريقة عبد الكريم  
الخلوتي ومنهم العلامة الفاضل الشيخ نور الدين علي المقدسي<sup>(١)</sup>،  
وشيوخ علماء الإسلام محمد بن حسين البكري، وناس لا أعرف أسمائهم  
لكثرتهم.

وأطلق على خلق كثير من أهل اليَمَن من أرباب المناصب ومن  
المعروفين بعلو الرُتَب من أهل الشرف والحسب من أهل العلم الغزير  
والفضل الكثير بيوتهم وعقاراتهم، وأسدى إليهم كل مكرمة منهم السيد

(١) علي بن محمد بن علي: من ولد سعد بن عباد الخزرجي (٩٢٠ - ١٠٠٤ هـ = ١٥١٤ -  
١٥٩٦ م): أحد أكابر الحنفية في عصره. أصله من بيت المقدس، ومولده ومنشأه ووفاته في  
القاهرة. [الأعلام للزركلي (١٢/٥)].

الفاضل العلامة صلاح بن أحمد بن عبد الله الهادي الحسني<sup>(١)</sup> وهو من بيت علم في اليمن كبير ومنصب شهير وله معرفة في كثير من الفنون في العلوم طائفة، صاحب ذكاء وفطنة وكمال وبلاغة راقية، وله رسائل بليغة وشعره حسن في الإخوانيات<sup>(٢)</sup> وأبوه رحمه الله كان من فضلاء زمانه وعلماء أوانه، وممن اعترف له بفضلته ومن كان له اليد الطولى في الفصاحة في النظم والنثر، والسيد صلاح هذا هو الآن غرة أهله وواسطة عقدهم، وأجرى له مؤلفاً صاحب السعادة جرايات سلطانية من الدراهم والطعام [٦٨] ولو تقصيت على نشر فضائله لخرجت من حد الاختصار إلى الإطناب والإسهاب.

ومن محاسن كرمه وعدله وإنصافه وحسن شيمه في قضية وقعت من رجل من أعيان العسكر السلطاني في أيام محاصرته حصن دمرمر<sup>(٣)</sup>؛ وذلك أنه سعي له بكذب بأن في بعض القرى من أطراف الرحبة<sup>(٤)</sup>

(١) صلاح بن أحمد بن عبد الله الوزير [٩٤٥ - ١٠٢٤هـ]: كان أفضل أهل زمانه وأورعهم، وأفصحهم في صناعات الكلام جميعاً وأبرعهم، وكان محققاً في جميع العلوم سيما علوم القرآن. [مطلع البدور (٢/ ٤٤١)].

(٢) الإخوانيات: فن أدبي يغلب عليه استخدام المحسنات البديعية، ويكون شعراً أو نثراً بين الأدباء وأصدقائهم ومن يعز عليهم.

(٣) جاء في الفتوحات المُرادية: «وكانت المحاط المحاصرة لحصن دمرمر بقيادة الأمير خضر، والأمير داود، والأغا صلاح بن سالم، وطائفة من عسكر الملك محمد بن شمس الدين، والأمير



جماعة من أصحاب الأمير لطف الله الخارجين عن الطاعة فغزاهم، ولم يتحقق أمرهم فقتل في تلك القرية جماعة من أهلها وحزوا رؤوسهم، وهم ممن يسلم الأموال السلطانية من البلاد المطيعة، ولم يكن بهذه القرية أحد ممن سعي به، فانتهى إلى مولانا صاحب السعادة أدام الله تعالى حراسته وحمايته هذه القضية فشق عليه أمرها، وقلق قلقاً عظيماً وسار بنفسه النفيسة في تلك الليلة التي نمت إليه فيها خبر هذه القضية، ووصل المخيم الذي على مخروس دمرمر الذي فيه هذا الرجل الذي جرت منه هذه القضية الواقعة، فجاء بالرؤوس إلى بين يديه فتأوه من ثقل ذلك واسترجع، وقال لشيخ الرحبة: «أحضر أقارب هؤلاء المقاتيل وأولادهم»، فأحضرهم عنده وهم عدد كثير من الرجال والنساء والأطفال، فأمر أقارب كل مقتول أن ينضموا عند رأس صاحبهم، ففعلوا فأمر أن يعطى كل منهم من كبير وصغير خمسة [٦٩] دنانير وقيل ستة وكسوة وهم فوق المئة النفس فرجع هؤلاء المذكورين إلى بيوتهم وهم

---

الناظر مُصْطَفَى بن طاهر، والأمير مُعَلَّهَر بن مُحَمَّد الشَّويع، والأمير فيروز، والأمير بَرويز، وغيرهم من أغوات وأعيان ووجوه العرب ومشائخ البلدان، فإن لكل منهم مخيماً بتابعه وأصحابه. [الفتوحات المُرادية (٣/ ٢٩)].

(١) الرَّحْبَة: قاع فسيح يمتد من الرّوضة شمال صنعاء حتى بلد أَرْحَب. [البلدان والقبائل (١/ ٦٧٨)].



يَدْعُونَ لَهُ وَأَمْرٌ بِتَكْيِيلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَأَوْدَعَهُ السَّجْنَ،  
وَرَجَعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَحْرُوسِ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ دَامَ إِقْبَالُهُ.

وَمِنْ مَكَارِمِهِ وَمَحَامِدِ مَنَاقِبِهِ مَا فَعَلَهُ مِنَ التَّفَضُّلَاتِ الْعَمِيمَةِ وَالْأَيَادِي  
وَالْتَكْرِمَاتِ الْجَسِيمَةِ لِبَقِيَّةِ مِنْ بَنِي النَّظَّارِيِّ مِنْ قَرَابَةِ الْفَقِيهِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ  
الرَّحْمَنِ النَّظَّارِيِّ<sup>(١)</sup> الَّذِي اسْتَلَبَ مُلْكُهُ الْبَاشَا مُحَمَّدُ<sup>(٢)</sup> فِي سَنَةِ تِسْعٍ  
وَسِتِّينَ وَتِسْعِمِائَةٍ وَكَانَ مِنْ قَتْلِهِ لَهُ وَسَبِي مُحَارِمِهِ وَأَوْلَادِهِ وَجَامِعَةٍ مِنْ  
أَقَارِبِهِ وَخَلَائِقٍ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ بَعْدَ أَنْ

(١) عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّظَّارِيِّ (٩٦٩هـ): أَمِيرٌ. كَانَ صَاحِبَ بَغْدَادٍ فِي الْيَمَنِ،  
وَحَصْنُهُ "حَبَّ" يُضْرَبُ بِهِ الْعُثْلُ فِي الِارْتِفَاعِ، وَرَثَهُ أَبُوهُ عَنْ جَدِّهِ أَحَدِ أُمَرَاءِ السُّلْطَانِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ  
الرَّوْهَابِ، وَاسْتَمَرَّ فِي يَدِهِ وَأَبْدَى أَوْلَادَهُ. كَانَ عَلِيُّ يَهَادِنُ الْحُكَّامَ وَيَهَادِيهِمْ، إِلَى أَنْ وَلِيَ الْيَمَنَ  
مُحَمَّدُ بَاشَا "وَهُوَ جِبَارٌ عَنِيدٌ (ثَارَتْ بِسَبَبِهِ الْفِتْنَةُ بِمَكَّةَ سَنَةَ ٩٥٨ هـ فَخَاصَمَهُ، وَحَاصَرَ حَصْنَهُ  
ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ. ثُمَّ تَصَالَحَا عَلَى أَنْ يَكُونَ لِلنَّظَّارِيِّ مَسْجِدٌ.

وَحَلَفَ مُحَمَّدُ بَاشَا عَلَى الْمَصْحُفِ بِالْوَفَاءِ، فَخَرَجَ الْأَمِيرُ النَّظَّارِيُّ هُوَ وَوَلَدُهُ وَجَمَاعَتُهُ وَهُمْ نَحْوُ  
٢٠٠ فِي مَوْكَبٍ عَظِيمٍ، فَقَتَلَهُمْ مُحَمَّدُ بَاشَا عَنْ آخِرِهِمْ وَدَخَلَ الْحَصْنَ فَقَتَلَ جَمِيعَ مَنْ فِيهِ.  
[الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ (٤/٢٩٨)].

(٢) مُحَمَّدُ بَاشَا: وَالِي الْيَمَنِ (٩٦٧-٩٧٢ / ١٥٦٠-١٥٦٥)، أَسَهِبُ الْعَلَامَةِ النَّهْرُ وَالِي مَقْتَبِ  
مَكَّةَ، صَاحِبُ التَّارِيخِ السُّلْطَانِيِّ (الْبَرَقِ الْيَمَانِيِّ فِي الْفَتْحِ الْعُثْمَانِيِّ) فِي ذِكْرِ فَتَكَاتِهِ بِأَهْلِ الْيَمَنِ.  
[الْبَرَقِ الْيَمَانِيِّ (١٣٣)]. وَبِسَبَبِ سِيَاسَةِ هَذَا الْوَالِي التَّعَسُّفِيَّةِ وَمَوَاقِفِهِ الشَّخْصِيَّةِ مِنَ الْوَلَاةِ  
الْعُثْمَانِيَّةِ عَلَى الْيَمَنِ، صَارَتْ الْيَمَنُ إِلَى مَاسَاةٍ رَهْبِيَّةٍ اسْتَمَرَّتْ لِعُقُودٍ، وَقَدْ تَطَرَّقْنَا لِذَلِكَ بِإِسْهَابٍ  
فِي كِتَابِنَا عَنِ السِّيَاسَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ الْعَنِيقَةِ فِي الْيَمَنِ، مِنْ وَاقِعِ الْوَرَائِقِ وَالْمَصَادِرِ الْعُثْمَانِيَّةِ.

جَعَلَ لَهُ أَمَانًا، وَبَذَلَ لَهُ عَهْدًا وَقَدْ كَانَ سَاءَتْ بِهِمُ الْأَحْوَالُ، وَلِحَقَّتْهُمْ  
 الْفَاقَةُ وَالْمَشَاقُ، وَكَانُوا هَارِبِينَ عَنْ بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ وَمُزْدَرَعَاتِهِمْ  
 وَبُيُوتِهِمْ وَعَقَارَاتِهِمْ مَقْبُوضَةً، فَكَتَبَ لَهُمُ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ إِلَى مَوْلَانَا  
 صَاحِبُ السَّعَادَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ لَهُمْ فِي تَأْمِينِهِمْ وَرَجُوعِهِمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ  
 وَإِطْلَاقِ مُزْدَرَعَاتِهِمْ، وَعَرَّفَهُ بِضَعْفِ حَالِهِمْ وَطُولِ مُدَّةِ التَّغَرُّبِ عَنْ  
 أَوْطَانِهِمْ، فَرَّقَ لَهُمْ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ كَمَا هِيَ عَادَةُ سَجِيَّتِهِ الْحَنِينُ  
 إِلَى الْمَكَارِمِ، فَأَطْلَقَ لَهُمْ بُيُوتَهُمْ وَمُزْدَرَعَاتِهِمْ فَسَارُوا إِلَى بِلَادِ  
 بَغْدَادٍ<sup>(١)</sup> فَسَكَنُوا أَوْطَانَهُمْ وَحَسُنَتْ أَحْوَالُهُمْ وَهُمْ الْآنَ فِي أَرْغَدٍ عَيْشٍ  
 [٧٠] وَأَجَلَ نِعْمَةٍ بَبَرَكَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ.

وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَفَيَّأَ فِي ظِلِّهِ وَمَالَ إِلَى جَنَابِهِ وَنَالَتَهُ مَكَارِمُهُ وَسَعَدَتْ  
 أَحْوَالُهُ، الْفَقِيهَ الْمَاجِدَ الْفَخِيمَ عَبْدَ الْمَغْنِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ النَّصِيرِيِّ،  
 أَطْلَقَ لَهُ بُيُوتَهُ وَمُزْدَرَعَاتِهِ وَجَعَلَ لَهُ جَوَامِكَ وَأَرْزَاقَ سُلْطَانِيَّةٍ وَصَارَ مِنْ  
 جُمْلَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْأَكَابِرِ الْمُقِيمِينَ بِيَابِهِ وَمَقَامِهِ وَالْمَلَاذِمِينَ لِحَضْرَتِهِ وَمِنْ  
 الْمَلْحُوظِينَ بِشِعَاعِ سَعَادَتِهِ.

(١) بَغْدَادُ: بَلَدٌ مَشْهُورٌ فِي وَسْطِ الْبَلَدِ، ارْتَبَعَتْ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَكَانَتْ بِلْدَانَهُ مِنْ  
 مَرَاكِزِ الْعِلْمِ، وَنُسِبَ إِلَيْهِ الْأَعْلَامُ فِي كُلِّ الْفُنُونِ. [البلدان والقبائل (١/١٧٩)].

وكتب إليه السيد العلامة لقمان بن أحمد بن شمس الدين الحسني<sup>(١)</sup> في شهر صفر سنة اثنين وتسعين وتسعمائة أنه يريد الحج في المستقبل من هذه السنة وطلب من إنعاماته ومكارمه أن يجعل له مرسومًا شريفًا ليأمن به في سفره وسكونه ففعل له ذلك ووجه له ضحبة رسوله خمسين دينارًا. ومن أجل مكارمه الشاهرة ذكرها والمشرقة شمسها والمنيرة أقمارها وعظيم وفائه وحميد عفوه وعميم فضله، ما أسداه إلى الأمير لطف الله بن المظهر حال خروجه من دمرمر وتسلميه إياه للدولة السعيدة الخاقانية، وقدمه على مولانا صاحب السعادة ما يجلب شأنه ويعظم شرحه، ولم يسبقه أحد فيما عمل له، وأنعم عليه من التفضيلات الجسيمة، والمنح العظيمة وما وفى به له وسيأتي خبر ذكر ذلك عند الكلام في [٧١] تسليم دمرمر إن شاء الله تعالى.

وكان ينبغي أن نورد ذكر ذلك هنا في جملة بعض ما أوردناه من مكارم مولانا صاحب السعادة ومحامد مناقبه، لكن الكلام تلازم سياقه هنالك في ذكر فتح دمرمر وتسلميه فلم يتأتى حذفه هنالك، وإن أثبتنا ذكره في هذا الموضع أدى إلى التكرار، مع أن أخبار مولانا صاحب السعادة أيده الله

(١) لقمان بن أحمد بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى: من علماء العربية، وأديب شاعر، كان من أعيان بلاد كوكبان، وله مراسلات مع الشاعر محمد بن عبد الله بن شرف الدين. [هجر العلم ومعاقله (١٨٧٢/٤)] وكذلك [مطلع البدور (١٢٤/٤)].

تعالى جميعها مكارم ومناقب لمن تدبرها ونظر إلى سيره وأحواله بعين العقل والإنصاف، وكان من الحق على بصيرة؛ وما ظنك برجل يكتب إليه علماء الإسلام من مصر والشام، كالبكري إمام علماء الإسلام شريعة وطريقة وغيره مثل الخلوتي نفع الله به وبركته، وهو صاحب الكشف والكرامات وشيخ الحقيقة والطريقة في وقته، يكاثبه ويراسله ويدعو له، وكذلك الشريف الفاضل المشهور براهينه وفضائله كاشتهار شمس النهار أبو بكر بن سالم الحسني الحضرمي<sup>(١)</sup> يكاثبه ويدعو له.

فمن كانت أحواله هذه الأحوال وأعماله هذه الأعمال ومناقبه هذه المناقب ومكارمه هذه المكارم لجدير بأن يُثنى عليه وأن تميل القلوب بأسرها إليه، وأن تجتمع على محبته.

ومن جُملة مكارمه ومحامده أنه سعي إليه بشاعر من بلاد خولان أنه هجا رجلا من أعيان العرب [٧٢] من أتباع الدولة السلطانية فأمر بحبسهِ، ثم أن ذلك الشاعر عمل قصيدة إليه يتبرأ مما نسب إليه ويمدحه فيها، فأمر

---

(١) أبو بكر السَّقَّاف (٩٩٢ هـ): أبو بكر بن سالم بن عبد الله السقاف الحضرمي متصوف له تصانيف. ولد وتعلم في تريم (من بلاد حضرموت) وسكن عينات (من قرى تريم) فكانت له فيها زعامة، تنشر أمام موكبه الأعلام وتُضرب بين يديه العَلَّاسات، إلى أن توفي. من كتبه (معراج الأرواح) و (مفتاح السرائر) و (فتح باب المواهب) كلها في التصوف. وله نظم ليس بشيء، وصنف محمد بن عبد الرحمن الحضرمي كتابا في (سيرته) ذكره صاحب تراجم الأعيان. [الأعلام للزركلي (٦٣/٢)].



بإطلاقه وأمر له بخُلعة سنّية وصِلَة من الدنانير، وقال: «قد مدحنا فيجب علينا أن نعطيه ويُحسن إليه»، ودخل عليه رجل من مشايخ خولان يقال له عبد العزيز بن سعيد بن فاضل، فأنشده قصيدة يُهنّيه فيها بقتل السيّد أحمد بن السيّد الحسين المؤيدي، وفتح مدينة صعدة، فلمّا استتمّها أمر له بألف درهم سلطانيّ وخلع عليه خُلعة سنّية.

وهو أيّده الله تعالى ممّن يهزّ أعطافه سَماع المدح والثناء في الثر والنظم ويتلأأ وجهه إشراقاً.

وأما شعراء العوام الذين من بلاد خولان ومشارق رداع ومن غيرهم من بلاد اليمن الأسفل، فإنّهم قصّدوه وامتدحوه بأشعارهم وأخذوا جوائزه وبألف في الإنعام عليهم والإحسان إليهم، ورحلوا عنه وهم يشنون على مكارمه، ويعلنون في كل ناحية من نواحي بلادهم بالإعلان بحميد مناقبه وذكره، وإذا وصلت إليه رسالة في الثناء عليه متضمّنة لحُسن البلاغة وبدائع الاستعارة والفصاحة، وقُرئت عليه لا يزال يطلب تكرار قراءتها والاستماع لكلامها [٧٣] في أوقات مختلفة ويحتفيظ بنسختها.

ومن عظيم مناقبه وكرمه وفائض جوده أنّه وصل إلى مقامه النقيب بلال مملوك الأمير لطف الله في شهر الحجّة الحرام سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، بكتاب من سيده لتمام أمور متعلّقة بما قد قرّرها له من الجرايات السلطانيّة فقضاها له أيّده الله تعالى.



وفي خلال ذلك بلغه أيدُّه الله تعالى أنَّ الأمير لطف الله لم يكن أحد من إخوته وأقاربه أسدى إليه معروفًا، ولا حصل له منهم تأنيسًا بعد خروجه من مخروس دمرَّمر وسكونه بينهم في مدينة ثُلا، فتعجب من ذلك ثمَّ هزته أريحة الكرم، فوجه له صُحبة مملوكة النقيب بلال بهدية سنيَّة من الملابس الشريفة وصلة من الدنانير جزيلة هنيئة، وأصحَّب النقيب بلال كتابًا إلى الأمير لطف الله بتعريفه بما وجَّهه إليه.

فجهز الأمير لطف الله إلى مؤلانا صاحب السعادة بهذه الرسالة الرَّافلة في أثواب البلاغة، الشَّاهدة لمنشئها بالفصاحة والرَّجاحة، يشكره على ما تطوَّل به عليه من هديته وصلته وعظيم مروءته.

ومنشئ هذه الرسالة الفاضل محمَّد بن عبدالله بن الإمام شرف الدِّين، وهي هذه [٧٤]:

مُحِبُّ الحَضْرَةِ الْعَالِيَةِ وَمَوْلَاهَا وَخَلِيفِ نُصْرَتِهَا وَوَلِيِّ مَوْلَاهَا

ولده الرَّافِع كَفَّه، دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفِي مَوْلَاهُ عَلَى بَرِّهِ بَوْلَدِهِ وَعُطْفِهِ، يُهْدِي إِلَى حَضْرَةِ وَالِدِهِ الْعَطُوفِ الْأَبْر، بَلْ مَوْلَاهُ الْعَظِيمِ الْأَكْبَر، مَوْلَانَا وَوَالِدُنَا الْمَقَامِ الْأَفْخَم، وَالْهَمَامِ الْأَكْرَم، صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْعَظْمَى، وَالرُّتَبَةِ الرَّفِيعَةِ الشَّمَاء، أَعَزَّ بِأَشْوَاتِ مَوْلَانَا سُلْطَانِ الزَّمَنِ، وَابْنِ الْمُعْتَمَدِ عَلَيْهِ فِي تَدْيِيرِ إقْلِيمِ الْيَمَنِ، حَضْرَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ مَوْلَانَا الْبَاشَا حَسَنَ لَا بَرَحَ رَوْضِ إِقْبَالِهِ أَرِيضًا، وَلَا انْفِكَ مَطَرُفُ فُخَارِهِ طَوِيلًا عَرِيضًا، وَلَا زَالَ

طائرُهُ مِيمُونَا، وظَعْنُهُ وإِقَامَتُهُ بالسَّعَادَةِ مَقْرُونَا، وَلَا فَتَى النَّصْرِ قَائِدَا  
لِعُسْكَرِهِ، وَالظَّفَرُ زَائِدَا لَهُ فِي مَوْرَدِهِ وَمَصْدَرِهِ، لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَهْدِي إِلَيْهَا  
وَيَطْرُقُهَا بِسَلَامٍ، رَقٌّ حَتَّى خَفَّتْ عِنْدَهُ بُرُودَةُ النَّسِيمِ، وَطَابَ حَتَّى وَدَّ  
الْمِسْكَ أَنْ يَسْتَعِيرَ مِنْهُ الشَّمِيمَ، أَنْصَرُّ مِنَ الْحَدَائِقِ، وَأَنْقَى مِنْ خُدُودِ  
الشَّقَائِقِ، وَالْطَفُّ مِنْ فُؤَادِ الْعَاشِقِ، وَأَذْكَى مِنَ الْمِسْكَ السَّحِيقِ لِنَاشِقِ.

وَبَعْدُ: فَصُدُورُ هَذِهِ الْمَطَالَعَةِ مَاشِيَةٌ عَلَى قَدَمِ الْخَجَلِ وَالِاسْتِحْيَاءِ، مِنْ  
هَيْبَةِ الْقُدُومِ عَلَى تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْعُلْيَا، بَعْدَ أَنْ وَرَدَتْ عَنْهَا مِرَاسَلَةٌ مِنْ  
رَوَى الْبَلَاغَةَ رِيًّا، وَمَطَارِحَهُ تَقْطِفُ مِنْ أَزَاهِيرِهَا [٧٥] زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،  
وَلَمَّا وَرَدَتْ مِثْلُ لَهَا مِحْبُ الْحَضْرَةِ قَائِمًا تَعْظِيمًا، وَفَضَّ خِتَامَهَا بَعْدَ أَنْ  
الْتَمَّهَا تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَنَشَرَهَا فَإِذَا هُوَ قَدْ طَوَى لَهُ فَيَنْشُرُهَا الْمِسْكَ  
شَمِيمًا، وَنَشَرَ لَهُ مِنْ طَيْبِهَا رَوْضَةً وَنَسِيمًا، فَمَرْحَبًا وَأَهْلًا بِذَلِكَ الْكِتَابِ  
الْكَرِيمِ، وَالْمَشْرِفِ الَّذِي فَاحَ مِنْ تَضَاعِيفِهِ عَرَفَ الْمَوَدَّةَ لَوْلَاهُ وَمَحَبَّةَ  
الْحَمِيمِ، فَلَقَدْ قَابَلْنَاهُ حِينَ حَبَانَا رِيحَ نَفْحَاتِهِ، حَتَّى ارْتَاحَ بِمَا لَاحَ حِينَ  
تَصَفَّحَ صَحَائِفَ صَفْحَاتِهِ، وَعَلِمَ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ضَمْنِهِ الرَّسُولِ مَنْ  
الْإِنْعَامَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَالصَّلَاتِ الْفَخِيمَاتِ الْخَاقَانِيَّةِ، مَعَ مَا أَهْدَاهُ مَوْلَاهُ  
لَوْلَاهُ مِنَ الْمُلْكِ وَأَسْدَى لَهُ مِنَ الظُّرْفِ الَّتِي أَخَذَتْ مِنْ إِزْمَةٍ وَدَادٍ مَحَبَّةَ  
بِكُلِّ طَرَفٍ، وَغَيْرَ بَدِيعٍ فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تَدُلُّ مِنْ أَهْدَيْتَ إِلَيْهِ عَلَى مَوَدَّةٍ مُسْدِيهَا،  
وَخُلُوصِ الْمَحَبَّةِ لَدَيْهِ، وَقَدْ أَكْثَرَ الْقَائِلُونَ فِي الْهَدِيَّةِ فَأَطَابُوا، وَنَاهَيْكَ بِقَوْلِهِ

ﷺ: «تَهَادُّوا تَحَابُّوا»<sup>(١)</sup> وقال ﷺ، وقوله وحِيٍّ مِنَ الرَّبِّ: «الْهَدِيَّةُ تَذْهَبُ بِسَخِيمَةِ الْقَلْبِ»<sup>(٢)</sup> وَلَقَدْ وَدَّ مُجِبُّ الْحَضْرَةِ أَنْ يَعْمَلَ بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَهْدَى إِلَيْكُمْ هَدِيَّةً فَكَافُوهُ»<sup>(٣)</sup> وَلَكِنْ أَتَى لِي بِذَلِكَ الْمَرَامِ، وَكَيْفَ لِي بِهِ وَحَضْرَةُ مَوْلَانَا لَا تَقْبَلُ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهَا إِلَّا مَا يُشَاكِلُهَا شِكْلًا وَفَخَامَةً، وَنَاسَبَهَا حُسْنًا [٧٦] وَوَسَامَةً، وَهِيَاهُ ذَلِكَ وَلَوْ أَهْدَتْ لَهُ الْعَيُونُ سَوَادَهَا، وَالنَّفُوسُ سَوِيدَاهَا، وَأَتَخَفْتَهُ الْأَفْتَدَةَ بِحَيَاتِهَا، وَأَفَاضَتْ عَلَيْهَا الْحَيَاةَ مِيَاهَهَا، لَكِنْ عَسَاكَ لَوْ اقْتَطَفْتَ مَا سَقَاهُ مِنْ زَهْرِ النُّجُومِ نَهْرَ الْمَجْرَةِ، وَانْتَضَمَتْ فِي اتِحَافَاتِهَا الْمُشْتَرِي مَقْرُونًا بِالزُّهْرَةِ، فَعَسَاكَ وَلَعَلَّكَ كُنْتَ قَدْ أَتَيْتَ بِمَا يَلِيقُ بِعَظَمِ تِلْكَ الْحَضْرَةِ، وَلَقَدْ تَنَاوَلَهَا لَمَّا وَرَدَتْ مَحَبَّهُ بِالْيَمِينِ، وَقَابَلَهَا بِدَعَاءٍ وَتَأْمِينِ، وَكَرَّرَ الثَّنَاءَ عَلَى مُوَلِّيَّهَا عَمَلًا بِمَا نَدَبَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ الْأَمِينُ؛ فَإِنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَسَدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَكَافُوهُ فَأَثْنُوا عَلَيْهِ، حَتَّى تَنْظُنُّوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَلِمَا مِنْ وَلَدِهِ وَمَحَبَّهُ أَنْ حَضْرَتَهُ الْعَلِيَّةَ، وَعَقْوَتَهُ السَّنِّيَّةَ، أَعْظَمَ مِنْ أَنْ تَهْدَى إِلَيْهَا الْأَغْرَاضُ لِحَقَارَتِهَا عِنْدَهُ، أَوْ يَقَابِلَ بِالْبَيْضَاءِ وَالصَّفَرَاءِ وَلَوْ

(١) حديث.

(٢) حديث.

(٣) حديث.

(٤) حديث.

اشتكر مُهديها جهده، وتنكب عن المكفأ لذلك الجناب إلا بمدائح  
مُستطابة، وثناء يُرفع على أجنحة الإجابة، ومناصحة عيب وشهادته، ووداد  
يستغرق القلب حتى لا يقبل زياده، فشكراً شكرياً وحمداً لمولانا صاحب  
السعادة، على ما أسداه من تلك الهدية، لا برحت أفعال الخير له عادة،  
والله يكسوه من سندس الجنة وسندسها، ويحليه من حلا الأخلاق  
الحسنى بأشرفها وأنفسها [٧٧] وما ذكره مولانا صاحب السعادة لا  
برحت له العافية رياسا من أن ولده إذا رام أن يرسل لشأن من الشؤون أو  
يطالع مقامه بعين أو مضمون، فليكن النقيب بلال هو السفير إلى الحضرة،  
والرَسُول إلى علي السدة المشمخه<sup>(١)</sup>، فما أرشد فهو عين الرشد، وما  
أراد منا فهو لنا تعس المطلب والمراد هنا ومولانا والدنا تحت رواق  
حفظ الله وحمایته، وضمن سِرادق توفيقه ورعايته. ❧

(١) العظيمة.

الجزء الخامس





## [الجزء الخامس]

ومن ههنا نرجع إلى ذكر أخبار سير مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَفَتْوحَاتِهِ وَخُرُوبَاتِهِ السَّعِيدَةِ:

ولَمَّا فَتَحَ اللهُ تَعَالَى عَلَى يَدِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَدَامَ اللهُ عُلُوَّهُ وَخَلَّدَ مَجْدَهُ وَسَمَوْهُ لِلدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، خَلَّدَ اللهُ مَلِكَهَا وَشَيْدَ بَنِيَّانَ مَمَالِكَهَا، بِمَا قَدْ سَبَقَ ذَكَرُهُ مِنَ الْفَتْوحَاتِ الْعَظِيمَةِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَسْرَعَ مَهْلَةٍ بِفَتْحِ حَصْنِ ظَفَّارٍ، وَحَصْنِ الْمَيْقَاعِ، وَجَمِيعِ الْبِلَادِ الظَّاهِرِيَّةِ وَحُصُولِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ [بْنِ] النَّاصِرِ فِي يَدِهِ، وَمَا كَانَ يَقْدِرُ أَحَدٌ وَلَا يَظُنُّ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ النَّاصِرِ يَنْحَصِرُ فِي ظَفَّارٍ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ مِنْ حَالِهِ التَّخَنُّسِ<sup>(١)</sup> وَالْفِرَارِ، لِمَا يُعْهَدُ مِنْ شِدَّةِ حَذَرِهِ فَإِنَّهُ أَحَقَّرَ مِنْ أَنْ يَقَاوِمَ عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ مِمَّا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ مِنْ إِنْقَازِ قَدْرِهِ وَمَا هُوَ صَائِرٌ عَقْبَى

أَمْرِهِ إِلَيْهِ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [سورة الأحزاب: ٣٨]

[٧٨] وكذلك فتح جبل عِيَالٍ يَزِيدُ وَمَا يَلِيهِ وَعِمَارَةُ عَمْرَانَ وَسُورَهَا، وَدَارَ الْإِمَارَةِ فِيهَا وَسِيَاقَةَ كَثِيرٍ مِنَ الْحُبُوبِ إِلَيْهَا، وَعَرَفَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنْ حَالِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى أَنَّهُ لَمْ يَجْنَحْ إِلَى الْمَسَالِمَةِ وَتَسْكِينِ

(١) خَنَسَ الرَّجُلُ: تَأَخَّرَ وَانْقَبَضَ؛ النَّاجِ: (نَجَسَ) (نَجَسَ) (نَجَسَ).

الحروب والفتنة في جانبه والبقاء على ما كان عليه أولاً من طاعة السلطنة الخاقانية، وأنه لا يتهيأ فتح مدينة صعدة إلا بعد حربه أو صلحه، ودخوله في الطاعة، عمل على تجهيز العساكر السلطانية على بلاده وحصونه من كل جهة وناحية بعد أن أعذر إليه وأنذر.

## خُروجُ الأمير الدفتردار بالعساكر المنصورة على ثُلا:

فوجّه المجلس الكريم السّامي والمقرّ الفخيم العالي، دَفْتَرْدَار المَمَالِك السُّلْطَانِيَّة، الأمير مُصْطَفَى بن طاهر ناظر العساكر السُّلْطَانِيَّة بإقليم اليَمَن يومئذ في عَسْكَر عَظِيم من العَرَب والعَجَم وصحبته جماعة من الأغوات والأكابر منهم الأمير عليّ المعروف بأبي ضربه، والأمير كيوان، والأمير مُصْطَفَى المعروف بمدينة لور، والآغا مُصْطَفَى، والشَّيْخ عليّ بن متّاش، إلى مُنْكِل من مخاليف قلعة ثُلا المَحْرُوسَة، وأمره أن يخيّم بمَن معه هُنَالِكَ.

وهذا الناظر المذكور من أهل المعارف العلميّة والأحوال السّنيّة، له في الأصول، جولة الفحول، وفي علم المعقول والمنقول، يدّ تعلو وتطول، وله في المراجعة لأهل المعارف ملكة تجول، في ط: ر في الإنصاف والإفحام، ويمشي عليها في [٧٩] طريقه من بصيرته الآداب السّنيّة فاستقام، وعلى الجملة فهو حسنة من حسنات الزّمان، وقرة عين في هذا الأوان، وإليه يرجع في كثير من الفتاوى فيوضح العبارة ويزيل الشكّ واللبس ببيان علمه وهو حنفي المذهب، وله خط حسنٌ ورسائل بديعة، وسمعت عن الأمير سنان وقد جرى ذكره قال: «هو من بيت علم كبير،

وَفَضْلٍ شَهِيرٍ، فَسَارَ فِيْهِمْ جَهْزُهُ مَوْلَانَا صَحْبَتُهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَى  
مَنْكِلٍ وَخَيْمٍ بِهِ.

### مسير الأمير سنان بالعساكر المنصورة على مدع:

وفي خلال تجهيز مؤلانا صاحب السعادة للناظر المذكور طلب من الأمير عز الدين عسكراً من عسكره يكون مع الناظر والعساكر السلطانية في المكان الذي أراد المسير إليه فوجه الأمير عز الدين عسكراً ضحبة مملوكة النقيب مر جان قزمانى، فاجتمع بالأمير الناظر ومن معه وكان من جملتهم فيمن معه مدة بقاء الناظر والعساكر السلطانية هنالك، ولما استقر الأمير الناظر ومن معه في هذا المخيم في مقابلة السيد علي يحيى وحصن ثلاً، عمل مؤلانا صاحب السعادة على مسير العساكر السلطانية الذين بعمران البون ضحبة الأمير سنان على حصن مدع لحصاره، وأخذه للدولة السعيدة السلطانية، لأن حصن مدع متوسط بلاد السيد علي يحيى وإخوته ورأس بلادهم وهو من حصون اليمن المشهورة [٨٠] ومعاقله المدونة المذكورة، ويكون بحصاره قطع مواد السيد علي يحيى من بلاده المغربية، وقد كان مؤلانا صاحب السعادة سار إلى بلاد بني قنيل<sup>(١)</sup> من البلاد المتاخمة لحصن مدع، قبل مسير الأمير سنان والعساكر السلطانية

(١) بنو قنيل: بطن من قبائل حنظل بن أسلم، ولهم بقية في جبل عيال يزيد غربي مدينة عمران، ومنهم طائفة في أرخب شمال صنعاء في قرية (بيت القنيل). [البلدان والقبائل (٢/١٢٨٦)].



على حصن مُدَع، لَمَّا أَرَادَ مُحَاصِرَتَهُ وَأَخَذَهُ، فَحِينَ رَأَاهُ مَتَوَسِّطًا عَلَى تِلْكَ النَّوَاحِي، وَأَنَّهُ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ وَالْحَصُونِ الْمُتَآخِمةِ لَهُ كَالْقَلْبِ مِنَ الْإِنْسَانِ فَسَارَعَ إِلَى تَوْجِيهِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَيْهِ لِمُحَاصِرَتِهِ وَأَخَذَهُ، وَقَالَ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِينَ رَأَاهُ: «عَجِبْتُ مِنَ الْبَاشَا أَزْدُمُرُ»<sup>(١)</sup> وَكَذَلِكَ الْبَاشَا مُصْطَفَى الْمَعْرُوفِ بِنَشَّارِ<sup>(٢)</sup> وَالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ حِينَ اجْتَمَعُوا ثَلَا كَيْفَ لَمْ يَبْدَأُوا بِمُدْعٍ قَبْلَهُ، حَتَّى يَكُونَ بِذَلِكَ أَنْجَحَ لِمُرَادِهِمْ.

وَكَانَ مَسِيرُ الْأَمِيرِ سِنَانٍ بِالْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنْ عَمْرَانَ عَلَى حِصْنِ مُدَع وَبِلَادِهِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَأَمَّا الْأَمِيرُ لُطْفُ اللَّهِ بْنِ الْمُطَهَّرِ فَإِنَّهُ لَمَّا سَارَتْ عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ فِي حِصْنِ مُدَع أَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَى جَانِبِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَاعْتَذَرَ بِأُمُورٍ حَصَلَتْ إِلَيْهِ وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا

(١) أَزْدُمُرُ بَاشَا: فَاتِحُ صَنْعَاءَ وَحَاكِمُ الْحَبَشَةِ، وَالْيَمَنَ (٩٥٦-٩٦٢ / ١٥٤٩-١٥٥٥) مِصْرِي شُرْكَسِيٍّ مِنْ أَصُولٍ فَاغُسْتَانِيَّةٍ، تَوَلَّى الْيَمَنَ بَعْدَ سَيْطَرَتِهِ عَلَى تَمَرْدٍ فِي الْجَيْشِ أَفْضَى إِلَى قَتْلِ الْوَالِيِّ الْعُثْمَانِيِّ أَوْيسِ بَاشَا فِي مَنَاطِقِ "الشَّلَالَةِ" وَقَدْ عُرِلَ مِنْ وَلَايَةِ الْيَمَنِ لَطْفُهُ ذَلِكَ. [TDV islam ansiklopedisi (33.cilt:471)]. [الاستيلاء العثماني الأول على صَنْعَاءَ (١١٠)].

(٢) مُصْطَفَى بَاشَا النَّشَّارِ: وَلِيُّ الْيَمَنِ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ سَرَّاجًا لِلْسُّلْطَانِ سَلِيمٍ، وَهُوَ أَحَدُ الْمَشْكُورِينَ فِي سِيرَتِهِمْ بِالْيَمَنِ، وَاسْتَمَرَّ بِبِلَادِ الْيَمَنِ وَالْيَمَا عَلَى زُبَيْدٍ وَضَوَاجِبِهَا إِلَى أَنْ عَزَلَ عَنْهَا سَنَةَ ٩٥٢ هـ. [البرق اليماني (٩٤)] ثُمَّ عُيِّنَ وَالِيًا عَلَى الْيَمَنِ خَلْفًا لِأَزْدَمُرِ بَاشَا (٩٦٢-٩٦٦ / ١٥٥٥-١٥٥٩) وَلَهُ سَبِيْرَةٌ حَسَنَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ [البرق اليماني (١٢١)]

صاحب السعادة أيده الله تعالى أهّب عسكراً خارج مدينة صنعاء  
المحرّوسة، لأنّه كان مُحسّناً أنّ الأمير لطف الله سيّداً أو خلافه ويظهر  
عناده، فكان مُعدّاً لهذا العسكر [٨١] المُخيم خارج مدينة صنعاء لأجل  
إذا ظهر من الأمير لطف الله خلاف وجههم لحربه وقتاله والاستيلاء على  
بلاده واعتقاله في حصنه، وقد كاتب قبل خلافه سراً إلى قبائل كثيرة من  
قبائل خولان وغيرهم من القبائل المُصافيّة لهم ووعدهم ومناهم، أنّهم  
متى ثاروا معه أحسن إليهم وأعطاهم، فمنهم من وعده وأجابه إلى مطلبه  
ومراده، ومنهم من لم يُجِبْهُ ولا مال إلى كلامه.

ورُفِعَتْ إلى مولانا صاحب السعادة كتب كثيرة من كتبه إلى هذه القبائل  
التي ذكرنا يحرضهم على الشقاق والعصيان، والمُخالفّة على السُلطان،  
فتحذّر مولانا صاحب السعادة منهم، وكنتم أمره راجياً أن يعود عن حالته  
التي أرادها، ورعاية للعهود والأيمان التي عاهده عليها إلى أن يظهر  
الخلاف منهم.

## خُرُوجُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى ذَمْرَمَرٍ

فحال أن بلغه خلاف الأمير لطف الله وجّه ذلك العسكر المُعَدَّ خارج مدينة صنعاء، إلى مكان في طرف الرّحبة بالقرب من حصن ذَمْرَمَرٍ، لحرب الأمير لطف الله وقتاله، فخيم هنالك وأراد الأمير لطف الله بخلافه بعد مسير العساكر السلطانية على حدّ صن مُدَعَّ أنَّهُم قد وسطوا وأن خلافهم مما يمنعهم عن التقدّم على مُدَعَّ ومحاصرته، وأن كثيراً من قبائل العرب ثور معه ويحاربون دونه ويخالفون على جانب الدّولة السلطانية، ممّن قد كان كاتبه [٨٢] وراسله، فكان الأمر فيما بعد عليه لا له ولم يقع مع مولانا صاحب السّعادة حين ظهر خلاف الأمير لطف الله فشل ولا اكتراث ولا وجل، وخلافه في ذَمْرَمَرٍ بالقرب منه على مسافة بريد من صنعاء، بل ازداد مولانا صاحب السّعادة - أيّده الله تعالى - شجاعة وبسالة وقوة قلب وثبات جاشٍ، وقام وقعد وجمع الأجناد السلطانية من جميع الجهات النّازحة عنه وبذل الرّغائب لمن والاه وبقي على طاعة الدّولة السّعيدة السلطانية، وأنفق إنفاقاً لم ينفقه غيره وتحمل بمشاق لم يتحملها أحد مثله، والأمير سنان ومن معه من العساكر السلطانية تقدّموا إلى هجر بني قُطَيْلٍ، فواجهه أهل تلك الجهات.

وأما السَّيِّدُ عليّ يَحْيَى لما بلغه توجُّهُ العَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ صُحْبَةَ الأَمِيرِ  
سِنَانٍ عَلَى مُدَعٍّ أَمْرَ وزيره السَّيِّدِ عليّ بن أحمد وولد أخيه مُحَمَّد بن  
الْهَادِي وهو من المعروفين بالبسالة والشَّجَاعَةِ، ومُحَمَّد بن السَّيِّدِ أحمد  
بن الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِي، أن يسيروا بمن عندهم من العَسَاكِرِ والأَتْبَاعِ إلى  
أَحْضَاضٍ، وأن يخيّموا هُنَالِكَ، وكانت لديهم أَجْنَادٌ واسعةٌ ومرادُهُ  
بتخيّمهم في أَحْضَاضٍ أن يمنعوا عَسَاكِرَ السُّلْطَانَةِ عن الطُّلُوعِ من عَقَبَةِ  
أَحْضَاضٍ إلى حصن مُدَعٍّ لأنَّهَا وَعِرَةٌ وَعَسِيرَةٌ الْمَسَالِكِ [٨٣]

## نكتة غريبة

ومن أعجب ما اتفق مع بعض عسكر السيد أحمد المؤيدي حال وقوفهم بأحضاض، أنهم قطعوا هُنالك شجرة كبيرة من شجر العرعر للحطب وللعمارة لمنازل عمروها لأنفسهم في ذلك الموضع، فكان من هؤلاء الذين قطعوا الشجرة، مرضوا وماتوا في أقرب مدة، وهم فوق الخمسين نفر، مُعقَلِي قبائل تلك البلاد، وهذه الشجرة كانت مشهورة بكبرها وعظمتها في تلك الجهات وكانت قبائل تلك الجهات يحترموها أن يقطعوا شيئا منها ويعتقدون أنها من مساكن الجن، وقد يندروا بذبائح عندها لأمرأضهم.

وعند هلاك عسكر بن السيد أحمد الذين قطعوها قالوا: «إن الجن الساكنون بها هم الذين قتلوهم بسبب قطعها» لكونها على زعمهم من مساكنهم ويدعون أنهم قد سمعوا فيها أصواتا من الجن وغير ذلك مما يحكون عن حالها والله أعلم.

ولما استقرت العساكر السلطانية في هجر بني قُطيل، وكان بالقرب منه مكان منيع فيه جماعة من أهله وعينته<sup>(١)</sup> من عسكر غوث الدين، وجه بهم

(١) العينة: مادة الحرب؛ التاج: (عين).



نجدة لأخيه علي يَحْيَى، فقَصَدَتْهم العَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ بمدفع وحصروهم من جميع الجوانب، حتَّى خَرَجُوا منه على أَمَانٍ وتسليم سلاحهم وبنادقهم للسُّلْطَنَةِ السَّعِيدَةِ، وَخَيَّمَتِ العَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ على قَارِن، وهو بالقرب من أحضاض وأهله مَعَ السَّيِّدِ علي يَحْيَى [٨٤] ومن أتباعه وهم أهل نجدة وشجاعة وقوة يومئذ، ومعهم طائفة من عَسْكَرِ السَّيِّدِ علي يَحْيَى وذلك في يوم الخميس ثالث وعشرون من جُمَادَى الأولى سَنَةِ تِسْعِينَ، فوَقَعَتْ هُنَالِكَ ذَلِكَ اليوم حروب عظيمة ولم يبرح أهل قَارِن من مكانهم ومن عندهم من عَسْكَرِ السَّيِّدِ علي يَحْيَى.

## وقع حرب عظيم بين الأمير الدفتردار وعلي يحيى :

وفي خلال تخيم الأمير الكبير الشجاع البسيل الوسيم مُصطَفَى بك<sup>(١)</sup> دَفْتَرْدَار الخِزَانَةِ الْعَامِرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ<sup>(٢)</sup> وإقامته بِمَنْكِل، وقع حرب عظيم بين الأمير الدَفْتَرْدَار وبين السَّيِّد علي يَحْيَى، في بني بَشِير في قرب ثُلا، وسببه أَنَّ النَّقِيب الْأَجَل شَجَاعُ الدِّين مَرْجَان قَرْمَانِي<sup>(٣)</sup> نَقِيب الْأَمِير عَزَّ الدِّين اسْتَأْذَنَ مِنَ الْأَمِير النَّاطِرِ لِلتَّعَلُّفِ وَالتَّحَطُّبِ مِنْ قُرْبِ بَنِي بَشِير مِنَ الْمَتَبِعِ، فَأَذَنَ لَهُ وَوَصَّى لَهُ بِالْإِحْتِيَاظِ مِنَ الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ، فَوَصَلَ مَتَبِعٌ وَنَزَلُوا عَلَيْهِ أَصْحَابُ السَّيِّدِ عَلِي يَحْيَى مِنْ مَحْطَةِ بَنِي بَشِير فَتَشَرَّعَ الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا سَمِعَ الْأَمِيرُ الدَفْتَرْدَارُ صَوْتَ الْبِنَادِقِ، رَكِبَ مَعَ عَسْكَرِ بَيْرِقٍ وَزَمَرَهُ وَضَرَبَ طَبُولَهُ وَنَشَرَ أَعْلَامَهُ، وَأَدْرَكَ النَّقِيبَ مَرْجَانَ وَكَذَا

(١) بك Bey: بك الإقليم هو حاكمه أو أميره، ومنها اشتقت (بكلربكي) أي أمير الأمراء، والكلمة تطلق على صاحب الأمر في أي موقع كان. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (٦٣)].

(٢) خزينة Hazine: المكان الذي كان يحتفظ فيه بالمجوهرات والأموال الثمينة سواء التابعة للأشخاص أو للدولة، وكانت واردات خزينة الدولة كثيرة، مثل خمس غنائم الحروب، والزكاة الشرعية، والضرائب العرفية على الأراضي، والضرائب، والجزية المأخوذة من النصارى واليهود، وغيرها من الموارد. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (٨٩)].

(٣) هكنا ضبطه المؤلف.

نزل السيد علي يحيى مع أصحابه، واصطف الفريقان واشتغل نار الحرب بينهما من الضحوة إلى العشية وقتل من أصحاب علي يحيى في ذلك اليوم أكثر من ثلاثين وصوبت جماعة كثيرة ثم هزموا وكسروا إلى مدينة ثلا وقد أمكن الله عساكر السلطنة [٨٥] عليهم فرجع الأمير الدفتردار من الحرب ومن معه قريب الغروب سالمين غانمين.

## تخريب الأمير سنان بلاد قارن:

ولما كان اليوم الثاني وهو يوم الجمعة حملت عساكر السلطان على قارن حملة رجل واحد، فأمدهم الله بنصره بعد حرب عظيم، فانهزم أهل قارن ومن معهم هزيمة فاضحة واستولت عساكر السلطان على قارن جميعه، وأخربت جميع قراه ومعاميره خراباً مُحْكَمًا، وأهل قارن ممن أحرَب الإمام شرف الدين <sup>(١)</sup> حروباً جمّة مُدَّة أيام ثُمَّ تمكن منهم وفيهم يقول من أثناء قصيدة:

(من الطويل)

(١) شرف الدين: المتوكل الزيدي (٩٦٥ هـ) يَحْيَى شَرَف الدين بن شَمْس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى الحسيني العلوي، الإمام المتوكل على الله: من أئمة الزيدية في اليمن - ومن فقهاءهم وشعرائهم. بويح بالإمامة في جبال صنعاء، بعد وفاة أبيه (سنة ٩٤٣ هـ وعظم أمره، فكانت له وقائع مع الترك، وأطاعته قبائل كثيرة. وشجر خلاف بينه وبين ابنه المُعَلَّل (محمّد بن يَحْيَى) أدى إلى استيلاء الأتراك على كثير من جهات اليمن -

ثم اتفقا على أن يحتفظ الأب بالإمامة ويتولّى الابن سياسة البلاد، وضربت السكة باسمه في حياة أبيه. واستقر المتوكل في كوكبان، ثم انتقل إلى ظفير حجة. وفقد بصره وتوفي بالظفير، وله مؤلفات [الأعلام للزركلي (١٤٩/٨)]. قلت: وقد كان شديداً جسوراً على مخالفي معتقده من الباطنية والصوفية.

وما قَارِنٌ لَا قَدَّسَ اللَّهُ قَارِنًا قَرَارَةً أُشِيدَ مَا لَهَا مِنْ مُنَازَعٍ  
 وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ خَرَابِ قَارِنٍ وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهِ تَوَجَّهَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ وَمِنْ  
 عِنْدِهِ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ عَلَى عَسَاكِرِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى الَّذِينَ بِأَحْضَاضٍ  
 وَمِنْ مَعَهُمْ مِنْ عَسَاكِرِ ابْنِ الْمُؤَيَّدِ، فَلَمَّا شَرَعَ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلَوْا  
 عَسَاكِرِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَمِنْ مَعَهُمْ مُنْهَزِمِينَ هَارِبِينَ لَا يُلَوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ  
 رَأْسَهُ، وَقَتْلَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةً كَثِيرَةً، وَحَزَّتْ رُؤُوسُهُمْ وَغَنِمَتِ الْعَسَاكِرُ  
 السُّلْطَانِيَّةُ مَخِيمَهُمْ فَمَا كَانَ مِنَ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ وَمُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي  
 وَالْأَمِيرِ الشَّرِيفِ حَمْزَةَ بْنِ أَحْمَدَ<sup>(١)</sup> وَمِنْ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مِنَ  
 الْعَسْكَرِ فَتَقَدَّمُوا هَارِبِينَ إِلَى [٨٦] مَدِينَةِ ثُلَا.

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ السَّيِّدِ أَحْمَدُ وَمَنْ حَصَلَ عِنْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ حَالِ الْهَزِيمَةِ  
 فَسَارَ إِلَى مَسُورٍ وَخَيْمٍ هُنَالِكَ هُوَ وَمِنْ مَعَهُ.

وَلَمَّا اسْتَوْلَتْ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ الْمَنْصُورَةُ عَلَى مَخِيمِ احْضَاضٍ،  
 وَانْهَزَامِ عَسَاكِرِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَابْنِ الْمُؤَيَّدِ وَمُوَاجَهَةِ بِلَادٍ مُدْعٍ  
 وَمُخَالِفِهِ، وَجَّهَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ بِالْبَشْرَى إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ  
 وَأَرْسَلَ بِالْغَنَائِمِ الَّتِي أَخَذَتْ مِنْ مَخِيمِ احْضَاضٍ فَوْقَ الْجَمَالِ إِلَى  
 مَحْرُوسٍ صَنْعَاءَ فَدَخَلَ بِهَا فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَمَعَهَا الطَّبْلُ وَالزَّمَرُ، وَحِينَ

(١) الأمير حمزة بن أحمد، من أهل ديفان، من قادة جيش علي يحيى. [الآلء المضيئة] (أخبار  
 الإمام الحسن بن علي).



انتهت إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ لِلْبَشَارَاتِ، وَمَا مَنَحَ اللَّهُ الْعَسَاكِرَ  
السُّلْطَانِيَّةَ مِنَ التَّايِيدَاتِ حَمْدَ اللَّهِ وَاثْنَى عَلَيْهِ، وَأَمَرَ بِإِنْفَازِ الْبَشَائِرِ إِلَى كَافَةِ  
أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَأَمَرَ أَهْلَ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ بِالتَّلْبِيسِ الْمَعْتَادِ، فِي  
الدَّكَائِنِ وَالْخَانَاتِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ.

## حَرْبٌ عَظِيمٌ بَيْنَ الْأَمِيرِ الدَّفْتَرْدَارِ وَعَلِيِّ يَحْيَى:

وَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَحْرَبَتْ فِيهِ عَسَاكِرُ السُّلْطَنَةِ عَلِيَّ قَارِنَ حَرْبٍ عَظِيمٍ فِي عِقَابِ مَخْرُوسِ ثُلَا مِنْ أَعْظَمِ الْحُرُوبِ وَأَشَدِّهَا، مِنْ بَعْدِ الشُّرُوقِ إِلَى الْعَصْرِ بَيْنَ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَعَسْكَرِ عَلِيِّ يَحْيَى، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَ الْأَمِيرُ عِزَّ الدِّينِ أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ عَلِيَّ يَحْيَى سَارَ إِلَى احْضَاضٍ وَأَنَّهُ يَرِيدُ [٨٧] الْوُقُوفَ هُنَالِكَ عِنْدَ عَسْكَرِهِ وَأَمْرَائِهِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَدِينَةِ ثُلَا أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُطَهَّرِ، وَالْفَقِيهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى<sup>(١)</sup> يَخْلِفُ ابْنَ الْمُعَافَا صَاحِبَ السُّودَةِ، وَأَنَّ مُرَادَ السَّيِّدِ عَلِيَّ يَحْيَى يَخْلِفُ عَسَاكِرَ السُّلْطَنَةِ إِلَى مَخِيْمِهِمْ حَالَ حَرْبِهِمْ عَلِيَّ قَارِنَ، فَخَافَ أَنْ يَقَعَ فِي جَانِبِ عَسْكَرِ السُّلْطَنَةِ وَهَذَا فَا مَرَّ النَّقِيبُ مُبَارَكُ شَعْبَانَ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَدِينَةِ شَبَّامٍ أَنْ يَسِيرَ بِجَمِيعِ عَسْكَرِهِ إِلَى حَدِّ أَهْلِ بِلَادِهِ وَأَنْ يَجْتَمَعَ بِالْأَمِيرِ النَّازِلِ دَفْتَرْدَارِ الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَمِنْ مَعَهُ مِنْ عَسَاكِرِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَيُحْرِبُوا عَلَى مَدِينَةِ ثُلَا مِنْ جِهَةِ الْعِقَابِ، لِأَجْلِ إِذَا بَلَغَ ابْنُ عَمِّهِ السَّيِّدِ

(١) فِي الْفَتْوحَاتِ الْمُرَادِيَّةِ: «وَأَمْسَتَابِ بِمَدِينَةِ ثُلَا أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُطَهَّرٍ، وَالْفَقِيهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى بْنِ عَمْرٍو، فِي جَيْشٍ وَعَسْكَرٍ وَسَارَ بِقَوْمِهِ مُجِدًّا فِي سَبِيلِهِ بِمَنْ انْتَقَاهُ وَاخْتَارَهُ». [الْفَتْوحَاتِ الْمُرَادِيَّةِ (٥٥/٣)].

علي يَحْيَى رَجَعَ عما قد كان أزعَّ عليه فوقعت هُنَالِكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَلْحَمَةٌ  
جَسِيمَةٌ وَحُرُوبٌ عَظِيمَةٌ، وَطَلَعَتْ عَسَاكِرُ السُّلْطَنَةِ إِلَى أَمَاكِنٍ بِالْقُرْبِ مِنْ  
مَدِينَةِ ثُلَا وَوَقَعَتْ فِي مَدِينَةِ ثُلَا رَوْعَةٌ عَظِيمَةٌ وَتَزَلْزَلَتْ الْمَدِينَةُ بِمَنْ فِيهَا،  
وَكَذَلِكَ أَوْلَادُ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَحَرِيمُهُ وَهَمُّوا بِالْهَرَبِ إِلَى حِصْنِ ثُلَا،  
وَلَمْ تَزَلْ الْحَرْبُ هُنَالِكَ قَائِمَةً عَلَى سَاقٍ.

وَأَمَّا السَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى، لَمَّا جَاءَتْهُ عَنُودٌ بِتَوَجُّهِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَى  
مَدِينَةِ ثُلَا لَمْ يَقَرَّرْ لَهُ قَرَارًا فَسَارَ مَغِيرًا مُبَادِرًا فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَوَصَلَ  
إِلَى مَدِينَةِ ثُلَا وَالْحَرْبُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ [٨٨] وَعَسَاكِرِ السُّلْطَنَةِ مُسْتَعِرًا، وَقَدْ  
كَانَ أَصْحَابُهُ عَلَى ثُلَا فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ اشْتَدَّتْ قُلُوبُهُمْ وَحَمَلُوا حَمَلَةً رَجُلٍ  
وَاحِدٍ، فَأَحْرَبُوا مَنْ كَانَ تَجَاهَهُمْ إِلَى أَسْفَلِ الْعِقَابِ، وَقَتِلَ مِنْ عَسَاكِرِ  
السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى يَوْمَئِذٍ مِنْ شَجْعَانِهِمْ وَمَحَاسِنِهِمْ نَحْرُ الْخَمْسِينَ،  
وَأَصَابَ كَثِيرًا مِنْهُمْ جَرَاحٌ وَأَصْوَابٌ مِنَ الْبِنَادِقِ، وَاسْتَشْهَدَ مِنْ أَصْحَابِ  
الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَمِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ جَمَاعَةٌ يَسِيرَةٌ، وَرَجَعَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّ  
مَنْ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى مَكَانِهِ.

وَحَدَّثَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ كُشُوفُ  
شَمْسِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ تَاسِعِ وَعِشْرُونَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ فِي أَوَّلِ  
السَّاعَةِ الْأُولَى فِي بُرْجِ السَّرْطَانِ فِي الدَّرَجَةِ الثَّامِنَةِ مِنْهُ بِعُقْدَةِ الذَّنْبِ،  
وَالذَّنْبِ فِي الدَّرَجَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرٍ مِنْهُ وَزُحَلْ فِي الْحُوتِ رَاجِعًا وَالْمُشْتَرِي

في الدُّلر أيضاً راجعاً والزُّمَرَة يومئذ في بيتها في بُرج الثُّور، وكان  
 المُنكسِف من الشَّمْس نصفها والله سبحانه أعلم وأحكم.

ولنرجع ههنا إلى ذكر خلاف الأمير لُطف الله بن مُطَهَّر: فإنه لما وقع منه  
 الخِلاف حَسَبَما سَبَق ذكره أمر مَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَة الأمير مُطَهَّر بن  
 الشُّويح، وهو يومئذ في بلاد ولايته في البلاد الظَّاهِرِيَة أن يجمع مَن لديه من  
 أصحابه ومَن قدرَ عليه مِن قِبائل الظَّاهِر، وأن يتقدَّم بهم على بلاد الأمير  
 لُطف الله ويستفتحها للسلطنة [٨٩] البلاد التي ذكرناها ودخلوا في الطَّاعَة  
 تمكَّنت عساكر مَوْلَانَا السُّلطان نصره الله تعالى من وادي السَّر وقراضه،  
 وقد كان أهله هربَ أكثرهم عنه وأمر الأمير لُطف الله بدخوله خلقاً كثيراً  
 منهم إلى دَمَرَمَر، وتحويل حبوبهم ونحوها إليه فأخربت عساكر مَوْلَانَا  
 السُّلطان خلد الله ملكه، أكثر قُراه بعد أن بذلوا الأمان لأهله فلم يواجه  
 أحد منهم، ووجه مَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَة بعد مواجهة من ذكرنا من بلاد  
 الأمير لُطف الله التي تقدَّم ذكرها عسكراً عظيماً من عساكر السلطنة من  
 التُّرك والعَرَب إلى قُراضه السُّفلى بوادي السَّر وأمرهم بالتَّخيم هُنَالِكَ  
 وكان من جُمْلَة رؤسائهم الأغا صَلاح بن سَالم وحُسَيْن يازجي الدِّيوان  
 ثُمَّ خلفه علي مُهَرَّدَار<sup>(١)</sup>.

(١) مُهَرَّدَار: الموظف المسؤول عن الحفاظ على الأختام الخاصة برجال الدولة، والقيام بختم

الأوراق التي تتطلبها. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (٢١٧)]

ولما استقرت هذه العساكر المنصورة حيث ذكرنا حفظوا السر عن  
عسكر الأمير لطف الله وعلقوهم برؤوس الجبال ورجع كثير من أهل  
السر إلى بلادهم، وكانت الحروب هنالك لا تزال قائمة على ساقها  
مستعرة نيرانها حيناً.

وانتصر عسكر السلطنة وحيناً عسكر الأمير لطف الله، وكان مولانا  
صاحب السعادة أيده الله لا يزال يسير إلى المحاط التي على حصن دمرمر  
في أوقات كثيرة يطاوف عليها ويفتقد أحوالها ويشدد على أمرائها وأعيان  
أكبرها في الهمة وبذل الجهد والنصيحة ويخلع عليهم [٩١] الخلع  
السنيّة ويصلهم بالصلوات الجزيلة الهنيئة ثم يرجع إلى مخروس صنعاء  
وأما ما كان من الأمير سنان ومن معه من عساكر السلطان بعد الاستيلاء  
على أحضاض فتقدم بهم على حصن مدع، وتفرقت المحاط حوله كل  
محطة مع أميرها أو رئيسها، وضيقوا على من فيه غاية التضييق، ورمته  
بالمدافع والزربطانات في الليل والنهار، فأخربت ما فيه من البيوت  
والأماكن وكان السيد مطهر بن الإمام شرف الدين رحمه الله أمر بعد انحصاره  
الآخر بحصن ثلا العملة والقطاع<sup>(١)</sup> أن ينحتوا في جوانبه في الصفا ما  
يتحجى<sup>(٢)</sup> به من المدافع وطرقات منحوتة في الصفا وجروف<sup>(١)</sup> وغير

(١) القطاع: الذين يقطعون الصخور.

(٢) يتحجى: يحتوي.



ذلك مما يستر من فيه من المدافع ونحوها بقيت فيه العملة مدة من الزمان حتى عملوا فيه ما أراد عمله.

ولم يكن أحد من ملوك اليمن فيما غبر من الزمن، عمل في الحصون مثل ما عمل السيد المظهر بن الإمام شرف الدين حال حياته في حصن مدع وناصره حصن ثلا وكذلك في ثلا من المحاجي والطرق المنحوتة في الصفا.

وفي اليوم الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ذكرها، التقى الأمير عز الدين والأمير سنان إلى بلاد بني العباس<sup>(١)</sup> بالقرب من مدع للمفاوضة في أمر الحروب ورجع كل منهما [٩٢] بمن معه إلى مكانه وأمر الأمير سنان للأمير عز الدين بصلة جزيلة والأمير عز الدين أمر له بركوب من أنجب الخيل العربية ونثر الأمير سنان على عسكر الأمير عز الدين حين لقوه جملة دراهم.

(١) الجوف: عرّض الجبل الأملس؛ التاج: (ج ر ف).

(٢) بني العباس: من نواحي بلاد ثلا، وبها هجرة بني العباس، وقد زرعها غير مرة للتزود.

## ذكر إطاعة السيّد الحسن بن شرف الدّين للدولة السّعيدة السّلطانيّة:

والسيّد الحسن بن الإمام شرف الدّين<sup>(١)</sup> صاحب حصن كُحلان تاج الدّين<sup>(٢)</sup> بعد هزيمة عسكر السيّد عليّ يحيى من أحضاض، وتقدّم العساكر السّلطانيّة على مُدّع بذل الطّاعة للدولة السّعيدة السّلطانيّة، ولاذ بعفو مؤلّانا صاحب السّعادة، فعول له مراسيم شريفة ببقائه في بيته ومكانه، وأحسن إليه وإلى أولاده، وأقطعه بلاداً يأكل فيها ويستعين على معيشته بخراجها، وقرّر لأولاده جوامك سُلطانيّة، وقدم ولده الكبير إلى حضرة مؤلّانا صاحب السّعادة فأكرمه وخلع عليه ووصله بصلة نبيلة. ولما استدامت مُدّة الحصار على مُدّع أمر الأمير سنان بعمارة بيوت له، واصطبلات لحيله ودوابه، واقتدت به العساكر المنصوّرة في العمارة فعمّرت بيوتاً ومنازل كثيرة ودكاكين واصطبلات، حتّى صار حول مُدّع

(١) الحسن بن الإمام يحيى شرف الدّين، كان حاكماً من بعد أخيه الإمام المُظفر على حصن كُحلان تاج الدّين، وعزّان بني أعشْب، وما إليهما من الممالك. [الفتوحات المُرادية (ق ٣١٣/ب)].

(٢) كُحلان تاج الدّين: مدينة جبلية في الشرق الشّمالي من مدينة حجة، ولها تسميتان والأخرى هي (كُحلان عَفّار). [البلدان والقبائل (٢/ ١٣٣٠)].

من المنازل والدكاكين كأثر مدينة، ومآثر العمارة باقية وكانت<sup>(١)</sup> الأمطار في هذه السنة كثيرة واشتد البرد فيها ما لم يكن بعهد من قبل.

ومُدع وبلاده مشهورة بالبرد واستدامة السحاب والسَّحْم<sup>(٢)</sup> [٩٣] وانتفعت العساكر السلطانية بعمارة المنازل والأماكن والدكاكين من مضرة البرد.

وأما ما كان من محمد بن السيد أحمد بن الحسين المؤيدي، بعد هزيمته من أحضاض ومصيره في مسور، أراد أن يخرب من هُنا لك على عسكر السلطان ومن معهم من الاتباع والأعوان، فلم يتأتى له ما يريد، فسكن في مكانه وهرب عنه أكثر أصحابه، وفي رواية أن الأمير الدفتردار ناظر الأموال السلطانية، حال وقوفه وجلاسه بمنكِل<sup>(٣)</sup> وقاع حوشان، وقعت بينه وبين السيد علي يحيى أربعة عشر حرب كل واحد من الصباح إلى العشيّة وفي كل ملحمة قتل من عسكر السيد علي يحيى من أعيانهم ونقبائهم رجال كثير وجم غفير، واستشهد من العساكر المنصورة شردمة قليلون.

(١) «وكان»: هكذا في الأصل.

(٢) السَّحْم: يريد به السحاب الأسود.

(٣) منكِل: بلدة في منطقة جشم من مديرية همدان صنعاء، وتقع يمين الطريق الناهية إلى مدينة شبام كوكبان. [البلدان والقبائل (٢/ ١٦٦٤)].

وأما الأمير الناظر مُصطَفَى بن طاهر، ومن معه من العساكر السُلطانيَّة وعسكر الأمير عزَّ الدين، فلم يبرحوا مِنْ مخيمهم بِمَنْكِل حتى استولتِ العساكر السُلطانيَّة على احضاض، ورجَّح الأمير عزَّ الدين انتقالهم إلى حوشان بأمر مَوْلَانَا صاحب السَّعادة فَخَيَّمُوا هُنَالِكَ وفي مُدَّة تخيمهم بِمَنْكِل وقعت فيما بينهم وبين السَّيِّد علي يَحْيَى وعساكره حروبٌ وملاحمٌ كثيرةٌ منها ملحمةٌ في الأودُوع من بلاد مَحْرُوس ثُلا، ولم ينهزم أحدٌ من الفريقين [٩٤] ومنها وَقَعَة في صُرم المعلوم وفي أَيَّام هذه الحروب خَلَّت القرى التي حول حصن ثُلا من أهلها، وساروا إلى مدينة ثُلا رجالُهم، وسائِر أولادهم تفرقوا في البلاد.

وفي ابتداء تخييم الناظر بِمَنْكِل أمر الأمير عزَّ الدين النَّقِيب مُبارك شُعْبَان، أن يقف في مَحْرُوسَة شِبَام في طائفة من عسكره، لأجل إذا وقع الحربُ أغار إلى الناظر فيمن عنده، ولم يزل النَّقِيب مُبارك بِشِبَام حتى صارَ المقرَّ الكريم الأمير سِنَان محاصِراً لِمُدَّع وارتفع عن شِبَام<sup>(١)</sup> إلى كَوُكْبَان، والأمير عزَّ الدين لما انهزم عساكر ابن عمه من احضاض، استولى على بلاد الضَّلَع<sup>(٢)</sup> وبلاد بني الخِياط وبلاد بني العباس، وقبض

(١) «شُبَان»: هكذا في الأصل.

(٢) الضَّلَع: جبل مشهور تقوم في ذروته الشرقية مدينة (كَوُكْبَان). [البلدان والقبائل (١/٩٤٧)].

وقد أنبتنا في الأصل ضبط المؤلف له.



رَهَائِن أَهْلِهَا وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ جَعَلَ لَهُ قَوَاعِدَ أَكِيدَةً  
وَمَرَاسِيمَ شَرِيفَةً بِهَا وَبِمَا فَتَحَ مِنْ بِلَادِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى.  
وَفِي خِلَالِ تَخْيِيمِ النَّاطِرِ بِخَوْشَانٍ لَمْ تَزَلِ الْحُرُوبُ مُسْتَعِرَّةً فِيمَا بَيْنَ  
عَسَاكِرِ السُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَعَسْكَرِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَقُتِلَ فِيهَا خِلَائِقُ  
كَثِيرَةٌ وَكَانَ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ يُغَيِّرُ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ بِنَفْسِهِ وَفِي بَعْضِ  
الْحُرُوبِ يُغَيِّرُ وَالِدَهُ وَالنَّقِيبُ مُبَارَكُ شُعْبَانَ بَاشَرَ هَذِهِ الْحُرُوبَ فِي مُدَّةٍ  
بَقَائِهِ بِشَبَّامٍ.

وَفِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا اجْتَمَعَ السَّيِّدُ غُوثُ الدِّينِ  
وَصِنُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ [٩٥] فِي الْمُشَيِّعِ<sup>(١)</sup> مِنْ بِلَادِ عَفَّارِ<sup>(٢)</sup> وَمَعَهُمَا

---

(١) جَاءَ فِي الْفَتْوحَاتِ الْمُرَادِيَّةِ: «وَكَانَ أَشَدَّهُمْ اضْطِرَابًا وَأَكْثَرَهُمْ اكْتِنَابًا وَاكْتِرَانًا، الْمَلِكُ غُوثُ  
الدِّينِ صَاحِبُ حَصْنِ عَفَّارٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ حَصْنِ مُبَيِّنٍ وَحَجَّةٌ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْأَمْصَارِ،  
فَازْمَعَا عَلَى إِنْجَادٍ مِنْ يَحْصِنُ مُدَّعٍ تَحْتَ حُكْمِ الْحَصَارِ وَتَدَارِكُهُمْ مِنْ رَيْبِ الْمَنُونِ وَبِرَائِنِ الْهَلَاكِ  
وَالْبَوَارِ، وَاجْتَمَعَا لِلْإِرْتِيَاءِ فِي ذَلِكَ الْخَطْبِ الْعَظِيمِ، وَالنَّقْلُ فِي مَدَاوِةٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْكَرْبِ الْعَلِيمِ،  
فِي بِلَدٍ مُتَوَسِّطَةٍ مَا بَيْنَ مَمَالِكِهِمَا وَهِيَ إِلَى حَصْنِ عَفَّارٍ أَقْرَبَ، وَتُسَمَّى تِلْكَ الْبِلَدُ الْمَشْيِيعِ<sup>(١)</sup>.  
[الْفَتْوحَاتِ الْمُرَادِيَّةِ (٤٥/٣)].

الْمَشْيِيعِ: مِنْ قُرَى عِزْلَةِ بَنِي مُوَهَّبٍ بِمَدِيرِيَّةِ كُخْلَانَ عَفَّارٍ بِمُحَافَظَةِ حَجَّةٍ. وَلَعَلَّ اسْمَهَا قَدْ تَغَيَّرَ  
بِمَرُورِ الزَّمَنِ، فَكَانَتْ الْمُشَيِّعِ وَصَارَتْ الْمَشْيِيعِ.

(٢) عَفَّارٌ: جَبَلٌ وَمَرْكَزٌ إِدَارِيٌّ يَقَعُ فِي نَوَاحِي مَدِينَةِ حَجَّةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، بِالْقَرَبِ مِنْ حَصْنِ  
(كُخْلَانَ تَاجِ الدِّينِ) وَهُوَ مَا كَانَ يَعْرِفُ قَدِيمًا بِاسْمِ (مَوْتَك)، وَأَعْلَاهُ حَصْنٌ لَهُ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ.



عَسْكَرٌ عَظِيمٌ مِنْ عَسْكَرِهِمَا وَمِنْ أَتْبَاعِهِمَا وَسَائِرِ قَبَائِلِ جِهَاتِهِمَا وَوَقَعَتِ  
 الْمَفَاوِضُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَقْدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى بِلَادِ مَسُورَ واجتماعه بمحمد  
 بن السيد أحمد ويفتحون الحرب على عساكر السلطان الذين هم  
 مجتمعين بِمُدْعٍ ويقطعون المواد عنهم ويتخطفون الطُّرقات، حتَّى  
 يُبعدونهم عَنْ مُحَاصِرَةِ مُدْعٍ، وقد كان السيد علي يَحْيَى يَجْعَلُ لِأَخِيهِ  
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ، التَّصَرُّفَ فِي جَمِيعِ بِلَادِهِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَعَلَى مَنْ فِيهَا مِنْ عَسَاكِرِهِ  
 وَيَقْدَمُ وَيُؤْخِرُ مُدَّةَ أَيَّامِ الْحَرْبِ فَرَضِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِذَلِكَ هَذَا كَانَ قَبْلَ  
 اتِّفَاقِهِ بِأَخِيهِ غُوْثِ الدِّينِ فِي الْمُشَيِّعِيَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ قَدْ كَانَ وَصَلَ إِلَى  
 أَخِيهِ إِلَى مَدِينَةِ ثُلَا فِي شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ وَتَلَقَّاهُ أَخُوهُ  
 السَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى إِلَى مُدْعٍ، وَدَخَلَ مَدِينَةَ ثُلَا فِي عَسَاكِرِ جَمَّةٍ وَبَقِيَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ أَخِيهِ نَحْوَ شَهْرٍ، ثُمَّ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا مَشَاجِرَةٌ؛ أَرَادَ السَّيِّدُ  
 عَلِيُّ يَحْيَى أَنَّ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ يَبْقَى عِنْدَهُ إِذَا احتاجَ إِلَيْهِ لِأَمْرِ وَجْهِهِ لَهُ  
 وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَانِهِ، وَأَنَّهُ يَفْتَحُ الْحَرْبَ عَلَى بِلَادِ الْأَمِيرِ  
 عَزَّ الدِّينَ وَالْكَلَامَ فِي شَرْحِ ذَلِكَ يَطُولُ ذِكْرُهُ فَالْأَمْرُ بَيْنَهُمَا عَلَى قَبْضِ  
 الْعَهْدِ الْوَثِيقَةِ وَالْأَيْمَانِ الْأَكِيدَةِ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ لِأَخِيهِ أَنَّهُ مَتَى طَلَبُهُ  
 [٩٦] وَصَلَ فِي أَيِّ وَقْتٍ أَرَادَهُ مِنْهُ وَإِنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ وَلَمَّا قَبِضَ الْعَهْدَ

وَعَفَّار: بفتح الفاء، قرية في جبل عيال يُزِيدُ بِالشَّمالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ عَمْرَانَ. [البلدان والقبائل

منه أمر له أخوه علي يَحْيَى بِجُمْلَةِ كِسْوَةِ مَنْ كَسَّاهُ وَمَلَابِسِهِ وَأَعْطَاهُ  
حُبُوبًا كَثِيرَةً فَسَارَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بِلَادِهِ مِنْ بِلَادِ حَجَّةَ.

### ذِكْرُ طَاعَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُطَهَّرٍ<sup>(١)</sup>

وَلَمَّا اتَّفَقَ غَوْثُ الدِّينِ وَصْنُوهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا مُحَاجَجَةٌ وَمُعَاتَبَةٌ، وَحَصَلَ التَّشَكُّيُّ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ جِهَةِ صْنُوهِ عَلِيَّ يَحْيَى، وَأَظْهَرَ مِنَ الشُّكُوى مَا كَانَ مُسِرًّا فِي نَفْسِهِ، فَلَمْ يَنْتَظِمْ بَيْنَهُمَا أَمْرٌ وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَرَفَ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِحَرْبِ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَأَنَّهُ يَضْعَفُ عَنْ مَقَارِمَتِهَا لَا بِمَالِهِ وَلَا بِرِجَالِهِ.

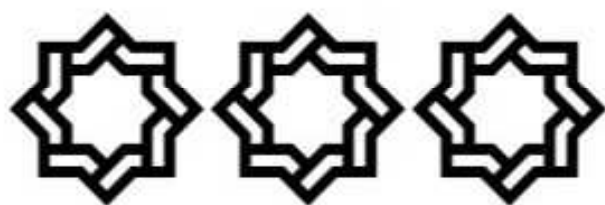
وَلَمَّا صَارَ فِيهَا أَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَى أَخِيهِ عَلِيَّ يَحْيَى وَأَنَّهُ قَدْ بَنَى عَلَى مَوَالَاةِ جَانِبِ السَّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَكَاتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ جَمَلَتِهِ فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ، وَأَنَّهُ يَتَوَسَّطُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي تَقْرِيرِ قَوَاعِدِهِ وَنَظْمِ أُمُورِهِ، فَكَتَبَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ يُخَبِّرُهُ فَأَجَابَهُ إِلَى مَقْصَدِهِ وَمَطْلَبِهِ، وَتَكَرَّرَتِ الْمِرَاجَعَةُ فِيمَا يَكُونُ لَهُ مِنْ بِلَادِ أَخِيهِ عَلِيَّ يَحْيَى إِذَا فَتَحَ الْحَرْبَ عَلَيْهِ مِنْ نَاحِيَّتِهِ

(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْإِمَامِ الْمُطَهَّرِ بْنِ الْإِمَامِ يَحْيَى شَرْفِ الدِّينِ: أَمِيرُ هَمَامٍ، كَانَ حَاكِمًا مِنْ بَعْدِ وَالِدِهِ الْإِمَامِ الْمُطَهَّرِ عَلَى حِصْنِ مَبِينٍ وَكَوْكَبَانَ حَجَّةَ وَحِصْنِ دَرَوَانَ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْعَشَائِرِ وَالْبُلْدَانِ مِنْ مَمَالِكِ حَجَّةَ وَمَا بَهَا مِنَ الْقِلَاعِ كَقَلْعَةِ عَبَسَ وَنَعْمَانَ. قُتِلَ فِي مَنَازِلِهِ (الْحَوْصَيْنِ) تَحْتَ حِصْنِ مَبِينٍ فِي مَتَسَفٍ رَجَبِ سَنَةِ ٩٩٢ هـ. [الفتوحات المُرَادِيَّة (ق ٣١٣/ب)]. [هَجَرَ الْعِلْمَ (١٩٣٧/٤)].

وكانت المراجعة بتوسط الأمير عزّ الدين على أن يكون له من بلاد أخيه  
ما كان يتولّاها في عصر والده فلمّا تمّ الأمر على ذلك [٩٧] فعلَ لهُ بها  
مَوْلانا صاحبُ السَّعادة مراسيم بعد قيامه ومُناصحته لجانب الدَّولة  
السَّعيدة بسنّجق شريف سُلطاني<sup>(١)</sup>.

---

الجزء السادس





## [الجزء السادس]

وقد كان وقع بين السيد علي يحيى وبين عبدالرحمن، بعد وفاة أبيهما<sup>(١)</sup> في سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فتنة عظيمة وحروب هائلة جسيمة مدة طويلة، بعد أن كانت تقررت بينهما قواعد وعهود وأيمان وعقود على اتحاد الحال بينهما، وكانت بينهما في أيام حياة والدهما مودة ومحبة من بين سائر إخوتهما، وكان علي يحيى كان أحب إلى أبيه من بين سائر إخوته وكان لا يود مفارقتة وبُعده عنه وكان نكث العهود من عبدالرحمن في تلك الأيام واعتذر بأمور وقعت عليه من الوزير السيد علي بن أحمد وقام الأمير عز الدين مع علي يحيى في تلك الحروب غاية القيام، وأعانه بعساكره، واجتهد في حرب عبدالرحمن ونكايته، وذلك لما كان بينهما يومئذ من المحالفة والمُعاهدة، بعد وفاة السيد المظهر بن الإمام شرف الدين، ووجه الأمير عز الدين النقيب مبارك شهبان بعساكر جمّة في حرب عبدالرحمن ولم تزل الحرب هنالِكَ، حتى وقعت الهدنة على يد عبدالله بن المظهر [٩٨] وصنوه حفظ الله من غير رضا الأمير عز الدين وعلي يحيى.

---

(١) «أبوهما»: هكنا في الأصل.

ولَمَّا انتهى إلى السَّيِّدِ علي يَحْيَى مخالفة أخيه<sup>(١)</sup> عبد الرَّحْمَنِ عليه ومَيْلُهُ عَنْهُ إلى جانب الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَجَّهَ وَلَدَ أَخِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي إِلَى الرَّغِيلِ<sup>(٢)</sup> مِنْ أَعْمَالِ مَسُورَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْمَعَ مَنْ فِي حِصُونِ مَسُورَ مِنْ عَسْكَرِهِ، وَأَنْ يَجْتَمَعَ بِالسَّيِّدِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيَّ وَبِعَسْكَرِهِ وَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ عَسْكَرِ غَوْثِ الدِّينِ، وَيَجْتَمِعُوا فِي حَرْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَسَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَادِي هُنَالِكَ، وَاجْتَمَعَ بَيْنَ ذِكْرِنَا وَقَصَدُوا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ كَانَ اسْتَوْلَى عَلَى بَعْضِ الْبِلَادِ الْمَتَاخِمَةِ لِبِلَادِهِ مِنْ بِلَادِ أَخِيهِ عَلِيِّ يَحْيَى فَهَزَمُوهُ عَنْهَا أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ.

وبعد هذه الواقعة اضطربت عليه أموره فكتبَ عبد الرَّحْمَنِ يخبر بهزيمته وَوَقَعَتْهُ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَسَأَلَهُ الْإِمْدَادَ لَهُ وَالْغَارَةَ عَلَيْهِ، فَوَجَّهَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِطَائِفَةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَيْهِ نَصْرَةً لَهُ وَنَجْدَةً، وَكَانَتْ وَقَعَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذِهِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا وَبَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ اسْتَأْذَنَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ مَوْلَانَا صَاحِبَ

(١) «أخوه»: هكذا في الأصل.

(٢) الرَّغِيلُ: موضع من بلاد مَسُورَ. [البلدان والقبائل (١/٦٩٧)]. ويقع إلى الغرب من جبل مَسُورَ.

السَّعَادَةُ فِي تَوْجِيهِ عَسْكَرِهِ إِلَى بِلَادِ لَاعَةَ<sup>(١)</sup> وَاسْتِفْتَا حِجَّهَا وَالتَّنْفِيسَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَأَذِنَ لَهُ فَوَجَّهَ عَسْكَرًا صُحْبَةً مَمْلُوكِهِ يَاقُوتَ نَقْرَزَانَ<sup>(٢)</sup> إِلَى بِلَادِ [٩٩] الْجُدْمِ<sup>(٣)</sup> مِنْ بِلَادِ مَسُورٍ، ثُمَّ أَلْحَقَ فِي أَثَرِهِ بَعْسُكِرَ آخَرَ عَلَيْهِ وَلَدَ أَخِيهِ مُطَهَّرَ بْنِ صَالِحِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِ [مَسُورٍ] شِدَادَةً لَهُ.

(١) لَاعَةُ: بِلَادٌ وَاسِعَةٌ مَرْتَفِعَةٌ، تَقَعُ إِلَى جَنُوبِ جَبَلِ (مَسُورِ الْمُتَّابِ). [البلدان والقبائل (١٣٦٣/٢)].

(٢) عَبْدُ مَنْ عَيْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ، وَيُرْوَى صَاحِبُ اللَّالِيَةِ الْمَضِيئَةِ فِي أَخْبَارِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ إِنَّهُ فَدَاهُ بِسِتْمَانَةِ حَرَفٍ (عَمَلَةٌ ذَهَبِيَّةٌ)، وَتَحْكِي الْأَخْبَارِ الَّتِي طَالَعَهَا أَنَّ نَقْرَزَانَ كَانَ قَائِدًا لِحَيْشِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ.

(٣) الْجُدْمُ: مِنْ أَعْمَالِ بِلَادِ مَسُورٍ، بِمَحَافِظَةِ عَمْرَانَ. [البلدان والقبائل (٣٠١/١)]. وَجَاءَ فِي الْفَتْوحَاتِ الْمُرَادِيَةِ: «وَلَمَّا جَاءَتِ الْأُمُورُ الْوَزِيرِيَّةُ إِلَى الْمَلِكِ مُحَمَّدِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ إِرْشَادُهُ إِلَى الْإِنْجَادِ مَغِيثًا لِمَنْ اسْتَفَاثَ وَطَلَبَ الْإِمْلَادَ، فَجَهَّزَ مِنْ حَيْثُ جَنَلًا مَنْصُورًا وَعَلَيْهِمُ النَّقِيبُ يَاقُوتُ نَقْرَزَانَ، يَدْبِرُ أَمْرَهُمْ فِي الْإِصْلَاحِ وَالْإِيرَادِ، وَسَارَ بِهِمْ مَجَلًّا مِنْ حَصْنِ كُوكِبَانَ يَقْطَعُ بِهِمُ الْأَغْوَارَ وَالْأَنْجَادَ، وَبَلَغَ إِلَى بِلَادِ الْجُدْمِ مِنْ بَعْضِ أَعْمَالِ حَصْنِ مَسُورٍ، وَخَيَّمَ هُنَاكَ وَعَسْكَرَهُ، وَظَهَرَ أَمْرُهُ هُنَاكَ وَاشْتَهَرَ وَأَرْدَفَهُ الْمَلِكُ مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ بِابْنِ أَخِيهِ مُطَهَّرَ بْنِ صَالِحِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ فِي جَنْدٍ وَعَسْكَرٍ وَأَمْرَهُ بِالْإِقَامَةِ حَيْثُ عَسْكَرَ النَّقِيبُ يَاقُوتُ نَقْرَزَانَ وَيَتَقَدَّمُ النَّقِيبُ الْمَذْكُورُ إِلَى الْإِغَارَةِ عَلَى بِلَادِ مَسُورٍ وَلاَعَهُ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْبِلَادِ، فَزَحَفَ النَّقِيبُ يَاقُوتُ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى بَعْضِ جِهَاتِ لَاعِهِ، وَبَلَغَ إِلَى مَوْضِعٍ يُسَمَّى ثَوَمَةً فَوَاجَهَهُ إِلَيْهَا مِنْ مُوَاجَهَةِ مِنَ الْقِبَائِلِ الْبَازِلِينَ لِلْعَاطَةِ». [الفتوحات المرادية (٤٤/٣)].

ولما بلغ محمد بن الهادي وابن السيد أحمد قدوم عسكر الأمير عز الدين إلى حيث ذكرنا، سار ابن السيد أحمد إلى مسور وبقي محمد بن الهادي حيث هو يومئذٍ ومعه جماعة من عسكر عمه غوث الدين في مقابلة عمه عبدالرحمن، والنقيب ياقوت مملوك الأمير عز الدين تقدم إلى مكان يُقال له: الثومة، من بلاد مسور بعد أن واجه أهلها، فقصدته القبائل التي حوالية ومن في مسور من عسكر علي يحيى وابن السيد أحمد وعساكره، فحصره فيها وضيقوا عليه، وأيقن هو ومن معه بالهلكة وجاءت الأخبار إلى الأمير عز الدين بانحصار مملوكه، فوجه من ساعته النقيب مبارك شعبان من مخروس كوكبان في عسكر مغيراً على من ذكرنا، وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة وأمره بالحث في مسيره.

ثم وقع إلى الأمير سنان الخبر بحصار مملوك الأمير عز الدين ومن معه في الثومة<sup>(١)</sup> فوجه من حينه عسكراً من محاسن العساكر السلطانية من العرب والعجم، نصره ومدداً للنقيب ياقوت مملوك الأمير عز الدين [١٠٠] وللتنفيس عليه، وأمرهم بالمبادرة في مسيرهم فساروا سيراً حثيثاً،

(١) جاء في الفتوحات المردية: «وَحْصِرُوا فِي ثُومَةٍ حِصَاراً أَشْرَفَ بِهِمْ عَلَى الْإِخْذِ وَالزَّوَالِ، فَأَنْجَدَهُمُ الْمَلِكُ مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ بِجُنْدٍ عَظِيمٍ ... وَعَلَيْهِمُ النَّقِيبُ الْوَاحِدُ الْأَشْهُرُ مُبَارَكُ شُعْبَانَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى خِلَاصِهِمْ مِنْ جِهَاتِ الْعُلُوبَةِ». [الفتوحات المردية (٤٤/٣)].



فلما شارفوا على الثَّومَة ورأَهم<sup>(١)</sup> القبائل والعساكر المحاصرة لهم مع ابن السَّيِّد أحمد فشَلُّوا وَوَقَعَ الرعب في قلوبهم فولوا الأدبار مُنْهَزِمِينَ فأما ابن السَّيِّد أحمد فارتفع إلى مَسُور وَخَرَجَ النَّقِيبُ ياقوت من حِصَّارِهِ واجتمع بعساكر السَّلْطَنَة ثُمَّ تَقَدَّمَ النَّقِيبُ مُبَارَكُ شُعْبَانَ إلى هُنَالِكَ واجتمع الجميعُ واستفتحوا جميع بلاد لآعَه وحصونها في أقرب مُدَّة. ثُمَّ عمل الأمير سِنَان على الاجتماع بالنَّقِيبِ مُبَارَك في بيت عُدَّاقَه<sup>(٢)</sup> من بلاد مَسُور فاتَّفقا هُنَالِكَ وتفاوضا فيما أراداه وما قصدا نظامه وتديبره، وفتحوا في ذلك اليوم حصن العُرَّ<sup>(٣)</sup> ورجع الأمير سِنَان إلى المُخَيِّم

(١) «ورأهم»: هكذا في الأصل.

(٢) جاء في الفتوحات المُرَادِيَّة: «وفي شهر رمضان سنة تسعين وتسعمائة، وسار بعد الخلاص النَّقِيبُ ياقوت إلى بيت عُدَّاقَه، وبها أقام مخيمه ووطَّاه، وهي بلد بالقرب من قلعتي العُرَّ والكَلَالِي، جامعة لكثير من ... حصن مَسُور الشَّامِخ العَالِي». [الفتوحات المُرَادِيَّة (٣/ ٤٤)].

(٣) العُرَّ: قرية في جبل مَسُور، أسفل حصن الكَلَالِي، وهي من ذوات الآثار. [البلدان والقبائل (٢/ ١٠٣٥)]. وقد ضبطه صاحب صفة جزيرة العرب بضم العين المهملة، وكذلك فعل المؤلف، إلا أنَّه عند صاحب البلدان والقبائل بكسر العين. [صفة جزيرة العرب (١٠٧)].

وجاء في الفتوحات المُرَادِيَّة: «ولما استقرَّ الأمير سِنَان في بيت عُدَّاقَه بمن معه من أسود العسكر المنصور هابته القبائل وانقادت بالطَّاعَة إلى يده، واعتدل منها باقدامه وبأسه كل معوج، وكل مانل، مذ نزلَ إليه محافظوا قلعة العُرَّ وقلعة الكَلَالِي من رتبة الملك علي يَحْيَى، وسَلَّمُوا القلعتين، فقرر بهما رتبة سُلْطَانِيَّة من أرباب السيوف والعوالي» [الفتوحات المُرَادِيَّة (٣/ ٤٥)].



الْمَنْصُورِ عَلَى حِصْنِ مُدَعٍ، وَالتَّقِيبِ مُبَارَكٍ سَارَ إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلًا،  
وَالسَّيِّدِ مُطَهَّرِ بْنِ صَالِحِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ أَمْرُهُ عَمُّهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى جَبَلِ  
الْجُدِّ، وَأَنْ يَبْقَى هُنَالِكَ.

وَمُحَمَّدُ بْنُ الْهَادِي لَمَّا بَلَغَهُ هَزِيمَةُ ابْنِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ  
مُحَاصِرًا لِمَمْلُوكِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَوُصُولِ عَسْكَرٍ مِنْ مَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ إِلَى عَمِّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَقَدْ هَرَبَ عَنْهُ عَسْكَرُ غَوِثِ الدِّينِ، وَلَّى  
مَنْهَازًا إِلَى مَسُورٍ وَبَقِيَ فِيهِ، وَقَدْ كَانَ وَجْهَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بَعْدَ  
مَيْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى جَانِبِ [١٠١] السَّلْطَنَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ مَتَّاشِ  
الْخَوْلَانِيِّ، لِقَبْضِ الْعَهْدِ لِلْسَّلْطَنَةِ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَسَارَ إِلَى هُنَالِكَ وَقَبِضَ  
الْعَهْدَ مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَرَجَعَ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَبَعْدَ  
هَزِيمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَادِي اسْتَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى مَا قَرَّرَ لَهُ مَوْلَانَا  
صَاحِبُ السَّعَادَةِ مِنَ الْبِلَادِ.

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَقَعَ فِيهِ رَجْفَةٌ عَظِيمَةٌ بَعْدَ  
الْعِشَاءِ الْأَخِيرِ وَتَزَلْزَلَتْ مِنْهَا الْبُيُوتُ وَتَبَعَهَا رَجْفَةٌ أُخْرَى بَعْدَ الْعَصْرِ لَهَا  
أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ.

وَفِي خِلَالِ ابْتِدَاءِ هَذِهِ الْحُرُوبِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي بِلَادِ لَاعَةِ وَحَجَّةٍ  
وَالْحِصَارِ عَلَى مَخْرُوسِ مُدَعٍ، وَقَعَتْ بَيْنَ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَبَيْنَ الْإِمَامِ  
الْحَسَنِ صَاحِبِ الْأَهْنُومِ مَكَاتِبَاتٌ وَمُرَاسِلَاتٌ وَتَقْرِيرُ قَوَاعِدٍ، عَلَى أَنَّهُ  
يَقُومُ مَعَ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَيَعَاظِدُهُ وَيُنَاصِرُهُ وَيَبْذِلُ لَهُ الطَّاعَةَ، وَيَكُونُ مِنْ

أتباعه ويسلم له حصون مَسُورَ وَحَجَّةَ وَالسُّودَةَ وبلادها، فرغب الإمام الحسن إلى ذلك أولاً ثُمَّ رَجَعَ عنه آخرًا، وغوث الدِّين لم يساعد صِنُوهُ علي يَحْيَى في المصير معه في موالة الإمام تلك الأيام وكذلك السَّيِّد أحمد بن الحُسَيْن لم يُسَعَف إلى موالة الإمام، بعد أن قد وقع مراسلة ومكاتبة في تلك الأيام فتأخر الإمام الحسن عن موالة مَنْ ذكرنا.

وأما ما كان [١٠٢] من أمر السَّيِّد أحمد بن الحُسَيْن فلَمَّا استولت العساكرُ السُّلْطَانِيَّةُ على بلاد لاعة وبلاد مَسُورَ، خَرَجَ عَنْ مَسُورَ هَارِبًا فيمن معه من أصحابه إلى عَفَّارَ وتلقاهُ غوث الدِّين وأكرمه وبقي عنده أيامًا، حتَّى جنَحَ إلى طاعةِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وتقرَّرت قواعده، وسار عنه إلى سُودَةِ شُظْبَ فبقي بها حتَّى وَقَعَ تسليم مُدَعٍ، وسيأتي خبر تسليم مُدَعٍ إن شاء الله تعالى فسارَ إلى أبيه إلى مدينة صَعْدَه.

## ذكر طاعة غوث الدين للسلطنة العلية:

وأما غوث الدين فإنه لما رأى ما وقع من الاستيلاء على بلاد أخيه علي يحيى، وأن أخاه عبد الرحمن صار يروم قصد بلاده ويأخذ بها مراسيم شريفة من مولانا صاحب السعادة، خاف منه - وكان بين عبد الرحمن وبين أخيه غوث الدين قبل تلك الأيام عهداً على حاله وعدم مراعاتهم لبعضهم البعض، وطمع كل في أخيه وعدم الوفاء بالعهود أمر عجيب، مما يطول الكلام عليه، وليس هذا موضع إيراد ذكره - [و] عرف أنه إن لم يبادر بالمسارعة بدخوله في الطاعة السلطانية، يصون بذلك نفسه وبلاده راحت عنه بلاده، فكتب إلى الأمير عز الدين بالتوسط فيما بينه وبين مولانا صاحب السعادة في تقرير قواعده، والبقاء له على بلاده ويكون معه في طاعة مولانا السلطان الأعظم، فكتب الأمير عز الدين إلى مولانا صاحب السعادة بما طلبه غوث الدين [١٠٣] فأجاب في شأن غوث الدين بما طلبه منه وأراده وتقررت قواعده على نظر الأمير عز الدين في الأمور التي اشترطها، بشرط قيامه مع الدولة السعيدة الخاقانية ومناصرتها والاستقامة على طاعتها.

ولما تقررت هذه القواعد أرسل مولانا صاحب السعادة الخواجا علي والشيخ علي بن متاش الخولاني إلى عفار، لقبض العهد من غوث الدين

لِلدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَأَصْحَبِهَا خِلْعَةً شَرِيفَةً لَغُوثِ الدِّينِ، فَسَارَا إِلَى هُنَالِكَ وَخَلَعَا عَلَى غُوثِ الدِّينِ وَقَبْضًا مِنْهُ الْعَهْدَ ثُمَّ رَجَعَا مِنْ عِنْدِ غُوثِ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ خَلَعَا عَلَيْهِ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ.

وَالسَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيُّ اسْتُخْدِمَ فَرَسَانًا كَثِيرَةً مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مِنْ قَحْطَانٍ وَغَيْرِهِمْ وَجَمَعَ جُمُوعًا كَثِيرَةً وَأَنْفَقَ الْإِنْفَاقَاتِ الْكَبِيرَةَ وَكَانَ يَكَاتِبُ إِلَى عَلِيِّ يَحْيَى أَنَّهُ سَيُخْرِجُ مِنْ صَعْدَةٍ فِي جُمُوعِهِ قَاصِدًا لِنَصْرَتِهِ وَمَعُونَتِهِ وَلَمْ يَفْعَلْ مَا وَعَدَ بِهِ.

وَفِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ غَزَا شُرَفَاءُ جَازَانَ<sup>(١)</sup> وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ فِي جَانِبِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيِّ إِلَى بَلَدِ أَبِي عَرِيشَ فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، وَأَسْرَوْا أَمِيرَهَا وَسَارُوا بِهِ إِلَى السَّيِّدِ أَحْمَدَ إِلَى مَدِينَةِ صَعْدَةٍ، فَكَسَاهُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَقَرَّرَهُ فِي بَيْتٍ بِصَعْدَةٍ، وَاسْتَبْقَاهُ هُنَالِكَ أَيَّامًا ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ [١٠٤] إِلَى مَدِينَةِ صَنْعَاءَ

وَفِي شَهْرِ الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى مَحْرُوسِ كَوْكَبَانَ، فَتَلَقَاهُ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينَ بِالْإِعْزَازِ وَالتَّكْرِيمِ وَالْإِنْصَافِ وَالتَّفْخِيمِ، وَكَانَ سَبَبَ قُدُومِهِ الِاسْتَنْجَازَ لِمَا وَعَدَهُ بِهِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنْ

(١) جازان: موضع في طريق حاج صنعاء . [مراصد الاطلاع (١/٣٠٦)]. وهي من مدن تهامة المشهورة.



الإِنعام عليه بالسَّنجَق الشَّريف واللَّواء المنيّف، بعدَ قيامه ومناصرتِه  
لجانب السُّلْطَنَة السَّعيدة ومحاربته لأخيه عليّ يَحْيَى، وأنّه متى صارَ في  
مَحْرُوس كَوَكَبَان وجّه إليه بما وعده به.

فكتب الأمير عزّ الدّين إلى مَوْلَانَا صاحب السَّعادة يخبره بقدمه عليه  
والاستنجاز لوعده الصّادق ومَوْلَانَا صاحب السَّعادة أيّده الله أصدق  
النّاس لِسَانًا وأوفاهم عهدًا وأرعاهم ذمامًا.

ومَوْلَانَا صاحب السَّعادة حَال أن وصله كتاب الأمير عزّ الدّين بقدم  
عبد الرّحمن لذلك المطلب الَّذي ذكرنا، فوجّه إليه بالسَّنجَق الشَّريف  
وبخِلْعَة سِنِيَّة صُحْبَة الآغا مُصْطَفَى والشَّيخ عليّ بن متّاش الخولانيّ،  
وجعل البلاد التي صارت إليه من بلاد أخيه عليّ يَحْيَى مقابل جامكية  
سَنجقه، وبقي الأمير عبد الرّحمن في مقام الأمير عزّ الدّين إلى إطلال  
أوائل شَهْر الحِجَّة الحرام، واستأذن في مسيره إلى بلاده فسار إليها.

وفي شَهْر محرم الحرام أول عام سَنَة إِخْدَى وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَة رَجَح  
الأمير عزّ الدّين مسير ابن عمّه الأمير عبد الله بن المُطَهَّر إلى حَضْرَة  
[١٠٥] مَوْلَانَا صاحب السَّعادة إلى مَحْرُوس صَنْعَاء، وكان ملازمًا له  
وواقفًا في جَنَابِه منذ خَرَج من سجن الإمام الحسن من الأهُنُوم، وأرسل  
إلى حَضْرَة مَوْلَانَا صاحب السَّعادة في أمر وصوله إليه والقُدُوم عليه وأن  
في وصوله إلى حَضْرَتِه ومقامه ما يُرغِمُ به كافّة إخوته وتعرّف النّاس  
بوصول ابن المُطَهَّر مَلِك العَرَب في أيّامِه إلى حَضْرَتِه، ومَسَارِعتِه بطاعة



سلطانه وطاعته والأمير عز الدين، مستملياً منه ببقائه في جنابه في أيام محاربتة لإخوته ومبايناً لهم معه ولأجل أن تناله مكارم مولانا صاحب السعادة وتفضلاته بما يحسن به حاله ويعظم به شأنه، وأن ينعم عليه بسنجد شريف سلطانني ويقرر له جامكية سنجقه، فأذن مولانا صاحب السعادة بوصوله إليه.

ووجه الجناب السامي الآغا مصطفى والشيخ علي بن متاش الخولاني إلى مقام الأمير عز الدين، ليسر الأمير عبد الله بن مطهر صحبتهما<sup>(١)</sup> فوجه الأمير عز الدين من وقته وصحبته جماعة من عسكره يسايرونه إلى محروسة صنعاء، في زي حسن، وتقدم في ذلك اليوم فبات في ضلع، ولما جاء الخبر إلى مولانا صاحب السعادة، أمر ولده الأمير حسين بتلقيه إلى قاع المنجل، في عساكر عظيمة ودخل صنعاء في زي حسن، وتقدم في ذلك اليوم إلى حضرة مولانا صاحب السعادة [١٠٦] أيده الله تعالى ففعل إليه من الإكرام والتبجيل والإفخام والتجليل ما لا يقدر على حصره عوامل

(١) وجاء في الفتوحات المُرادية: «وبعث إليه من أعيان دولته رجلين معتبرين لقبض عهده وبيعته، ويعاهداه على دوام الاستقامة في الطاعة في إقامته وفي رحلته، فسارع إلى المبايعه، ومد يده الطائفة معاهداً على دوام المبايعه موالاة الدولة العثمانية السامية.... وأمره الوزير بالفتح على أخيه غوث الدين بالحرب ذات الالتهاب والاستعارة». [الفتوحات المُرادية (٤٤/٣)].

الأقلام، وقد سبق ذكر ذلك بعون الله تعالى في هذا التاريخ المبارك في ذكر بعض مكارم مَوْلَانَا صاحب السَّعادة.

وفي هذا الشَّهر ارتفع إلى السَّيِّد علي يَحْيَى من خبر أصحابه المنحصرين بِمُخْرُوس مُدَع، أَنَّهَا حصلت معهم آلامٌ كثيرة هائلة مختلفة، وَأَنَّهُ قد مات أكثرهم ولم يَبْقَ إلا القليل، وَأَنَّ الآلام الواقعة معهم غريبة؛ مِنْهُمْ مَنْ تَسْقُط عِيْنَاه فيموت، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَوَرَّم فيموت، وغير ذلك، فعند ذلك عرف أَنَّ الصُّلح أَوْلَى به وَأَنَّ دخوله في طاعة مَوْلَانَا السُّلْطَان الأعظم أسْلَمَ لحاله وأبقى لنفسه وأصلحَ لدينه ودنياه، فَجَنَحَ إلى المصالحة وبَذَلَ الطَّاعَةَ والمَسَالِمَةَ؛ فَرَأْسِلَ إلى وَلَدِ عَمِّهِ الأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ والمَقَرِّ الكَرِيمِ العَالِي الأَمِيرِ مُصْطَفَى النَّظِيرِ في أمر ذلك والتَّوسِطِ فيما بينه وبين مَوْلَانَا صاحب السَّعادة، فَكَتَبَ الأَمِيرُ عَزِّ الدِّينِ إلى مَوْلَانَا صاحب السَّعادة يَعْرِفُهُ بِمَا طَلَبَهُ علي يَحْيَى من محبته في الدُّخُولِ في طاعة الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَتَكَرَّرَت حينئذ المراسلة والمراجعة في تقرير القَوَاعِدِ بِتَمَامِ الصُّلحِ مُدَّةَ أَيَّامٍ قَرِيبَةٍ على نظر الأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ وتوسطه، فَجَنَحَ مَوْلَانَا صاحبُ السَّعادة إلى المساعدة [١٠٧] في الصُّلحِ والمَسَالِمَةِ اقتداءً بقول الله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهَا ۖ} [سورة الأنفال: ٦١] وتقرَّرت القَوَاعِدُ حينئذ على أَنَّهُ يَسْلَمُ حصن مُدَعَ للدَّوْلَةِ السَّعيدَةِ الخاقانيَّةِ، وَأَنَّ البلاد التي استفتحَهَا مَوْلَانَا صاحبُ السَّعادة جميعَهَا

للسُّلْطَنَةِ وَأَنَّهُ يَسْلَمُ حَصْنَ بُكْر<sup>(١)</sup> لِلأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَيَضْمَنُ عَلَيْهِ الأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ بِاسْتِقَامَتِهِ عَلَى الطَّاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَمَا كَانَ مِنْ شِخْنَةِ الْحُبُوبِ وَنَحْوَهَا بِمَخْرُوسٍ مُدْعٍ فَلِلسَّيِّدِ عَلِيٍّ يَحْيَى وَإِلَّا قُومَتْ<sup>(٢)</sup> وَسُلِمَتْ أَثْمَانُهَا.

---

(١) بُكْر: حصن يحاذي جبل كوكبان وبه مآثر قديمة، ولا يتم الصُّعود إليه إلا من طريقة واحدة مشياً بالأقدام. [البلدان والقبائل (١/١٨٨)].

(٢) قُومَتْ: قُدِّرَ ثَمْنُهَا.

اجتماع علي يحيى مع الأمير عز الدين والأمير الدفتردار في  
حوشان لأجل المصالحة:.

وفي خلال هذه المراجعة المُقدّم ذكرها بتقرير قواعد الصلح، وقعت  
بين الأمير عز الدين وابن عمّه علي يحيى مكاتبة على الاتفاق بينهما،  
فعرّف الأمير عز الدين مَوْلَانَا صاحب السعادة بذلك والإذن منه في  
الاتفاق إن رجع ذلك، فأذن مَوْلَانَا صاحب السعادة للأمير عز الدين  
بالاتفاق فكتب إلى ابن عمّه بالملقى إلى طرف حوشان والاتفاق هنالك،  
وسار الأمير عز الدين لأجل الملقي والاتفاق، وسار صحبته قدوة أرباب  
الافتخار الأمير مُصطفى الدفتردار، وجميع العساكر السلطانية الذين عنده  
يومئذ في المُخيم بحوشان، فاتفقوا في طرف قاع حوشان ثم ساروا جميعاً  
إلى مخروس كوكبان وذلك في اليوم الثاني من شهر صفر.

ولما صاروا في كوكبان وذلك [١٠٨] في اليوم الثاني من شهر صفر كتب  
الأمير عز الدين إلى مَوْلَانَا صاحب السعادة يخبره بحصول السيد علي  
يحيى عنده، وإسعافه إلى ما طلبه وإلى ما شرط عليه، فوجه مَوْلَانَا  
صاحب السعادة الجناب الفخيم الأمير خواجا علي إلى الأمير عز الدين  
لتمام ذلك وأصحابه خلعة شريفة للسيد علي [يحيى] فلما نجزت الأمور

على مقتضى الأمر الذي اختاره صاحب السعادة، وجّه الجناب السامي حُسَيْنًا<sup>(١)</sup> يازجي الديوان ليقبض العهد من علي يَحْيَى ويتسلم حصن مُدَع<sup>(٢)</sup> ويعرض شُخْنه ويفتقد عُدده، ومعه مراسيم شريفة بالأمان لِمَنْ في مُدَع بعد تسليمه للسلطنة السعيدة، فقبض العهد من علي يَحْيَى في حُضرة الأمير عز الدين وجماعة من أعيان أصحابه، والأصل أن الأمير سنانًا<sup>(٣)</sup> مَمَّن يُخافُ في بعض أحواله وأطواره؛ ومن أجله أمر مَوْلَانَا بالوصول إلى جنابه في خلال أمر الإصلاح فقدم.

والأمير سنان قد كان مَوْلَانَا صاحب السعادة أمر له أن يصل إلى مقامه، بعد وصول الأمير عبد الله بن المُطَهَّر لمفاوضته في تقريرات قواعد الأمير عبد الله وغيرها فقدم، فسار الجناب الفخيم حُسَيْن كاتِبُ الديوان في جماعة من أصحاب الأمير عز الدين بعد قبض العهد من السيد علي يَحْيَى وتمام قواعده إلى مخروس مُدَع لتسليمه وأصحابه السيد علي [١٠٩] بعض شيء من كتبه، ومعه خطوط إلى مَنْ في مُدَع، وكان رئيس

(١) «حسين»: هكنا في الأصل.

(٢) وجاء في الفتوحات المُرادية: «ووجه حُضرة الوزير لقبض مُدَع الأمير عبد الله بن إدريس اللّاعني، والشَّيخ محمد بن حميد السَّحاني، ومعهما طائفة من العسكر السُّلطاني». [الفتوحات المُرادية (٤٢/٣)].

(٣) «سنان»: هكنا في الأصل.



من في مُدَع رَجُل يَسْمَى أبا<sup>(١)</sup> حَشَّاش - بشينين معجمتين - من بلاد شَمَات<sup>(٢)</sup> من فحول الرجال وشجعانهم وأعرفهم بتدبير الحروب، وكان ممَّن مَارَسَ الحروب مع السَّيِّد المُطَهَّر بن الإمام شَرَف الدِّين.

فلَمَّا وَصَلَ الجَنَاب الفخيم حُسَيْن يازجي الدِّيوان إلى مُدَع ومن معه تَسَلَّمَهُ وَخَرَجَ سَائِر مَنْ فِيهِ إِلَى مَدِينَةِ مَحْرُوس ثَلَا وَلَمْ يُغَيَّرْ عَلَيْهِمْ حَالٌ، بَلْ خَرَجُوا عَلَى الْأَمَانِ الَّذِي وَضَعَهُ لَهُمْ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ وَالْقَوَاعِدِ الَّتِي قَرَّرَهَا لَهُمْ، وَقَوَّمتْ بَعْدَ التَّسْلِيمِ أَثْمَانُ الشُّحْنِ وَالذَّخِيرَةِ الَّتِي بِمَحْرُوس مُدَع، فَجَاءَتْ أَثْمَانُهَا أَلْفُ دِينَارٍ فَسَلَمَهَا مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ لِلسَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَفَاءً بِمَا صَدَرَ مِنْهُ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينُ فَأَمَرَ مَنْ قَبِضَ لَهُ حَصَنٌ بُكْرٌ وَخَرَجَ مِنْ كَانَ فِي بُكْرٍ وَشِخْنَتِهِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ، أَخْرَجَهَا السَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى إِلَى ثَلَا وَالسَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى لَمَّا سَقَطَ فِي يَدِ وَلَدِ عَمِّهِ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينِ، وَرَأَى مِنْهُ الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينِ النَّدَمَ وَالْأَسْفَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ مَخَالَفَتِهِ فِي أَرَائِهِ وَمَصِيرِ بُكْرٍ فِي يَدِهِ بِسَبَبِ ضِمَانَتِهِ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي شَرَحْنَا ذِكْرَهَا أَرْجَعَ لَهُ نِصْفَ بِلَادِهِ الَّتِي

(١) «أبو»: هكذا في الأصل.

(٢) شَمَات: هو ما يسمى بحصن المُخَيَّر وهو اليوم عُزْلَةٌ إدارية من مديرية العَلَوِيَّةَ بمحافظة المحويت، وبلاد العَلَوِيَّةَ تُتَّصِلُ بِبِلَادِ مَسُورِ المُنْتَابِ مِنْ شَمَالِهَا.

كَانَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا مِنْ بِلَادِ [١١٠] مَسُور، مِثْلَ قُرَاضِهِ<sup>(١)</sup> وَلَاعَهُ وَمَا يَلِيهَا وَتَجَدَّدَتْ بَيْنَهُمَا عُهُودٌ وَمَوَاقِيقٌ فِي اتِّحَادِ الْحَالِ بَيْنَهُمَا، وَانْتِظَامِ أَمْرِهِمَا فِي طَاعَةِ السُّلْطَنَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ الْخَاقَانِيَّةِ الْمَنْصُورَةِ.

وَأَمَّا الْبِلَادُ الَّتِي صَارَتْ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ بِلَادِ أَخِيهِ عَلِيِّ يَحْيَى، فَإِنْ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى اشْتَرَطَهَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ جَمِيعَهَا حَالِ الْخَوْضِ فِي الصُّلْحِ، وَأَنَّهُ لَا رَجُوعَ لِقَرْيَةٍ مِنْهَا لِعَلِيِّ يَحْيَى، وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي صُلْحِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ لِأَنَّهُ قَدْ آوَى إِلَى جَنَابِ ظِلَالِ أَمَنِ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ وَعَفْوِهَا، وَصَارَ مِنْ جُمْلَةِ أَتْبَاعِهَا وَأَنْصَارِهَا، وَالسَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى لَمْ يَبْرُحْ مِنْ مَقَامِ ابْنِ عَمِّهِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ حَتَّى نَجِزَتْ جَمِيعُ الْقَوَاعِدِ وَسَلَّمْ مُدْعٍ وَبُكْرٌ.

وَلَمَّا تَمَّتِ الْأُمُورُ، وَجَّهَ الْأَمِيرُ الشَّرِيفُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَمْزَةِ الْحَمَزِيِّ الْحَسَنِيِّ<sup>(٢)</sup> إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ إِلَى صَنْعَاءِ الْمَحْرُوسَةِ، لِأَخْذِ الْعَهْدِ مِنْهُ بِمَا تَقَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِخَلْعِ سَنِيَّةٍ وَعَطَايَا هَنِيئَةٍ، وَأَمَرَ لِمَنْ جَاءَ صَحْبَتَهُ مِنْ أَصْحَابِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى بِكَسَاءٍ وَدِرَاهِمٍ

(١) قُرَاضَةٌ: حَصْنٌ بِالْيَمَنِ لِابْنِ الْبُلَيْدِ الْقُدَمِيِّ. [معجم البلدان (٤/٣١٦)]. وَقُرَاضَةُ الْيَوْمِ اسْمُ بَلَدَةٍ فِي جَبَلِ مَسُورِ الْمُتَنَابِ مِنْ أَعْمَالِ مَحَافِظَةِ عَمْرَانَ. [البلدان والقبائل (٢/١٢٥٨)].

(٢) الْمَعْرُوفُ بِالْأَدْرَن؛ رُوحُ الرُّوحِ: (٢٢١).

وقبض الأمير أحمد العهد للسيد علي يحيى من مؤلانا [١١١] صاحب السعادة ورجع إليه، وسار السيد علي يحيى بعد ذلك إلى مخروس مدينة ثلا.

وقد كان وقع من السيد علي يحيى في حال الخوض في الإصلاح ذكر أخيه لطف الله أنه يكون صلحه بصلحه فلم يسعفه صاحب السعادة ولم يوافقه على ذلك بل قال: «لا يمكن صلح الأمير لطف الله، إلا بتسليم دمرمر، وإلا فلا سبيل إلى صلحه»، فأعرض السيد علي يحيى عن ذلك مخافة أن تتغير عليه القواعد التي قد انتظمت وتقررت في الصلح بينه وبين مؤلانا صاحب السعادة، ولمعرفته أن أصحابه الذين بمُدع قد مات أكثرهم من الآلام الواقعة فيهم، وأنه لم يبق إلا أقلهم، وإن لم يبادر بتلافيهم والصلح لأجله ولأجلهم سلمة النايب من غير مشاورته ولا رضاه، وعادت الحروب عليه، والأمر قد اشتد عليه بمطاوله الحروب وانقطاع المواد عنه، وميل كافة إخوته عن موالاته ونصرته، وصاروا من جملة أتباع السلطنة ولم يبق إلا الأمير لطف الله محصوراً، وأن أنصاره الذين خالفهم وعاهدوه بالقيام معه، تركوه منفرداً مضطلياً للحروب والفتن.

وكان بعد تمام الصلح المقدم ذكره على تلك الأمور التي تقدم ذكرها بأيام يسيرة، وجّه مؤلانا صاحب السعادة بحصان [١١٢] نجيب عليه سرج محلي ولجام محلي وبسيف محلي، وخلعة سنية من أنف الأقبية

للسيد علي يحيى صُحْبَةُ الْجَنَابِ السَّامِيِّ الْأَمِيرِ خَوَاجَا عَلِيٍّ، فَلَمَّا وَصَلَ  
الْمَذْكُورُ بِمَا ذَكَرْنَا إِلَى مَدِينَةِ ثُلَا، تَلَقَّاهُ السَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى بِالتَّعْظِيمِ  
وَالْتَّكْرِيمِ، وَأَظْهَرَ الْمَسْرَةَ وَلَبَسَ الْخِلْعَةَ وَرَكِبَ فَوْقَ الْحَصَانِ وَتَقَلَّدَ  
السَّيْفَ، وَبَالَغَ السَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى فِي إِكْرَامِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ وَإِضَافَةِ الضِّيَافَاتِ  
الَّتَامَّةِ السَّنِيَّةِ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِخِلْعَةٍ عَظِيمَةٍ وَبِمَرْكُوبٍ مِنْ  
نَجَائِبِ خَيْلِهِ وَصَلَةَ جَزِيلَةٍ، وَكَسَا جَمِيعَ مَنْ جَاءَ صَحْبَتَهُ وَأَعْطَاهُمْ دَرَاهِمَ  
كَثِيرَةً فَفَرَّقَتْ فِيهِمْ.



## ذكر تسليم حصن مُدَع للدولة السعيدة السلطانية:

وكان تسليم حصن مُدَع للدولة السعيدة السلطانية ومصيره من جُمْلَةِ القلاع الخاقانية في الممالك اليمنية في العشر الأولى من شهر صفر سنة إحدَى وتسعين وتسعمائة.

وفي هذا الشهر المذكور عمل مَوْلَانَا صاحب السعادة على المسير إلى حصن مُدَع، لطيفته وافتقاده أموره<sup>(١)</sup> فسار إلى هُنَالِكَ في يوم الإثنين تاسع عشر من الشهر المُقَدَّم ذكره، فلَمَّا وصل إلى مَحْرُوس مُدَع خلع على جميع الأمراء والأعيان الكبراء خلعاً سنيّة وزاد للعساكر السلطانية في جوامِكِهِمْ وأحسن إليهم وعمل هُنَالِكَ سَمَاطاً عظيماً لم يَرِ مثله، هياً عمله ثمانية أيام فَطَعِمَ [١١٣] من ذلك السَمَاط جميع من كان هُنَالِكَ من عساكر السلطنة الخاقانية وأتباعهم وهُم خَلَق لا يحصى، وجميع مَنْ كان هُنَالِكَ من الرعايا ولم ينالوا منه إلا بعضه مع كثرة مَنْ أكل منه.

(١) وجاء في الفتوحات المُرادية: اثم إنه طاف جميع حصن مُدَع وأحاط بكل نواحيه، فرأى ما رأى في ذروته العالية من صفات المعازل الشامخة السامية، ووجد بدَّ الخراب قد أتت فمات فيه من خان، ودكته الملافع أيام الحصار والحرب القوان، وكيف بلغ في الخراب شأنًا مهولاً، وقد رُمِيَ بنحو ثلاثة آلاف حجر من أحجار الملافع الكبار، رمياً تداركه موصولاً، حتى صار كُلُّ معمور هُنَالِكَ نظامه بيد الخراب محلولا. [الفتوحات المُرادية (٣/ ٣٧)].



وعند وصول ركاب مؤلانا صاحب السعادة إلى مدع سار المجلس السامي<sup>(١)</sup> عبد الله بن المطهر من كوكبان إلى جناب مؤلانا، وحال وصوله إلى حضرته الشريفة قابله بالإجلال والإفخام والرعاية الوافرة والإنعامات المتكاثرة.

وحصن مدع من مشاهير حصون اليمن المشهورة المدونة المذكورة في التواريخ والسير، ولم يقدر أحد على فتحه من باشوات الدولة العثمانية وأمراء المملكة الخاقانية، ولا وصل بالقرب منه ولا قد ملكه أحد من ملوك الروم والعجم، فيما مر من الزمان وتقدم.

وحاصره الإمام شرف الدين رحمته الله وخط عليه أربع سنين متوالية، وما أخذه وملكه إلا بعد هذه المدة، وكانت لديه حروب عظيمة وملاحم هائلة جسيمة، وفي بعضها كسر السيد المطهر بن الإمام شرف الدين كسيرة كبيرة واستولى على كثير من أصحابه وعسكره وكان مدع يومئذ للإمام مجد الدين بن الحسن المؤيدي<sup>(٢)</sup>.

(١) المجلس السامي: من ألقاب أصحاب الوظائف الديوانية.

(٢) مجد الدين المؤيدي (ت ٩٤٢ هـ): مجد الدين بن الحسن بن عز الدين، من بني الهادي علي بن المؤيد الحسيني اليمني: من أنمة الزيدية في اليمن، دعا إلى نفسه بعد وفاة والده (سنة ٩٢٩) بقله، ولبي أهل صعدة دعوته، كما أجاب أهل صنعاء وسائر علماء اليمن، ما عدا أشياخ الوكيل، والإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين. ووفعت بينه وبين شرف الدين حروب كثيرة

وكان مدة حصار عساكر السلطان لمخروس مدع من الابتداء إلى تسليمه [١١٤] ثمانية أشهر ولم يقع لأحد من الملوك ولا الأئمة السابقين شريعة فتح مدع، والاستيلاء على بلاده، في نحو السنة غير مؤلانا صاحب السعادة؛ لأن حصن مدع حوله وما يقاربه قبائل كثيرة أهل شجاعة ونجدة وكثرة عدد وقوة.

والباشا أزدؤمر والأمير شمس الدين أراد دخول بلاده، وأحربا عليها فلم يتمكنوا من دخولها، فرجعا عنها وذلك في سنة سبع وخمسين وتسعمائة فكان هذا الفتح لهذا الحصن وبلاده من أعظم سعادات مؤلانا صاحب السعادة وحسن سياسته وعظيم همته وكمال رجالته وعنايته وكثرة بذله وعظم عفوه وصلاح سرائره وبُعده عن المظالم وتسهيل حجابيه ولين جنابه.

وذكر صاحب (العقد الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغر باليمن)<sup>(١)</sup> في ذكر مدع وأنه سنام حصون جبال اليمن ما لفظه قال<sup>(١)</sup>: «لما

انتهت بفوز شرف الدين، فانقطع صاحب الترجمة للعبادة في "الخرجة" وسلم إليه أهلها الواجبات. واستمر إلى أن توفي فيها. [الأعلام للزركلي (٢٧٩/٥)].

(١) كتاب: (السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغر باليمن) لمؤلفه: الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن بن عمران بن علي بن حاتم بن أحمد بن الفضل الياضي الهمداني. تحقيق: المستشرق، ركن سميث، من إصدارات جامعة كامبردج.

اجتمع الأمير يحيى بن حمزة<sup>(٢)</sup> صنو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وأولاد أخيه بالملك الشهيد أول ملك بني رسول الغساني<sup>(١)</sup> بعد

السَّمَط: الخَيْطُ مَا دَامَ فِيهِ الْخَرَزُ، وَالْأَفْهُوَ سَلَكٌ، وَقِيلَ: هِيَ قِلَادَةٌ أَطْوَلُ مِنَ الْوِخْنَقَةِ؛ النَّاجِ: (س) م ط.

(١) قال صاحب السَّمَط الغالي الثَّمَن: «وفي هذه السنة [٦٢٧ هـ] طلع مولانا الشهيد إلى صنعاء، فدخلها في رمضان، وأمر بالمحطة على براش، وفي خلال ذلك التقى بالأشراف، وهم يحيى بن حمزة، وأولاد أخيه شمس الدين أحمد بن عبد الله، وعلي، وسليمان، والقاسم، أولاد عبد الله بن حمزة، ووهاس ابن أبي هاشم. وكان اتفاقهم بالصَّبُول، فكان الأشراف في دار السلطان مُبَارَك بن علي بن حاتم، وكان مولانا الشهيد في دار السلطان علي بن حاتم، فاحتلف الأشراف ومولانا الشهيد على المعاضدة والمناصرة، وأنعم عليهم مولانا الشهيد إنعاماً طائلاً، وأقرهم على بلادهم، وحصلت المؤانسة والانبساط، فقال الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة لمولانا الشهيد: «عندي لك نصيحة». فقال: «ما هي؟» قال: «تُعْمَرُ جَبَلُ الْبِرِّك، فإن لي به خبرة، وقد طلعت، وهو يمنع منك العسكر المصري». فقال مولانا الشهيد: «نعم، وعندي لك نصيحة أيضاً». فقال الأمير عماد الدين: «وما هي؟» قال: «تُعْمَرُ جَبَلُ مُدَع، فهو رأس بلادكم». فقال: «نعم». وافترقوا، وعَمَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مَوْضِعَهُ». [السَّمَط الغالي الثَّمَن (٢٠٣)].

(٢) عماد الدين ذا الشرفين أبا المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان، ولأه الإمام المنصور عبد الله بن حمزة ما يلي: ظاهر بني صريم، ثم الظُّفَيْر، وما يتصل به من جهة بلاد جَمِير ونواحيها إلى بُكْر، إلى مساقط حَرَّاز، وبقيت هذه البلاد في يده إلى تُوْفِي المنصور بالله. [مآثر الأبرار (٢/٨١٧)]. وكان العون الأكبر لأخيه الإمام عبد الله بن حمزة في معظم حروبه مع الأمراء الأيوبيين (الغز)، وسَكَنَ كُحْلَانَ حتى تُوْفِي فيه سنة ٦٣٦ هـ. [هجر العولم (٤/١٨٠٩)].

زوال الدولة الأيوبية من الغز في الصبؤل في محروس دمرمر، ودمرمر يومئذ للسُلطان علي بن حاتم<sup>(٢)</sup> وكان المتوسط بين الأمير يحيى وبين

(١) المنصور الرُّسولي (ت ٦٤٧ هـ) عمر بن علي بن رسول (واسمه محمد) ابن هارون بن أبي الفتح الغساني التُّركماني، نور الدين، الملقب بالملك المنصور: مؤسس الدولة الرُّسولية في اليمن، وأحد الدُّعاة الأجراد الشجعان، ولد بمصر ونشأ أديبا فاضلا، حسن الاتصال ببني أيوب. ولما دخل الأيوبيون اليمن كان الرُّسولي مع أحدهم الملك المسعود ابن الملك الكامل، فقلده المسعود أعمالا كثيرة ظهرت فيها كفايته، ولما توجه إلى مصر جعله نائبا عنه في اليمن. ثم لما سار المسعود إلى مكة وتوفي فيها (سنة ٦٢٦ هـ) استولى الرُّسولي على اليمن وأظهر النيابة عن الأيوبيين إلى أن أعد جيشا ضخما حارب به عساكرهم واستقل بالملك، وتلقب بالملك المنصور. وضربت السكة باسمه وحُطِبَ له في جميع أقطار اليمن سنة ٦٣٠ وكانت إقامته في "الجند" وجهز حملة إلى الحجاز، فاستولى على مكة وتوابعها، وتم له ملك ما بينها وبين حضرموت. وانتظم له ولبيته ملك الحجاز واليمن ٢٣٢ عاما.

وفي المؤرخين من يُسبِّه الدولة الرُّسولية في اليمن بدولة العباسيين في العراق. وللمنصور آثار جليلة بمكة واليمن، منها مدارس ومساجد. واغتاله نفرٌ من مماليكه بقصره. [الأعلام للزركلي (٥٦/٥)].

(٢) علي بن حاتم (ت ٥٩٧ هـ): علي بن حاتم بن أحمد اليامي، سلطان يمني، من الباطنية الإسماعيلية. كانت قبائل همدان على طاعته. قام بأمرها بعد وفاة أبيه (سنة ٥٥٦ هـ) واستقر له ملك صنعاء والجوف وصعدة. وحفلت أيامه بالحروب، وكان فاهية شجاعا أديبا، قصده كثير من شعراء الديار المصرية ومدحوه فأكرمهم، ومنهم الرُّشيد بن الزبير. ولما عاد الرُّشيد إلى مصر سُئِلَ عن اليمن، فقال: «وجدت فيها ما ليس في غيرها: وجدت مدينة وهي زُبيد، ونزهة وهي صنعاء، ومَلِكًا كريما وهو علي بن حاتم». [الأعلام للزركلي (٢٧٠/٤)].



أولاد أخيه والملك الشهيد، السلطان علي بن حاتم على أنهم يحتلفون<sup>(١)</sup> على [١١٥] المعاضدة والمناصرة إذا خرجت العساكر المضرية إلى اليمن كانوا جميعاً في حربها.

وأنعم الملك الشهيد على الأمير يحيى بن حمزة ومن معه من أولاد أخيه إنعاماً طائلاً وأقرهم على بلادهم، وحصلت المؤانسة والانبساط، فقال الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة للملك الشهيد: «عندي لك نصيحة» قال: «ما هي؟» قال: «تعمّر جبل البرك فإنّ لي به خبرة وقد طلعتة وهو يمنع منك العسكر المضري» قال الملك الشهيد: «نعم، وعندي لك نصيحة أيضاً» فقال الأمير يحيى: «وما هي؟» قال: «تعمّر قلعة مدع فهي رأس بلادكم» فقال: «نعم»، وافترقوا وعمّر كل موضعه.

قلت: ولم يكن يومئذ قد استحكم أمر الملك الشهيد ومملكه، وإنّما كان في ابتداء مملكه وكان يومئذ جماعة من أمراء الدولة الأيوبية معارضين له ومُعاندين له في ملكه، ثمّ أنّه تمكّن منهم فيما بعد، لما أمّن من قبل الأشراف، وذلك حسبما نطقَتْ به التواريخ والسّير والله أعلم.

(١) «يحتلفوا»: هكنا في الأصل.



## ذِكْرُ طِيَافَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ:

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى ذِكْرِ طِيَافَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ إِلَى مَحْرُوسٍ مُدَّعٍ فَإِنَّهُ  
أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ طِيَافَتِهِ وَدَخُولِهِ إِلَيْهِ وَتَقْرِيرِهِ لِدُزْدَارٍ<sup>(١)</sup> فِيهِ وَمَعَهُ طَائِفَةٌ  
مِنَ الْأَتْرَاكِ مِنْ عَسَاكِرِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، سَارَ إِلَى الْبِلَادِ الظَّاهِرِيَّةِ  
لَطِيَّافَتِهَا وَطِيَّافَةِ [١١٦] حَصُونِهَا وَكَانَ مِنْ مَكَارِمِهِ فِي طَرِيقِهِ هَذِهِ مَا يَلْقَاهُ  
أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ لِمَوَاجِهَتِهِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ، إِلَّا أَعْطَاهُ دِرَاهِمَ أَوْ كِسْرَةً،  
وَمَنْ يَلْقَاهُ بِعَقِيرَةٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَذَبْحَهَا تَجَاهَهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ وَأَخْرَجَ لَهُ  
مِائَتَهَا دِرَاهِمَ، حَتَّى غَمَرَ أَهْلَ الْبِلَادِ الظَّاهِرِيَّةِ بِإِحْسَانِهِ، وَلَمْ يَزَلِ الدُّعَاءُ لَهُ  
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ عَلَى فَضَائِلِهِ وَمَكَارِمِهِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ، فَوَصَلَ إِلَى  
حَصْنِ الْمَيْقَاعِ وَإِلَى حَصْنِ ظَفَّارٍ ثُمَّ رَجَعَ عَلَى اثَرِهِ إِلَى مَحْرُوسَةَ صَنْعَاءَ،  
ثَلَجَ الصَّدْرُ مَسْرُورًا حَامِدًا لِلَّهِ تَعَالَى بِمَا فَتَحَ عَلَى يَدَيْهِ لِلدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ  
السُّلْطَانِيَّةِ وَالْمَمْلَكَةِ الْخَاقَانِيَّةِ مِنَ الْقِلَاعِ الشَّامِيَّةِ الْوَسِيْعَةِ.

(١) وَقَدْ عَيَّنَ الْبَاشَا حَسَنُ دُزْدَارَانِ اثْنَيْنِ عَلَى حَصْنِ مُدَّعٍ، الْأَوَّلُ مِنَ التُّرْكِ وَهُوَ الْأَمِيرُ جَلْدَرُ،  
وَالثَّانِي الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ الدَّاعِي. [الفتوحات المُرَادِيَّةُ (٣/ ٣٧)].

ولَمَّا رَجَعَ إِلَى مَحْرُوسَةِ صَنْعَاءَ كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ، وَوَجَّهَ بِالْبَشْرِ  
الْعَظِيمَةِ بَفَتْحِ مَحْرُوسٍ مُدْعٍ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ صُحْبَةَ  
الْجَنَابِ الْكَرِيمِ حُسَيْنٍ يَازَجِي الدِّيَّانِ.

### مسير الأمير سنان بالعساكر المنصورة على دمر ممر:

وقد كان حال رجوعه من طيافته وإشرافه على مدع، أمر الأمير سنان أن يتوجه في جميع العساكر السلطانية، الذين كانوا على محروس مدع، على حصن دمر ممر لحصاره، فسار من وقته ومن ذكرنا صحبته من العساكر السلطانية إلى هنالك، وأمر بالعملة والصناع إلى حصن مدع لعمارة وتشيد بنائه، فعمر أحسن مما كان وشيد غاية [١١٧] التشيد في أقرب مدة وزمان.

## فتح جبل ظلمه

وبعد وصول الأمير سنان بالعساكر السلطانية التي معه إلى المخيم المنصور الذي على حصن دمرمر، عمل على قصد جبل الظلمة<sup>(١)</sup> وأخذه وهو الجبل المتصل بدمرمر والفصين وهو جبل متسع عال مرتفع<sup>(٢)</sup>، وكان الأمير لطف الله في ابتداء خلافه على جانب الدولة السلطانية، أمر بتغيير طرقات هذا الجبل وعمارة بعضها وسماها: الخصرة بالخاء والضاد المعجمتين بعدهما راء مهملة، وأراد حفظها ورتب فيها عسكراً من عسكره، وجعل عليه رئيساً الفقيه عبد المغني بن

(١) ظلمه: بلدة في غربي جبل مسور المتأهب، اتخذها علي بن الفضل في القرن الثالث قاعدة لشن الهجمات على منصور اليمن الذي تحصن في مدينة شبام كوكبان. [البلدان والقبائل (١/٩٧٧)]. وقد ورد ذكر هذا الموضع في صفة جزيرة العرب، ولا أدري إن كان الظلمة هنا المتصل بدمرمر هو الواقع إلى الغرب من جبل مسور.

(٢) وجاء في الفتوحات المراتية: «والجبل المذكور [الفصين] جبل عال مشرف على حصن دمرمر، وحاكم على ما يليه من العمارة التي هي أرفع وأطهر، ومنه يمكن خراب دوره وبروجه بالمنافع» [الفتوحات المراتية (٣/١٧)].

يَحْيَى النُّصَيْرِي<sup>(١)</sup> فَجَمَعَ الْأَمِيرُ سِنَانُ جَمِيعَ مَنْ كَانَ هُنَالِكَ مِنْ عَسَاكِرِ  
السُّلْطَانِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَجَعَلَ كُلَّ طَائِفَةٍ تَأْتِي مَعَ أَمِيرِهَا أَوْ رَئِيسِهَا  
يَأْتِي مَعَهَا وَعَيْنَ طَوَائِفٍ أَيْضًا تَأْتِي مَعَ أَمِيرِهَا<sup>(٢)</sup> أَوْ رَئِيسِهَا مِنَ الطُّرُقَاتِ  
وَعَيْنَ لَهُمْ أَمَاكِنَ وَهُوَ أَيْضًا عَيْنَ لَهُ طَرِيقًا يَأْتِي مِنْهَا هُوَ وَمَنْ أَعَدَّهُمْ مَعَهُ.

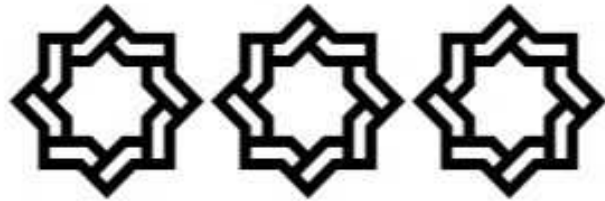
---

(١) كَانَ الْفَقِيهَ النُّصَيْرِيَّ هُوَ الَّذِي يَقُودُ جِيُوشَ لُطْفِ اللَّهِ فِي مَعْرَكَةِ جَبَلِ الْفَلَّامَةِ [الفتوحات  
المُرَادِيَّة (٢٠/٣)]. وَقَدْ اسْتَنَابَهُ لُطْفُ اللَّهِ لِحُكْمِ (عَفَّار). [الَلَّاحِ الْمَضِيئَةِ (أَخْبَارُ الْمُطَهَّرِ بْنِ  
شَرْفِ الدِّين)].

(٢) «أَمْرُهَا»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.



## الجزء السابع



## [الجزء السابع]

فلَمَّا كَانَ صُبْحَ نَهَارِ الْإِثْنَيْنِ رَابِعِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، حَمَلَتِ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ كُلُّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ مِنَ الْمَكَانِ الْمَعِينِ لَهُ، فَاسْتَوْلُوا عَلَى الْجَبَلِ الْمَذْكُورِ<sup>(١)</sup> وَعَلَى حِصْنِ الْقُفْلِ<sup>(٢)</sup> قَهْرًا وَعُنُوةً، وَانْهَزَمَتِ عَسَاكِرُ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْهُ بَعْدَ قِتَالٍ إِلَى مَخْرُوسٍ دَمَرَمَرٍ، وَقُتِلَ [١١٨] جَمَاعَةٌ مِنْ عَسْكَرِ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ، وَخُزَّتْ رُؤُوسُهُمْ وَبَعْدَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الظَّلِمَةِ اسْتَقَرَّ بِهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَعَهُمْ مَدْفَعٌ وَزَرَبَطَانَاتٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) وجاء في الفتوحات المُرَادِيَّةُ: «واستولى يومئذ عسكر السلطان على جبل الظِّلْمَةِ فرعًا وأصلاً، وقُتِلَ مِنْ جُنْدِ لُطْفِ اللَّهِ جُمْلَةٌ مُسْتَكْثَرَةٌ، واستشهد جماعة من عسكر سلطان الإسلام أَبَدُهُ اللَّهُ ونصره» [الفتوحات المُرَادِيَّةُ (١٩/٣)].

(٢) الْقُفْلُ: قلعة في جبل ظَفَّارْدَاوُدَ مِنْ مَدِيرِيَّةِ ذِي بَيْنٍ، وَأَعْمَالُ مَحَافِظَةِ عَمْرَانَ، وَهِيَ قَلْعَةٌ مُحَصَّنَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَفِيهَا آثَارٌ قَدِيمَةٌ. [البلدان والقبائل (١٢٩١/٢)].

(٣) وَمِنْ جَبَلِ الظَّلِمَةِ كَانَتِ الْمَدَافِعُ تُضْرَبُ لَيْلَ نَهَارٍ عَلَى دَمَرَمَرٍ وَالْفَصَّيْنِ، وَقَهْرَانَ، وَعَزَانَ. [الفتوحات المُرَادِيَّةُ (١٨/٣)]. وَقَدْ أَسْفَرَتْ مَعَارِكُ جَبَلِ الظَّلِمَةِ عَنْ خَسَائِرَ كَبِيرَةٍ مِنَ الْعَرَفَيْنِ؛ قَالَ صَاحِبُ الْفَتْوحَاتِ: «وَيَوْمَئِذٍ اسْتَشْهَدَ مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ الَّذِينَ وَصَفْنَاهُمْ بِمَا وَصَفْنَا مَعَ تَقْصِيرِنَا فِي الْمَقَالِ، جُمْلَةٌ مُسْتَكْثَرَةٌ، وَجَمَاعَةٌ مُتَوَفَّرَةٌ، مِنَ الْجُنُودِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَالْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ

ذكر ترتيب صاحب السَّعادة للمحاطِ على ذَمْرَمَرٍ وفتح جبل  
قُهاَل:

ولَمَّا انتهتِ البُشْرَى إلى صَاحِبِ السَّعادة باستيلاءِ العَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ  
على جبلِ الظِّلْمَةِ وهزيمة عَسْكَرِ الأَمِيرِ لُطفِ الله عنها والظَّفَرِ عليهم  
وقتل جماعة منهم، حمّد الله وشكره على ذلك، ثُمَّ عملَ في المَسِيرِ إلى  
جبلِ الظِّلْمَةِ لِطَيَّافَتِهَا وتَقْرِيرِ مَنْ يقرّره من عَسَاكِرِ السُّلْطَانَةِ فيها، وكذلك  
تَقْرِيرِ المَحَاطِ حَوْلَ حصنِ ذَمْرَمَرٍ، حيث يراه ويأمر به فسَارَ في ليلة  
الخميس السَّابعِ مِنَ الشَّهرِ المُقَدَّمِ ذكره إلى هُنَالِكَ، وطافَ هَذَا الجَبَلَ  
المَذْكُورَ بنفسِهِ، وطلعَ إلى رأسِهِ ورتَّبَ المحاطَ، حَيْثُ أرادَ وشَدَّدَ على  
الأُمَرَاءِ والأَعْوَاتِ والكُبَرَاءِ وسَائِرِ العَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ في بلوغِ الجهدِ  
والهِمَّةِ في المُحَاصِرَةِ، وَضُرِبَتِ المَدَافِعُ والزَّرْبُطَانَاتُ بعد وصولِ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعادة وقبله.

---

الخَافِيَّةِ، نَصَرَ الله وجوهرهم بأنوار شهادته في المقامات الرَّحْمَانِيَّةِ، وَجُرحَ مِنْهُمْ قومٌ كانت لهم  
تلك الجرائع مِنْ أعظمِ السَّمَاتِ الإيمانية، وهلك مِنْ أَهْلِ الظِّلْمَةِ وحافظيها خَلْقٌ كثيرٌ، بُدِّتْ  
أرواحهم إلى جهنم وبئس المصير، وألقيت في الدَّرَكِ الأسفلِ من عذابِ السَّعِيرِ. [الفتوحات  
المُرَادِيَّةُ (٢٢/٣)]. قلتُ: وقد فات صاحب الرَّوضِ الحَسَنِ أن يوردَ في كتابه هَذَا تفاصيلَ هذه  
المعركة الحاسمة في سعيِ السُّلْطَانَةِ للسيطرة على المرتفعاتِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ البِئَمَنِ، وأخبارَ هذه  
الواقعةِ مستفيضة في الفتوحاتِ المُرَادِيَّةِ.

وفي اليوم الثاني من وصوله، حَمَلَت عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ عَلَى الْغِرَاسِ وَقُهَاًل<sup>(١)</sup> وَفِيهِمَا عَسَاكِرُ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ، فَلَمْ يَنَالُوا مَا أَرَادُوا مِنْ أَخْذِهِمَا وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهِمَا، وَثَبَّتَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عَسَاكِرُ لُطْفِ اللَّهِ فِي أَمَاكِنِهَا وَوَقَعَتْ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ وَوَقَعَتْ جَسِيمَةٌ وَقُتِلَ فِيهَا مِنْ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ [أَنْ] حَمَلَتِ الْعَسَاكِرُ [١١٩] السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى جَبَلِ قُهَاًلِ وَالْغِرَاسِ حَمَلَةً عَظِيمَةً، فَاسْتَوْلُوا عَلَيْهِمَا بَعْدَ قِتَالٍ عَظِيمٍ<sup>(٢)</sup> وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ عَسَاكِرِ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ مُحَاسِنِهِمْ وَأَعْيَانِ شَجْعَانِهِمْ، وَخُزَّتْ رُؤُوسُهُمْ<sup>(٣)</sup> وَعِنْدَ ذَلِكَ اشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى حِصْنِ دَمْرَمَرٍ، وَمَنْ فِيهِ، وَالْأَمِيرُ لُطْفِ اللَّهِ مَا اسْتَوْلَتْ عَسَاكِرُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ عَلَى بَلَدٍ مِنْ بِلَادِهِ وَلَا عَلَى مَكَانٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي رَتَّبَ بِهَا عَسَاكِرَهُ، إِلَّا بَعْدَ حُرُوبٍ عَظِيمَةٍ وَمَلَا حِمِّ هَائِلَةٍ جَسِيمَةٍ، وَلَمْ يُحْرِبْ أَحَدٌ كَحَرْبِهِ وَلَا

(١) قُهَاًل: بلدة من مديرية عيَالِ سُرِيح، في شرقي مدينة عَمْرَان، وبها آثار قديمة ترجع إلى عهد الممالك العربية الجنوبية قبل الإسلام. [البلدان والقبائل (١/١٣٠١)].

(٢) جاء في الفتوحات المُرَادِيَّة: «وتمكنت اليد السلطانية من الغِرَاسِ وقُهَاًلِ وسائر الأماكن التي كان منها يصول العدو بالحرب والقتال». [الفتوحات المُرَادِيَّة (٣/١٦)].

(٣) جاء في الفتوحات المُرَادِيَّة: «واستولت الجنود المنصورة على قُهَاًلِ يومئذ عنوة، وذهب أهل قُهَاًلِ مِنْهُ مَا بَيْنَ قَتِيلٍ وَجَرِيحٍ، ومهزوم قد تولى مدبراً خوفاً أَسْوَدَ ذَاتَ إِقْدَامٍ وَسَعُطُوهُ، وَأَوَى مَنْ نَجَّى مِنْهُمْ إِلَى دَمْرَمَرٍ... وقد هلك من شجعانهم من عليه المعول، ومن هو فيهم كالطراز الأول، [الفتوحات المُرَادِيَّة (٣/١٦)].

صبر على مقاساة الحروب كصّبره وأصحابه، وكانت رجاله في هذه الحروب أهل شجاعة ونجدة وعدد وقوّة.



## توجيه مولانا صاحب السعادة العساكر المنصورة لأجل محاصرة قهران وعزان:

وَرَجَّهْ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بَعْدَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى جَبَلِ قَهْرَانَ عَسْكَرًا مِنْ  
عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ إِلَى حَوْلِ الْفِصَّيْنِ اللَّذَانِ هُمَا عِزَّانُ<sup>(١)</sup> وَقَهْرَانُ<sup>(٢)</sup>،  
وَأَمْرَهُمْ بِمُحَاصَرَةِ مَنْ فِيهِمَا، وَكَانَ فِي قَهْرَانَ وَلَدٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَمِيرِ لُطْفِ  
اللَّهِ، وَلَمْ يَبْرَحِ الْحِصَارُ عَلَيْهِمَا حَتَّى فَتَحَهُمَا مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيْدُهُ  
اللَّهُ تَعَالَى لِلدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَهُمَا مِنْ الْحُصُونِ الْمُنِيعَةِ وَالْجِبَالِ  
الشَّاهِقَةِ الرَّفِيعَةِ.

(١) «عِزَّانُ»: فِي الْأَصْلِ، عِزَّانُ: اسْمُ لَعْدَةِ مَوَاضِعَ: حِصْنٍ فِي أَعْلَى جَبَلِ كُحْلَانَ عَفَّارَ، شَرْقِيَّ مَدِينَةِ  
حَجَّةَ. قَلْعَةٌ فِي جَبَلِ الشَّاهِلِ مِنْ بِلَادِ حَجَّةَ. بَلَدَةٌ فِي جَبَلِ أَفْلَحَ الْيَمَنِ شِمَالِ الْمَحَابِثَةِ مِنْ أَعْمَالِ  
مُحَافَظَةِ حَجَّةَ. قَرْيَةٌ فِي جَبَلِ بَنِي أَسْعَدَ مِنْ مَدِيرِيَّةِ (مَسُورَ) وَأَعْمَالِ مُحَافَظَةِ عَمْرَانَ، وَكَانَ هَذَا  
الْأَخِيرُ قَدْ تَعَرَّضَ لِلْخَرَابِ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ بِأَمْرِ مِنَ الْإِمَامِ النَّاصِرِ. [الْبُلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ  
(٢/ ١٠٦١)]. وَعِزَّانُ كُحْلَانَ عَفَّارَ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) قَهْرَانُ: بَلَدَةٌ فِي جَبَلِ كُحْلَانَ عَفَّارَ بِمَشَارِقِ مَدِينَةِ حَجَّةَ. [الْبُلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ (٢/ ١٣٠١)]. جَاءَ  
فِي الْفَتْوحَاتِ الْمُرَادِيَّةِ: «وَوَرَدَتْ الْأَوَامِرُ الْوَزِيرِيَّةُ بِتَضْيِيقِ الْحِصَارِ عَلَى قَلْعَةِ قَهْرَانَ وَعِزَّانَ لِيُحَاطَ  
مَنْ فِيهِمَا مِنْ أَحْزَابِ الشُّبُطَانِ، فَبُعِثَ لِمُحَاصَرَتِهِمَا سَرَفَارُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ رَجَالًا مِنَ الْأَعْيَانِ،  
وَأَسْوَدًا مِنْ عَسَاكِرِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، فَأَحَاطُوا بِهِمَا» [الْفَتْوحَاتِ الْمُرَادِيَّةِ (٣/ ١٦)].

وكان تسليم قَهْران وفتحته على أَمَانٍ لِمَنْ فِيهِ فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى  
سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَالْفِصَّ الثَّانِي الْمَسْمَى عِزَّانٍ فِي أَثَرِهِ بَنَحُو  
أَيَّامَ يَسِيرَةٍ<sup>(١)</sup>.

---

(١) وكان الأميران بَرُويز ومُطَهَّر بن الشَّويع هما القائمين على حصار هذه القلعة في سنة تسعين  
وتسعمائة. [الفتوحات المُرادية (٢٦/٣)].

## ذكر فتح قَهْران:

ولما خرج ابنُ الأَمِير لُطف الله من حصن قَهْران على أمان [١٢٠] من مَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَةِ، خَلَعَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ مَنْ الدَّرَاهِمَ كَثِيرَةً، وَكِسُوةً وَافِرَةً وَكَسَى جَمِيعَ مَنْ كَانَ فِيهِ مَعَهُ، وَكَانَ فِي حَالِ الْخَوْضِ فِي تَسْلِيمِ قَهْرانَ، اشْتَرَطَ مَنْ فِيهِ أَلَّا يَكُونَ تَسْلِيمُهُ إِلَّا إِلَى حَضْرَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَعَلَى نَظَرِهِ لَمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ عَفْوِهِ وَصَدَقَ وَفَاءَهُ وَصَفَحَهُ.

فَسَارَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ عَلَى حِصْنِ دَمَرْمَرٍ وَتَسَلَّمَ حِصْنَ قَهْرانَ عَلَى مَا وَضَعَهُ وَقَرَّرَهُ لِمَنْ فِيهِ مِنَ الْعَفْوِ وَالْأَمَانِ.

وَحِصْنَ قَهْرانَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَبْوَابٍ، وَطَرِيقَهُ مَنْحُوتَةٌ فِي الصَّفَا، وَفِي بَابِهِ الْاَوْسَطِ صُورَةٌ مَقْصُوعَةٌ، إِشْعَارٌ لِمَنْ يَتَوَلَّاهُ أَنْ جِزَاءَ مَنْ سَلِمَهُ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ أَنْ تَحْلُقَ لِحِيَّتَهُ، وَقَدْ أَقَمْتُ فِيهِ وَسْكَنتَهُ مَعَ وَالِدِي رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَكَانَ بِهِ دَارٌ<sup>(١)</sup> لِلسَّيِّدِ الْمَرْتَضَى<sup>(٢)</sup> وَالْإِمَامِ شَرْفِ الدِّينِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

فَبَعْدَ أَنْ قَبِضَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ قَهْرانَ رَجَعَ إِلَى صَنْعَاءَ وَدَخَلَهَا لَيْلًا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ مِنَ الْعَرَبِ: «يَنْبَغِي يَا مَوْلَانَا أَنْ تَدْخُلَ

(١) «داراً»: هكذا في الأصل.

(٢) المرتضى: علي بن الإمام شرف الدين.

صَنَعَاءَ نَهَاراً بَهِيَّةَ حَسَنَةٍ وَيَرَى النَّاسُ ابْنَ الْأَمِيرِ لُطْفَ اللَّهِ مَعَكَ فَقَالَ: «لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ إِذْ يَكُونُ هَذَا الْحَالُ يَرَاهَا النَّاسُ»<sup>(١)</sup> أَنَّهَا صُورَةٌ إِعْجَابٍ أَوْ رَبِّمَا يَحْصُلُ فِي النَّاسِ بِذَلِكَ طَرَفٌ تَعْجُبُ وَزَهْوٌ وَمَا يَقَعُ نَحْوَهُ مِمَّا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَّاسُ.

وهذه الأمور التي ذكرها من محامد أحواله وصَلاحِ أقواله وأفعاله، ولا يهتدي ذلك [١٢١] إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ وَنَوَّرَ بَصِيرَتَهُ، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ لَأَظْهَرَ الْإِعْجَابَ وَالْفَخْرَ وَالنِّيَّةَ، وَازْدَادَ زَهْوً وَكِبَرًا وَتَعَاظُمًا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى حِمَايَتَهُ بَعِينَ رِعَايَتِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ وَلَا زَالَ بَرًّا رَوْفًا بِأَهْلِ بِلَادِ وَلَايَتِهِ.

وَلَمَّا طَالَتْ مُدَّةُ الْحِصَارِ عَلَى مَخْرُوسِ دَمْرُمَرٍ أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، جَمِيعَ الْأُمَرَاءِ وَكَافَةَ الْكُبَرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الْمُحَاصِرُونَ لِحِصْنِ دَمْرُمَرٍ، بِالْعِمَارَةِ لِبُيُوتٍ وَمَنَازِلٍ يَسْكُنُونَهَا عَوْضًا عَنِ الْخِيَامِ، وَيَعْرِفُ مَنْ فِي حِصْنِ دَمْرُمَرٍ أَنَّهُ قَدْ بَنَى عَلَى اسْتِدَامَةِ حِصَارِهِمْ وَإِقَامَةِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ طَالَتْ الْمُدَّةُ فَالْبُيُوتُ تَمْنَعُهُمْ، فَعُمِّرَتِ الْمَنَازِلُ هُنَالِكَ وَالذَّكَاكِينُ، حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا قُرَى حَوْلَ دَمْرُمَرٍ وَعُمِّرَتِ مَنَازِلُ وَبُيُوتُ فِي قُفْهَالٍ وَالْحُرُوبُ قَائِمَةٌ عَلَى سَاقٍ.

(١) هكنا في الأصل، وهذا تركيب ركيك.

وفي هذه السنة المُقَدَّم ذِكْرُهَا كَانَ قِرَانُ الْكَوْكِبَيْنِ الْعِلَوِيِّينَ، رُحْلَ  
وَالْمُشْتَرِي<sup>(١)</sup> فِي نِصْفِ رَبِيعِ الْآخِرِ وَالْمُشْتَرِي شِمَالِي وَرُحْلَ جَنُوبِي،  
وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا فِي الْعَرَضِ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ إِلَّا قَدْرُ ذِرَاعَا، وَكَانَ قِرَانُهُمَا فِي  
الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ وَالْعِشْرُونَ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ، وَهُوَ الْقِرَانُ الثَّلَاثُ مِنْ قِرَانِ  
الْمُثَلَّثَةِ<sup>(٢)</sup> النَّارِيَةِ الَّذِي كَانَ ابْتَدَأَ بِهِ فِي بُرْجِ الثَّوْرِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ مِنْ شَهْرِ  
رَجَبِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَتِسْعِمِائَةَ [١٢٢] وَكَانَ قِرَانُهُمَا هَذَا فِي رَأْيِ  
الْعَيْنِ بِالْمُشَاهَدَةِ فِي يَوْمِ ثَامِنِ عَشَرَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ، وَكَانَ طَالِعُ سَنَةِ هَذَا  
الْقِرَانُ بُرْجِ الثَّوْرِ وَالزُّهْرَةُ صَاحِبُ الطَّالِعِ فِي الْحَمَلِ مُحْتَرَقَةٌ فِي تَرْبِيعِ  
الْمُرِّيخِ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ فِي بُرْجِ السَّرَطَانِ فِي بَيْتِ هَبُوطِهِ، فِي بَيْتِ شَرَفِ  
الْمُشْتَرِي، فَضَعْفُ الزُّهْرَةِ فِي سَنَةِ تَحْوِيلِ الْقِرَانِ وَاحْتِرَاقُهَا، وَفِي الْبَيْتِ  
الثَّانِي مِنْ بَيْتِهَا الَّذِي هُوَ طَالِعُ سَنَةِ التَّحْوِيلِ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى ضَعْفِ مُلُوكِ  
الْعَرَبِ وَدُخُولِهِمْ فِي مَلِكٍ عَدُوِّهِمْ لِأَجْلِ مَصِيرِ الزُّهْرَةِ مُحْتَرَقَةٍ مِنْحُوسَةٍ  
فِي الثَّانِي عَشَرَ، وَالْقِرَانُ فِيهِ دَلَالَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتِهِ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْلَا

(١) وَيُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْمُؤَلِّفَ كَانَتْ لَهُ دَرَايَةٌ بِعِلْمِ الْفَلَكَ، وَلَعَلَّهُ اسْتَقَى هَذَا الْعِلْمَ مِمَّا أَلْفَاهُ مِنْ  
كُتُبِ لِسَانِ الْيَمَنِ الْهَمْدَانِيِّ، إِذْ يُنْقَلُ عَنْهُ فِي كَثَرِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ هَذَا.

(٢) الْمُثَلَّثَةُ: وَاحِدَةُ الْمُثَلَّثَاتِ عِنْدَ عُلَمَاءِ النُّجُومِ، وَهِيَ أَرْبَعٌ: الْأُولَى: الْمُثَلَّثَةُ النَّارِيَّةُ، وَهِيَ مُثَلَّثَةُ  
الْحَمَلِ وَالْأَسَدِ وَالْقَوْسِ. وَالثَّانِيَةُ: الْمُثَلَّثَةُ الثَّرَائِيَّةُ، وَهِيَ مُثَلَّثَةُ الثَّوْرِ وَالسُّبُّلَةِ وَالْجَدِيِّ. وَالثَّلَاثَةُ:  
الْمُثَلَّثَةُ الْهَوَانِيَّةُ، وَهِيَ مُثَلَّثَةُ الْجُوزَاءِ وَالْمِيزَانِ وَالذَّلْوَرِ. وَالرَّابِعَةُ: الْمُثَلَّثَةُ الْمَائِيَّةُ، وَهِيَ مُثَلَّثَةُ  
السَّرَطَانِ وَالْعَقْرَبِ وَالْحُوتِ. [شمس العلوم (٢/ ٣٧٢)].



أَنَّ المَرِّيخَ كَانَ رَاجِعًا فِي بَيْتِ هَبْوَطِهِ لِاجْتِنَاحَتِ<sup>(١)</sup> أَنْفَاسِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَأَمْوَالِهِمِ الْمَصَائِبَ وَالْحُرُوبَ فِي تَلَافٍ، وَهَذَا الْقِرَانُ قَصْرٌ عَنْ مُثْلَتِهِ فَوْقَ فِي آخِرِ الْحُوتِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى نَظَرَانِهِ شَرْحٌ وَاسِعٌ وَكَلَامٌ كَثِيرٌ.

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ الْهَمْدَانِيٍّ، مُؤَلِّفُ كِتَابِ (الإَكْلِيلِ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ: «كَانَ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَأَلْفِي سَنَةِ شَمْسِيَّةٍ مِنْ تَارِيخِ الطُّوفَانِ كَانَ الْقِرَانُ السَّادِسُ مِنْ مُثْلَةِ الْحَمَلِ وَالْأَسَدِ وَالْقَوْسِ، وَهِيَ الْمُثْلَةُ النَّارِيَّةُ، أَنَّ الْقِرَانُ فِيهَا قَصْرٌ فَوْقَ فِي آخِرِ الْحُوتِ، وَإِنَّهُ كَانَ اجْتِمَاعُ زُحَلٍ وَالْمُشْتَرِيِّ فِي دَرَجَةِ شَرْفِ الزُّهْرَةِ، الدَّرَجَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرُونَ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ، وَذَلِكَ فِي الشَّهْرِ الْخَامِسِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَأَلْفَيْنِ [١٢٣] وَكَانَ تَحْوِيلُ سَنَةِ الْقِرَانِ وَالطَّلَاعِ الْعَقْرَبِ، وَالْأَوْتَادِ زَائِلَةً، وَالتَّحْوِيلُ لَيْلِيٍّ، وَزُحَلٌ وَالْمُشْتَرِيُّ وَالْمَرِّيخُ وَعُطَارِدٌ وَفِي الْحُوتِ وَالْقَمَرُ فِي بُرْجِ السُّنْبُلَةِ، وَالرَّأْسُ فِي دَرَجَاتِ الطَّلَاعِ، وَالزُّهْرَةُ فِي خَمْسَةِ عَشَرَ دَرَجَةً مِنَ الثَّوَرِ، وَقَدْ سَقَطَتْ مِنَ الْوَيْدِ وَبَلَغَتْ الْمُنتَهَى إِلَى الْحَمَلِ».

قَالَ: «وَلَهُمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ شَرْحٌ يَطُولُ ذِكْرُهُ إِلَّا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ قَبُولَ الزُّهْرَةِ هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى سَلَامَةِ أَنْفُسِ النَّاسِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَفِي الْعَرَبِ أَيْضًا كَذَلِكَ كَانَ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) «لاحتاجت»: هكذا في الأصل.

وقال: «وهذا القرآن على ما ذكروا مُشاكِل للقران السادس ومثلثة الحَمَل التي عَلينا منها»<sup>(١)</sup>، يومَ أَلَفَ كتابه (الإكليل) - وهو يَعني القرآن السَّابع -، هذا كلامه.

وهذا القرآن المُقَدَّم ذكره قَصَرَ كما حَكِينَاهُ لَكَنَّهُ كانت فيه الزُّهْرَة منحوسَة محترقة في سَنَة تحويل القرآن، وكانَ انتِحاسُها بنظر المَرِيخ مِن بيت شرف المُشْتَرِي مِنَ السَّرطان وهو راجعاً في بيت هبوطِهِ والمُشْتَرِي ناظراً إليه مِنْ بَيْتِهِ مِنَ الحُوت مستقيم السَّير نظرٌ يردّه فكانَ الاستِعلاء بقدرة الله سبحانه وحكمته له على المَرِيخ وكانت الحروبُ في كثير من نواحي جَزيرة العَرَب في سَنَة القرآن وفي السَّنِينَ التي بعدها ونكثَ فيها الأمير لُطف الله وخرجَ عَن مملكته وفيها قتل السَّيِّد أحمد [١٢٤] واستُلبَ مُلكه، وفي السَّنَة الثَّانية من سَنَة القرآن، نُكِبَ السَّيِّد علي يَحْيَى عَن مملكته وزالت رِئاسته.

(١) هذه التَّفْهَة نقلها المؤلف من أحد أجزاء الإكليل المفقودة، والله أعلم.

## نادرة غريبة

ومن هنا نرجع إلى ما نحن بصددِهِ من ذكر حصار مخروس دمرَمر وما يتعلق بأحواله:

ومن أغرب ما وقع وبديع ما اتفق في ابتداء حصار مخروس دمرَمر، ما أخبر به الشريف الفاضل العلامة لقمان بن أحمد الحسني شيخ الأمير لطف الله في علم الأدب، وكان في ابتداء الحصار بدمرَمر في حضرة الأمير عز الدين في مخروس كوكبان، أنه وقع في ذات ليلة كان فيها غيم بعد العشاء الأخير أنه مطر على نفس الحصن بجدة، شيء كثير من جنس الدب الصغار لها أجنحة، وأنها امتلأت منها الجدران والسطوح فظننا إنه رذاذ المطر فخرجنا نبصر فإذا هو ما ذكرناه قال: «فعجبنا من ذلك».

قلت: وهذا شيء لم يسمع بوقوع مثله فيما رأينا من السير والتواريخ في ذكر الحصار، ولا رأيت في تاريخ فيما أعرف ما يقارب هذه الحادثة. ولما قبض حصن دمرَمر للدولة الخاقانية وسيأتي الخبر إن شاء الله تعالى على ذكر قبضه وفتحه اجتمعت بالفقيه الأجدد عبد المغني بن يحيى النصيري، وكان من المنحصرين بدمرَمر فسألته عن هذه القضية المقدم ذكرها فقال: «ذلك صحيح»، وقال لي أيضاً [١٢٥] «مما أعجبك ما وقع غير ذلك من الحوادث هنالك أن الأمير لطف الله وجه جماعة من

عسكره يغزون<sup>(١)</sup> إلى المخيم المنصور السلطاني فلما وصلوا إلى باب النصر أحد أبواب مخروس دمرمر، وقد عزموا على الخروج سقط عليهم قطعة كبيرة من جبله الأعلى، هلك منه جماعة كثيرة، فلم يريدوا يغزوا بعدها ورجعوا أيضا عن مغزاهم ذلك.

وكان من سوء تدبير الأمير لطف الله، وقبيح فعله، أنه في ابتداء خلافه على جانب الدولة الخاقانية، جمع خلائق كثيرة من أهل السر ومن غيرهم من بلاد ديبان وعيال عبد الله<sup>(٢)</sup> ومن بهم من سائر القبائل المتصلة بدمرمر، وأدخلهم مخروس دمرمر بأهليهم وأولادهم حتى اجتمع يومئذ في الحصن خلق كثير وجمع غفير، لا ينبغي لجاهل ولا عاقل أن يجمعهم ولا بعضهم في حصن يريد أن ينحصر فيه.

(١) «يغزوا»: هكنا في الأصل.

(٢) عيال عبد الله: من قبائل أرخب الواقعة إلى الشمال من مدينة صنعاء . [البلدان والقبائل (٢/ ١٠٠٤)]. جاء في الفتوحات المردية: «ثم سارت العساكر إلى نحو بلاد عيال عبد الله، لتفتح منها الانغلاق، وتجتاح من عصى وخلف عن الطاعة وحاد وشاق، وهي بلاد وسيعه الأكناف، متباعدة الأرجاء والأطراف، وسبيل أهلها سبيل أهل بلاد ديبان في كثير من الثعوت والأوصاف، لذلك كانت هاتان القبيلتان من أجل فروع همدان العريض وشعوب بكيل الوجوه والأعيان، وهم أهل أحساب منيفة، وأنساب كريمة شريفة، وعليهم اعتماد الملوك في حفظ المعادل الحريزة». [الفتوحات المردية (٣/ ٢٧)].



وسمعت من بعض الثقات<sup>(١)</sup> أن من انحصر به فوق خمسة آلاف نفس<sup>(٢)</sup> من الرجال المقاتلة والأطفال والنساء ولما اشتد الحصار مات أكثرهم جوعاً لأن الأمير لطف الله لم ينفق إلا على بعضهم وكان معظم إنفاقه على العسكر وكان إدخالهم بالقهر والعنف، فلما عظم الحصار وأحاطت العساكر السلطانية بالحصن من جميع جوانبه، ولم يقدر أحد ممن فيه على الخروج لا بنفسه ولا بخروج أهله وأولاده من الذين أكرهوا [١٢٦] على الدخول إليه والانحصار به، ووقع في أيام الحصار على من فيه آلام كثيرة متنوعة قيل نحو أربعة عشر نوعاً من جملتها ألم الكربل<sup>(٣)</sup> الذي يقع في أيام الحصار على المنحصرين، فيمن عدم اللحوم والخضروات، فهلك من ذلك عالم كبير وأنه كان يقع مع ناس علة كان يؤرم منها الأليم فإذا مات خرجت الدود من أذنه وأنفه وفمه.

(١) «الثقات»: هكنا في الأصل.

(٢) جاء في الفتوحات المراتية: «وأما من جمع في حصنه من سائر البلاد وحبسهم لديه كالزّهائن من النساء والبنات وصغار الأولاد فجملة واسعة مستكثرة نحو خمسة آلاف، وجمع في هذه القلعة من الشحنة ما لا بد من ادخاره من جميع الأنواع والأصناف، وهذا كله مع حصانة هذه القلعة». [الفتوحات المراتية (٣/ ٣١)].

(٣) كربل: مرض ينتشر بين المحاصرين حين لا يكون لديهم لحم ولا خضراوات. [تكملة المعاجم العربية (٩/ ٥٥)].



وسمعت عن الثقات مِمَّنْ انحصَرَ بدمْرَمَر يومئذ أن جُمْلَةً من هلك ممن كان فيه من الآلام والجوع ثلاثة آلاف نفس وفوق مائتي نفس ما بين كبير وصغير من الذكور والإناث وأن الحصن في مُدَّة آخر الحصار اشتدَّت روائح جيفته من كثرة الأموات فيه.

ولما رأى الأمير لطف الله عَدَم العون له والمناصر، وهلاك أصحابه وازدياد الآلام، وأنه لا رأي له ولا أسلم لنفسه ومكالفه<sup>(١)</sup> وأولاده ولمن بقي معه من أصحابه وعسكره إلا دخوله تحت طاعة الدولة السلطانية والملاذ بعفوها فنوى ذلك وأسرَّه في نفسه ولم يُشعر به إلا خواص أصحابه.

وفي مُدَّة محاصرة مخروس دَمْرَمَر حُجِبَت الأخبار عن الخارجين، ولم يشعروا بحقيقة ما قد نال أهل داخل الأرض والآلام والمشاق، وذلك أن الأمير سنان كان في ابتداء الحصار إذا خرج الهارب من الحصن أمر من يتلقاه فيقتله، والذين داخل يشاهدون ذلك فرضوا بالموت والهلاك من داخل، وعدمت اللحوم أيام الحصار، حتَّى أن بعض المحصورين به أكل لحم الدَّمَم<sup>(٢)</sup> والغربان واشتدَّ الغلاء في الأسعار أيام الحصار، وغلا السمن والعسل غلاءً عظيماً، لأن أكثر الداخلين - كما قدمنا ذكرهم -

(١) ومكالفه: نسائه.

(٢) الدَّمَم: القعلط، بلسان أهل اليمن.

لَيْسَ لَهُمْ [١٢٧] مِنَ الْأَمِيرِ لُطْفُ اللَّهِ عُلُوفَةً<sup>(١)</sup> وَلَا نَفَقَةً وَقَدْ أَكْرَهُهُمْ عَلَى الدُّخُولِ.<sup>(٢)</sup>

(١) علوفة: راتب، عطاء، وظيفة، رزق، أجره. [تكملة المعاجم العربية (٧/ ٢٨١)].

(٢) قال صاحب الفتوح المُرَادِيَّة عن حصار دَمَرَمَر: «ولما ضاق الحصار بأهل دَمَرَمَر، واشتدَّت عليهم الشَّدة في الأصايل والبكر، رجعَ الملك لُطف الله إلى رأيه الأدبر وتدبيره الذي لا يبرح عائداً عليه بالمكروه والضَّرر، فأخرج من كان معه محصوراً مِنَ النِّساء والأطفال ومن اجتابه المرض وذهب منه السَّمع والبصر، وأبرزهم إلى خارج القلعة طرداً بحكم الفحشاء والمنكر، وهم جملة مستكثرة يزيدون على الألف في ركة وضعف يخرج عن حد الوصف. وما حمل لُطف الله على ذلك إلا عدم خوف الله تعالى، وعدم المعرفة لما يجب أن يرعى له حالاً، وسوء التدبير وردية النظر في التَّقديم والتَّأخير، حين أدَّاه الجهل بالعواقب إلى حبس من طرده في آخر الأمر الذي أذهله عن الفعل الواجب، ثمَّ لنفاد ما لديه من الطَّعام، إذ من سوء رأيه أن يحضر خلقاً لا يقوى على كفاية بعضهم بالإطعام».

ولما أبرز الملك لُطف الله من ذكرناه إلى خارج سور القلعة، وأوقف الضعفاء والنِّساء والأطفال هناك منجزة مقطعة، ولم يأذن لهم سرِّدار العساكر السُّلْطانية بالتخلُّص من حيرتهم، والنَّجاة من هلكتهم حتى يستأذن حَضْرَةَ الوزير في قضيتهم، فعرض بذلك إلى الوزير، وهل يُرجعوا إلى القلعة أم يُمسكوا، أو يخلى لهم السَّبيل أينما ذهبوا وسلكوا.... فلما جاءت الأوامر الوزيرية بالإحسان إليهم وأن يُسرحوا إلى باب العالي موسَّعاً عليهم، فبعث بهم الأمير السَّرِّدار إلى مدينة صَنْعَاء المَحْرُوسَةِ، للإمام بالأبواب العالية المأنوسة، فوجدهم لا يقدرُونَ على النُّهوض لِمَا أصابهم من الخوف والجوع.... [الفتوحات المُرَادِيَّة (٣/ ١٨)].

## بروز الأمير سنان بالعساكر المنصورة على صعدة:

فلما طالت مدة الحصار على دمرمر، ولم يظهر من الأمير سنان شيء في أمر الفتح في تلك المدة الطويلة، من عدم سياسته وانعدام بسالته وتديره وتنفير العدو المخدول لشدة غيظه<sup>(١)</sup> وإن كانت العساكر في غاية الكثرة والشجاعة وقوة البأس، فإنه لا يتم إلا بالتدبير والمسايسة فتفرس مولانا صاحب السعادة، وجال برأيه الصائب في رفع الأمير سنان عن سردارية<sup>(٢)</sup> المخيم المنصور من غير أن يشعر بذلك فشرع صاحب السعادة في جمع العساكر وتجهيز الجيوش والمحاط إلى مدينة صعدة ثم أرسل إلى الأمير سنان بالحضور إليه، وهو يومئذ في المخيم المنصور فلما وصل الأمير سنان أخبره بما أراد من تجهيز العساكر المنصورة إلى مدينة صعدة ومحاصرتها، وأن يكون سرداراً على الأمراء الأعلام والآغاوات الفخام فبرز، الأمير سنان بالعساكر المنصورة إلى خارج

(١) قلت: وهذا توبيخ من المؤلف للأمير سنان، يستفاد منه أن هذا الأمير كان بعيداً عن حسن التدبير والسياسة، مع ولعه بالفتك.

(٢) سردار Serdar: قائد الجيش. [المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية:

صَنَعَاءَ عِنْدَ مَسْجِدِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ عَيْنَ  
مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَفْخَرِ أَرْبَابِ الْفَضْلِ وَالْعِرْفَانِ نَادِرَةِ الْعَصْرِ  
وَالْأَوَانِ قُدْوَةِ الْأُمَرَاءِ الْكِرَامِ، عُمْدَةِ الْكُبَرَاءِ الْفَخَّامِ، الْأَمِيرِ النَّاطِرِ الْمُصْطَفَى  
بِكَ بْنِ طَاهِرٍ دَفْتَرْدَارِ الْأَقْطَارِ الْيَمَانِيَّةِ، سَرْدَارًا عَلَى الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ  
بِحَصْنِ دَمَرْمَرٍ، لِعِظَمِ لَاحِظِهِ عَلَى وَفُورِ تَدْبِيرِهِ وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ وَصِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ  
وَكَمَالِ دِيَانَتِهِ.

## ذكر خروج الأمير الدفتردار على المخيم المنصور بحصن دمرمر

فخرج الأمير [١٢٨] الناظر مصطفى بن طاهر الدفتردار المشار إليه سرداراً ورئيساً على المخيم المنصور، وكشف على جميع أحوال العساكر المنصورة، وتفقد المتارس<sup>(١)</sup> والمحاجي، ورتب لكل أمر مقتضاه، ونادى في العساكر المنصورة ألا يصدر من أحد مشاتمة ولا مساببة لمن في الحصن المأخوذ إن شاء الله تعالى، فهابت العساكر المنصورة وتركوا المشاتمة التي كانت بينهم ولزموا متارسهم ومحاجيهم بالأدب والحذر.

وبالجُملة في تلك الأيام لم يزل الأمير الدفتردار يعمل عملاً يرقق قلوب العدو، ويستميلهم به إلى الطاعة والمصالحة، فبعد أيام قلائل وقعت المكاتبة بين الأمير الدفتردار وبين لطف الله في الأمور الخارجية، ثم نزل رسول لطف الله إلى الأمير الدفتردار المشار إليه، ووقعت المكالمة في شأن تسليم القلعة المأخوذة، فرجع رسول لطف الله إليه بأخبار سارة يعود نفعها على السلطنة الشريفة - أعزها الله تعالى - فبعد ذلك طلب الأمير لطف الله أن يصل إليه السيد الفاضل السيد حسن العياني، وزير

(١) المتارس: الخنادق، وخطوط الدفاع. [تكملة المعاجم العربية (٢/ ٣٤)]



الأمير عز الدين، والسيد العلامة السيد ولي بن عبد الله فعرض الأمير الدفتردار صورة الواقعة على حضرة مولانا صاحب السعادة، فكتب بذلك مولانا صاحب السعادة إلى الأمير عز الدين صحبه الآغا صلاح بن سالم<sup>(١)</sup> لمشاورته في ذلك، كونه من أعيان أمراء الدولة السعيدة الخاقانية ومن أنصار المملكة العثمانية سيد الله أركان ممالكها وخلد عزها ومجدها، فوجه الأمير عز الدين بالسيد [١٢٩] المذكورين صُحبة الآغا صلاح بن سالم فلما قدما<sup>(٢)</sup> إلى حضرة الفخيمة خلع عليهما وأكرم تلقيهما وأجل تعظيمهما وبالغ في الإحسان إليهما، ثم وجههما بعد ذلك إلى الأمير لطف الله إلى دمرمر، وصحبتهما الخواجا علي المقدم ذكره في هذا التاريخ، فسارا إلى هنالك واجتمعا بالأمير لطف الله ووقعت المفاوضة فيما هم بصدد، ومن ثاني وصولهما اجتمع الأمير لطف الله والخواجا علي تحت باب النصر ورجع الخواجا علي إلى صاحب السعادة بما وقع بينه وبين الأمير لطف الله من تقرير القواعد، وقد كان الأمير لطف الله أراد أنه يبقى في الحصن مع عينة السلطنة الشريفة وأن يواجه بنفسه مولانا صاحب السعادة إلى مخروس صنعاء فلم يساعده

(١) من قادة العسكر السلطاني، وشارك في معارك ضد جيوش الملك لطف الله [الفتوحات المرادية (٣/ ٢٥)].

(٢) «قدمنا»: هكنا في الأصل.

صاحب السَّعادة إلى مطلبه بل قال: «لا بد من تسليم الحصن للدولة السَّعيدة الخاقانية وخروجه عنه، وأما مطلبه هذا فلا سبيل إليه»، فلمَّا تحقَّق الأمير لطف الله عدم إسعاف صاحب السَّعادة إلى ما طلبه وأرادَه، وجَّه حينئذ السَّيِّد صلاح بن أحمد ومملوكه النقيب بلالاً<sup>(١)</sup> إلى حَضْرَةِ صاحب السَّعادة، وأودعهما ما أرادَه في تقرير قواعده ووثائقه حال خروجه من جملتها أَنه سَيَّر ولد مَوْلَانَا صاحب السَّعادة الأمير حُسَيْن إلى مَحْرُوس كُوكْبَان، فإذا قد صارَ عند الأمير عَزَّ الدِّين في مَحْرُوس كُوكْبَان خرجَ عَن دَمْرَمَر وَأَنَّهُ يُخْرِج جميع ما مَعَه من آلاته وعُدَّده وأثقاله، وما كانَ من سائل الحبوب ونحوها، فيسَلِّم له أثمانها وتَبْقَى في خَزَانَةِ السُّلْطَنَةِ في الحصن المحروس وأن ينعمَ عليه مَوْلَانَا صاحب السَّعادة بما هو أَهْلُهُ مِنَ التَّفَضُّلاتِ [١٣٠] والمؤمَّل فيه من التَّطَوُّلات، فيما يقوم به وبحاله من الإنعامات السُّلْطَانِيَّة ومن التَّشْرِيفات الخاقانيَّة، ما ينتظم به حاله وأمره، فأجابه صاحب السَّعادة إلى ذلك وخلعَ على السَّيِّد صلاح بن أحمد والنقيب بلال وأمرَ لهماً بصلَّة جَزِيلَةٍ، فاشترط مَوْلَانَا صاحب السَّعادة أن يدخلَ إلى دَمْرَمَر جماعة من عَسَاكِرِ السُّلْطَنَةِ صُحْبَةً المجلس السَّامِي حُسَيْن جَاوُش، الذي تقدَّم ذكره في هذا التَّارِيخ حال وصوله من

(١) «بلال»: هكنا في الأصل.

الأبواب العالِيَّة السُّلْطَانِيَّة بالمراسيم الكَرِيمَة، والخَلَع الشَّرِيفَة السُّلْطَانِيَّة لِمَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَة وَجَمَاعَة أُخْرَى مِنْ قِبَل الأَمِير عَزَّ الدِّين.  
وَسَارَ السَّيِّد صَلاَح بن أَحْمَد وَالتَّقِيب بِلَال مِنْ حَضْرَة صَاحِب السَّعَادَة،  
إِلَى الأَمِير عَزَّ الدِّين إِلَى مَحْرُوس كَوْكَبَان، صُحْبَة الْخَوَاجَا عَلِي لِتَعْرِيف  
الأَمِير عَزَّ الدِّين بِذَلِكَ وَمَشَاوَرَتِهِ، وَلَأَجْلِ اشْتِرَاط الأَمِير لُطْف الله تِلْكَ  
الْأُمُور الَّتِي حَكَمْنَاهَا عَلَى نَظَرِهِ.

فَلَمَّا وَصَلَ الْمَذْكُورُونَ إِلَى الأَمِير عَزَّ الدِّين وَأَخْبَرُوهُ بِتِلْكَ<sup>(١)</sup> الْأُمُور  
اسْتَحْسَنَهَا وَاسْتَصَوَّبَهَا، وَقَالَ: «الرَّأْيُ وَالْبَرَكَة فِيمَا رَأَاهُ وَرَجَّحَهُ صَاحِبُ  
السَّعَادَة وَنَحْنُ تَابِعُونَ لِأَمْرِهِ وَرَأْيِهِ وَنَسْعَى فِي الْخِدْمِ السُّلْطَانِيَّة حَسْبَمَا  
يُحِبُّهُ وَيَأْمُرُ بِهِ».

ثُمَّ رَجَعَ السَّيِّد صَلاَح وَصَاحِبُهُ إِلَى دَمَرْمَر بَعْدَ وَصُولِهِمْ مِنْ عِنْدِ الأَمِير  
عَزَّ الدِّين إِلَى حَضْرَة صَاحِب السَّعَادَة.

وَلَمَّا وَصَلَ [١٣١] السَّيِّد صَلاَح بن أَحْمَد إِلَى الأَمِير لُطْف الله وَأَخْبَرَهُ  
بِنَجَازِ مَا قَدْ تَقَرَّرَ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمُبَارَكَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، أَسْعَفَ<sup>(٢)</sup> الأَمِير  
لُطْف الله إِلَى ذَلِكَ فَوَجَّهَ السَّيِّدِينَ الْأَفْضَلِينَ الْمَذْكُورِينَ إِلَى الْحَضْرَة

(١) «بذلك»: هكذا في الأصل.

(٢) أسعف: فسّر (لين) قولهم: أسعفه بحاجته، بمعنى: (قضاها له) وهو المعنى الذي ينكره  
اللُّغَوِيُّونَ. [تكملة المعاجم العربية (٦/ ٧٩)].

الباشوية والسيد صلاح بن أحمد معهما لنجاز الأمور، ومسير ولد مؤلانا صاحب السعادة إلى مخروس كوكبان، ومسير العينات التي تدخل مخروس دمرمر، من قبل مؤلانا صاحب السعادة، ومن قبل الأمير عز الدين، فأمر صاحب السعادة الأمير عز الدين أن يتوجه بالعينه التي من قبله فوجه الأمير عز الدين من وقته وحينه بالعينه ضحبه مملوكه النقيب ياقوت إلى حضرة صاحب السعادة فوجه مؤلانا صاحب السعادة بالعينات المباركة ضحبه حسين جأوش إلى دمرمر فدخلت هذه العينات ضحبه السنين المقدم ذكرهما، والسيد صلاح بن أحمد، وعمل صاحب السعادة أدام الله إقباله من المعروف والتفضل والتكرم والتطول إلى الأمير لطف الله، حال تحويل آلاته وعدده وأثقاله، ونقله لأهله وأولاده ما لا يعمل<sup>(١)</sup> والد لولده في أداء جماله وغيرها بالأجرة منه وعليها ناس من قبله من ثقات أصحابه لحمل ذلك إلى مدينة مخروس ثلا المرة في أثر المرة.

ولما دخلت العينات إلى مخروس دمرمر [١٣٢] وجه مؤلانا صاحب السعادة بولده الأمير حسين إلى مخروس كوكبان، وصحبته المجلس السامي الأفضل الأوحده الأعلم الأنبل الآغا محمد مملوك مؤلانا السلطان الأعظم خلد الله ملكه وجعل الأرض بأسرها ملكه.

(١) يعلمه: هكنا في الأصل.



وهذا الآغا محمد رجل عظيم له أدب وعلم وذكاء وفطنة وكمال، وله إلى أهل الطريقة<sup>(١)</sup> ميل أكسبه حسن الأخلاق، وحببه إلى الرفاق، وكان قدومه إلى الديار اليمنية إلى الحضرة الباشوية في هذه السنة الميمونة، وحين قدم مدينة صنعاء أمر مولانا صاحب السعادة بتعظيم جنابه والإجلال لشأنه، وأن تتلقاه العساكر والأكابر رعاية لحق مولاه وسلطاناه، خلّد الله ملكه وشيّد بنيانه، وحين تحقق الأمير عز الدين وصول ولد مولانا صاحب السعادة الأمير حسين أمر ولده الأمير شمس الدين أحمد بن محمد، أن يتلقاه في جميع إخوانه ومن عنده من أقاربه وجميع عساكره إلى سواد شبام حوال<sup>(٢)</sup> فدخل محروس كوكبان في زِي حسن وهيئة فخيمة، وأمر الأمير عز الدين بضرب المدافع والزربطانات وغير ذلك مما يشعر به حال الأفراح بل أزيد وأكثر.

وحصل مع الأمير عز الدين من كثرة السرور والفرح والحُبور بوصوله إليه ما لا يمكن حصره.

(١) أهل الطريقة: أهل التصوف.

(٢) حوال: من قبائل حمير منهم الملوك آل أبي يعفر من مشاهير القرن الثالث والرابع. [القبائل بلدان اليمن (٢/٢٩٩)]. وشبام هذه هي نفسها شبام كوكبان.



وكان الأمير عز الدين يومئذ [١٣٣] معه ألم في رجله اليمين من ورم حدث بها لم يتمكن من الملقى وإنما لاقا<sup>(١)</sup> إلى باب داره لسبب ضعفه عن الملقى إلى بعيد.

وأمر صاحب السعادة للأمير عز الدين صُحبة ولده بسمورة سُنجاب نفيس وخِلعة سنّية لولده الأمير شمس الدين وهدية جزيلة عظيمة نبيلة مما يعظم شأنه وتكثر<sup>(٢)</sup> قيمته من أنواع الملابس النفيسة الملوكية وأجلها ما لا يقدر أحد أن يهديها ولا يمتن بمثلها.

وبعد استقرار ولد مؤلانا صاحب السعادة بمحروس كوكبان، أمرني<sup>(٣)</sup> الأمير عز الدين أن أكتب إلى ابن عمه الأمير لطف الله أن يخرج عن دمرمر ويسلمه إلى الدولة الخاقانية ويسير إليه إلى محروس كوكبان، ففعلت ما أمرني به ووجهت بالكتاب من ساعتى وأمرت الرسول أن يحث في مسيره.

فلما كان في اليوم الثاني من توجيه الكتاب، وصل من الأمير لطف الله رسول إلى الأمير عز الدين بكتاب منه إليه، يذكر فيه أنه رجح لديه الاجتماع بمؤلانا صاحب السعادة، وأنه قد كتب بذلك إليه واستأذنه إلى

(١) «لقى»: هكنا في الأصل.

(٢) «يكثر»: هكنا في الأصل.

(٣) المؤلف.

أيّ مكان يكون فيه الاتفاق، فأجاب عليه الأمير عزّ الدين أنّ ذلك عينُ الصَّواب.

فلَمَّا وصل كتابُ الأمير لطف الله إلى مَوْلَانَا صاحبِ السَّعادة بذلك الأمر، الذي طلبه مِنْه، أسعفه إلى قبوله فأجاب [١٣٤] عليه أنّ الاتفاق به يكون بمكان عينه له، تحت دَمْرَمَر حرسه الله تعالى، وأمر أَيْدُهُ الله من ساعته أن يهيأ في ذلك المكان سَمَاط عظيم، وأمر بما يُحتاج إليه ويُصرف عليه وما يجعل فيه من سَمْنٍ وَعَسَلٍ وحلوى وشكر وغيره ومن اللُّحوم على أنواعها وأن تُنصب هُنَالِكَ خِيَامٌ لوقتِ وصوله، وسارَ أَيْدُهُ الله تعالى إلى ذلك المكان المعين للاتفاق فيمَن عنده من أعيان المملكة العُثمانية وجميع العساكر السُّلطانية.

## ذكر مُلاَقاة السَّيِّد لُطف الله مع مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعادة:

وخرج الأمير لُطف الله فيمن بقي معه من أصحابه، والعِيَنَة التي مِن قَبْل  
الأمير عَزَّ الدِّين، ومعه وزير الأمير عَزَّ الدِّين، والسَّيِّد الفاضل العَلَّامة غَرَّة  
أهل البيت في عصره الولي بن عبد الله، إلى مقام صَاحِبِ السَّعادة، فأمرَ  
مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعادة العَسَاكِر السُّلْطَانِيَّة التي لديه بتلقي الأمير لُطف  
الله، ولَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ حَيَمَتِهِ أَكْرَمَهُ غَايَةَ الإِكْرَام، وبالغ في تعظيمه على  
رؤوس الأنام، وخلعَ عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً بِمَجْمَع عَظِيمٍ مِنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ،  
والبَسَهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ وُضُوءِهِ لِبَسَةِ كَامِلَةٍ نَفِيسَةٍ مُسْتَكْمَلَةِ الزِّيِّ الْمَلَكِيِّ  
التُّرْكِيِّ، مِنْ لِبَاسِ الشُّعَارِ وَالذَّنَّارِ، مِنْ جُمْلَتِهَا خِنْجَرٌ مُفَصَّصٌ لَهُ قِيَمَةٌ  
نَفِيسَةٌ، وَقَبْلَ ذَلِكَ هَيَأَ لَهُ خِيَمَةٌ كَامِلَةٌ الْفَرْشِ وَسَائِرِ الْآلَاتِ [١٣٥] وَكَانَ  
قَدُومُهُ إِلَيْهَا ثُمَّ أَعْطَاهُ تِلْكَ الْخِيَمَةَ، بِمَا فِيهَا وَأَنَسَهُ غَايَةَ الْأَنَسِ، حَتَّى  
سَكَنَتْ رَوْعَتُهُ، وَزَالَتْ وَحْشَتُهُ.

وخلعَ على جماعة من أَعْيَانِ الأمير لُطف الله، وَأَعْطَاهُمْ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً  
وَطَعِمَ مِنْ ذَلِكَ السَّمَاطِ الْمَهْيَأِ هُنَالِكَ، وَطَعِمَ مَعَهُ الْأَمِيرُ لُطف الله وَجَمِيعَ  
أَصْحَابِهِ وَجَمِيعَ الْكُبَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْأَغَاوَاتِ وَالرُّؤُسَاءِ وَكَافَةَ الْعَسَاكِرِ  
السُّلْطَانِيَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَمِنْ حَضَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي، وَأَنعَمَ عَلَى  
الأمير لُطف الله فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِسَنَجَقٍ شَرِيفٍ سُلْطَانِيٍّ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ أَيْضًا

خِلْعَةً نَفِيسَةً، وَقَرَّرَ لَهُ مِنَ الْجَوَامِكِ السُّلْطَانِيَّةِ مَا يَسْتَحِقُّهَا أَعْظَمُ سَنَجَقٍ وَعَمَلٍ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ، فِي كُلِّ سَنَةٍ خَمْسَمِائَةَ زُبْدِي<sup>(١)</sup> وَمِائَةَ زُبْدِي أَيْضًا مِنَ الْبُرِّ وَأَعْطَاهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَمَرَ لَهُ بِحَصَانٍ نَجِيبٍ مَخْلِي سَرَجُهُ وَلَبَبُهُ وَقِلَادَتُهُ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ مَخْلِي وَأَعْطَاهُ سِنَجَابًا مِنْ قُبَا لَمْ يُرَى مِثْلُهُ.

وخلعَ على السَّيِّدِينَ الْمُقَدَّمِ ذِكْرَهُمَا وَ[الخَوَاجَا] عَلِي<sup>(٢)</sup> وَالنَّقِيبِ يَاقُوتَ مَمْلُوكِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ خِلْعًا سَنِيَّةً، وَأَمَرَ الْأَمِيرَ لُطْفَ اللَّهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى مَخْرُوسِ كَوُكْبَانَ، وَأَمَرَ بِتَشْيِيعِ السَّنَجَقِ الشَّرِيفِ حَالَ مَسِيرِ الْأَمِيرِ لُطْفَ اللَّهِ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ التَّعْظِيمِ، وَأَمَرَ الْخَوَاجَا عَلِيًّا<sup>(٣)</sup> أَنْ يَسِيرَ صَحْبَتَهُ، وَكَانَ الْإِتْفَاقُ هَذَا وَخُرُوجُ [١٣٦] الْأَمِيرِ لُطْفَ اللَّهِ مِنْ مَخْرُوسِ دَمَرْمَرٍ وَتَخْلِيَتِهِ لِلدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ نَهَارَ الْخَمِيسِ ثَالِثَ شَهْرِ الْقَعْدَةِ الْحَرَامِ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَلِلَّهِ دَرَّ صَاحِبِ السَّعَادَةِ مَا أَجَلَ مَكَارِمِهِ وَأَعْظَمَ مَنَاقِبِهِ وَأَفْخَمَ تَفَضُّلَاتِهِ، وَأَصْدَقَ أَقْوَالِهِ، وَأَتَمَّ وِفَاءِهِ، وَأَكْثَرَ مَعْرُوفِهِ، وَأَجَدَّ عَفْوِهِ وَبِرِّهِ، وَأَطْيَبَ سَرِيرَتِهِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَكَارِمَ الَّتِي أَسْدَاهَا، وَأَنْعَمَ بِهَا عَلَى الْأَمِيرِ لُطْفَ اللَّهِ، بَعْدَ مَبَايِنَتِهِ لَهُ وَمَحَارِبَتِهِ إِيَّاهُ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا

(١) زُبْدِي: مكيال للحبوب. [تكملة المعاجم العربية (٥ / ٢٨١)].

(٢) لَعَلَّهُ أَرَادَ بَقُولِهِ: «وَعَلِي»، أَيْ الْمَوْلَفَ، وَمَا أَثْبَتْنَا بِمَعْكَوْفَتَيْنِ يَسْتَقِيمُ مَعَ ذِكْرِ الْخَوَاجَا عَلِيٍّ فِي تَالِيِ الْخَبَرِ.

(٣) «عَلِي»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

أحد في الأقطار اليمينية من ملوكه وأمرائه ولا سيلحق به غيره وما أجدر أن  
 يتمثل كل من ذكره بهذا البيت:  
 (من)  
 الكامل)

هَيْهَاتَ أَنْ يَأْتِيَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ      إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ



ذكر دخول صاحب السعادة محروس دمرمر وإقامته لصلاة  
الجمعة فيه:

ولما سار الأمير لطف الله من الموضع الذي وقع فيه الاتفاق المقدم  
ذكره، دخل مولانا صاحب السعادة إلى محروس دمرمر لطيفته وتقرير  
رؤيته ودرداراً عليهم فيه، وافتقاد ما ينبغي افتقاده، ودخل معه أعيان  
العساكر السلطانية من العرب والعجم وصلى صلاة الجمعة في الحصن  
المحروس، وخطب هنالك لمولانا السلطان الأعظم، ولم يخطب لأحد  
من ملوك العجم فيما سبق في جمعة، وأنفذ صاحب السعادة البشائر إلى  
جميع الأقطار اليمنية من البلاد السلطانية، وأمر في مدينة صنعاء اليمن  
بالتلبس [١٣٧] المعتاد أيام البشارات سبعة أيام.

الجزء الثّامن



## [الجزء الثامن]

وحين استقرّ ركباه في هذا المعقل الحصين والحصن الزّين<sup>(١)</sup> كتب إلى  
الأمير عزّ الدين يُبشّره بهذا الفتح العَظيم الجليل الفخيم، فأمرني<sup>(٢)</sup> الأمير  
عزّ الدين أن أجوب إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعادة بجواب يتضمّن التهنة  
بفتح مَخروس دَمَرَمَر، وذكر قدوم ولده الأمير حُسَيْن بك إلى مَخروس  
كَوْكَان، الرّفع البنيان ففعلتُ ما أمرني به، وهذه صُورَتُهُ:

(من السّريع) ✍

لا زالت صُحفُ التَّهاني تُتلى ومَهَارِقُ البَشائر تُدرّس وتُملا  
في الحَضرة الشَّامخة ارتفاعاً في مجاري الأفلاك، المُشْمَخِرَة<sup>(٣)</sup> سُمكاً  
فوق السَّمَك<sup>(٤)</sup>، حَضرة مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعادة العَظمى والرُّتبة الرّفِعة  
السَّمى في المَقَرّ السَّامي السُّلْطانيّ الأسمى، أمين مَوْلَانَا سُلْطان الزَّمن،  
على تدبير إقليم اليمن، مَوْلَانَا الباشا حسن، لا برحت أعينُ السَّعادة إليه

(١) الزّين: الشّديد القويّ.

(٢) المؤلف.

(٣) المُشْمَخِر: العالي من الجبال، وغيرها: النَّاج: (شمخر).

(٤) السَّمَك: نجم من النُّجوم.

لاحظة، وعناية ربّه له مُلاحظة، ولا زالت الأقدار جارية فوق مراده، ولا انفكت السبعة الأملاك مقتربة بنصره وإسعاده، حتى ينال من وطره<sup>(١)</sup> أقصاه، ويُدرِك من أمله قُصاراه، والله يهدي إلى حضّرتَه سلاماً يتضوّع<sup>(٢)</sup> تضوّع المسك الأذفر<sup>(٣)</sup>، ويتبسّم عن مباسم الرّوض أضحكه بكاء الغمام فأفتر [١٣٨] أرق من النّسيم، وألذ من نيل الأمل، وأحب من العافية إلى السّقيم، وأشهى من بلوغ الأمان والأوطار، وأحلى من ارتشاف ريقه الشّهد المُشتار، سلاماً لو تصوّر لكان نوراً في أنحاء الرّمان، وسروراً يرتاح به الرّوح ويهتّزُّ له الجنان.

وبعد فصدرت مطالعة محبكم، بعد أن وردت من تلقاء حضّرتكم السّامية، وأعتابكم الرّفيعة العالّية، عظيم المسرة وجليل البشرى، التي ليس لها الدهر مطارف السّرى، واهتزّ لها عطف الزّمان اختيالاً وارتياحاً، وعربد لها الكون والمكان، ولا عريضة من اعتبق راحاً، ذلك فتح المعقل الأمنع، والطّود الشّامخ الأشمّ الأرفع، الذي اتخذ السّحاب إزاراً، وانتظم الكواكب تقصّاراً، وسامى كيوان<sup>(٤)</sup> في سموّ ارتفاعه مناراً، وعزّ أن يسمو

(١) الوطر: كلّ حاجة كان لصاحبها فيها همّة فهي! وطره: النّاج: (وطر).

(٢) تضوّع: سَطَعَ وتفرّق، النّاج: (ضوع).

(٣) المسك الأذفر: نوع من المسك يأتي من بلاد التّبت، وهو أفضل من الصّينيّ، النّاج: (تبت).

(٤) كيوان: كوكب زحل.

إلى سمائه همم الملوك وآمالها، وهل رام السماء كَفُّ ملتَمِس<sup>(١)</sup> فَنالها،  
إلا من نُسِجَتْ له السَّعادة رداءً فلبسَه، وتقلَّد النُّصر سيفاً فأحسِنَ به  
مَتَقَلِّداً ما أنفُسَه، فإنَّه فاز من المفاخر بما عجز عنه الأوائل، ولن تبلغه  
الأواخر، فتحَّ فتَحَتْ له أبوابُ الأفراح، وهشَّت له النُّفوس، واهتزَّت له  
الأرواح، وناهيك بمحروس دَمَرَمَر، فتحَّ أكبر.

فالحمد لله بجميع محامده، حمداً يَرْضَى به عَن حَامِده، حمداً يليق  
بجلاله وقُدسِه، لا يحصي ثناء [١٣٩] عليه هو كما أثنى على نفسه،  
نحمده في كل حَرَكَة وسكون، ونسأله المزيد من نعمائه ف{إِنَّمَا أَقْرَبُ  
إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ} [سورة يس: ٨٢] وإنا  
ننهي إلى حَضْرَة مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعادة الباشا حسن، بلغه الله ما شاء من  
كل حَسَن؛ أَنَّها لما انتهت إلينا تلك البُشرى، والتَّهنئة العَظيمة الكبرى،  
أسرَّت في أرواحنا رُوح المَسرَّة، وعرفنا في وجه الزَّمان للنَّعيم نظَرَه×  
وكيف لا وذلك فتح يُزَلِّف مَوْلَانَا في رَفيع الأبواب، وينوّه بذكره الشَّريف  
في تلك الأعتاب، أعتاب مَوْلَانَا سُلطان الأمم، مَالِك رِقَاب العَرَب  
والعَجم، المختصَّ بين سلاطين العباد، الممنوح من عند الله دون  
الخلائق من حاضر وباد، بالمَدافعة عَن دين الله والقيام بفرض الجهاد،  
ذلك مَوْلَانَا ومولى الأُمَّة بشهادة الأشهاد، السُّلطان الأعظم، سُلطان هذا

(١) «ملتَمِس»: هكنا في الأصل.



العالم، مَوْلَانَا السُّلْطَان مُرَاد أَعْلَى اللهُ شَأْنَهُ وَخَلَّدَ مَلِكُهُ وَسُلْطَانُهُ، وَبَلَّغَهُ  
أَعْلَى صِهْوَاتِ الْأَمَلِ، وَأَعْلَى نَوَاصِي الْمُرَادِ، بِحُرْمَةِ سَيِّدِ الْآخِرِ  
وَالْأَوَّلِ، وَهَذَا دَعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ، وَمَا ذَكَرَهُ مَوْلَانَا الْمَقَامُ الْأَعْلَى، الْفَائِزُ  
مَنْ الْمَفَاخِرِ بِالْقَدَحِ الْمَعْلَا، مَا وَفَّقَ اللهُ إِلَيْهِ الصَّنُو لُطْفَ اللهِ وَهَدَاهُ، فِي  
أَوْلَاهُ وَعَقْبَاهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا الَّذِي كُنَّا نَبْغِيهِ لَهُ وَنَهْوَاهُ،  
وَنَتَرَقَّبُهُ [١٤٠] لَهُ وَنَتَمَنَاهُ، فَإِنَّ طَاعَةَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ وَاجِبَةٌ،  
وَالدُّخُولُ تَحْتَ أَلْوِيَّتِهِ الشَّرِيفَةِ قَضِيَّةٌ عَلَى ذَوِي الْعِلْمِ وَالْدِّينِ لَا زِبَةَ،  
وَعَرَفَ مُحِبُّكُمْ مَا أَشْرْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ مَا أَنْعَمْتُمْ بِهِ عَلَى الصَّنُو لُطْفَ اللهِ،  
فَمَوْلَانَا أَهْلٌ لَجَمِيعِ الْمُحَامِدِ وَالْكَرَمِ، وَمَحَلٌ لِحَمِيدِ الشَّمَائِلِ وَشَرِيفِ  
الشَّيْمِ، وَمَا ذَكَرَهُ مَوْلَانَا أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ تَفَضُّلٍ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، وَأَسَدَاهُ  
مَنْ التَّطَوَّلَ إِلَيْنَا، مِنْ قَدُومِ وَلَدِهِ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ، وَالْمَقَامِ الْخَطِيرِ الشَّهِيرِ،  
الْأَمِيرِ حُسَيْنِ بِكَ وَأَنْ مَوْلَانَا كَانَ مُجِئُهُ إِلَيْنَا عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ  
وَالصُّورَةِ، فَلَقَدْ مَنَّ عَلَيْنَا مَوْلَانَا بِذَلِكَ، وَعَدَدْنَا قَدُومَهُ مِنْ أَجْلِ فَضِيلَةِ  
وَكِرَامَةِ، وَإِنَّمَا قَدَمٌ مِنْ حِجْرِ وَالِدِهِ الْبَاشَا الْأَكْبَرِ إِلَى حِجْرِ وَالِدِهِ الْمُحِبِّ  
الْأَبْرَ، وَقَدْ وَصَلَ أَكْرَمَ وَصُولٍ، وَقَدَمَ خَيْرَ مَقْدَمٍ مَقْرُونٍ، بِالْإِقْبَالِ وَالْقَبُولِ،  
فَأَهْلًا بِهِ أَهْلًا، وَمَرْحَبًا وَسَهْلًا، لَا نَعُدُّ ذَلِكَ إِلَّا أَكْبَرَ نِعْمَةٍ مَنَّ بِهَا الْمَوْلَى  
عَلَى مُحِبِّهِ، وَأَسْنَى مَنَّةٍ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُهُ وَقَلْبُهُ، فَلَا زَالَ لِمَوْلَانَا قَرَّةَ عَيْنٍ  
وَفُؤَادٍ، وَلَا بَرَحَ فِي نَيْلِ سَوْءٍ وَمَرَادٍ، أَبَدَ الْآبَادِ، وَقَدْ أَشْعَرْنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ بِمَا  
اسْتَطَعْنَا مِنْ مَا نَقْتَادُهُ مِنْ أَشْعَارِ النِّعَمِ، وَنَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي إِظْهَارِ مَزِيدَاتِ

القسم، التي هذه أجلها وأسناها، وأكرمها وأهناها، من إشعال النيران، وضرب المدافع والزربطانات [١٤١] وغير ذلك مما يكون في أيام المسرات، قرن الله وصوله بالخيرات، والحسن في الحركات والسكنات، بحق محمد وآله الكرماء، وصحبه العظماء.

والأمير عز الدين حين قدوم ولد مولانا صاحب السعادة عليه مخروس كوكبان أمر بتفريغ دار له ولأصحابه، وبالغ في إكرامه وتعظيم جنابه، وقرب الضيافات السنية، وما يلحق بها وأمر له من ثاني وصوله بخلة سنية، وبحضان من نجائب خيله عليه حلية كاملة، وبسيف محلي، وأمر للآغا محمد مملوك مولانا السلطان المقدم ذكره، بخلة سنية وحضان محلي.

ولما عزم على المسير إلى حضرة والده أمر له الأمير عز الدين بخلة سنية، وبستمائة دينار وللآغا محمد بخلة عظيمة ومائة دينار، وكسى جميع أصحابه، والأمير لطف الله بعد اجتماعه بمولانا صاحب السعادة حسبما تقدم ذكره سار إلى مخروس كوكبان، ومعه الجناب الفخيم علي الخواجا بأمر صاحب السعادة، فاجتمع بالأمير عز الدين وبمن هنالك من إخوته وقرباته، واجتمع أيضا هنالك بولد مولانا صاحب السعادة الأمير حسين، وخلع الأمير حسين على الأمير لطف الله حال قدومه كوكبان خلة عظيمة، وبقي الأمير حسين بعد وصول الأمير لطف الله خمسة أيام ثم سار إلى أبيه إلى مخروسة صنعاء والأمير لطف الله بقي في [١٤٢]

مَحْرُوسٌ كَوَكَبَانٌ عِنْدَ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ ثُمَّ سَارَ إِلَى مَدِينَةِ ثُلَا لِأَنَّ أَهْلَهُ  
وَأَوْلَادَهُ خَرَجُوا مِنْ مَحْرُوسٍ ذَمَرَمَرًا إِلَى هُنَالِكَ، وَقَدْ كَانَ اسْتَأْذَنَ صَاحِبُ  
السَّعَادَةِ فِي وَقُوفِهِ فِي مَدِينَةِ ثُلَا فَأُذِنَ لَهُ.

## نكتة عجيبة

ومن عجائب الاتفاق ومما يخلد ذكره في بطون الأوراق، أن حصن مدع وذمرمر كثيراً ما يؤخذان في سنة واحدة لملك واحد، وكان الذين بذمرمر بقية من ملوك بني حاتم<sup>(١)</sup> وأول الابتداء الأول في الخطاط عليه يومئذ، مما يشابه الخطاط عليه هذه المرة؛ قال صاحب (العقد): «كان الخطاط عليه متباعداً»، قال: «ثم تقارنت المحاط عليه تقارباً كلياً»، وأيضاً مما حكاه أنه بُذِلَ لأهل ذمرمر يومئذ أول الخطاط عليه حصن بریش<sup>(٢)</sup> وحصن فدة<sup>(٣)</sup> وجميع وادي ضهر<sup>(٤)</sup> مع غيره من الكسوات والإنعامات ويخرجوا عنه، فلم يقبلوا ومولانا صاحب السعادة بذل

(١) بنو حاتم: بطن من الهمدانيين كانوا ملوك صنعاء في أوائل القرن السادس الهجري، ويُعتبر حاتم من أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني، المؤسس الحقيقي لدولتهم، وقد توفي سنة ٥٠٢ هـ وتولى بعده ابنه عبد الله بن حاتم. [البلدان والقبائل (١/ ٣٨٤)]

(٢) بریش: قرية وحصن في منطقة وادعه من مديرية همدان، في الشمال الغربي من صنعاء. [البلدان والقبائل (١/ ١٦٥)]. وهو عند المؤلف بالسّين المهملة ولعله غير هذا الحصن.

(٣) فدة: جبل متصّب في الطرف الجنوبي من وادي ضهر، غربي صنعاء، وهو وعر المسلك صعب المُرْتَقى، ذكره البكري في معجمه؛ القبائل والبلدان: (٢/ ١٢٠٨) ..

(٤) ضهر: وادٍ مشهور يقع إلى الغرب من مدينة صنعاء، وبه مآثر عجيبة تعود لعصور الممالك العربية الجنوبية القديمة، وزراعات كثيرة، وقد أسهب لسان اليمن الهمداني في ذكره.

للأمير لطف الله من الإنعامات وغيرها، ما يصلح له شأنه بذلك في أول الأمر فلم يقبل ووقعت مراسلات ومخاطبات فلم ينعقد أمر، وكانت المحاط عليه أولاً متباعدة فتقاربت بعد تقارباً كلياً.

قال صاحب (العقد): «ثم أصاب أهل الحصن في عرض الحصار مرض غريب لم يخبر به ولم نسمع بمثله».

قلت: وصاحب العقد كان من المُخَاصِرِينَ لأهل دَمَرَمَر يومئذ وهم قرابة له [١٤٣] لأنه ثبت على طاعة الملك المظفر الغساني وهم خالفوا وعصوا، وكان في حصنه يومئذ العروس<sup>(١)</sup> أبقاه له الملك المظفر<sup>(٢)</sup> وبلاده وأمواله لما أطاعه وبقي على موالاته ونصرته.

(١) العروس: جبل من بلاد بني مظفر في غربي صنعاء، يحاذي جبل كوكبان من جهة الجنوب. [البلدان والقبائل (١/ ١٠٥٥)].

(٢) المظفر الرسولي (ت بعد ٨٥٤هـ): يوسف بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عباس الرسولي، الملك المظفر بن الملك المنصور بن الناصر بن الأشرف إسماعيل: من ملوك الدولة الرسولية في اليمن.

ولي سنة ٨٤٥هـ بتعز، واضطرب أمره، فخلعه عبيد، وقبض عليه الملك المسعود (أبو القاسم بن إسماعيل) سنة ٨٥٤هـ وسلمه إلى العبيد يتصرفون به كما يشاؤون، وانقطعت أخباره. [الأعلام للزركلي (٨/ ٢٤٠)].



قال: «كَانَ الْأَلَمُ الْوَاقِعَ عَلَى<sup>(١)</sup> أَهْلِ ذَمْرَمَرٍ يَوْمَئِذٍ إِذَا أَصَابَ أَحَدًا مِنْهُمْ سَقَطَتْ أَضْرَاسُهُ كُلُّهَا وَأَقَامَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ دُونَهَا وَهَلَكَ وَرَبَّمَا قَدْ نَفَعَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ الْخَضِرَوَاتِ» ثُمَّ قَالَ: «ثُمَّ تَطَاوَلَ الْحِصَارُ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ طَلَبُوا الْأَمَانَ وَالرِّفَاقَةَ وَنَزَلُوا إِلَى الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ فِي مَحْرُوسَةٍ زَبِيدٍ وَقَدْ سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَلَمَّا وَصَلُوا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ اسْتِقْصَاءٌ عَلَيْهِمْ فِي حَالٍ وَلَا مَوَازِيةٌ بِمَا فَعَلُوا وَأَعْطَاهُمْ سِتَّةَ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وَتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ بِحَصْنٍ فِدَّةً، وَكَانَ تَسْلِيمٌ مُدَّعٍ وَذَمْرَمَرٌ لِلْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ فِي سَنَةِ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَسِتْمِائَةَ»، وَكَذَلِكَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ عَفَى عَنِ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ، وَلَمْ يُوَازِيهِ بِفَعْلِهِ بَلْ أَقَالَ عَثْرَتَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِنْعَامَاتِ سُلْطَانِيَّةٍ وَأَعْطَاهُ عَطَايَا وَافِرَةً، وَخَلَعًا سَنِيَّةً، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالسَّنَجَقِ الشَّرِيفِ السُّلْطَانِيِّ وَقَرَّرَ لَهُ جَوَامِكَ سُلْطَانِيَّةٍ وَأَبْقَى لَهُ مَا كَانَ مِنْ مُكْتَسَبَاتِ أَمْوَالِهِ.

(١) مع: هكنا في الأصل.

## اتفاقية عجيبة

والإمام شرف الدين رحمه الله حَسْبَمَا ذكره مؤلف سيرته <sup>(١)</sup> أَنَّهُ فتح مُدَع وَدَمْرَمَر في سَنَةِ وَاحِدَةٍ كَمَا سَبَقَ ذكره، وهذا أمر عجيب، وشيء غريب، في اتفاق أخذهما على [١٤٤] مَا ذكر فكان الواحد منهما مَرَبُوط بِالْآخَرِ، وَكَانَ جُمْلَةُ الْمَحَاطِ عَلَيْهِ مِنْ حِينَ أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِمَحَاصِرِهِ إِلَى فَتْحِهِ سَنَةً وَسَبْعَةَ شُهُورٍ، وَنَاهِيكَ بِحَصْنِ دَمْرَمَرٍ فِي جَمِيعِ حَصُونِ الْيَمَنِ بِلِ فِي الْأَرْضِ فِي حَصَانَتِهِ وَارْتِفَاعِ عُلُوهِ وَحَسَنِ هَوَائِهِ.

وَقَدْ أَحْطَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ الْأَيُّوبِيُّ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْغَزَا أَرْبَعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهِ وَكَانَ صَاحِبُهُ يَوْمئِذٍ السُّلْطَانُ عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ حَصَلَ الضُّجْرُ مَعَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ، مِنْ كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ فَصَالَحَ عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ

---

(١) سيرة الإمام المتوكل على الله يَحْيَى شَرَفُ الدِّينِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ، لِمُؤَلِّفِهَا الْقَاضِي الْعَلَّامَةُ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الزَّرِّيْقِيِّ (ت ٩٦٠ هـ) وَهِيَ غَيْرُ مَكْتَمَلَةٍ، وَلَهُ سِيرَةٌ أُخْرَى.

(٢) طَغْتَكِين، سَيْفُ الْإِسْلَامِ، ابْنُ أَيُّوبَ ابْنِ شَاذِي (٥٩٣ هـ): صَاحِبُ الْيَمَنِ، الْمَلَقَبُ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ. كَانَ شَجَاعًا أَدِيبًا عَاقِلًا. بَعَثَهُ أَخُوهُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى الْيَمَنِ، فَدَخَلَ مَكَّةَ سَنَةَ ٥٧٩ هـ وَدَخَلَ رَيْدًا، فَتَعَزَّزَ، وَمَلَكَ الْيَمَنَ كُلَّهُ، طَوْعًا وَكَرْهًا، وَكَانَ فَقِيهًا، لَهُ مَقْرُوءَاتٌ وَمَسْمُوعَاتٌ، وَاخْتِطَّ فِي الْيَمَنِ مَدِينَةٌ سَمَّاها (المنصورة) عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ مَدِينَةِ الْجَنَدِ سَنَةَ ٥٩٢ هـ وَتَوَفَّى فِيهَا. [الاعلام للزركلي (٣/٢٢٧)].

على أن يعطى كل شَهر خمسمائة دينار وخمسمائة كيلة طعام، ووقعت  
بذلك العهود ثُمَّ حصل آخر مُدَّة الملك العزيز انتقاض ذلك، كما هو  
مَشهُور في كتب تواريخ اليَمَن، صانه الله من شوائب الفتن والمِحَن.

## ذكر خروج الأمير سنان كيخيه على المخيم المنصور بمدينة صعدة:

ذِكْرُ فَتْحِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مَدِينَةِ صَعْدَةِ الْمَحْرُوسَةِ لِلدَّوْلَةِ  
الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ  
وَتِسْعِمِائَةٍ، عَمِلَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ الْبَاشَا حَسَنُ حَرَسِ اللَّهِ سَمُوهُ وَأَدَامَ  
عَلُوهُ عَلَى تَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الْوَاسِعَةِ، وَالْعُدَدِ الْكَثِيرَةِ النَّافِعَةِ مِنَ  
الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَصَحْبَتِهِمُ الْمَدَافِعَ وَالزَّرْبُطَانَاتِ وَالْخَزَائِنِ الْكَثِيرَةِ، إِلَى  
مَدِينَةِ صَعْدَةِ وَأَخَذَهَا وَمَحَارَبَةً مَن فِيهَا، وَفِي خِلَالِ مَا هُوَ بِصَدْدِهِ مِنَ  
التَّجْهِيزِ قَدِمَ [١٤٥] عَلَيْهِ الشَّرِيفُ الْأَمِيرُ الْهَادِي بْنُ النَّاصِرِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ  
قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَهُوَ أَخُو الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ قُدُومِهِ  
بِأَيَّامِ يَسِيرَةِ كَاتَبَ إِلَى الْحَضْرَةِ الْبَاشَوِيَّةِ يُلُوذُ بِعَفْوِهَا وَيَطْلُبُ لَهُ الْأَمَانَ  
وَالْتَقِيَّ فِي ظِلِّهَا، وَأَنْ لَا يُوَاخِذَ بِجَرَائِرِ حَيِّ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ، فَفَعَلَ لَهُ أَيْدُهُ اللَّهُ  
مَرَايِمَ شَرِيفَةً بِأَمَانَةٍ وَالْعَفْوَ عَنْهُ، وَلَمَّا قَدِمَ إِلَى حَضْرَتِهِ غَمَرَهُ بِإِحْسَانِهِ  
وَتَطَوُّلَاتِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ  
يَقْبِضُ عَلَيْهِ بَعْدَ وَصُولِهِ إِلَيْهِ لَمَّا قَدْ جَرَى مِنْ أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ النَّاصِرِ مِنَ  
الْخِلَافِ وَالْعِنَادِ لَجَانِبِ السُّلْطَنَةِ، وَهُوَ كَانَ فِي جَمَلَتِهِ وَحَاشَاهُ عَنْ ذَلِكَ  
لَمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ وَفَائِهِ بِتَأْمِينِ مَنْ أَمَنَهُ وَإِتْمَامِ مَا وَضَعَهُ وَقَعْدَهُ، وَمَا هُوَ

مشهور من كرم خلاله ومحمود كماله وبذله لطارفه وتلاذه في كسب  
المجد والثناء الحسن.

ولما تهيأ لمولانا صاحب السعادة ما أراه من حشد العساكر المنصورة  
السلطانية وجمعها من كل جهة وناحية، وتجهيزها إلى مدينة صعدة،  
أرسل للأمير سنان وهو يومئذ في المخيم المنصور على حصن دمرمر،  
فلما وصل إليه أخبره بما أراه من توجيه العساكر المنصورة إلى مدينة  
صعدة وأنه يكون رئيس العساكر المنصورة ومن معهم من الأمراء الأعلام  
والآغاوات والرؤساء الكرام وأمره [١٤٦] بالتأهب للمسير فامثل أوامره  
الشريفة، واستبقى مولانا صاحب السعادة من العساكر السلطانية التي في  
المخيم المنصور على دمرمر من يقوم بحصاره مع ما هنالك من العساكر  
المنصورة مع الأمير الناظر العظيم الشجاع البسيل الفخيم، مصطفى بن  
طاهر الدفتردار بالديار اليمنية، وقد سبق لنا [ذكر] خروجه إلى المخيم  
المنصور بحصار دمرمر مفصلاً.

وقد يقال في ضروب الأمثال: «من اعتقل خصمه في حصنه ومعقله فقد  
ملك قياده وأمن شراده وصار تحت ختمه».

وكتب صاحب السعادة إلى الأمير عز الدين، يطلب منه عسكراً ومن  
سائر أولاد عمه، تسير مع العساكر السلطانية إلى مدينة صعدة، فكل منهم  
وجه بعسكر إلى مقام مولانا صاحب السعادة أيده الله تعالى إلى محروسة  
صنعاء، وأمر صاحب السعادة الأمير عبد الله بن المطهر أن يسير مع



العساكر السلطانية إلى صعدة، وكذلك الأمير الهادي بن الناصر، أمره أيضاً بالمسير وأنعم على أخيه حفيظ بسنجد شريف سلطان حال التجهيز، هذا لأن مولانا صاحب السعادة مُستملحاً منه، بسبب ثبوت قدمه في الطاعة السلطانية في أيام انحراف صنوه محمد عن جانب السلطنة الخاقانية.

ولما اجتمعت لمولانا صاحب السعادة العساكر المنصورة إلى مدينة صنعاء، الذين أراد [١٤٧] توجيههم ومسيرهم إلى مدينة صعدة مع الأمراء السناجق الأعلام، أمرهم بالتخييم خارج مدينة صنعاء، بالقرب من مسجد فروة بن مسيك الصحابي رضي الله عنه فضربوا خيامهم هنالك مدة أيام يسيرة، وصار ذلك المخيم كأكبر مدينة، من كثرة خيامه وخدمته<sup>(١)</sup> وكثرة من به من الأجناد الكثيرة.

وأمر أيده الله تعالى بعرضهم وافتقاد أمورهم وأعطاهم جوامكهم، ثم أمر الأمير سنان أن يكون رأساً عليهم، فساروا إلى بلاد عيال شريح<sup>(٢)</sup> من أعمال البون وخيموا هنالك.

(١) الخدر: حشبات تُنصب فوق قتب البعير مستورة بثوب، وهو الهودج؛ التاج: (خ در).

(٢) عيال شريح: قبيلة تقع بلادها إلى الشمال من صنعاء بمسافة ٢٧ كيلاً، وتشكل بلادها مديرية من أعمال محافظة عمران. [البلدان والقبائل (١/ ٧٨٨)].

وفي تلك الأيام وصلت إلى حضرة مولانا صاحب السعادة أخبار سارة من الأعتاب السلطانية حرس الله مجدها بقبول عروض عرضها وشفاعات شفعتها، من جملتها الإنعام على الأمير سنان بسنجد شريف ولواء منيف.

وفي خلال وصول العساكر السلطانية إلى بلاد عيال سريح وتخيمهم هنالك، شرعت المخاطبة بين مولانا صاحب السعادة وبين الأمير لطف الله في تسليم مخروس دمرمر وكان حال خروج الأمير لطف الله من دمرمر واجتماعه بصاحب السعادة، وصل الأمير سنان إلى هنالك في جماعة يسيرة، واجتمع بالأمير لطف الله يومئذ عند مولانا صاحب السعادة، ودخل مع مولانا صاحب السعادة مخروس دمرمر وبقي عنده نحو ثمانية أيام [١٤٨] ثم رجع إلى المخيم المنصور ببلاد عيال سريح.

وأما السيد أحمد بن الحسين المؤيدي، فإنه لما بلغه حركة تجهيز مولانا صاحب السعادة عليه جمع عساكره ومخالفه<sup>(١)</sup> ومن قدر عليه من أهل بلاده بالقرب من مدينة صعدة، وخيم هنالك، وقد كان سار إلى هذا الموضع طافه قبل تخيمه بأيام، وأمر أن يُعمّر هنالك محاجي وأن تُعسر

(١) الشام: ناحية الشمال، وهي كذلك اسم لبلاد واسعة (سحر الشام) تقع إلى الشمال من بلاد صعدة.

طُرُقَاتِ ذَلِكَ الْجَبَلِ، وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مَن كَانَ مَعَهُ عَمَّهُ الْمَهْدِيُّ بْنُ عِزِّ الدِّينِ وَوَلَدَاهُ صَالِحٌ وَمُحَمَّدٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَوْلَادِ عَمُّومَتِهِ. وَقِيلَ إِنَّ خَيْلَهُ الْمَجْتَمِعَةَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَهُ مِنْ عِبِيدِهِ وَأَخْدَامِهِ، وَمِنْ سَائِرِ مَخَالِفِهِ مِنْ شُرَفَاءِ الْجَوَفِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ نَحْوِ الْخَمْسِمِائَةِ الْفَارِسِ، وَقِيلَ أَكْثَرُ وَأَنَّ الْبِنَادِقِيَّةَ<sup>(١)</sup> فَوْقَ الْأَلْفِ، وَأَمَّا الرِّجَالُ فَعَدَدُ كَثِيرٍ وَجَمٌّ غَفِيرٌ.

وَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَبْلَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى جَبَلِ الشَّرْفَةِ<sup>(٢)</sup> بِأَيَّامِ يَسِيرَةٍ، وَجَّهَ بِأَهْلِهِ وَمُكَالِفِهِ وَأَوْلَادِهِ الْأَطْفَالَ وَأَوْلَادَ أَقَارِبِهِ وَمُكَالِفَهُمْ إِلَى حَصْنٍ أُمٍّ لَيْلَى، وَهَذَا الْحَصْنُ هُوَ الَّذِي عَمَّرَهُ وَشَيَّده فِي هَذَا الْأَوَانِ وَأَبْدَعَهُ وَشَحَنَهُ، وَكَانَتْ عِمَارَتُهُ لِهَذَا الْحَصْنِ بَعْدَ وَفَاةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْمُطَهَّرِ بْنِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ، وَعَمِلَ فِيهِ بِرِكَاءٍ عَظِيمَةٍ وَدُورًا مُشِيدَةً، وَقِيلَ إِنَّهَا وَجِدَتْ فِيهِ حَالِ عِمَارَتِهِ أَاسَاسَاتٌ قَدِيمَةٌ، وَكَانَ مُرَادُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بِعِمَارَتِهِ أَنَّهُ إِذَا طُرِدَ [١٤٩] عَنْ صَعْدَةِ وَبِلَادِهَا آوَى إِلَيْهِ وَكَوْنُهُ قَرِيبٌ مِنْ قُبَائِلِ

(١) الْبِنَادِقِيَّةُ: مَنْ يَحْمِلُونَ أَسْلِحَةَ الْبِنَادِقِ.

(٢) الشَّرْفَةُ: مَرْكَزُ إِنْطَارِي مِنْ مَدِيرِيَةِ بَنِي جَشَيْشٍ وَأَعْمَالِ مَحَافِظَةِ صَنْعَاءَ، بِالْقَرَبِ مِنْ بِلَادِ نَهْمِ. [الْبَلَدَانِ وَالْقُبَائِلِ (١/٨٦٢)]. وَالشَّرْفَةُ الَّتِي عَنَاهَا الْمُؤَلِّفُ لَا بُدَّ أَنَّهَا مِنْ أَحْوَازِ مَدِينَةِ صَعْدَةِ.

الْحَرْجَةَ<sup>(١)</sup> وغيرهم من قبائل الشام ممن هم له محالف وشُعْبَةٌ لَأَن قَبَائِل  
 الْحَرْجَةَ وما يقابلها شُعْبَةٌ لبني المؤيد<sup>(٢)</sup> من قديم الزمان.  
 وقد كانت قبائل خولان<sup>(٣)</sup> وغيرهم ممن يُصَافِيهِ مِنْ قَبَائِل تِلْكَ النَّوَاحِي  
 وَالْجَهَاتِ، تَعَاقدوا وتحالفوا على القيام مع السَّيِّد أحمد وبذل أرواحهم  
 وأموالهم في نصرته، قبل خروجه إلى جبل الشَّرَفَةِ بمدة أيام يسيرة.  
 ولَمَّا رَأَى السَّيِّد أحمد كثرة عساكره وكثرة أتباعه، ظَنَّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ سَيَمْنَعُ  
 عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى مَدِينَةِ صَعْدَةَ، وَأَنَّهُ يُرَاكِزُهُمْ فِي هَذَا  
 الْمَوْضِعِ، وَأَنَّهَا إِذَا طَالَتِ الْمُرَاكَزَةُ مِنْهُ لِلْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ وَهُمْ فِي هَذَا  
 الْمَكَانِ، وَثَارَ مَعَهُ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ تَنْقَطِعَ عَنْهُمْ الْمَوَادُّ وَلَا  
 يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَزْوَادِ<sup>(٤)</sup> وَلَئِنْ مَا يَقَارِبُهُمْ فَيَافٍ وَقِفَارٍ وَالْأُمُورُ بِيَدِ  
 اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَالتَّدْبِيرُ تَدْبِيرُهُ وَمَا النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ كَمَا  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي

(١) الْحَرْجَةُ: قرية كبيرة في وادي عَبَسَ. [البلدان والقبائل (١/٤٤٦)]. وَعَبَسَ هَذِهِ مِنْ قَبَائِلِ  
 بَهَامَةَ حَجَّه.

(٢) بنو المؤيد: ينتسبون إلى الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد.

(٣) قبائل خولان: يُرِيدُ قَبَائِلَ خَوْلَانَ صَعْدَةَ.

(٤) الْأَزْوَادُ: جَمْعُ زَادٍ وَهُوَ طَعَامُ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ.

يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [سورة آل عمران

:١٦٠]



تَرْجِعُ إِلَى ذِكْرِ سَيْرِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الْمَنْصُورَةِ مَعَ الْأُمَرَاءِ الْأَعْلَامِ،  
 مِنْ حَيْثُ تَقَدَّمَ ذِكْرُ تَخِيْمِهَا، فَسَارَتِ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ حَتَّى خِيَمَتْ  
 بَعِيَان<sup>(١)</sup> ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَى مَكَانٍ بِالْقَرَبِ [١٥٠] مِنْ مَخِيْمِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ  
 الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيِّ وَخِيَمَتْ بِهِ ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ سِنَانًا<sup>(٢)</sup> أَمَرَ الْأَمِيرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
 الْمُطَهَّرِ وَالْأَمِيرَ حَفِيظَ وَالْأَمِيرَ الْهَادِيَّ بْنَ النَّاصِرِ، وَعَسَاكِرَ كَثِيرَةً مِنْ  
 عَسَاكِرِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، أَنْ يَخْلَفُوا مَخِيْمَ السَّيِّدِ أَحْمَدَ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ مِنْ  
 طَرِيقِ هُنَالِكَ بَلَّغَهُ أَنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ لَمْ يَأْمُرْ بِحِفْظِهَا، فَسَارَ الْمَذْكُورُونَ لَيْلًا  
 مُسْرِعِينَ فِي سَيْرِهِمْ، وَجَاءَتْ إِلَى السَّيِّدِ أَحْمَدَ طَلِيعَتُهُ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَسِيرِ مَنْ  
 ذَكَرْنَا، فَلَمْ يَعْأَبْ بِهِمْ وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا بَلَّغَهُ خَبَرَ قُرْبِ وَصُولِهِمْ إِلَى الْمَوْضِعِ  
 الَّذِي عُيِّنَ لَهُمْ اضْطَرَبَ حَالُهُ فِيمَنْ يَلْقَاهُمْ، فَلَمْ يَرِ إِلَّا أَنَّهُ يَكُونُ هُوَ  
 الَّذِي يَلْقَاهُمْ بِنَفْسِهِ فَسَارَ مِنْ مَخِيْمِهِ فِيمَنْ سَارَ مَعَهُ مِنْ عَسَاكِرِهِ وَمُحَالِفِهِ،  
 وَاسْتَخْلَفَ عَلَى مَخِيْمِهِ عَمَّهُ الْمَهْدِيَّ وَوَلَدِيَهُ صَالِحَ وَمُحَمَّدَ، فَلَمْ يَصِلْ  
 إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ إِلَّا وَقَدْ مَلَكَتْ أَكْثَرُ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ.

(١) عِيَان: مَنْ هَجَرَ الْعِلْمَ الْمَشْهُورَةَ، وَتَقَعَ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بِلَادِ حَرْفِ سُفْيَانَ. [هَجَرَ الْعِلْمَ  
 وَمَعَاذِلَهُ (٣/ ١٥١٠)].

(٢) «سنان»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.



## ذكر قتل صاحب صعدة:

فشرع بينهم القتال، ففشل أكثر من كان معه من أشراف الجوف وغيرهم، فقتل السيد أحمد؛ قيل: وقعت فيه بندقه فسقط عن مركوبه وكان في أول مبادأته للحرب أراد أن يركب على حصان له نجيب من مراكيبه، فلم يسعف له الحصان بالركوب عليه، بخلاف العادة، فركب على بغلة له وقتل عليها وحز رأسه، وقتل دونه ولد عمه [١٥١] السيد المهدي عز الدين، لأنه قاتل دونه حتى قتل وحز رأسه أيضاً.

وكان عز الدين هذا من أنجب شرفاء بني المؤيد كمالاً وفروسيّة وعفة وشجاعة، وقتل مع السيد أحمد طائفة من عبيده وعسكره ممن قاتل دونه وحز رؤوسهم، وجاء الخبر إلى السيد المهدي وإلى ابني السيد أحمد: صلاح ومحمد بقتل السيد أحمد ومن معه وهزيمة بقيّة عسكره الذين ساروا معه فساروا في ساعتهم بمن ثبت معهم هاربين منهزمين إلى بلاد خولان.

ولما بلغ الأمير سنان قتل السيد أحمد بن الحسين ومن معه وهزيمة عساكره عن مخيمهم، سار من ساعته ووقته إلى المخيم المذكور بمن عنده من العساكر المنصورة، فاستولوا على ما فيه من خيام وعُدَد في هذه الواقعة من مخيم السيد ومن نهب عسكره من الخيل والسلاح والآلات

غنيمة جسيمة، وأسرت من عساكر السيد أحمد خلقا كثيرا، ثم فك أسرهم وامتن بإطلاقهم، وكان قتل السيد أحمد المؤيدي ومن معه يوم الأربعاء سلخ شهر القعدة الحرام سنة إحدى وتسعين وتسعمائة. ثم تقدم الأمير سنان ومن معه من الأمراء والأغوات الكبراء والعساكر السلطانية إلى مدينة صعدة، فلقبهم أهلها مواجهين إلى مسافة قريبة منها، وطلبوا الأمان لهم ولمن في بلدهم فأمنهم وخيم هو والعساكر السلطانية خارج مدينة [١٥٢] صعدة.

وقد كان صاحب السعادة أوصى الأمير سنان وغيره من أمراء السلطان بتأمين من أطاع السلطنة السعيدة الخاقانية، وأن لا يؤخذ أحداً بجريرة متقدمة والعفو عن لاذ بجانب السلطنة، ففعل الأمير سنان ومن ذكرنا بما أمرهم به صاحب السعادة.

ولما استقر الأمير سنان ومن معه من العساكر السلطانية بالمخيم المنصور، حول مدينة صعدة، أمر برأس السيد أحمد بن الحسين ورأس ولد عمه عز الدين ورؤوس من قتل معهما إلى مدينة صنعاء اليمن إلى مقام مولانا صاحب السعادة فدخل بها صنعاء، في زفة عظيمة والزمر والطبل معها وطيف بها في المدينة، ورأس السيد أحمد على عود<sup>(١)</sup> وعليه قطعة شاش لأجل يعرف من بين الرؤوس وكذلك رأس ولد عمه

(١) العود: الخشب، التاج: (عود).

وحين انتهت البشرى إلى صاحب السعادة بهذا التأيد العظيم، والفتح الأغر الجسيم، لم يحصل مع صاحب السعادة من التيه والإعجاب والافتخار، ما يقع مع كثير من الملوك والرؤساء بل حمد الله، وأثنى عليه وشكر له وازداد تواضعاً، وأمر بصدقات كثيرة ففرقت في الفقراء والمساكين.

وكانت للسيد أحمد رياسة جلييلة ومناقب فخيمة، وكان ابتداء منال رياسته من قبل موالاته للسلطنة العثمانية في أيام المرحوم الباشا أزدؤمر في أيام آخر ولايته للأقطار اليمينية، وذلك [١٥٣] أن الأمير الناصر بن أحمد صاحب الجوف، بعد ميله عن جانب السلطنة وتشريده لقربته من بني الشويح وغيرهم، وقبضه على الحسين بن عبد الله وولده محمد اشتدت شوكته، فاستولى على بلاد آل المؤيد وطردهم عن بلادهم وأوطانهم، وأخرب هجرتهم وحمل أبوابها إلى الجوف، وأمر ذلك معروف مشهور، فقدم السيد أحمد على الباشا أزدؤمر شاكياً عليه ما حل به وبأهله ومستنصراً به على الأمير الناصر بن أحمد فأنعم عليه الباشا أزدؤمر بجوامك سلطانية، ووعدته النصرة له فلم يزل مع الباشا أزدؤمر حتى فتح مدينة صعدة وأرجعه إلى بلاده، وقرّر له جرايات سلطانية وغيرها ما تقوم به وبأولاده، فبقي على ذلك مدة من الزمان مستمراً على طاعة السلطان، ثم جرى بينه وبين أمير مدينة صعدة وحشة فوقع منه الخلاف والعصيان، ثم هزمته عساكر السلطان في أول سنة من ولاية الباشا مصطفى رحمه الله. وقد



ذكرنا هذه الأمور في كتاب (الرَّوض النَّاصِر) مُستوفاة فَمَنْ أَرَادَ التَّحْقِيقَ  
لِذَلِكَ فَلْيَطْلُبْهُ هُنَالِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وفيما بلغني عَنِ الثَّقَاتِ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ خَوَاصِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ وَفَضْلَاءِ رِجَالِ  
أَصْحَابِهِ عَذَلُوهُ عَنْ مَقَاوِمِ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَمَحَارِبَتِهَا، وَأَنَّ الْأَصْلَحَ بِهِ  
أَنْ يَلُودَ بِعَفْوِ جَانِبِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَيَتَفَيَّأَ [١٥٤] بِظِلِّهَا، وَأَنَّهُ يَنَالُ بِذَلِكَ  
صَلَاحَ أَحْوَالِهِ وَصَلَاحَ قَرَابَتِهِ وَأَهْلِهِ، وَيَصُونُ بِذَلِكَ رِيَاسَتَهُ فَسَخَّفَ عَقْلَ  
مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهَذَا الْأَمْرِ وَأَظْهَرَ لَهُ الْعَدَاوَةَ لِمَا يَرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ إِنْفَاذِ  
قَدَرِهِ فِيهِ {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [سورة الأحزاب: ٣٨]  
وكانت له شجاعة وبسالة وكان جاعلاً لمحصول بلاده التي كانت تحت  
يَدِهِ مِنَ الْبِلَادِ فِي مُدَّتِهِ عَلَى مَا قِيلَ أَثْلَاثًا، فَثَلْثَ مِنْهُ يَنْفَقُهُ عَلَى عَسْكَرِهِ،  
وِثْلَثَ يَنْفَقُهُ عَلَى الْوَافِدِينَ عَلَيْهِ وَالْمُسْتَمَنَحِينَ مِنْهُ، وَالثُّلْثَ الْآخِرَ يَذْخِرُهُ  
لِمَا يَنْوِيهِ، وَقَدْ كَانَ فِي آخِرِ مُدَّتِهِ عَظُمَتْ قُوَّتُهُ وَكَثُرَتْ أَتْبَاعُهُ وَعَسَاكِرُهُ  
وَاشْتَدَّتْ شَوْكَتُهُ.

وفي هذه السَّنة الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ  
أَنْ تَعْلَقَ الْفَوَانِيسَ <sup>(١)</sup> فِي رُؤُوسِ مَنَارَاتِ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ مُضَاءَةً فِيهَا الشَّمْعُ

(١) الفانوس: مصباح سهل العلي معمول من قماش مشمع مربوط بحلقات من الأسلاك  
بالقصدير. [تكملة المعاجم العربية (٨/١٢٦)].

فَكَانَ يُسْتَضِيءُ بِنُورِهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَزْقَتِهَا وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنَ الْبَاشَوَاتِ  
وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ مَلُوكِ الْأَقْطَارِ الْيَمَنِيَّةِ يَعْمَلُ مِثْلَ ذَلِكَ وَيَأْمُرُ بِهِ.  
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَيْضًا أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِعِمَارَةِ مَسْجِدِ قُرُوءَةَ بْنِ  
مُسَيْكٍ الصَّحَابِيِّ رضي الله عنه وَبِعِمَارَةِ مَنَارَةٍ فِيهِ وَعِمَارَةِ سَمُسَرَةٍ <sup>(١)</sup>  
بِجَانِبِهِ <sup>(٢)</sup> وَمَحْصُولُ غَلَالِهَا يَكُونُ فِي صَلَاحِ الْمَسْجِدِ، وَاشْتَرَى لَهُ عَقَارَاتٍ  
وَمُسْتَغَلَّاتٍ، وَفِي أَيَّامِ عِمَارَتِهِ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ  
لَطِيْفَتِهِ وَافْتِقَادِ عِمَارَتِهِ [١٥٥].

وَمِمَّا أَمَرَ بِهِ أَيْضًا فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمُبَارَكَةِ عِمَارَةَ قُبَّةٍ بِمَدِينَةِ صَنْعَاءِ الْيَمَنِ  
عَلَى قَبْرِ الْعَابِدِ الْفَاضِلِ الزَّاهِدِ خَدْنِ الْقُرْآنِ، وَحَلِيفِ الْإِيمَانِ، الْمُرْتَفَعَةِ  
فَضَائِلِهِ عَلَى كِبْوَانِ، الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِجَنَاحٍ، قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ  
وَأَعَادَ مِنْ بَرَكَاتِهِ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَكَانَ مِنْ فَضْلَاءِ الْيَمَنِ فِي  
زَمَانِهِ، وَعُبَادِ أَوَانِهِ، وَلَزِمَ الْعُكْفَةَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ فِي رِبَاطٍ لَهُ، وَكَانَ كَثِيرَ  
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَسْبِيحِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَخْدُمُونَهُ،  
وَزَرَّتُهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ الَّتِي مَاتَ بِهَا وَاسْتَمَدَدَتْ الدُّعَاءَ مِنْهُ وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ هَيْبَةً  
وَوَقَارَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِبَادَةِ وَكَانَ قَلِيلَ الْكَلَامِ، وَكَانَتْ لَهُ بَرَاهِينُ  
وَمُكَاشَفَاتُ.

(١) سَمُسَرَةٌ: خَانٌ، فَنَدَقُ تَنْزُلُ بِهِ الْقَوَافِلُ. [تكملة المعاجم (٦/١٤٤)].

(٢) «بجانبه»: هكنا في الأصل.

## ذكر عمارة مدينة تحت دَمْرَمَر

وفي هذه السَّنة المُقَدَّم ذِكْرُهَا أَمَرَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِعِمَارَةِ مَدِينَةٍ مُبَارَكَةٍ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَفْحِ دَمْرَمَرٍ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: «الْغِرَاس»<sup>(١)</sup> بِالْغَيْنِ  
الْمَعْجَمَةِ، وَعَمِلَ عَلَيْهَا سُورًا عَظِيمًا وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ، وَتَمَّتْ عِمَارَةُ  
سُورِهَا فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ، لِكَثْرَةِ الصُّنَاعِ وَالْعَمَلَةِ حَالَ عِمَارَتِهِ، وَكَانَ فِي أَيَّامِ  
عِمَارَةِ سُورِهَا كَثِيرًا مَا يَسِيرُ إِلَيْهَا لِلطَّيَافَةِ وَجَعَلَهَا مُسْتَقَرًّا لَوْلَايَةٍ مَنِ تَوَلَّى  
بِلَادَ مَحْرُوسِ دَمْرَمَرٍ مِنْ عُمَالِ السُّلْطَنَةِ وَنَوَابِهَا، وَجَعَلَ لِمَنْ سَكَنَهَا وَأَقَامَ  
بِهَا جَبْرِيتَهُ وَجَلَالَتَهُ وَحَرَمَتَهُ.

وهذه المدينة التي عَمَرَهَا مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ سُورُهَا بِالْقَرَبِ مِنْ  
شِبَامِ سُحَيْمٍ<sup>(٢)</sup> الْمَدِينَةِ [١٥٦] الْحِمَيْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي بِهَا الْآثَارُ الْعَظِيمَةُ،  
وَكَانَ بِهَا قَصْرٌ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْهُورَةِ وَالْمَآثِرِ الْمَذْكُورَةِ،

(١) الْغِرَاس: قَرْيَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ قُرَى بَنِي الْحَارِثِ، تَقَعُ شِمَالِ صَنْعَاءَ، مَعَ مِيلٍ يَسِيرُ إِلَى الشَّرْقِ عَلَى  
مَسَافَةِ ٢٥ كِيلُو مِتْرًا تَقْرِبًا. كَانَتْ مِنْ مَرَاكِزِ الْعِلْمِ اتَّخَذَهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ  
مُحَمَّدٍ دَارًا لِمُلْكِهِ، وَمَقْرَأً لِسُلْطَانِهِ. [هَجَرُ الْعِلْمِ وَمَعَاظِلُهُ (٣/ ١٥٦٩)].

(٢) شِبَامِ سُحَيْمٍ: بَلَدَةٌ فِي السَّفْحِ الْغَرْبِيِّ لِحَصْنِ (ذِي مَرْمَرٍ) بِجُورِ مَدِينَةِ (الْغِرَاسِ) فِي الشَّمَالِ  
الشَّرْقِيِّ مِنْ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ، وَهِيَ بَلَدَةٌ أَثَرِيَّةٌ، كَانَتْ مِنْ حَوَاضِرِ مَمَالِكِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ. [الْبُلْدَانُ  
وَالْقِبَالُ (١/ ٨٤٥)].

وبقي فيه بقيّة إلى الآن، كأنّ العمّار خرّج عنها السّاعة بالصّخور العظيمة المنجورة الملاحكة<sup>(١)</sup>، وكانت في أيّام بني حاتم معمورة إلا القصر وبها من أثارهم الجامع الذي لم يبق فيها بعد خرابها غيرُهُ، قد خرب أكثره وخربت هذه المدينة في آخر دولة بني حاتم خراباً عظيماً، حتّى صارت أثراً بعد عين، ولم تعمر فيما بعد بل عمر بقيّة أهلها بلدة قريبة منها، ثمّ خربت هذه البلدة في أيّام الحرب بين الباشا أزدُمر وبين السيّد المرتضى علي بن الإمام شرف الدّين<sup>(٢)</sup> ثمّ سكّن أهلها بعد ذلك في جُروف في جانب المدينة الأولى<sup>(٣)</sup> القديمة في سفح جبل فُهال، وهي جُروف عجيبة التّحت، حميرية العمل.

وهذه القرى التي تحت الحصون في إقليم اليمن، كثيرة الخراب؛ فمنها ما قد خرب ولم يعمر وخلا أهلها عنها، ومنها ما يُعاود من أهلها سُكناها بعد خرابها، وفيما أعرف خراب أماكِن من القرى خربت ما بين ثُلا وكوكبان في نحو تسعة وثلاثين سنّة ثلاث مرات وعُمّرت ثلاث مرات.

(١) اللَّحْكُ: مُدَاخَلَةُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ وَالْتِزَاقُهُ بِهِ، وَمُلَاخَكَةُ الْبُيَّانِ وَتَحْوِيهِ النَّاحِ: (ل ح ك).

(٢) علي بن الإمام شرف الدّين (٩٢٧/٩٧٨ هـ): عالم محقق شاعر أديب، وكان مقنّ يميل إلى التّصوّف [مطلع البدور (١/١٥٥)].

(٣) «الأولة»: هكذا في الأصل.

وهذه المدينة التي هي شَبَام سُحَيْم<sup>(١)</sup> يقال إنَّ بها كنوزاً حَمِيرِيَّة، وقد  
وُجِدَ بها في أيام مُلِك السَّيِّد علي بن الإمام شَرْف الدِّين لَذْمَرَمَر كَنْزٌ وَجَدَهُ  
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِهَا [١٥٧] السَّاكِنِينَ فِي جُوفِهَا تِلْكَ الْمُدَّةَ وَكَانَ فَقِيرًا فَأَثَرَى.  
وَفِي أَيَّام لُطْفِ اللَّهِ بِذَمْرَمَر وَجِدَ بها كَنْزًا، وَصَارَ أَكْثَرُهُ إِلَى الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ  
وَكُلَّ دَرَاهِمَ وَجِدَ فِيهَا فَوْزَنَهُ نَحْوَ الْوَقِيَّةِ.

---

(١) سُحَيْم: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.



## الجزء التاسع



## [الجزء التاسع]

قلتُ: وقد ذكرها صاحبُ (الإكليل) في الجزء الثامن منه في ذكر مآثر حمير وقصورها وكنوزها قال: «ومن قصور اليمن شبام سُخَيْم وكان بها السُّخَيْمِيُّونَ من ولد يداع بن ذي حَوْلان<sup>(١)</sup> وبها مآثر وقصور عظيمة» وقد سرتُ إليها غير مرة لأجل التَّفَرُّج على غريب آثارها وعجيب أساسِ قصورها وما يقاربها من الجروف العجيبة في تحتها<sup>(٢)</sup>.

---

(١) حَوْلان: في الأصل والصواب (حَوْلان) بالحاء المهملة، هكذا صححها صاحب الإكليل. [الإكليل (٢/٢٨٣، ٣٠٠)، ( )]. قال الهمداني تحت باب الأسماء التي يقع فيها المتخالف من حمير وغيرهم من العرب لمخالفة الحروف: «حَوْلان بن عمرو بن مالك بن سهل - بالحاء - وحَوْلان بن عمرو بن الحاف، وحَوْلان بن حضور وحَوْلان بن رَفَاع، بالحاء». [الإكليل (٢/٣٢٧)].

(٢) قال الهمداني: «ومن قصور اليمن شبام سُخَيْم وكان فيها السُّخَيْمِيُّونَ من سُخَيْم بن يَدَع بن ذي حَوْلان، ويقول قوم: كان فيها مَرَّة بن عامر وليس كذلك لأنه من الكَلَاع، وبها مآثر وقصور عظيمة». [الإكليل (٨/١١٧)]. قلتُ: كان المؤلف كثير العناية بأخبار المعالم الأثرية القديمة، مع إيراد أخبارها من كتب التواريخ المعتبرة، ككتاب "الإكليل" لابن الحائك الهمداني لسان اليمن.

ثُمَّ أَنَّ صَاحِبَ السَّعَادَةِ رَسَمَ بِنَاءَ الْقَصْرِ السَّعِيدِ فِي رَأْسِ جَبَلٍ قُفَّالٍ،  
وَبَالِغٍ وَاجْتَهَدَ فِي تَرْتِيبِهِ وَتَزْيِينِهِ، وَفِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ يَحْضُرُ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ  
وَيَبَاشِرُ بِمَسَاحَتِهِ فِي طَوْلِهِ وَعَرْضِهِ.

وَبِالْجُمْلَةِ مَا رَأَى أَحَدٌ مِثْلَ هِمَّةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي تَكْمِيلِهِ  
وَتَحْصِيلِهِ حَتَّى أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ اسْتَعْجَبُوا وَاسْتَغْرَبُوا مِنْ اجْتِهَادِهِ وَقِيَامِهِ  
فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَأَلَ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ مِنْ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنْ سَبَبِ  
بِنَائِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمَذْكُورِ فَقَالَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي  
مَحَاصِرَةِ دَمَرْمَرٍ فَسَمِعْتُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ أَنَّ الْإِمَامَ الْحَسَنَ صَاحِبَ  
الْأَهْنُومِ يَعَاوَنُ لُطْفَ اللَّهِ وَقَدْ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ وَأَصْحَابَهُ يَرِيدُ أَنْ يَغِيرَ مَعَهُ  
عَلَى عَسَاكِرِ السَّلْطَنَةِ الْمَنْصُورَةِ فِي مَحَاصِرَةِ حِصْنِ دَمَرْمَرٍ حَتَّى شَاهَدْتُ  
[١٥٨] مِنْ بَعْضِ النَّاسِ خَوْفًا عَظِيمًا وَرَوْعًا كَثِيرًا مِنْ قِيَامِ الْإِمَامِ  
الْمَخْذُولِ فِي تِلْكَ الْأَوَانِ، فَحَصَلَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ وَدَخَلَتْ خَلُوتِي  
وَتَضَرَّعْتُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي دَفْعِ هَذَا الْمُدَّعِي الْكَذَّابِ».

٢٥٠

الرّوض الحسَن

ذكر رؤيا صاحب السعادة لمولانا السلطان الأعظم خلد الله ملكه:

وفي تلك الليلة كأني خرجت على المخيم المنصور في دمرمر، وجئت تحت هذا الجبل المذكور، فأخبرني واحد من مماليكى وهو يقول لي: يا مولانا إن الإمام بالقرب منك في هذا المكان فالتفت إليه، فرايته مكشوف الرأس وعليه كسوة مرقعة تدل على ذلّه وخجالتّه، فإذا به وقد كشف سترته فظهرت عورته فقلت في نفسي إن الناس يقولون هو رجل عالم وهذا فعل من ليس بمسلم، فهممت بقتله فلم أجد عندي ولا عند أصحابي شيئاً من آلة القتل إلا سكين وجدتها عند بعضهم فقطعت رأسه، ونصبتّه فوق العود وعرضته على من في الحصن المأخوذ إن شاء الله تعالى، ليعلموا بقتله، فرأيت مولانا السلطان الأعظم والخابان المفخم سلطان الإسلام والمسلمين جالساً في قصر عظيم في هذا المكان الذي أريد أنبي فيه القصر، مطلاً علينا من طاقة منه ناظراً في حالنا على قتل الإمام المخدول، فاستحييت منه غاية الاستحياء - من مولانا السلطان الأعظم نصره الله تعالى - وطلعت القصر السعيد معتذراً قائلاً بأنّي (١) يا مولانا أسأت الأدب غاية الإساءة وقتلت هذا الرجل بغير شعور من سعادتك، وطلبت العفو والصفح [١٥٩] من سعادته فتبسّم مولانا

(١) «بأن»: هكذا في الأصل.



السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ ضاحكاً، فعرفت أَنَّهُ قَبِلَ مِنَّا الْعُذْرَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالَى إِلَى هُنَا» مُشِيراً إِلَى قُرْبِهِ الشَّرِيفِ الْعَالِي فَامْتَثَلْتُ أَمْرَهُ وَقَرَّبْتُ إِلَى سَعَادَتِهِ فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى حِزَامِي وَأَمْسَكَهُ وَهَزَّنِي بِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَقَالَ لِي: «يَا حَسَنَ لَا تَخَفْ» ثَلَاثًا، فَاسْتَيْقِظْتُ وَأَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَحَمَدْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَوَيْتُ أَنْ أَبْنِيَ قَصْرًا ثَمَّةً فِي هَيْئَتِهِ وَصُورَتِهِ الَّتِي رَأَيْتُ السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ فِيهِ بَعْدَ فَتْحِ دَمْرَمَرَ بِعَنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَبَعْدُ قَمْتُ مِنْ مَقَامِي هَذَا وَجُهِزَتْ بَعْضُ الْعِيَنَةِ إِلَى مُحِطَتِهِ فَكَسَرُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ وَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ عَلَيْنَا بِالْفَتْحِ الْجَلِيلِ وَالنَّصْرِ الشَّهِيرِ بِبَرَكَةِ هَمَّةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ وَلِحُظِهِ بِخَاطِرِهِ، فَهَذَا سَبَبُ بِنَائِي ذَلِكَ الْقَصْرَ الْمَعْمُورَ.

ثُمَّ أَتَمَّمْتُ عَلَى هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ وَأُبْهَةِ فَخِيمَةٍ، وَأَسَكَنْ فِي أَسْفَلِ هَذَا الْقَصْرِ أَنَاسًا مِنْ مَشَايِخِ الْبَلَدِ وَأَعْيَانِهِمْ، وَأَخْلَى مَوْضِعَ السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ وَأَرَصِي بِأَنْ يَبَالِغَ فِي رِعَايَةِ الْمَجْلِسِ الْمُحْتَرَمِ الْعَظِيمِ، الَّذِي رَأَى فِيهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ، وَعَمِلَ جَبَرِيَّةً مَنْ سَكَنَ فِيهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ بِسَبَبِ سُلْطَانِهِ وَوَلِيِّ نِعْمَتِهِ نَصْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى نَصْرًا عَزِيزًا، وَفَتَحَ لَهُ فَتْحًا مُبِينًا.

وَمِنْ هُنَا نَرْجِعُ إِلَى مَا نَحْنُ بِصُدْدِهِ مِنْ أَخْبَارِ فَتُوحِ مَدِينَةِ صَعْدَةَ وَمَا كَانَ مِنْ أَوْلَادِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيَّ بَعْدَ هَزِيمَتِهِمْ وَقَتْلِ أَبِيهِمْ [١٦٠] هُمْ وَالسَّيِّدُ الْمَهْدِيَّ بْنَ عِزِّ الدِّينِ وَمَسِيرِهِمْ إِلَى حَيْثُ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ

فتفرَّقوا بعد ذلك، فصَّالِح والسَّيِّد المَهْدِي سارا إلى حصن أم لَيْلَى فيمَن ساعدهما من أصحابهما، ومحمَّد سارَ في جماعة يسيرة إلى الأهُنُوم إلى الإمام الحَسَن المُوَيْدِي خَدَّكَ اللهُ تَعَالَى.

وَمِنْ سَعَادَات الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ العُثْمَانِيَّة خَلَّدَ اللهُ مُلْكَ مَالِكِهَا الَّتِي شَمِلَتْ صَاحِبُ السَّعَادَةِ البَاشَا حَسَن؛ أَنَّهُ مَا خَالَفَ أَحَدُ أَوَامِرُهُ فِي طَاعَةِ السُّلْطَنَةِ أَوْ أَظْهَرَ مَعَانِدَتَهُ وَعِدَاوَتَهُ إِلَّا أَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ.

وَلَمَّا سَارَ أَوْلَادُ السَّيِّدِ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ إِلَى حَيْثُ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ أَقْبَلَتْ جَمِيعُ قَبَائِلِ خَوْلَانَ وَقَبَائِلِ وَائِلَه<sup>(١)</sup> دُهْمَه<sup>(٢)</sup> وَنَجْرَانَ وَسَائِرِ قَبَائِلِ تِلْكَ النَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ مُوَاجِهِينَ لِلْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ بِأَذْلِينَ لِلطَّاعَةِ لِلدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَقُبِضَتْ رَهَائِنُ مِنْ رُؤَسَاءِ هَذِهِ الْأَقْطَارِ وَالنَّوَاحِي بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ بِالْخَلْعِ السَّنِّيَّةِ، ثُمَّ قُبِضَتْ أَيْضًا جَمِيعُ حَصُونِ خَوْلَانَ

(١) «وائلة»: هكنا في الأصل.

وائلة: قبيلة مشهورة، ينتهي نسبها إلى دُومَان بن بَكِيل، ومنازلهم في مشارق مدينة صَعْدَةَ. [البلدان والقبائل (٢/ ١٨٤١)].

(٢) دَهَم: ويقال (دُهْمَه) وهي قبيلة كبيرة تنفرع من قبائل شاكير أحد بطون بَكِيل الهَمْلَانِيَّة، ومن قبائل دَهَم: ذُو غِيلَانَ أَهْلُ بَرَطٍ وَالْجُوفِ، وَأَلْ عَمَّارِ فِي شَرْقِي مَدِينَةِ صَعْدَةَ، وَأَلْ الدَّوِي فِي مَآرِبِ. [البلدان والقبائل (١/ ٦٢٧)].

ورازح<sup>(١)</sup> للدولة السلطانية كحصن المفتاح<sup>(٢)</sup> وحصن المنمار<sup>(٣)</sup> وحصن حُرْم<sup>(٤)</sup> والزربية<sup>(٥)</sup> في أقرب مدة وقبض ما كان من الحبوب والشحن فيها وتقررت الرتب والثواب بها. وكانت هذه الفتوحات الميمونة للدولة الخاقانية والمملكة السلطانية، من أجل الفتوحات في بلاد اليمن على يد مولانا [١٦١] صاحب السعادة وبقي الأمير سنان والعساكر السلطانية بالمخيم المنصور عند مدينة صعدة أياماً، والأمير سنان في المنصورة رتبة ودزاراً وفي المدينة رتبة من عساكر السلطنة الخاقانية.

- 
- (١) رازح: ومركزها (النَّصِير) وتقع إلى الغرب الشمالي من مدينة صعدة على بُعد نحو ٦٠ كيلو متراً، وهي سلسلة جبلية. [البلدان والقبائل (١/٩٠٨)]
- (٢) المفتاح: حصن تاريخي يُطل على مدينة حَيْلَان في غربي مدينة صعدة، وتسكنه فخاند من قبائل حَوْلَان ابن عامر، وهو أعلى قمم جبال السَّراة. [البلدان والقبائل (٢/١٦٠٠)].
- (٣) المنمار: جبل منيف، به آثار قديمة، يقع في شمال بلاد ساقين، الواقعة إلى الغرب من مدينة صعدة. [البلدان والقبائل (١/٧٦١)].
- (٤) جَبَل حُرْم: جبل مشهور في مغارب مدينة صعدة، تقع في أحضانه منطفة رازح، وهو أعلى جبل في بلاد صعدة، وفي أعلاه حصن أثري وأطلال مباني قديمة. [البلدان والقبائل (١/٤٤٨)].
- (٥) الزربية: موضع في بلاد مَنبِه شمال غرب مدينة صعدة، وهو كذلك اسم لشدّ مياه صغير يقع على سفح جَبَل حُرْم السابق ذكره.

ولما تمهدت تلك الأقطار والنواحي، وصلح حال رعاياها وقبضت  
رهائن أهلها، سار الأمير سنان في العساكر المنصورة إلى جبل رازح  
لطياقة حصونه وصلاح جهاته، وجبل رازح من محاسن جبال اليمن  
المشهوره في خيريه وكثرة خراجيه، وجبله من أرفع جبال تلك البلاد  
ومتصلة به مخاليف، وفيه يقول الفقيه العلامة محمد بن عبد القادر  
الذماري من قصيدة بديعة يهنئ بها الإمام شرف الدين رحمه الله تعالى حال  
فتحه له والاستيلاء عليه هذين البيتين وهما:

(من الكامل)

لَمْ يَبَقْ بَعْدَ فَتُوحِ ذُرْوَةِ رَازِحٍ      لِلْمَارِقِينَ وَلِلْعِدَا مِنْ رَازِحِ  
فَانْهَضَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَافْتَحَ بَعْدَهُ      أُمُّ الْقُرَى يَا خَيْرَ مَلِكٍ فَاتِحِ  
وَمِنْ الرِّسَائِلِ الْبَدِيعَةِ الْوَاصِلَةِ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، تَهْنِئَةٌ  
بِفَتْحِ مَدِينَةِ صَعْدَةِ وَقَتْلِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِيِّ، رِسَالَةٌ مِنْ  
الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ، وَجْهَهَا بَعْدَ أَنْ أَشْعَرَهُ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِالْفَتْحِ  
وَالْتَّائِيدِ وَمَنْشُئِهَا وَمَوْشِي [١٦٢] بِرُودِهَا وَنَاطِظُ دُرِّ عَقُودِهَا وَلَدَ عَمِّهِ  
السَّيِّدِ الْفَاضِلِ بَلِيغِ زَمَانِهِ وَحَرِيرِي<sup>(١)</sup> أَوَانِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ  
شَرَفِ الدِّينِ.

(١) الحريري: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري: الأديب الكبير،  
صاحب "المقامات الحريرية"، (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م) [الأعلام للزركلي (٥/ ١٧٧)].



وهذه الرسالة الموسومة:

الحمد لله وليّ الحمد والثناء، الذي توخّد بارتدائه رداء الكبرياء والثناء، ورب العزّة الكبير المتعال، الواجب الحمد على ما اقتضاه، تجلّى بجلال وجمال، نحمده وهو أهل الحمد على كل حال، ونثني عليه ثناء لا يكفيه الحد ولا يشتمل عليه ظروف الاختصار والعدّ، ونصلي على سيدنا محمد الذي نزل عليه خطاباً لأُمته ليقدّم إليهم العتبى، في كتابه الذي فاق على كتبه المنزلة وأربا، قال تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [سورة الشورى: ٢٣] وعلى آله الذين لا يدخل الجنة إلا من أخلص لهم حباً، وصحبه الكرام أكرم بهم من أئمة وصحبا، وسلم عليهم تسليماً كثيراً، فكرمهم تكريماً عظيماً كبيراً، آمين اللهم آمين.

أما بعد: فإنّها لما وردت المطالعة الكريمة الغراء، والمراسلات الزهراء، من الحضرة الكبرى، حضرة مولانا حقاً، والدي تحنناً ورفقاً، أجل أمناء مولانا سلطان الزمن، وأكبر باشواته في شام ويمن، مولانا صاحب السعادة الأكرم الباشا حسن، من أحسن الله سيرته، وأحمد [١٦٣] علانيته وسريته، فتصفّح ولده ومُجِبُّه صفاءها وتنشّق لما طالعها من تضاعيف مهاريقها طيب نفاحتها، فلاحَت له لما تصفّحها



خَرِيْدَةُ<sup>(١)</sup> تَبَسِّمُ عَنْ مَبَاسِمِ السَّراءِ، وَفَاحَتْ لَهُ لَمَّا تَأَمَّلَهَا اَنْباءُ مَعاطِفِها  
بِنَفْحَاتِ البُشْرِى.

ولا غرورَ فَإِنَّها قد جاءتَ مِنْطَوِيَّةٌ مِنَ السَّرى على أَجَلِّ بشارَةٍ، ووردت  
مَشْتَمِلَةٌ مِنَ البُشْرِى، على أَحْسَنِ جِمالٍ وشارَةٍ، مُتَضَمِّنَةٌ بِتَفْسِيرِ المَلَحَمَةِ  
الْعَظِيْمَةِ، والمَعْرَكَةِ الكُبْرَى الفَخِيْمَةِ، التي انجَلَّتْ عَنْ هَزِيْمَةٍ مِّنْ أَبانِ  
العِنادِ، لَمَوْلانا سُلطانِ هَذا العالَمِ، وأَبْرَزَ صَفْحَتَهُ لِمُخالِفَةِ مالِكِ التَّصَرُّفِ  
في أَملاكِ وَلَدِ آدَمَ، مُعلِنَةً بِما فَتَحَ اللهُ بِهِ على يَدِ الأَميرِ الكَبيرِ سِنانِ  
وَعَسْكَرِهِ المُوَيَّدِ، مُوضِحَةً لِكِيفِيَّةِ الحَرْبِ الَّذِي انجَلَى غِمارُهُ على  
الإِجْهازِ، على رُوحِ ابنِ المُوَيَّدِ، شارِحَةً بِمَنْ قُتِلَ مَعَهُ مِنْ ذَوِيهِ وَأَجنادِهِ،  
مُحدِّثَةً بِفَتْحِ كُرْسِيِّ مُلْكِهِ ومُبَشِّرَةً بِمُلْكِ بِلادِهِ، فَالحَمْدُ لِلَّهِ أَهلِ الحَمْدِ  
وَالنَّعْمَةُ، وَلِلَّيِّ الكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ، نَحْمَدُهُ على ما مَنَحَ مَوْلانا السُّلطانَ  
الأَكْبَرَ، بِهِمَّةِ سَيِّدِ باشِواتِهِ مِنَ النِّصْرِ وَالظَّفَرِ، وَنُشْكِرُهُ وَهُوَ المَدِيمُ نِعْمَةً  
مِنْ حَمْدٍ وَشُكْرٍ، وما هُوَ إِلا أَنْ طالَعَ مَحَبَّةً وَوَلَدَهُ ما تَضَمَّنَهُ ذَلِكُ  
المَسْطُورِ، وَاسْتَوْضَحَ ما اسْتَوْدَعَهُ صُدُورُ تِلْكَ السُّطُورِ، فَرَفَعَ كَفًّا  
بِالدُّعاءِ، وَمَدَّ يَدًا بِأداءِ الشُّكْرِ وَجَميلِ الثَّناءِ [١٦٤] وَكَرَّرَ الحَمْدَ وَالثَّناءَ  
على اللهِ، وَرَدَّ جَميلَ الشُّكْرِ على ما قَضاهُ رَبُّهُ وَأَمضاهُ، وَحَتَمَهُ وَقَضاهُ، مِنْ  
نَصْرِ مَوْلانا الباشا، وإِتْيانِهِ مِنَ الفَتْوحِ ما شاءَ، وَأَيَّدَ ذَلِكُ الحَمْدِ مَحَبَّتَهُ

(١) الخَرِيْدَةُ: اللُّؤْلُؤَةُ لَمْ تُنْقَبْ، وَكُلُّ عَذراءٍ: خَرِيْدَةُ: النَّاجِ: (خرد).

وثناه، وضاعفه أضعافاً كثيرة على ما ألبسه من نعماء، وأنحله من نحله وعطاه، التي أعظمها وأجلها، هي الطاعة لمولانا سلطان الإسلام ومالك ملوك الأنام، فطاعته من أجل النعم على من ينتحل نحلة الإسلام، سيما من كان من أولاد [الحسن] والحسين عليهما وعلى جدّهما أشرف السلام، لكونه المجاهد عن شريعة جدّهما والرافع بجهاده لشرفيهما ومجدّهما، المنابذ عن الملة الأحمديّة المجاهد لأعدائهما، الجاهد في علو معالهما، الكادح في ظهورها وإبدائها، فكيف لا تكون طاعته واجبة، ومناصرته على كل مسلم لازمة، فالحمد لله على التوفيق، وله الشكر على أن هدانا إلى سواء الطريق، حمداً يَدوم أبداً، وشكراً لا أحصي له أمداً.

ولا زال مولانا الباشا الأكرم، في عزٍ باذخ الأكناف، وشرف سامخ سمي على كل شرف وأناف، ومجدٍ فخيم عظيم، باذخ الجوانب مُتباعِد الأطراف، ما تتابعت الدهور والأزمان، وكررت الكرور ومررت الأحيان، والحمد لله العظيم الشأن، في كل وقت وأوان، الرحيم الرحمن

[١٦٥] ووجه مولانا صاحب السعادة الباشا حسن بالبشرى بفتح مدينة صعدة والاستيلاء عليها وبلاذها، وقتل السيّد أحمد بن الحسين المؤيدي إلى العتبات السلطانيّة الخاقانيّة حرس الله سمّوها، صُحبة الآغا علي مُهرّدار المُقَدَّم ذكره في هذا التاريخ بمشيئة الله تعالى، فأدرك الحجّ وشاع في موسم ذلك الحجّ خبر هذا الفتح العظيم، وقتل السيّد أحمد والاستيلاء على ممالكه، وسارت بخبره الرُكبان إلى أقاصي البلدان.

وفي شهر محرم الحرام مُستَهَلُّ شُهور سَنَةِ إِثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ أَنتَهَى  
إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ خَبَرُ وَفَاةِ الشَّرِيفِ الرَّئِيسِ، الْفَاضِلِ النَّفِيسِ،  
مُحَمَّدِ بْنِ بَرَكَاتِ الْحَسَنِيِّ<sup>(١)</sup> صَاحِبِ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ، وَحَامِي حِمَى  
الْكَعْبَةِ الْمُكْرَمَةِ وَأَطْرَافِهَا، الْمَعْرُوفِ بِالسَّيِّدِ أَبِي نُمَيْ فَوْجَهُ أَيْدُهُ اللَّهُ إِلَى  
الْأَمِيرِ الْحَسَنِ وَلَدِهِ بِرِسَالَةٍ بَلِغَةٍ يُعَزِّيه بِهَا فِي أَبِيهِ الْمَرْحُومِ صُحْبَةً  
التَّرْجُمانِ حُسَيْنِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ.

وفي شهر صفر من هذه السَّنة دَخَلَ مَحْرُوسُ صَنْعَاءِ الْيَمَنِ زِيَادَةً كَثِيرَةً  
مَنْصُورَةً مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ وَصَلَتْ مِنَ الْأَبْوَابِ الْخَاقَانِيَّةِ حَرَسَ اللَّهُ  
تَعَالَى مُلْكَ مَالِكِهَا، وَعَلَيْهَا أَمِيرٌ يُقَالُ لَهُ: (كِيَوَان) مِنْ جَمَاعَةِ الْبَاشَا مُرَادٍ  
وَمَعَهُ خَزَائِنٌ مِنَ الْجَبْخَانَةِ<sup>(٢)</sup> وَالسِّلَاحِ وَغَيْرِهَا.

(١) مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَاتِ الْحَسَنِيِّ: مُحَمَّدُ بْنُ بَرَكَاتِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَجَلَانَ، أَبُو  
نُمَيْ (٩٩٢هـ): شَرِيفٌ حَسَنِيٌّ مِنْ أَمْراءِ مَكَّةَ. وَلَدَ فِيهَا، وَشَارَكَ أَبَاهُ فِي حُكْمِهَا. ثُمَّ وَلِيَهَا مُنْفَرِدًا بَعْدَ  
وفاةِ أَبِيهِ (سنة ٩٣١ هـ وَطَالَتْ مَدَّتُهُ، وَكَثُرَتْ أَخْبَارُهُ، وَتَوَفَّى بِمَكَّةَ. وَهُوَ يَعْرِفُ عِنْدَ أَشْرَافِهَا بِـ  
(صَاحِبِ الْقَانُونِ) لِأَنَّهُ جَمَعَ أَنْسَابَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا قَانُونًا. [الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ (٥٢/٦)].

(٢) جَبْخَانَةٌ: (بِالتُّرْكِيَّةِ طَبُوبْخَانَةٌ) عَتَادٌ، ذَخِيرَةٌ، وَالْمَوْضِعُ الَّذِي يُحْفَظُ فِيهِ الْعَتَادُ الْحَرْبِيُّ. [تَكْمَلَةُ  
الْمَعَاجِمِ (١٣٤/٢)].

### طِيفَةُ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ عَلَى عَمْرَانَ

وَفِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ عَمِلَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ عَلَى الطِّيفَةِ [١٦٦] إِلَى قَلْعَةِ مُدَعِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَمَرَ بِمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَسِيرِهِ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ التَّاسِعَةِ مِنَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ، سَارَ مِنْ مَدِينَةِ صَنْعَاءِ الْمَحْرُوسَةِ إِلَى عَمْرَانَ، وَقَدْ كَانَ أَمَرَ بِنَصْبِ خِيَامٍ خَارِجَ عَمْرَانَ، وَأَنْ يُعْمَلَ هُنَالِكَ سَمَاطٌ عَظِيمٌ لَوْصُولِهِ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى عَمْرَانَ وَصَلَ إِلَى حَضْرَتِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي وَصَلَ فِيهِ إِلَى عَمْرَانَ السَّيِّدُ لُطْفُ اللَّهِ بْنِ الْمُطَهَّرِ، وَكَانَ مُوجِبُ قُدُومِ الْأَمِيرِ لُطْفُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مَقَامِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَمْرًا، وَكَانَ سُعْيُهَا عَلَيْهِ مِمَّنْ يَكْرَهُهُ وَيُرِيدُ الْقَدْحَ فِي جَنَابِهِ، وَأَنَّهُ صَارَ يُكَاتِبُ الْإِمَامَ الْحَسَنَ بِالْأَهْنُومِ وَيُرِيدُ يَخْرُجَ عَنْ طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ كَذِبًا<sup>(١)</sup> مِنَ النَّاقِلِ عَلَيْهِ وَبُهْتَانٍ وَبَغْيٍ وَعُدْوَانٍ.

وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ فِي أَيَّامِ حَرَكَتِهِ الْمَنْصُورَةِ هَذِهِ إِلَى مَحْرُوسِ مُدَعٍ، لَمَّا بَلَغَهُ عَنِ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ عَنْ ثُلَا إِلَى بِلَادِ الشَّرَفِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ، جَوَّبَ عَلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِالْإِثْمَالِ لِأَوَامِرِهِ مَتَى وَصَلَ إِلَى عَمْرَانَ، فَأَجَابَ عَلَيْهِ أَنَّهُ

(١) «كذب»: هكذا في الأصل.



يفعل ذلك، فحين عَرَفَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِقُدُومِ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَمَرَ الْأُمَرَاءَ وَالْعَسَاكِرَ السُّلْطَانِيَّةَ وَكَافَّةَ الْأُمَرَاءِ وَالْأَعْوَاتِ وَالْكَبَرَاءِ بِتَلْقِيهِ فَدَخَلَ إِلَى حَضْرَتِهِ فِي زِيٍّ حَسَنٍ فَخَلَعَ عَلَيْهِ مَوْلَانَا [١٦٧] صَاحِبُ السَّعَادَةِ خِلْعَةً سَنِيَّةً كَامِلَةً الْأَطْرَافِ، وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِ وَتَأْنِيْسِهِ وَطَابَ بَوْصُولُهُ إِلَيْهِ قَلْبُهُ وَخَاطِرُهُ، وَزَالَ مَا قَدْ كَانَ فِي نَفْسِهِ مِمَّا قَدْ كَانَ سُعْيِي بِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَعْرُوفَ بِصَفَاءِ السَّرِيرَةِ وَصَلَّاحِ الطَّوَيَّةِ.

وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا تَمِيْزَ، يَظُنُّ أَنَّ صَاحِبَ السَّعَادَةِ يَلْزِمُ الْأَمِيرَ لُطْفٌ وَيَقْبِضُ عَلَيْهِ وَحَاشَا عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ الْوَفَى بِعَهْدِهِ، الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ.

وَبَعْدَ اسْتِقْرَارِ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ فِي حَضْرَتِهِ قَامَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْأَمِيرُ لُطْفُ اللَّهِ وَجَمِيعُ الْأُمَرَاءِ وَأَعْيَانُ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ إِلَى السَّمَاطِ الْمُهِيَا هُنَالِكَ، وَكَافَّةَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَمَنْ لَفَّ لَفَهُمْ وَطَعِمُوا<sup>(١)</sup> مِنْ ذَلِكَ السَّمَاطِ.

ثُمَّ سَارَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَحْرُوسِ مُدَعٍ وَصُحْبَتِهِ الْأَمِيرِ الْأُطْفِ اللَّهُ وَعَسَاكِرِ السُّلْطَنَةِ وَأَمْرَائِهَا، فَطَافَ مُدَعٍ وَافْتَقَدَ مَا أَرَادَ افْتِقَادَهُ وَرَجَعَ إِلَى عَمْرَانَ، وَأَمَرَ أَيْضًا بِسَمَاطٍ عَظِيمٍ آخَرَ يُهَيَّأُ بَعْدَ رُجُوعِهِ عَمْرَانَ لَمْ يُرَى

(١) «وطعموا»: هكنا في الأصل.



مثله على ما قيل، وعليه أنواع بديعة من أنواع المطبوعات من اللحوم  
وسائر الطعوم وأنواع كل لون من الحلوى ما يعظم ذكر ذلك، طعم منه  
صاحب السعادة وجميع العساكر السلطانية ومشايخ الرعية ومن كان  
هناك من أهل تلك النواحي والبلاد، من صغير وكبير، وغني وفقير.  
ثم إن مولانا صاحب السعادة بعد [١٦٨] ثلاثة أيام أذن للأمير لطف  
الله في المسير إلى أهله وأولاده، بعد أن خلع عليه خلعة سنية ومنحه عطية  
جزيلة هنية، وكسوة جميلة لأهله وأولاده، وأمر بعطية جزيلة، لمن معه  
من أصحابه وأمر بالمسير بعد اجتماعه بأهله إلى بلاد الشرف، فامتثل ما  
أمره به وسار إلى هناك.

## ذكر تسليم حصن حقل:

وفي خلال وقوف صاحب السعادة بعمران جاءه أهل حصن حقل<sup>(١)</sup> باذلين للطاعة، وأن حصنهم يكون من جُمْلَةِ القلاع السلطانية، فأكرمهم وخلع عليهم وأحسن إليهم، فأمر بتخليف<sup>(٢)</sup> أهله لمولانا السلطان الأعظم خلد الله ملكه، وقبض رهينة من شيخهم إلى مدينة صنعاء، وهذا شيء ما كان يُقدَّر ولا يظنّه ظان؛ أن أهل حقل يطلبوا من مولانا صاحب السعادة مَصِيرَ حصنهم إليهم من غير مَشَقَّةٍ نالتهم؛ لأنّه من المعاقِلِ الرَّاسِخَةِ، والحُصُونِ الشَّامِخَةِ، لا يؤخذ إلا بعد مَشَقَّةٍ ومُحَاصِرَةٍ مُدَّةٍ طويلة وسنين عديدة، لِحَصَانَتِهِ وصُعُوبَةِ ما حوله على مَنْ حاصره، وخطأ عليه، لكن هذا وقع من سعادات الدولة الخاقانية خلد الله تعالى أيامها، وما منح الله به صاحب السعادة من عمران إلى دمرمر، لطيفته وافتقاده وطيفه المدينة التي أمر بعماريتها في سفحه التي تقدّم الكلام على ذكرها

(١) حقل: وقد يسمّى الشامخ، نسبة للقلعة التي تقع في ذورته، ويقع هذا الحصن في مديرية السّود الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة عمران، ويحد السّود شمالاً مديرية السّودة، وكحلان عفار غرباً، وكانت قديماً من أعمال ثُلا.

(٢) تجليف: هكنا في الأصل.

فِيمَا سَبَقَ مِنْ هَذَا التَّارِيخِ الْمُبَارَكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى [١٦٩] ثُمَّ رَجَعَ إِلَى  
مَحْرُوسَةِ صَنْعَاءَ

## ذكر محاصرة أم ليلي:

وأما ما كان بعد مسير العساكر السلطانية صُحبة الأمير سنان وغيره من الأمراء والكبراء إلى جبل رازح، واستقرارهم فيه مدة أيام لصلاح أحوال تلك الجهات والنواحي، وبذل أهلها للطاعة وقبض رهائنها وأخذ معاقليها ومُلك قلاعها، وتقرير الأموال السلطانية عليها وسد ثغورها ونظام أمورها = أمر مولانا صاحب السعادة الأمير سنانا<sup>(١)</sup> وكافة من معه من الأمراء بالرجوع بمن معهم من العساكر السلطانية إلى مخروسة صعدة، لما يحتاج إليه من العدد والعدد والآلات ولغير ذلك.

ثم يتقدموا<sup>(٢)</sup> بالعساكر السلطانية المنصورة إلى حصن أم ليلي، وأن يحوطوا عليه ويحاصروه<sup>(٣)</sup>، حتى يفتحونه للدولة السعيدة الخاقانية، حتى لا يبقى هنالك في تلك النواحي مُشاغل ولا مكان يكون بسببه فساد في تلك النواحي والجهات، فامثل الأمراء والأمر الشريفة، وساروا فيمن لديهم من العساكر المنصورة السلطانية بمدافعهم وزربطاناتهم وعددهم

(١) «سنان»: هكنا في الأصل.

(٢) «يتقدمون»: هكنا في الأصل.

(٣) «ويحاصرونه»: هكنا في الأصل.

وَعَدَدِهِمْ، وَفِي خِلَالِ مَا صَارَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ يُؤْهَبُ<sup>(١)</sup> مِنَ الْأَمْوَالِ  
وَالْخَزَائِنِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ السَّائِرَةُ إِلَى حِصْنِ أُمِّ لَيْلَى،  
وَجَمْعِهِ لِلْعَسَاكِرِ أَشَارَ عَلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ [١٧٠] مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ  
مِنْ أَعْيَانِ السُّلْطَنَةِ بِتَرْكِ مُحَاصَرَةِ حِصْنِ أُمِّ لَيْلَى لِصُعُوبَةِ الْأَمْرِ عَلَى مَنْ  
حَاصَرَهُ؛ لِأَنَّهُ قَلْعَةٌ مَنِيعَةٌ شَامِخَةٌ رَفِيعَةٌ وَأَنَّهَا بَيْنَ فَيَافٍ وَقِفَارٍ، وَمِمَّا يُقَارِبُهَا  
قَبَائِلُ أَشْرَارٍ، وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ كَمَا أَشَارَ ذَكَرَ مَنْ أَشَارَ بِمَا أَشَارَ، فَلَمْ يُسَعِفْ  
مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ إِلَى رَأْيِهِ، وَلَا أَصْغَى إِلَى قَوْلِهِ وَتَدْبِيرِهِ، بَلْ جَدَّ فِي  
الْحَثِّ وَالْمُسَارَعَةِ، وَتَنْفِيزِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي مُحَاصَرَتِهَا وَتَوَجِيهِ الْعَسَاكِرِ  
الْمَنْصُورَةِ عَلَيْهَا، وَجَاءَ فِي عُقْبَى رَأْيِهِ الْيَمَنُ وَالْبَرَكََةُ وَالظَّفَرُ، وَجَهَّزَ أَيْدُهُ  
اللَّهُ الْأَمِيرَ حَيْدَرَ فِي عَسَاكِرِ عَظِيمَةٍ وَخَزَائِنِ وَعُدَدٍ كَثِيرَةٍ بَعْدَ مَسِيرِ الْعَسَاكِرِ  
الْمَنْصُورَةِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُمْ عَلَى حِصْنِ أُمِّ لَيْلَى، فَسَارَ الْأَمِيرُ حَيْدَرُ بْنُ مَعَهُ  
إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ عَلَى حِصْنِ أُمِّ لَيْلَى، فَبَعْدَ تَخْيِيمِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ  
عَلَى أُمِّ لَيْلَى بِأَيَّامِ يَسِيرَةِ ثَارِ الشَّرِيفِ صَلَاحِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُؤَيَّدِيِّ الْحَسَنِيِّ فِي  
أَطْرَافِ جِهَاتِ رَازِحٍ، جَاءَ مِنْ قُطَايِرِ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا وَاسْتَمَالَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا  
وَحَرَّضَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ مَعَهُ وَالْمُحَارَبَةِ ذُوْنَهُ وَدَعَا إِلَى طَاعَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ

(١) «يَاهُبُ»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٢) «قُطَايِرُ»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ. قُطَايِرُ: هَجْرَةٌ مَشْهُورَةٌ، تَقَعُ فِي بِلَادِ جُمَاعَةَ مِنْ نَوَاحِي صَعْدَةِ،  
وَهِيَ مِنْ أَوَّلِ هَجْرِ الْعِلْمِ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي. [هَجَرَ الْعِلْمَ وَمَعَانِلَهُ (٣/١٦٨٨)].



صاحب الأتوم ومُتابعته، وهو رجلٌ مسموع الكلمة في تلك الجهات فأجابته خلائق كثيرة من أهل تلك النواحي، وثاروا معه وأظهروا الخلاف والعصيان على جانب الدولة السلطانية وكاتب هذا [١٧١] الشريف النائر إلى الإمام الحسن صاحب الأتوم يُخبره بقيامه والدعاء إلى طاعته ومن قد بايعة وشايعة ومراده بهذه الثورة أن يُزيل المحاط التي من عساكر السلطنة على حصن أم ليلي ويُنفس على من فيه من قرابته، ووجه إلى الإمام الحسن صاحب الأتوم برجلٍ من قرابته يحثه على خروج العساكر من عنده إلى بلاد خولان، فوجه الإمام الحسن لمحمد بن السيد أحمد ومعه جماعة من أصحابه وأتباعه، وقد سبق أسباب تقدم محمد بن أحمد إلى الأتوم بعد قتل أبيه، فخرج محمد بن السيد أحمد بمن معه إلى أطراف بلاد خولان مما يُقارب بلاد حيدان المصاقبة لقلعة المفتاح فخيّموا هنالك، ومال إليهم من مال من أهل تلك البلاد.

وفي حال ثورة السيد صلاح بن علي المؤيدي انتهت أخباره إلى مولانا صاحب السعادة، وكثرت الأراجيف بذلك فلم يكثرث بهذا الأمر، بل وجه من مخروسة صنعاء العساكر المنصورة والكتائب الموفورة والخزائن الواسعة والعُدَد النافعة إلى المخيم المنصور على حصن أم ليلي مدداً لمن هنالك من العساكر السلطانية وأتباعها وأعوانها وأنصارها، فلما وصلت هذه الأمداد إلى هنالك اشتدت قلوب العساكر المنصورة التي في المخيم المنصور على أم ليلي [١٧٢] والذين في حرب السيد

صَاحِبِ بْنِ عَلِيٍّ، فَلَمَّا تَكَاثَرَتِ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ هُنَالِكَ، تَوَجَّهَتْ مِنْهُمْ طَوَائِفُ كَثِيرَةٍ عَلَى هَذَا الشَّرِيفِ إِلَى مُخِيَمِهِ وَمُخِيَمِ أَتْبَاعِهِ فَهَزَمَتْهُ أَقْبَحُ هَزِيمَةٍ، وَسَارَ هَارِبًا لَا يُلَوِي رَأْسَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ جَمَاعَتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ، وَلَمْ يَزَلْ هَارِبًا حَتَّى دَخَلَ الشَّامَ.

وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ السَّيِّدِ أَحْمَدُ وَمَنْ مَعَهُ [مِمَّنْ نَاصَرَهُ] وَشَايعُهُ وَثَارَ مَعَهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ فِي بِلَادِ حَيْدَانَ وَقَصَدَتْهُ عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ، وَقَعَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حُرُوبٌ وَمَلَا حِمٌّ أَجَلَتْ هَذِهِ الْحُرُوبُ عَنْ هَزِيمَةِ ابْنِ السَّيِّدِ وَقُتِلَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَتَكْوِينٍ<sup>(١)</sup> بَعْضُ أَقَارِبِهِ وَلَمْ يَزَلْ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى دَخَلَ الْأَنْثُومَ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ مَنْ قَدْ كَانَ مَالَ إِلَيْهِ وَتَابَعَهُ، وَمَنْ قَدْ كَانَ ثَارَ وَقَامَ مَعَهُ.

وَبَعْدَ هَذِهِ الْوَقَائِعِ الْمَذْكُورَةِ رَجَعَ مَنْ قَدْ خَالَفَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَاتِ، وَبَذَلُوا الطَّاعَةَ، فَعَفَى عَنْهُمْ صَاحِبُ السَّعَادَةِ لَمَّا لَازُوا بِجَانِبِ السُّلْطَانَةِ وَاسْتَغْفَرُوا عَمَّا قَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْعِنَادِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَخَمَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ نِيرَانُ الْفِتَنِ، وَمَا قَدْ كَانَ جَرَى هُنَالِكَ مِنَ التَّعَبِ وَالْمِحْنِ، وَأَنْفَقَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيَّامَ مُحَاصَرَةِ حِصْنِ أُمِّ لَيْلَى إِنْفَاقَاتٍ وَاسِعَةً لَا يَقْدِرُ أَنْ يَقُومَ بِهَا غَيْرُهُ مِمَّنْ قَدْ تَوَلَّى إِقْلِيمَ الْيَمَنِ، وَلَمْ يَزَلِ الْحِصَارُ عَلَى حِصْنِ أُمِّ لَيْلَى وَالْحُرُوبُ عَلَيْهَا بُكْرَةً وَعَشِيَّةً

(١) تَكْوِين: إصَابَةُ بِرِصَاصِ الْبُنْدُقِيَّةِ.

والرّمي عليها بالمدافع والزّربطانات في [١٧٣] جميع السّاعات في أواخر شهر شعبان سنة إثنين وتسعين وتسعمائة، وبلغت المشاق بمن فيها غايتها والمضار نهايتها وشرع ألم الكربل يتّدي فيهم فسقط في يد السيّد صلاح بن أحمد وعم أبيه السيّد مهدي، ورأيا الدّخول في طاعة مولانا السلطان وتسليم القلعة أولى بهم وأحرى، وأنّهم ينالون بالمصير إلى طاعة مولانا السلطان الأعظم خلد الله ملكه ونصر حزبه ببركة مولانا صاحب السّعادة من الكرامات والتّشريفات ما هو معروف من محامد صفاته وحميد كرمه وجلالة مكارمه، فطلبوا لأنفسهم الأمان ولمن معهم، فعرف الأمير سنان مولانا صاحب السّعادة بأمرهم فأذن له في تأمينهم وتقرير قواعدهم بما تطيب به نفوسهم وتقرّ به عيونهم ويصلح به أمرهم وينتظم به حالهم، وأن يخرجوا من القلعة المحروسة ويسلموها للدولة السّعيدة الخاقانية.

فلما تقرّرت قواعدهم خرجوا عن القلعة بأهليهم وأولادهم إلى مدينة صعدة وأفرغت لهم بيوتهم التي بها ودخلت العساكر المنصورة حصن أم ليلى بعد تسليمها، وبعد قبض حصن أم ليلى وتقرير من تقرّر بها من العساكر السلطانية، ومعرفة ما فيها من الخزائن والعُدّ والشّحن من الحبوب ونحوها = رجّع الأمير سنان وجميع الأمراء [١٧٤] وسائر عساكر السلطان إلى محروسة صعدة.

فلما استقرّت العساكر السلطانية بمحروس صعدة عمّل الأمير سنان على المسير إلى مقام صاحب السّعادة إلى مدينة صنعاء في أنفار يسيرة



وَصُحْبَتَهُ السَّيِّدَ صَالِحَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِي، وَالسَّيِّدَ الْمَهْدِيَّ  
بْنَ عِزِّ الدِّينِ فَوَصَلَ وَإِيَّاهُمْ إِلَى مَقَامِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي أَوَائِلِ شَهْرِ شَوَّالِ  
الْكَرِيمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ.

وَلَمَّا قَارَبُوا مَدِينَةَ صَنْعَاءَ وَانْتَهَى إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ خَبَرَ  
قُدُومَهُمْ؛ أَمَرَ وَلَدَهُ الْأَمِيرَ حُسَيْنَ وَجَمِيعَ الْأَمْراءِ وَكَافَّةَ الْعَسَاكِرِ الَّذِينَ  
بِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ بِالْمَلَقَى لَهُمْ، فَدَخَلُوا إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ  
فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِمُ الْخَلَعَ النَّفِيسَةَ وَمَنْحَهُمْ بِمَكَارِمِهِ الْجَزِيلَةِ وَأَمَرَ  
بِتَفْرِيعِ دَارٍ لَهُمْ بِمَخْرُوسَةِ صَنْعَاءَ وَخَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ سِنَانَ خِلْعَةً نَبِيلَةً  
وَأَنْعَمَ عَلَى السَّيِّدِ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ بِسَنْجَقِ شَرِيفِ سُلْطَانِي وَقَرَّرَ لَهُ  
جَامِعِيَةَ السَّنَجَقِ وَتَحَمَّلَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَوْوَنَةِ الصَّرْفِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ  
مَنْ تَشَرَّفَ بِسَنْجَقٍ مِنْ سَمَاطٍ وَخِلْعٍ وَدَرَاهِمٍ وَمَا يَتَّبَعُ ذَلِكَ، وَهَذِهِ  
التَّفَضُّلَاتُ الَّتِي نَالَتْ السَّيِّدَ صَالِحَ وَالتَّشْرِيفَاتُ مِنْ جُمْلَةِ مَا جَبَلَ اللَّهُ  
سَبْحَانَهُ عَلَيْهِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنَ الْكَرَمِ وَالْعَفْوِ وَالتَّفَضُّلِ  
وَالْإِحْسَانِ وَالتَّطَوُّلِ وَالْإِمْتِنَانِ، وَقَرَّرَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْسَّيِّدِ الْمَهْدِيَّ  
جَامِعِيَةَ مَا تَقُومُ بِهِ [١٧٥].

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، تُوفِّي فِيهِ الْأَمِيرُ السَّامِيُّ  
السَّيِّدُ الْمَقَامُ، كَوَكَبَ سَمَاءِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ، أَمِيرَ اللُّوَاءِ الشَّرِيفِ  
السُّلْطَانِيَّ عِزَّ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ  
تَعَالَى بِمَخْرُوسِ كُوكَبَانَ ضَحْوَةَ نَهَارِ الثَّلَاثَاءِ الْيَوْمِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ

الكريم، ودُفِنَ مِنْ يَوْمِهِ فِي كَوْكَبَانَ فِي عَدَنِي<sup>(١)</sup> مَدْرَسَةَ جَدِّهِ الْإِمَامِ شَرْفِ الدِّينِ رحمته الله بِوَصِيَّةٍ مِنْهُ، وَكَانَ الْأَمْرُ بَعْدَهُ فِي بِلَادِ وَلَايَتِهِ الَّتِي مِنْ إِنْعَامَاتِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ إِلَى وَلَدِهِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ .

وَلَمَّا تُوفِّيَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ، وَجَّهَ وَلَدَهُ الْأَمِيرَ شَمْسِ الدِّينِ بِكِتَابَةِ مِنْهُ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ يُخْبِرُهُ بِوَفَاةِ أَبِيهِ وَيَقُولُ لَهُ إِنَّهُ بَاقٍ فِي الثُّبُوتِ وَالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ رَاسِخَ قَدَمِهِ عَلَى مَوَدَّتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ، وَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ أَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَنَّهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ حَيٍّ وَالِدِهِ وَزِيَادَةَ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَانَةِ، مُمَثِّلٌ لِأَوَامِرِهِ وَتَوَاهِيهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ.

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ هَذَا الْكِتَابَ بِقَضِيَّةٍ مَا ذَكَرْنَا ظَهَرَ عَلَيْهِ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَسْفَ وَالْحُزْنَ عَلَى وَفَاةِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ وَبَكَى وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ كَثِيرًا وَأَمَرَ بِعَمَلِ تَهْلِيلٍ كَثِيرَةٍ لِلْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ فِي مَسَاجِدِ صَنْعَاءَ وَجَوَّبَ عَلَى الْأَمِيرِ أَحْمَدَ [١٧٦] يُعْزِيهِ فِي أَبِيهِ، وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَظْهَرَهُ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَإِخْلَاصِ الْمَحَبَّةِ، وَأَنَّهُ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَإِنَّهُ يَرَعَى لَهُ كَمَا رَعَى لِأَبِيهِ وَزِيَادَةَ، وَأَنَّ حَقَّ وَالِدِهِ لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنَّهُ إِذَا اخْتَلَّ عَلَيْهِ أَمْرٌ وَنَجَمَ لَدَيْهِ شَرٌّ كَانَ هُوَ الْمُدَافِعَ عَنْهُ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَتَوَلَّى إِصْلَاحَ مَا تَغَيَّرَ.

(١) عَدَنِي: جهة الجنوب.



ولَمَّا وَصَلَ جَوَابُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ إِلَى الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ وَتَحَقَّقَهُ، انشَرَحَ بِهِ صَدْرُهُ وَقَرَّبَهُ قَلْبُهُ وَنَاطَرَهُ وَدَعَا لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِإِبْقَاءِ رِئَاثَتِهِ وَاسْتِدَامَةِ عِزِّهِ وَشَرَفِهِ، وَطَلَبَ مِنْ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ مَنْ رَجَحَ لَدَيْهِ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ لِيَقْبِضَ الْعَهْدَ مِنْهُ وَيَعْرِفَ مَا عِنْدَهُ.

فَوَجَّهَ الْجَنَابَ السَّامِي الْخَوَاجَا عَلِيَّ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ وَجَدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَأَحْوَالِهِ عَلَى مَا يُحِبُّهُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ مِنَ الثُّبُوتِ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ وَالْإِمْتِنَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ وَأَكِيدَ الْمَوَدَّةَ، فَكَتَبَ الْخَوَاجَا عَلِيَّ إِلَى صَاحِبِ السَّعَادَةِ يُعَرِّفُهُ بِذَلِكَ، فَوَجَّهَ حِينَئِذٍ صُحْبَةً رَجُلٍ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ بِخِلْعَتَيْنِ سَنِيَّتَيْنِ مِنْ أَعْظَمَ مَلَابِسِهِ الشَّرِيفَةِ مِنْ أَجْلِ الْأَقْبِيَّةِ، فَتَلَقَّاهَا الْأَمِيرُ شَمْسِ الدِّينِ إِلَى خَارِجِ مَحْرُوسِ كَوُكْبَانَ فِي جَمِيعِ أَصْحَابِهِ وَقَرَابَتِهِ، وَقَابَلَ تِلْكَ التَّشْرِيفَاتِ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ وَالتَّفْخِيمِ وَالْإِكْرَامِ [١٧٧] وَلَبَسَهُمَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَنَامِ، وَأَظْهَرَ بِذَلِكَ الْفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَانْشَرَحَ الصَّدْرَ وَالْحُبُورَ، وَأَكْرَمَ الْوَاصِلَ بِهَا غَايَةَ الْإِكْرَامِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْخَوَاجَا عَلِيَّ خِلْعًا مِنَ الْقَفَاطِينِ<sup>(١)</sup>، وَأَمَرَ لَهُمَا بِعَطِيَّةٍ جَسِيمَةٍ، وَقَبِضَ الْخَوَاجَا عَلِيَّ مِنْ

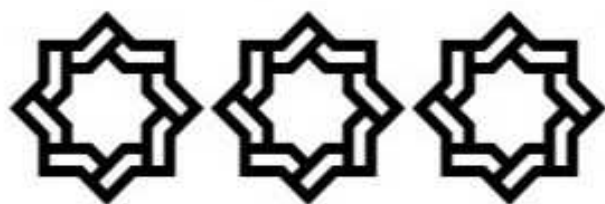
(١) القفاطين: نوع من أنواع الملابس، يظهر أنه كان مستعملاً منذ القرن السادس عشر. [تكملة

المعاجم العربية (٨/ ٣٤٠)].

الأمير شمس الدين العهد للسلطنة السعيدة شيد الله تعالى عمران ممالكها  
وخلد ملك ممالكها.

ورجة ضجة الخواجا علي إلى مقام صاحب السعادة وزير والده السيد  
العلامة محمد بن الحسن الحمزي، ورجل من أعيان ممالكه للمعاهدة  
من صاحب السعادة وصحبتهما هدية سنية وحصانين محلين نجيين  
أحدهما لمولانا صاحب السعادة والآخر لولده الأمير حسين.

الجزء العاشر



## [الجزء العاشر]

فلَمَّا وَصَلَ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مَقَامِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ قَابَلَهُمْ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ شَيْمِ فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَشَهِيرِ مَكَارِمِهِ وَمَحَامِدِهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِمُ الْخَلْعَ النَّفِيسَةَ مِنْ أَنْفُسِ الْأَقْبِيَّةِ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِصَدَقَةِ هَنِيئةٍ، وَشَكَرَ لِلأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ عَلَى تِلْكَ الْهَدِيَّةِ وَأَثْنَى عَلَى أَحْوَالِهِ وَطَابَتْ نَفْسُهُ الْكَرِيمَةُ بِمَا صَارَ الْأَمِيرُ شَمْسِ الدِّينِ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَصَدَّقَ مَوَالِيَهُ لَهُ.

وَبَعْدَ وَصُولِ الْوَزِيرِ الْمَذْكُورِ تَقَرَّرَتِ الْأُمُورُ، وَانْعَقَدَتِ فِيمَا بَيْنَ صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ عَلَى مَا كَانَتْ الْأَحْوَالُ وَالْأُمُورُ عَلَيْهِ، أَيَّامَ الْأَمِيرِ عَزِّ الدِّينِ [١٧٨] مِنَ الْإِنْعَامَاتِ وَالْجَوَامِكِ الَّتِي تَفْضُلُ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ تَكُونُ لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ.

وَأَنْعَمَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيْضًا وَتَكَرَّمَ وَتَطَوَّلَ بِجَامِكِيَّةِ عَلَى وَلَدِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ وَوَعَدَهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِسَنَجَقِ سُلْطَانِيٍّ.

وَرَجَعَ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ إِلَى مَحْرُوسِ كَوُكْبَانَ شَاكِرًا لِتَفَضُّلَاتِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَحَامِدًا لِحَمِيدِ صِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ وَمَحَامِدِ أَحْوَالِهِ.

وَوَجَّهَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ بَعْدَ مَسِيرِ الْوَزِيرِ بِأَيَّامِ يَسِيرَةٍ مِنْ حَضْرَتِهِ لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ بِهَدِيَّةِ سَنِيَّةٍ مِنَ الْمَلَابِسِ النَّفِيسَةِ مَا لَهَا قِيَمَةٌ كَثِيرَةٌ.

وكان أمير الحج<sup>(١)</sup> في هذه السنة من قبل مولانا صاحب السعادة الخواجا علي.

وفي النصف الأخير من شهر رمضان المقدم ذكره، كتب مولانا صاحب السعادة إلى الأمير السيد لطف الله بن المطهر، وهو يومئذ بكخلان الشرف أن يصل إلى مقامه إلى مخروسة صنعاء فأجاب بامثال أمره.

ولما كان في أوائل شهر شوال سار إلى حضرة مولانا صاحب السعادة، فلما قارب مدينة صنعاء المخروسة أمر ولده<sup>(٢)</sup> الأمير السامي حسين أن يلقي الأمير لطف الله إلى مسافة من مدينة صنعاء، وجميع الأمراء وسائر الكبراء وكافة العساكر السلطانية الذين بمدينة صنعاء، فدخل الأمير لطف الله يومئذ مدينة صنعاء اليمن في أبهة رائعة حسنة [١٧٩] وزيّ عظيم، ومعه ابني عمه يحيى بن رضي الدين، وعز الدين بن الحسن بن الإمام شرف الدين، وجماعة من رؤساء أصحابه وعسكره، فلما دخل إلى حضرة مولانا صاحب السعادة قابله بأجل مقابلة وأعظم تكرامة وأفخم مكانة، وخلع عليه خلعة سنية من أجل الخلع وأعلاها من أنفس القبا وأجله، وخرج الأمير لطف الله من عنده إلى دار للأمير عز الدين بمدينة

(١) أمير الحج Emirul-Hac: الرئيس المنتخب أو المشرف المعين على قافلة الحج. [المعجم

الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: (٣٧)]

(٢) «والده»: هكنا في الأصل.



صَنَعَاءَ قَدْ أَفْرِغَتْ لَهُ وَهَيْئَتْ لِرُؤُوسِهِ، وَأَمَرَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ مَطْبَخِهِ السَّعِيدِ، وَمَنْ يَنْضَمُ إِلَيْهِمْ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ الَّتِي بِهَا الْأَمِيرُ لُطْفُ اللَّهِ لِإِقَامَةِ مَطْبَخِهِ وَتَعْيِينَ أَقْوَاتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَوَاصِّهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَسْكَرِهِ وَحَاشِيَتِهِ، وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ وَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ بِسِيَاقَةٍ مَا يَحْتَاجُونَهُ لِلْمَطْبَخِ مِنَ الْغَنَمِ وَالِدَّجَاجِ وَالسَّمْنِ وَالْعَسَلِ وَالْأَرْزِ وَالْحِنْطَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَوَائِجِ الْمَطْبَخِ.

وكَذَلِكَ كَانَ يُوجِّهُ لِلْأَمِيرِ لُطْفُ اللَّهِ بِمَا يَقُومُ بِحَضْرَتِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الشَّمْعِ وَالْقَهْوَةِ وَاللُّوزِ وَالْبُنِّ وَالْقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَكَانَ الْأَمِيرُ لُطْفُ اللَّهِ مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بِمَقَامِهِ يَطْلُعُ إِلَى حَضْرَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ وَيُقِيمُ بِهَا سَاعَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الدَّارِ السَّاكِنِ فِيهَا وَهُوَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى يُجِلُّ مَكَانَهُ وَيَرْفَعُ رُتَبَتَهُ وَمَحَلَّهُ، وَيَتَعَهَّدُهُ بِالصَّلَاتِ الْجَزِيلَةِ وَالتُّخَفِ السَّنِيَّةِ وَالْهَدَايَا الْعَظِيمَةِ يُوجِّهُهَا مَعَ ثِقَاتِ [١٨٠] خَوَاصِّهِ وَأَعْيَانِ أَصْحَابِهِ مَا يَعَظُمُ ذِكْرُهَا؛ وَذَلِكَ لَمَّا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ هِمَّتُهُ غَيْرَ الْبَذْلِ فِي اكْتِسَابِ الْمَحَامِدِ وَالْمَكَارِمِ وَإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ فِي مُلْكِ رِقَابِ الرِّجَالِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ عَلَى طَاعَةِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَتَشْيِيدِ مَآثِرِهَا وَمَمَالِكِهَا فِي الْأَقْطَارِ الْيَمْنِيَّةِ، حَتَّى انْقَادَ لَهُ فِي الْيَمَنِ أَهْلُ السُّهُولِ وَالْجِبَالِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً.

وَفِيمَا بَلَغَنِي أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا أَمَرَ بِهِ صَاحِبُ السَّعَادَةِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لِأَهْلِ الْأَمِيرِ لُطْفُ مِنَ الْحُلِيِّ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَالْمَلَابِسِ، مَا يَعَظُمُ ذِكْرُهُ وَيُكْثَرُ

قيمته، وأن من جملتها قميصاً فيه عناية عجيبة في خياطته وصناعة غريبة منسوج بالذهب فيه ترصيع باللؤلؤ المنتخب، ما ليس له نظير وإنه قوم ذلك القميص بنحو خمسمائة دينار والله أعلم.

وأمر لجميع أصحاب الأمير لطف الله من العطاء والكساء على قدر مراتبهم، وما يستحقه من كبير وصغير، وعليّ ووضع حتى لم يبق منهم أحد، وأنعم على يحيى بن رضي الدين بجامكية ولم يكن له من قبل شيئاً، ولم يصل إلى حضرة صاحب السعادة غير هذه المرة، وأمر له بخلعة سنينة وعطية هنيئة حال مسيره من حضرته إلى بلاده.

## خروج الأمير الدفتردار لفتح ثلا:

وعند إرسال مولانا صاحب السعادة للأمير لطف الله عمل على تجهيز العساكر السلطانية والعُدَد الكثيرة، وغير ذلك صُحْبَةُ الْمَقَام الْكَرِيم والمَقَرَّ الْعَالِي [١٨١] الْفَخِيم، أْفَخَر الْأَمْرَاءِ قَدْرًا، وَأَنْفَذَهُمْ نَهْيًا وَأَمْرًا، وَأَقْوَاهُمْ شَجَاعَةً وَبَسَالَةً وَفَخْرًا، مَوْلَانَا الْأَمِير النَّاطِر، مُصْطَفَى بْنُ طَاهِرٍ، وَمَعَهُ الْأَمِير خِضْرُ بَك، وَخَفِيزٌ وَمُطَهَّرُ بْنُ الشَّويع، وَالشَّيْخُ عَلِي بْنُ مَتَّاشٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْيَانِ الْأَعْوَاتِ وَرُؤَسَاءِ الْعَرَبِ، وَجَعَلَ الْأَمِير النَّاطِرُ مُصْطَفَى بْنُ طَاهِرٍ الْمَذْكُورَ رَاسًا عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ لِمَا يَعْرِفُ مِنْ حُسْنِ سِيرَتِهِ وَكَمَالِهِ وَرَاجِحِ عَقْلِهِ، عَلَى حِصْنِ قَلْعَةٍ مَخْرُوسِ ثَلَا وَفَتْحِ بِلَادِهِ وَالْاِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَالْحَطَاطِ وَالْمُحَاصَرَةِ لِمَخْرُوسِ ثَلَا حَتَّى يُفْتَحَ لِلدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْخَاقَانِيَّةِ.

وَقِيلَ إِنَّهُ كَانَ سَبَبُ هَذَا التَّجْهِيْزِ عَلَيْهِ أَوْامِرُ سُلْطَانِيَّةٍ؛ لِأَنَ فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ عُدَدًا لِلدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَدَافِعِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي أَدْخَلَهَا إِلَيْهِ حَيَّ

السَّيِّدُ الْمُطَهَّرُ بن الإمام شَرَف الدِّين حينَ اسْتَوَلَى على إقليم اليمَن في أيام  
الباشا مُراد الذي قُتِلَ في الشَّلَالَة (١).

وقد كَانَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ مُؤَهَّباً (٢) لِهَذِهِ الْعَسَاكِرِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا  
خَارِجَ مَدِينَةِ صَنْعَاءِ أَمَرَهُمْ بِالتَّخْيِيمِ هُنَالِكَ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ  
مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ حِصَارِ حِصْنِ أُمِّ لَيْلَى، وَمُرَادُهُ بِتَجْهِيزِ الْأَمِيرِ  
النَّاظِرِ دَفْتَرِ دَارِ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ  
وَتَخْيِيمِهِمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِعُدَدِهِمْ وَمَدَافِعِهِمْ وَآلَتِهِمْ، أَنَّهُ إِذَا نَجَّمَ أَمْرُ  
مِنَ الْإِمَامِ صَاحِبِ [١٨٢] الْأُنُومِ أَوْ مِنْ أَحَدٍ فِي بِلَادِ الشَّامِ وَجَّهَهُمْ عَلَيْهِ.  
وَفِي خِلَالِ تَجْهِيزِ الْأَمِيرِ النَّاظِرِ لِلْمَسِيرِ لِمُحَاصَرَةِ قَلْعَةِ ثُلَا كَتَبَ صَاحِبُ  
السَّعَادَةِ إِلَى الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَنْ يُوجِّهَ بِعَسْكَرٍ مِنْ  
عِنْدِهِ لِلْمَسِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ النَّاظِرِ مُصْطَفَى الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَأَمَرَ الْأَمِيرُ  
شَمْسَ الدِّينَ بِعَيْنَتِهِ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى مَقَامِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ فَكَسَا رِئِيسَهُمْ خِلْعَ  
سَيِّئَةٍ وَأَمَرَ بِكَسَاءِ لَجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ بِمَا يَلِيقُ بِحَالِهِمْ، وَأَمَرَ لَهُمْ أَيْضاً بِجُمْلَةِ  
دَرَاهِمٍ وَالزَّمَهُمُ اللَّحُوقَ بِالْأَمِيرِ النَّاظِرِ.

(١) الشَّلَالَة: قرية في سائلة زُيِّد من ناحية عُنس وأعمال بلاد دَمَار، وفي أعلاها غيلان جاريان.

[البلدان والقبائل (١/ ٨٧٤)].

(٢) «مؤهب»: هكنا في الأصل.



وأمر مؤلانا صاحب السعادة الأمير شمس الدين أن يوجه عسكراً من عسكره على علي يحيى إلى حصن مشور وبلاده، وأن يحارب به ويحاصره وأن ما فتح من حصون مشور وبلاده كانت له، وجعل له بذلك مراسيم شريفة، فأجاب الأمير شمس الدين بالسمع والطاعة وأنه لا يخالف أمره في أي جهة يوجهه عليها أو يندب إليها لحربها أو فتحها.

فسار الأمير الناظر مصطفى الدفتردار فيمن معه من الأمراء والعساكر السلطانية وصحبته المدافع والزربطانات والعُدَد والخزائن، حتى وصل بلاد عيال سريح من أعمال البون، وخيم بها، ثم تقدم إلى أطراف بلاد محروس ثلا وكاتب إلى أهل بلاد ثلا، وراسلهم في طلب المواجهة منهم ودخلهم في الطاعة السلطانية، فوصل إليه منهم من وصل ومن وصل منهم أكرمه [١٨٣] وكساه وأعطاه ورفع إلى مسامع صاحب السعادة خبر من يقدم عليه ويصل من مشايخ بلاد ثلا إليه، ويعرض لهم في تقرير قواعدهم وإجرائهم على عوائدهم، ومؤلانا صاحب السعادة يفعل لهم بمقتضى عروض الأمير الناظر.

ثم تقدم الأمير الناظر ومن معه من العساكر السلطانية إلى مكان بالقرب من مدينة ثلا وخيم به وأرسل إلى أهل مدينة ثلا ومن تأخر من أهل بلاد محروس ثلا من المواجهة، ووعدهم بكل خير ينالوه متى أطاعوا، وإن تأخروا فقد أعذر إليهم وأنذر إذا قصدهم وأحربهم، فسار مشايخ أهل



مدينة ثُلا ومَحاسِنُهُم وأَعْيَانُهُم إلى الْمُخَيِّمِ الْمُنْصُورِ وواجهوا الأمير  
النَّاظِرَ الْمَذْكُورَ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ.  
ولما كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعِ شَهْرِ شَوَّالٍ تَقَدَّمَ الْأَمِيرُ النَّاظِرُ دَفْتَرْدَارَ  
الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْأُمَرَاءِ وَأَعْيَانَ الْكُبَرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَى مَدِينَةِ  
ثُلا، وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا طَاعَةٌ وَاسْتَقَرَّتِ الْعَسَاكِرُ الْمُنْصُورَةُ فِيهَا وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ  
الْمُطَهَّرِ وَصَلَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ عِنْدِ أَخِيهِ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى فِي عَسْكَرِهِ فَلَمْ يَكُنْ  
هَمُّهُ وَقْصْدُهُ إِلَّا الدُّخُولُ إِلَى حِصْنِ ثُلا مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَدَخَلَ مِنْ  
مَخْلَفِهِ إِلَى مَحْرُوسِ ثُلا وَقَدْ كَانَ وَجْهُهُ صِنْوَهُ يُرِيدُ أَنَّهُ يَحْفَظُ الْمَدِينَةَ أَوْ  
يَقِفُ فِي النَّاصِرَةِ<sup>(١)</sup> فَوَقَعَ مَعَهُ وَمَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ [١٨٤] فَشَلَّ وَدَخَلَ  
الحِصْنَ.

---

(١) النَّاصِرَةُ: حِصْنٌ مُتَّصِلٌ بِجَبَلِ ثُلا مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ. وَالنَّاصِرَةُ: حِصْنٌ وَبَلَدٌ بِالْغَرْبِ  
الشَّمَالِيِّ مِنْ جَبَلِ عِيَالِ يَزِيدَ، وَهُوَ مَرْكَزُ مَدِيرِيَةِ السُّودَةِ مِنْ أَعْمَالِ مَحَافِظَةِ عَمْرَانَ. وَالنَّاصِرَةُ: قَلْعَةٌ  
وَبَلَدَةٌ كَبِيرَةٌ فِيهَا مَرْكَزُ مَدِيرِيَةِ خَيْرَانَ الْمَحْرُوقِ مِنْ أَعْمَالِ مَحَافِظَةِ حِجَّةَ [الْبَلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ  
١٧٠٩/٢].

ولما استقرت العساكر السلطانية في مدينة ثلا، وحول الحصن وتفرقت  
 المحاط المنصورة في جوانبه، راسل الأمير الناظر إلى من في الناصرة  
 بتسليمها إلهاماً من فيض الله تعالى عليه وسدادة رأي منه، فقدم عليه  
 جماعة ممن بها يطلبون<sup>(١)</sup> لأنفسهم ولمن فيها الأمان ويخرجون عنها،  
 فكسأهم الأمير الدفتردار وأمنهم، وكتب لهم بأن يخرجوا بأهلهم  
 وأولادهم إلى حيث يحبوا من البلاد السلطانية، ووجه إلى الناصرة  
 بجماعة من عساكر السلطنة تسلمها<sup>(٢)</sup> وتبقى فيها، ووجه بالبشرى بفتح  
 مدينة ثلا وفتح الناصرة إلى حضرة مولانا صاحب السعادة، فأنفذت  
 البشائر إلى الأقطار اليمنية، وعند ذلك أحاطت العساكر المنصورة بقلعة  
 ثلا ووقع عليه الحصار المحكم، وكان رئيس المنحصرين به إبراهيم بن  
 المطهر وأحمد بن علي يحيى، والسيد أحمد بن طاهر، ورجل يقال له:  
 «أبو حشاش»، وهو الذي كان رئيس المنحصرين في قلعة مخروس مدع،  
 وقد تقدم الكلام على حصار مدع، وهذا أبو حشاش كان من فحول  
 الرجال، وأعرفهم بتدبير القتال.

وأمر مولانا صاحب السعادة الأمير سنان بالمسير إلى المخيم المنصور  
 على ثلا لطيفته، وأن يرجع إلى حضرة [١٨٥] فسار إلى هنالك فوجد

(١) «يطلبوا»: هكذا في الأصل.

(٢) «يتسلمها»: هكذا في الأصل.

الأمور - بفضل الله تعالى وهمة الأمير الناظر - مُنْتَظِمَةً وطُرُقَاتِ الحصن مَضْبُوتَةً ثُمَّ رَجَعَ الأمير سِنَانٌ عَلَى إِثْرِهِ إِلَى مَحْرُوسٍ صَنْعَاءَ  
وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بَعْدَ الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الْمَدِينَةِ وَالنَّاصِرَةَ رَأَى الأمير الناظر دَفْتَرْدَارَ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ، مَسِيرَ عَسْكَرِ الأمير شَمْسِ الدِّينِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ لِلْحَطَاطِ عَلَى حَضُورِ الْمَصَانِعِ، وَاسْتَأْذَنَ صَاحِبَ السَّعَادَةِ بِذَلِكَ، فَأَذِنَ لَهُ فَسَارَ مَنْ ذَكَرْنَا وَاسْتَوْلُوا عَلَى جَبَلِ النَّوَّاشِ<sup>(١)</sup> فَوْقَ قَلْعَةِ حَضُورٍ وَخِيَمُوا هُنَالِكَ وَضَيَّقُوا عَلَى مَنْ فِيهِ مِنْهُمْ.  
وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالِ الْمُكْرَمِ سَنَةِ إِثْنِينَ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ أَرْسَلَ مَوْلَانَا النَّاطِرُ الأمير مُصْطَفَى بَكْ دَفْتَرْدَارَ الدِّيَارِ الْيَمَانِيَّةِ، وَحَافِظَ الْأَمْوَالِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، عَيْنَةً مِنْ أَعْيَانِ الْعَسَاكِرِ الْمُؤَيَّدَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى بَيْتِ عُلْمَانَ<sup>(٢)</sup> أَعْلَى نَقِيلِ<sup>(٣)</sup> الْمَحْدِدِ<sup>(٤)</sup> وَقُبَالَ قَلْعَةِ مَحْرُوسٍ مَسُورٍ، لِأَنَّهُ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ جَوَاسِيسِهِ وَعِيُونِهِ أَنَّ عَلِيَّ يَخْتَبِئُ

(١) النَّوَّاش: حصن في عُدْرٍ مِنْ بِلَادِ حَائِدٍ، إِلَى الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مَدِينَةِ عَمْرَانَ. [البلدان والقبائل (١٧٧٢/٢)]. والحصن المذكور غير هذا الحصن الذي في بلاد عُدْرٍ.

(٢) بَيْتُ عُلْمَانَ: قَرْيَةٌ بِرَأْسِ جَبَلِ الْمَصَانِعِ غَرْبِي مَدِينَةِ ثَلَا، وَمِنْ أَعْمَالِهَا، تَنْسَبُ إِلَى عُلْمَانَ بْنِ شَمَائِرِ بْنِ الرَّهَابِ بْنِ الْفَيَاضِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْغَوْثِ. [القبائل والبلدان (١١٠٦/٢)].

(٣) النَّقِيلُ: هُوَ (الْعَقَبَةُ) بِلُغَةِ أَهْلِ الْيَمَنِ -

(٤) الْمَحْدِدُ: قَرْيَةٌ تَقَعُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ ثَلَا، وَكَانَتْ فِي الْقُرُونِ السَّادِسِ مِنْ مَعَاوِلِ فِرْقَةِ الْمُطَرِّقَةِ الزَّيْدِيَّةِ. [البلدان والقبائل (١٤٢٢/٢)]. وَأَثْبَتَاهُ بِضَبْطِ الْمُؤَلِّفِ لَهُ.

المُخَذُول أَرَادَ أَنْ يُجَهِّزَ عَسْكَرًا لِتَغْيِيرِهَا عَلَى الْمُخَيَّمِ الْمُنْصُورِ عَلَى ثُلَا وَحُضُورِ الشَّيْخِ<sup>(١)</sup>، فَلَأَجَلَ ذَلِكَ عَيْنَ عَيْنَةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمُنْصُورَةِ وَعَمِلَ الْآغَا صَالِحَ سَرْدَارًا عَلَى الْعَسَاكِرِ الْمُنْصُورَةِ وَعَيْنَ مَعَهُ مُرَادَ آغَا [١٦٨] آغَا حُفَاش وَمِلْحَانَ<sup>(٢)</sup> بَعْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ إِلَى الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ وَالْمَقَامِ الْفَخِيمِ الْأَمِيرِ كَيَوَانَ الَّذِي بِمُحَافَظَةِ<sup>(٣)</sup> مُدَعٍ قَرِيبَ نَقِيلِ الْمُخَذُولِ أَنْ يَجْمَعَ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمُنْصُورَةِ، وَيَسِيرَ بِنَفْسِهِ مَعَ الْأَعْوَاتِ الْكَرَامِ وَ[يَا] حُطَّ مَحْطَةُ الْمُنْصُورَةِ فِي بَيْتِ عُلْمَانَ وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ مِنَ الْجَبِخَانَاتِ الْوَافِرَةِ وَالْعُدَدِ الْمُتَكَاثِرَةِ، فَبَرَزَ الْأَمِيرُ كَيَوَانَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ بِمَوْجِبِ مَكْتُوبِ الْأَمِيرِ النَّاطِرِ، وَحَطُّوا مَحْطَتَهُمْ فِي بَيْتِ عُلْمَانَ، قُبَالَ الْعَدُوِّ الْمُخَذُولِ، ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ النَّاطِرَ عَرَضَ عَلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِمَا فَعَلَهُ مِنْ إِرْسَالِ الْعَسَاكِرِ الْمُنْصُورَةِ إِلَى الْمَوْضِعِ الْمَذْكُورِ فَاسْتَصَوَبَهُ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَرَأَاهُ غَايَةَ الصَّوَابِ، ثُمَّ زَادَ مِنْ عِنْدِهِ عَيْنَةً إِلَى الْأَمِيرِ كَيَوَانَ وَوَصَّى عَلَيْهِ أَنْ يَكُونُوا عَلَى الْهِمَّةِ وَالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي حِفْظِ

(١) حُضُورِ الشَّيْخِ: قَرْعٌ مِنْ جَبَلِ الْمَصَانِعِ فِي غَرْبِي مَدِينَةِ ثُلَا. [البلدان والقبائل (١/٤٧٩)].

(٢) مِلْحَانَ: سِلْسِلَةٌ جَبَلِيَّةٌ إِلَى الْغَرْبِ مِنْ بِلَادِ الْمُحَوِيَّتِ، وَتَشْرِفُ عَلَى وَدْيَانِ تِهَامَةٍ، وَكَثِيرًا مَا يُقْرَنُ اسْمُ (مِلْحَانَ) بِجَبَلِ (حُفَاش) لِاتِّصَالِهِمَا بَعْضُ، فَلَا يَذْكُرُ أَحَدُهُمَا إِلَّا مَقْرُونًا بِالْآخَرِ، وَإِنْ كَانَتْ تَفْصِيلُهُمَا سَائِلَةً تُعْرَفُ بِاسْمِ (يَنْوَر). [البلدان والقبائل (٢/١٦٣٥)].

(٣) يَبْدُو أَنَّ تَسْمِيَةَ مُحَافَظَةٍ كَانَتْ مُسْتَعْمَلَةً فِي الْقُرُونِ السَّادِسِ عَشَرَ لَوْصِفِ التَّقْسِيمَاتِ الْإِدَارِيَّةِ لِلسَّالِطَةِ.



الأماكن المرقومة، وأرسل بعض المراسيم الشريفة إلى بلاد مسور ومشايخه ليستميل قلوبهم إلى طاعة السلطنة الشريفة أعزها الله تعالى وسيأتي خبر فتحه إن شاء الله تعالى.

وفي هذا الشهر الميمون وصل إلى حضرة مولانا صاحب السعادة الآغا مصطفى من الأبواب السلطانية، والعتبات العزيرة الخاقانية بتشريفات لمولانا صاحب السعادة [١٨٧] سلطانية وأجوبة خاقانية تتضمن الشكر لصاحب السعادة بما وقع على يديه من الفتوحات العظيمة في إقليم اليمن حماه الله من شوائب المجن، من الأقطار الواسعة والحصون الشامخة والمعازل الزبينة الراسخة.

وهذا الآغا مصطفى هو الذي وجهه مولانا صاحب السعادة مبشراً بفتح حصن دمرمر ووصل أيضاً بشفاعات مولانا صاحب السعادة وبركة عروضة خلع وتشريفات لحي الأمير عز الدين فصيرها مولانا صاحب السعادة، لولده الأمير شمس الدين رعاية لحق والده رحمته تعالى، وأطلع مدفع بعد فتح مدينة ثلا والناصرية إلى مكان بين الناصرة وحصن ثلا، وكان يرمى به على الحصن في الليل والنهار حتى أخرج في بيوته ودوره، وكذلك نصب مدفع آخر في طرف المدينة، وكان يرمى به على من في الحصن في كل وقت.



وكان الحرب على حصن ثلا في أيام الحصار لا يزال في الليل والنهار، وكل من أراد ميم في الحصن أن يقصدوا مكانا من الأماكن التي بها المخاط السلطانية رجعوا عنها منهزمين.

وكان الأمير الناظر مصطفى بن طاهر الدفتردار يأمر بتفقد المتارس والمحاجي، التي فيها عساكر السلطان في الليل والنهار ويشدد على من بها غاية التشديد.

وفي هذا الشهر أيضا قدم إلى حضرة مولانا صاحب السعادة إلى [١٨٨] مدينة صنعاء الفقيه الأ مجد الرئيس عبد الله بن يحيى بن المعافا<sup>(١)</sup>، صاحب السودة<sup>(٢)</sup> بعد تقرير قواعده، والإبقاء له على ولايته ورياسته على أهل بلاده، وهذا الفقيه عبد الله له ولأهله كابر عن كابر رياسة قديمة في بلاد السودة ومن بيت علم كبير ومنصب شهير. وكذلك

(١) عبد الله بن يحيى بن عمرو المعافى: الأمير الشهير، وكان يقال له: (أمير الأمراء) وكان من أعوان الإمام الحسن بن علي بن داؤود في حروبه ضد القوات العثمانية، وعندما أيسر هذا الإمام ونفي إلى تركيا، تحول المعافا إلى صف السلطنة العثمانية، فعمل معها، وكان من أعوان الوالي العثماني حسن باشا والأمير سنان باشا، وقُتل في المعركة التي وقعت في موضع (غارب أنلة) في ربيع الأول سنة ١٠٢٣، بينه وبين الأمير الحسين بن الإمام القاسم. [هجر العلم ومعاقله (٢/٩٨٧)].

(٢) السودة: سودة شطاب.

شَيْخ<sup>(١)</sup> الْأَنْهُوم صَاحِبَ مَذْرَح<sup>(٢)</sup> مِنْ حِصُونِ شَطَبٍ قَدِمَ مُوَاجَهًا إِلَى مَقَامِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ.

وَلَمَّا وَصَلَ الْفَقِيهَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى إِلَى حَضْرَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ عَظَمَ شَأْنَهُ وَأَجَلَّ مَكَانَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةِ هَنِيئَةٍ، ثُمَّ أَمَرَهُ صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَنْ يَحْضُرَ رَهِينَةً، ثُمَّ يَسِيرَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بِلَادِهِ، وَتَقَرَّرَتْ حِينَئِذٍ الْأُمُورُ السُّلْطَانِيَّةُ عَلَى بِلَادِهِ وَجُدِدَتْ لَهُ الْوَلَايَةُ عَلَى بِلَادِ شَطَبٍ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِجَامِكِيَّةٍ سُلْطَانِيَّةٍ.

وَمِنْ أَظْهَرَ سَعَادَاتِ مَوْلَانَا الْبَاشَا حَسَنٍ وَشَوَاهِدِ إِقْبَالِهِ وَانْتِظَامِ حَالِهِ مَا اجْتَمَعَ بِمَقَامِهِ فِي الشَّهْرِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ فِي صَنْعَاءِ الْمَخْرُوسَةِ، مِنْ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَرُؤَسَائِهَا وَمِنْ أَجَلَّةِ أَكَابِرِهَا وَأَعْيَانِهَا، مَا لَمْ يَجْتَمِعَ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، كَالْأَمِيرِ السَّيِّدِ لُطْفِ اللَّهِ بْنِ الْمُطَهَّرِ وَابْنِي عَمِّهِ يَحْيَى بْنِ رِضِيِّ الدِّينِ وَعِزِّ الدِّينِ بْنِ الْحَسَنِ، وَالْأَمِيرِ صَالِحِ بْنِ السَّيِّدِ أَحْمَدِ الْمُؤَيَّدِيِّ، وَعَمِّ وَالِدِهِ السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ وَابْنِ عَمِّهِمْ حُسَيْنِ [١٨٩] بْنِ شَرْفِ الدِّينِ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ مِنْ قَرَابَةِ الْأَمِيرِ لُطْفِ

(١) شَيْخُ الْأَنْهُوم: لَعْلَةُ الشَّيْخِ رَاشِدِ بْنِ عَلَا، الَّذِي ذَكَرَهُ صَاحِبُ سِيرَةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَكُنَّا ذَكَرَهُ صَاحِبُ اللَّالِئِ الْمَضِيئَةِ.

(٢) مَذْرَح: مِنْ جِبَالِ مَدِيرِيَةِ السُّودَةِ فِي شِمَالِ مَدِينَةِ عَمْرَانَ، بِجَوَارِ الطَّرِيقِ النَّاهِيَةِ إِلَى السُّودَةِ، وَهِيَ مِنَ الْجِبَالِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْأَنْثَارِ الْقَدِيمَةِ. [الْبِلْدَانُ وَالْقَبَائِلُ (٢/ ١٤٧٣)].

الله وغير من ذكرنا من قرابات من تقدّم ذكره، والسيد الفاضل محمد بن عبد الله الحوثي<sup>(١)</sup> وزير السيد أحمد بن الحسين وزيره وكاتب رسائله وسره، والسيد الفاضل محمد بن عبد الله بن الإمام شرف الدين صاحب الأشعار البليغة الرائقة، والرسائل الفائقة، السائرة أشعاره ورسائله في بدو وحضر، والمشرقة بلاغته وفصاحته إشراق الشمس والقمر، فهو في هذا الزمن غرة فصحاء فضلاء اليمن.

وكذلك السيد الفاضل العلامة الذكي المتوقّد الفطنة عبد الله بن محمد بن عبد الله السراجي المعروف بالوشلي، والفقيه الأجد عبد الله بن يحيى صاحب السودة وغير من ذكرنا.

وكل من هؤلاء نالته مكارم مؤلّات صاحب السعادة وعمّتهم تطولاته وقضى لهم أغراضهم ومآربهم.

وما أحسن أن نأتي بقصيدة بليغة، رفعت إليّ في مدح مؤلّات صاحب السعادة من الشيخ الماجد الرئيس الحسن بن إدريس بن علي الداعي القرشي، يصف فيها أحوال مؤلّات صاحب السعادة واجتماع الملك على

(١) محمد بن عبد الله بن أحمد الحوثي: عالم محقق في اللغة والمعاني والبيان، حافظاً لأشعار العرب، شاعر، كاتب مترسل. مدح بشعره الوزير حسن باشا، ومدح محمد باشا، كما مدح الإمام القاسم بن محمد وولده أحمد الملقب أبو طالب. توفي بصنعاء في تاريخ غير معروف. [هجر العلم (١/٥١٢)].

طاعته في طاعة سلطانه، وملاذهم بعفوه واستمناحهم لمكارمه وامتنانه،  
وهي هذه:

(من البسيط)

بِالْمَاضِيْنَ سُبَا الْأَسْيَافِ وَالْقَلَمِ وَالْعَامِرِينَ لَمَّا أَثَلْتُ مِنْ شَرَفِ  
[١٩٠] نِلْتُ السَّعَادَةَ مَوْلَاهَا وَصِرْتُ لَيْسَ الْمَكَارِمُ إِلَّا مَا مَلَكَتْ وَمَا  
وَلَا الْمُلُوكُ سِوَى مَنْ رَاحَ مُفْتَخِرًا وَالْمُفْخَرَيْنِ سَدِيدِ الرَّأْيِ وَالْكَرَمِ  
حُسْنِ الطَّوَيَّةِ بَيْنَ الْعَدْلِ فِي الْأَمَمِ تَصُولُ مُقْتَدِرًا فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ  
أَضَحَّتْ لِمَجْدِكَ مِثْلَ النَّعْلِ فِي الْقَدَمِ بَأَنَّهُ لَكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَدَمِ

لعمري إن البيت شاهد بما ذكرها والأمر كما قال: (من البسيط)

بِأَشِ الْأَنَامِ وَمَصْبَاحِ الظَّلَامِ وَمَنْ أَبَا الْحُسَيْنِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ يَا حَسَنَ  
تَقَسَّمَ النَّاسُ أَثْلَانَا مَلَكَتَهُمْ وَتَائِبًا لَا إِذًا بِالْعَفْوِ مِنْكَ فَقَدْ  
وَعَاصِيًا صَارَ مَحْضُورًا عَلَى خَطَرٍ حَتَّى زَلَفْتَ إِلَيْهِ بِالْجِيُوشِ فَلَمْ  
أَتْنِي لَهُ عِصْمَةً مِنْ قُدْرَةِ خَدَمَتِ فَأَنْتَ مَالِكُهُ إِنْ شِئْتَ تُعْتِقُهُ  
أَزْرَى الْعَمَامِ بِوَكَاةِ الْعَطَا الْعَمَمِ لَأَنْتَ مِنْ حَسَنَاتِ اللَّهِ فَاسْتَدِمَ  
شَرْعًا فَعَبْدًا مُطِيعًا فَارَ بِالنِّعَمِ (١) جَعَلْتَ عَفْوَكَ عَنْهُ أَوْفَرَ الْقِيَمِ (٢)  
قَدْ كَانَ يَغْتَرُّهُ الْعَالِي مِنَ الْأَطَمِ يُنْجِيهِ مِنْكَ بِقَرْعِ السَّنِّ لِلنَّدَمِ  
أَيَّامَ مَجْدِكَ كَلَّا لَا تِ مُعْتَصِمِ فَضْلًا وَإِنْ شِئْتَ تُلْقِيهِ مَعَ الرَّمَمِ

(١) «فَعَبْدًا مُطِيعًا»: هكنا في الأصل.

(٢) «وَتَائِبًا»: هكنا في الأصل.



فَأَيُّ قِسْمٍ مِنَ الْأَقْسَامِ يَا أَمَلِي  
فَلْيَهْنَكَ النَّصْرُ وَالْفَتْحُ الْعَظِيمُ وَمَا  
بَرَزْتَ بِالْيَمَنِ وَالتَّوْفِيقِ فِي يَمَنِ  
بُرُوزَ شَمْسِ الضُّحَى فِي إِثْرِ دَاجِيَةِ  
حَتَّى عَمَرْتَ أَقَاصِيَهُ وَأَقْرَبَهُ  
[١٩١] فَكَانَ أَحْصَبَ رُبْعٍ كَانَ قَدْ  
اخْتَصَّنَا بِكَ سُلْطَانُ الزَّمَانِ عَلَى  
خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ قَاطِبِيَّةَ  
نَجْلِ الْخَلَائِفِ مِنْ عُثْمَانَ مَنْ  
دَامَتْ مَعَالِيهِ مَا دَامَ الزَّمَانُ وَمَا  
وَدَامَ نَجْلُكَ مَوْلَانَا الْحُسَيْنِ لِمَا  
لَا زَالَ فِي فُلكِ هَذَا الْمُلْكِ بَدْرٌ عَلَا  
وَدَامَ يَخْدُمُكَ الْمَاضِي وَلَهْدُمَكَ  
سِنَانُ صَعْدَةِ مَجْدِ كَمْ هَوَيْتَ بِهِ  
فَمَا نَبَا حَدُّهُ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ  
حَتَّى أَتَى بِالْأَعَادِي خُضْعًا ذُلًّا  
وَكُلَّ هِمَّةٍ ذِي هَمٍّ وَجُرْأَتُهُ  
وَهَاكَ مِنْ عَبْدِكَ الدَّاعِي مِخْبَرَةً

لَمْ يَعُدْ مِلْكَاً لَوْهَابٍ وَمُنْتَقِمٍ  
أَمَلْتَ مِنْ شَرْفٍ أَوْ حُزَتْ مِنْ عِظَمٍ  
قَدْ كَانَ أَشْفَى عَلَى هَارٍ مِنَ الرَّصَمِ  
تَمْحِي بِنُورِ سَنَاهَا دَاجِيِ الْعُتَمِ  
بِالْعَدْلِ وَالْهِمَّةِ الْقَعَسَاءِ فِي الْهِمَمِ  
آثَارُ عَجَّتِهِ فِي سَالِفِ الْقِدَمِ  
خُبْرٌ وَمَعْرِفَةٌ بِالْفَضْلِ وَالشِّيمِ  
مُرَادُ سُلْطَانِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ  
لِمُلْكِهِمْ قَصْرَاتُ الدَّهْرِ وَالْأَمَمِ  
تَعَاقَبَ الدَّهْرِ بِالْأَنْوَارِ وَالظُّلَمِ  
أَثَلْتَ مِنْ مِفْخَرِ عَالٍ عَلَى الْقِمَمِ  
تَتَرَكُ أَشْعَتُهُ طَرْفَ الْحُسُودِ عَوِي  
الْقَاضِي عَلَى أَنْفُسِ الْعَاصِينَ بِالنِّقَمِ  
إِلَى نُحُورِ الْعِدَا فِي كُلِّ مُضْطَلَمٍ  
وَلَمْ يَمَلَّ وَلَمْ يَسَأَمْ<sup>(١)</sup> وَلَمْ يَنْمِ  
مُسْتَسْلِمِينَ وَجَنَاحِينَ لِلِسَلَمِ  
تَأْثِيرُ سَعْدِكَ لِلْمَخْدُومِ وَالْخَدَمِ  
مَنْظُومَةٌ كَفَرْنِدِ الدَّرِّ مُنْتَظِمِ

(١) يَسَمُ: هكذا في الأصل.



أَتَاكَ يَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ مِّنْ  
نَعَشْتَنِي مِنْ خُمُولٍ كَانَ قَدْ سَيَّمْتُ  
جَهْدَ الْمُقِلِّ فَإِنَّ الشُّكْرَ مِنْ شِيَمِي  
نَفْسِي الْحَيَاةَ لَهُ وَاشْتَقْتُ لِلرَّحِمِ  
طَالَ الزَّمَانُ عَلَى شُكْرِ بَمْلَاءٍ فَمِ  
آثَارُ مَجْدِكَ طَوْقًا غَيْرَ مُنْفَصِمِ  
لَا زَالَ فَضْلُكَ فِي الْأَعْنَاقِ مَا بَقِيَتْ

[١٩٢] وفي هذه السَّنة حَضَرَتِ الْأُمُوالُ السُّلْطَانِيَّةُ الَّتِي عَلَى الْبِلَادِ الَّتِي  
اسْتَفْتَحَهَا مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ فِي إِقْلِيمِ الْيَمَنِ، فَكَانَ مَبْلُغُهَا نَحْوَ سِتِينَ  
أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ غَيْرِ الْحُبُوبِ.

وَفِي شَهْرِ الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنةِ الْمُبَارَكَةِ وَصَلَ إِلَى مَقَامِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ  
نَجَابٌ<sup>(١)</sup> مِنْ عِنْدِ زَوْجَتِهِ أُمِّ وَلَدِهِ الْأَمِيرِ حُسَيْنٍ، بِأَنَّهَا تَقَدَّمَتْ مِنْ مِصْرَ  
إِلَى مَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْحَجِّ، وَأَنَّهَا مُنْتَظِرَةٌ لَوْصُولِ وَلَدِهَا إِلَيْهَا إِلَى  
هُنَالِكَ، وَأَنَّهَا قَدْ اشْتَاقَتْ إِلَيْهِ لَطَوَّلَ عَهْدُهَا بِهِ، فَأَرَجَعَ النَّجَابُ مِنْ وَقْتِهِ  
بَعْدَ أَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَجَابَ عَلَيْهَا أَنَّهَا تَتَقَدَّمُ بَعْدَ الْحَجِّ إِلَى  
مَقَامِهِ إِلَى مَخْرُوسِ صَنْعَاءَ، وَأَمَرَ النَّجَابُ بِالْحَثِّ فِي مَسِيرِهِ حَتَّى يَدْرِكَهَا  
فِي مَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ عَلِيِّ الْخَوَاجَا أَمِيرِ حَاجِّ الْيَمَنِ  
مِنْ قَبْلِهِ أَنْ يَسِيرَ صُحْبَةً رِكَابِهَا بَعْدَ حَجِّهَا وَأَنْ يَقُومَ بِخِدْمَتِهَا حَتَّى يَصِلَ  
إِلَى مَقَامِهِ وَسَيَأْتِي خَبَرُ قَدُومِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) نجاب: ساعي البريد الذي يمتطي الجمال وحيد السَّنام. [تكملة المعاجم العربية  
١٧٠/١٠].

وكان في المَوسِم في هذه السَّنة وفي جميع بلاد الشَّام والحِجاز، على ما بلغ على السَّنة مَن وصل هُنالك غلاء في الأسعار وتناقص في الثَّمار وقلة في الأمطار، وكان مُعظم ذلك بحلب ونواحيها وأنه بلغ ثَمَنُ حَسِيكِ الفَرس هُنالك في اللَّيلة نحو دينار، وهلكَ خلائق كثيرة مِن الفقراءِ والله أعلم.

ورقع أيضاً في بحر الهند في هذه السَّنة تغيّر مِن كثرة الرِّيح وعُظُمها وغرقت [١٩٣] فيه مراكب وهلك مَن كان بها ومراكبٌ أُخر لم يُعرف أين توجَّهت.

وفي هذه السَّنة وقع في إقليم اليَمَن جَمِيعُهُ تأخيراً في حصول المَطَر في أوانه في خريفها على رأي أهل الفِلاحة العَرَبِيَّة في اليَمَن وفصل الخريف عندهم مصير الشَّمْس في السَّرطان وصيفها لم تُمطر اليَمَن فيه إلا في نواحي يسيرة بقدرة الله تعالى وحكمته.

وكان في اليَمَن غلاء الأسعار لكنه لَيْسَ بالغلاء العَظِيم وتأخر حِصاده ثمرة هذه السَّنة في بلاد اليَمَن جميعه تأخراً لم يُعهد مثله فيما أعرف، ولم يحصد أكثر النَّاس أثمارهم إلا في أيام دخول الشَّمْس بُرج الجَدِّي، والعادة في حصول الشَّمْس في العَقرب ونحوه، فكان في هذه السَّنة في اليَمَن جذبٌ عظيم وعُدَم في الماء في أكثر قرى البوادي ومات فيها كثير مِن المَواشي ومع هذا الجَدَب لم يبلغ السَّعر على قدر الجَدَب وتناقص الثَّمار؛ بلغ ثَمَن الزُّبدي بمدينة صنعاء البرِّ بأربعة دنانير.

وفي شهر القعدة من هذه السنة توفي فيها الشريف العلامة الفاضل صاحب الكشف والكرامات، أبو بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن عبد الرّحمن الحُسَيْنِي الحضرمي الشافعي، قدس الله روحه، وأعاد من بركته، بهجرته عَيَّات<sup>(١)</sup> من بلاد حضرموت، وكانت له كرامات ظاهرة وبراهين شاهرة وكان عالماً في علم الحقيقة والطريقة، وله تأليفات في علم الطريقة تدل على اتساع علمه وكان مقصوداً من كل ناحية للتبرُّك به واستمداد الدعاء منه، وكان كثير الإنفاق على الفقراء والمساكين والوافدين، وكانت تأتيه النذور من الهند ومن يمن وشام،

(١) عِينات: بلدة قديمة في وادي حضرموت، وتقع في الشرق من مدينة تريم، اختطها آل كُثير عام ٦٢٩هـ، ثم اختطَّ الشيخ أبو بكر بن سالم مدينة عِينات الجديدة. [هجر العلم ومعاقله (٣/ ١٥٥٧)]. قلت: وقد زرتها، وهي عامرة بالتَّصوُّف يقصدها مريدي التَّصوُّف من كل مكان، وبها مساجد أهلة بحلقات العلم لغير أهل التَّصوُّف.

وَمِمَّنْ قَدِمَ إِلَيْهِ وَوَفَدَ عَلَيْهِ لَزِيَارَتِهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ الْجَنَابَ الْعَالِي الْأَدِيبَ  
الْعَارِفَ الْآغا مُحَمَّدٍ = مَمْلُوكِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ فِي هَذَا التَّارِيخِ  
زَارُهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قَدِمَ فِيهَا إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَكَانَ هَذَا  
الشَّرِيفُ يَتَكَلَّمُ بِأُمُورٍ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَخُدُوثِهَا، فَتَجِيءُ كَمَا قَالَ، فَمِنْ  
تَأْلِيفَاتِهِ فِي عِلْمِ الطَّرِيقَةِ كِتَابُ (فَتْحِ الْمَوَاهِبِ وَبَغِيَةِ مَطْلَبِ الطَّالِبِ)  
وَكِتَابُ (مِعْرَاجِ الْأَرْوَاحِ إِلَى الْمَنْهَجِ الْوَضَّاحِ) وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ التَّأْلِيفَاتِ.

وَفِي أَوَائِلِ الشَّهْرِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ كَتَبَ [١٩٥] الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ إِلَى  
مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَدَامَ اللَّهُ سَمُوهُ وَإِسْعَادَهُ مِنْ أَجْلِ الْمُدْفَعِ الَّذِي  
عِنْدَهُ فِي مَحْرُوسِ كُوكَبَانَ، أَنْ يُوَجِّهَ لَهُ مَنْ يُسِيرُهُ إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ  
عَلَى ثُلَا، فَأَجَابَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ: «إِنَّا لَا نَجِبُ خُرُوجَهُ مِنْ كُوكَبَانَ لِأَنَّهُ  
مِنَ الْقِلَاعِ السُّلْطَانِيَّةِ» وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ يَكْرُرُ الْكُتُبَ إِلَى  
حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِذَلِكَ فَكَتَبَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ إِلَى  
الْأَمِيرِ النَّاطِرِ أَنْ يَرْسِلَ مَنْ يَلْتَقِيهِ وَيَجْرَهُ مِنْ أَهْلِ بِلَادِ ثُلَا، فَوَجَّهَ الْأَمِيرُ  
النَّاطِرَ مَنْ التَّقَاهُ وَجَرَّهُ حَتَّى وَصَلُوا بِهِ عِنْدَهُ وَرَمَى بِهِ عَلَى ثُلَا مِرَاراً  
فَافْتَضَ، فَجَاءَ الْأَمِيرُ النَّاطِرُ الدَّفْتَرْدَارَ وَأَشْرَفَ عَلَيْهِ بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ وَرَأَى  
الصَّبَابَ السَّدِيدَ، وَبَنَى عَلَيْهِ مُحَاجِي وَمَتَارِسَ وَأَحْضَرَ الصُّنَاعَ لَهُ فَأَصْلَحَهُ  
وَعَمَّرَهُ فِي الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ، ثُمَّ رَمَى بِهِ فَعَمِلَ مِنَ الْهَدْمِ  
وَالْفَتْحِ عَلَى الْعَدُوِّ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ وَأَعْظَمَ، وَلَقَدْ كَانَ يَرْمِي بِهِ عَلَيْهِمْ  
فَيَرْتَجِفُونَ مِنْهُ أَعْظَمَ رَجْفَةٍ.



وفي هذا الشهر المُقَدَّم ذكره وقع خسوف قَمَرِي بقدرة الله تعالى وحكمته في بُرج الثَّور انخسف القمر جميعه، وطال مُكثه في اللَّيلة الخامسة عشر منه وكان المُلتقى له حال خروجه من الخسوف المَرِيخ من الأسد والمُشْتَرِي يومئذ في الثَّور.

وأما ما كان من عَسْكَر الأمير شمس الدِّين الذين توجَّهوا [١٩٦] بأمر مَوْلَانَا صاحب السَّعادة إلى بلاد مَسُور فتقدَّموا أولاً إلى أطرافها وكانوا فريقين كل فريق منهم مع نقيب من عبيده، فاستولوا<sup>(١)</sup> عليها ووقعت هُنَالِكَ حروبٌ ومراكزة مُدَّة أيام بين عَسْكَر علي يَحْيَى وبينهم، وكان رئيس عَسْكَر علي يَحْيَى ولد أخيه محمَّد بن الهادي فكانت الدَّائرة على عَسْكَر علي يَحْيَى فولوا مُنْهَزَمِينَ إلى مَسُور، وعِنْدَ ذَلِكَ وقع الحِصَار على السَّيِّد علي يَحْيَى في مَسُور ومن معه ولم يبق تحت يده إلا قرى يسيرة في حَازة مَسُور فيما بين الرُّعَيْل وهَدَاد<sup>(٢)</sup>.

وفي حال دخول عَسْكَر الأمير شمس الدِّين إلى بلاد مَسُور وفتحها ودخول أهلها في الطَّاعة السُّلْطَانِيَّة، وجَّه مَوْلَانَا صاحب السَّعادة الآغا

(١) «فاستولوا»: هكنا في الأصل.

(٢) هَدَاد: جبل من مركز النُّفَيْش في جنوب مدينة حَجَّة، وفيه من الحصون (القِنَان) و (الجَمِيمَة) و (مَيْفَعَان) وهي حصون يقابلها من الجهة الشَّرْقِيَّة الجنوبيَّة جبل مَسُور المُتَاب. [البلدان والقبائل (٢/١٨٠٦)].



صَاحِبُ بَنِ سَالِمٍ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ مَدَدًا لِعَسْكَرِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ عُدَاقَه<sup>(١)</sup> مِنْ أَعْمَالِ حِصْنِ مَسُورٍ، وَكَانَ رَئِيسُ عَسْكَرِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ الَّذِينَ بِبَيْتِ عُدَاقَه النَّقِيبُ يَاقُوتُ نَقَرَزَانَ، فَخَيَّمُوا هُنَالِكَ، وَأَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ الْأَمِيرَ كِيَوَانَ وَالِي بِلَادِ مَحْرُوسٍ مُدْعٍ وَتَوَابِعَهَا أَنْ يَتَوَجَّهَ بِمَنْ عِنْدَهُ مِنَ عَسَاكِرِ السُّلْطَانَةِ إِلَى بَيْتِ عُلْمَانَ مِمَّا يُطِلُّ عَلَى مَسُورٍ وَأَنْ يَخَيِّمَ بِهِ وَأَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّذِينَ بِبَيْتِ عُدَاقَه إِذَا أَهَمَّهُمْ أَمْرٌ غَارَ إِلَيْهِمْ، فَسَارَ [١٩٧] الْأَمِيرُ كِيَوَانَ إِلَى هُنَالِكَ وَاشْتَدَّ الْحِصَارُ عَلَى عَلِيِّ يَحْيَى يَوْمَئِذٍ وَضَعِفَ عَنْ مُحَارَبَةِ عَسَاكِرِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ وَخَلَا عَنِ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ، وَقَلَّ مَوْجُودُهُ وَنَفِدَتْ خَزَائِنُهُ وَأَمْوَالُهُ، وَلَمْ يَتِمَكَّنْ بَعْدُ مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنْ عَسْكَرِهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَمَا بَقِيَ لَهُ إِلَّا مَا صَرَفَهُ مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِ وَجَوَارِيهِ<sup>(٢)</sup> وَمِنْ سِلَاحِهِ وَأَصْفَارَاتِهِ<sup>(٣)</sup> وَآلَاتِهِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ وَزِيرُهُ السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ الْفَاضِلُ الْأَمَجْدُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِهِ بِدُخُولِهِ فِي الطَّاعَةِ

(١) عُدَاقَه: قرية في جبل مَسُورٍ، ذات غيول ومنايع مياه غزيرة، وأكثر مزروعاتها البُن، ولها طريقان أحدهما من مدينة ثُلا، والأخرى من جبل الأشْمُور. [البلدان والقبائل (٢/ ١٠٣٢)]. ضبطها المؤلف (عُدَاقَه) بضم أوله، وقد أثبتنا في الأصل ضبط المؤلف.

(٢) «جواريه»: هكذا في الأصل.

(٣) أصفاراته: آنية النحاس.

السُّلْطَانِيَّةَ وَأَنْ يُسَلِّمَ حَصْنَ ثُلَا لِلْسُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ حَسْبَمَا قَدْ وَرَدَ مِنَ  
 الْأُمَرَاءِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ؛ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَخْذِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ الْأَصْلَحَ لَشَأْنِهِ  
 وَأَنْظَمَ لِأَمْرِهِ وَأَسْلَمَ لِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ يَنَالُ بِدُخُولِهِ تَحْتَ الْأُمَرَاءِ الشَّرِيفَةِ  
 السُّلْطَانِيَّةِ مِنْ إِنْعَامَاتِ مُؤَلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مَا يُؤَمِّلُهُ مِنَ التَّشْرِيفَاتِ  
 وَالْخَيْرَاتِ وَشُمُولِ السَّعَادَاتِ، وَيَبْقَى لَهُ حَصْنٌ مَسُورٌ وَبِلَادُهُ وَالْحُصُونُ  
 الْبَاقِيَّةُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلَمْ يُسَاعِدْ إِلَى كَلَامِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ وَلَا إِلَى كَلَامِ  
 غَيْرِهِ وَذَلِكَ مِنْ سُوءِ تَدْبِيرِهِ لِيَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا {وَكَانَ أَمْرُ  
 اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [سورة الأحزاب: ٣٨].

الْحَادِي عَشْرَ



## [الجزء الحادي عشر]

وفي تلك الأيام كاتب السيد يحيى إلى الإمام الحسن صاحب الأهنوم، يطلب منه النصر له والمُعاضدة ويكون من أتباعه ومن القائلين بإمامته والمتابعين [١٩٨] لجمعه وجماعته، ويسلم له ما بقي في يده من حصونه إلا ثلثا وحضوراً<sup>(١)</sup>، فاشترط بقاءهما<sup>(٢)</sup> لنفسه فساعدته الإمام الحسن إلى ذلك وانعقدت بينه وبينه عهود وعقود بذلك، وهو عارف أنه لا يقدر على نصرته ولا يطيق أن يدفع عنه مضرته، ومُراد الإمام الحسن بذلك أن تبعد عنه الحروب والفتن وتكون نازحة عن مكانه وبلاذه وأن ذلك مما يمنع العساكر السلطانية من التوجه عليه وأن ذلك من سديد تدبيره وتوفيق أنظاره، فكان عاقبة ما تقرر بينه وبين علي يحيى من المحالفة والمُعاضدة نكبة علي يحيى من مسور المُنْتَاب<sup>(٣)</sup> وخروجه عن مملكته وسياتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) «حضور»: هكذا في الأصل.

(٢) «بقاؤهما»: هكذا في الأصل.

(٣) بنو المُنْتَاب: من شعوب حمير، يُنسبون إلى المُنْتَاب بن عمرو بن زيد بن علاف بن ذي أئين، وتقع منازلهم في جبل مسور، ولذلك نُسب إليهم الجبل فيقال: (مسور المُنْتَاب) وسكنوا كذلك بلاد جماعة من صعدة وجبل الأهنوم. وقد كان لآل المُنْتَاب الإمارة على بلاد مسور، وجدُّهم

ولمّا انتهى إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الرَّاقِعَةِ الَّتِي  
حَكَيْنَاهَا عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُؤَيَّدِيِّ وَعَلِيِّ يَحْيَى بْنِ الْمُطَهَّرِ، وَلَهُ  
أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى جَوَاسِيسَ وَعَيُونَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَأْتِيهِ بِالْأَخْبَارِ مِنْ كُلِّ قَطْرٍ  
مِنْ مُوَالِيهِ وَمُعَادِيهِ، وَهُوَ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَكْثَرَ النَّاسِ تَقْطُطًا وَتَنْبَهًا فِي جَمِيعِ  
أُمُورِهِ لَا يُغْفَلُ وَقْتًا عَنْ نَظْمِ الْأُمُورِ وَصَلَاحِ حَالِ الْجُمْهُورِ، وَسَدِّ الثُّغُورِ،  
وَتَدْبِيرِ الْحُرُوبِ، كَثِيرِ الْهِمَّةِ قَلِيلِ الْغَفْلَةِ، مُسَهِّلٌ <sup>(١)</sup> حَجَابِهِ، مُلِينٌ <sup>(٢)</sup>  
لِجَنَابِهِ، وَجَّهَ الْأَمِيرِ سِنَانًا <sup>(٣)</sup> إِلَى مَخْرُوسَةِ صَعْدَةِ وَأَمْرَهُ مَتَى وَصَلَ إِلَى  
هُنَالِكَ أَنْ يَجْمَعَ مَنْ فِي مَخْرُوسَةِ صَعْدَةِ مِنْ [١٩٩] الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ  
وَيُحْصِلَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِسَفَرِهِمْ وَيَتَقَدَّمَ بِهِمْ عَلَى الْأَهْنُومِ وَيُحَارِبَ الْإِمَامَ  
الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْمُؤَيَّدِيِّ وَأَتْبَاعَهُ حَتَّى يَسْتُولِيَ عَلَى جَمِيعِ بِلَادِهِ، وَأَمَرَ  
الْأَمِيرَ لُطْفَ اللَّهِ بْنِ الْمُطَهَّرِ بِالْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الشَّرَفِ وَهِيَ مُتَاخِمَةٌ  
لِلْأَهْنُومِ وَأَنْ يَتَأَهَّبَ هُنَالِكَ وَيَجْمَعَ أَصْحَابَهُ وَأَعْيَانَ مَنْ هُنَالِكَ مِنْ أَتْبَاعِهِ  
وَمَتَى صَارَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي بِلَادِ الْإِمَامِ

عبد الحميد بن محمد بن الحجاج المَسُورِي هو صاحب الوقائع والآيام في القرن الرابع الهجري،  
وهو من قُضَى عَلَى الْقَرَامِطَةِ بِمَسُورٍ وَنَوَاحِيهَا وَأَجْلَاهُمْ عَنْهَا، وَاتَّسَعَتْ وَلَايَتُهُ وَعَلَا صِيَّتُهُ. قَالَ  
الْأَكُوْعُ: «وَلَا يَخْلُو عَصْرٌ إِلَّا وَمِنْهُمْ رَئِيسٌ وَعَالِمٌ وَأَدِيبٌ». [البلدان والقبائل (١٦٤٩/٢)].

(١) «مسهلاً»: هكنا في الأصل.

(٢) «مليناً»: هكنا في الأصل.

(٣) «سناناً»: هكنا في الأصل.



الحسن بن علي التي تحت جبل الأهنوم، وصل إليه واجتمع به وكانا جميعاً متعاضدين في حرب الإمام الحسن بن علي وقبائل الأهنوم، فسارا جميعاً من مخروسة صنعاء في يوم واحد، كل منهما إلى حيث أمره مولانا صاحب السعادة، وقد قدمنا ذكر قُذُوم الأمير لطف الله إلى حضرة مولانا صاحب السعادة وما ناله من الإنعامات والمكازم والتطولات التي عرفها الخاص والعام، وسار ذكرها بين الأنام.

وأما ما كان من الإمام الحسن بن علي صاحب الأهنوم بعد إسعافه للسيد علي يخى بموالاته ومناصرته وجه إلى علي يخى برجل شريف من أتباعه، من بلاد ظليمه حتى قدموا مسور وليس معهم عدد ولا عدد حجه<sup>(١)</sup> يقال له: أمير الدين<sup>(٢)</sup> في جماعة قليلة فسار أمير الدين بمن معه ليلاً من بلاد ظليمه حتى قدموا مسور وليس معهم عدد ولا عدد، ولما وصلوا مسور أخذوا البيعة على علي يخى وعلى كافة ولاية مسور [٢٠٠] وتفرقوا في جبل مسور وحصونه.

وجه الإمام الحسن بن علي برسائل سراً إلى بلاد مسور وما يقاربها من بلاد حجة يدعو أهلها إلى طاعته والقول بإمامته، وأن يناصروا أتباعه

(١) في بعض لسان أهل اليمن المعاصرين، يقال إذا كان العدد أو الشيء كثيراً بما يكفي أنه: (حجه) وهنا يريد المؤلف أن يقول: ليس هناك عدد ولا عدد كافية للحرب.

(٢) «أمين»: هكذا في الأصل.

ويكونوا من جُمْلَةِ أَحْزَابِهِ، وَيُحَارِبُوا الْعَسَاكِرَ السُّلْطَانِيَّةَ وَحَرَضَهُمْ غَايَةَ التَّحْرِيزِ فَلَمْ يُجِبْهُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ قَبَائِلِ تِلْكَ الْجِهَاتِ إِلَى مَقْصِدِهِ وَمَطْلَبِهِ، بَلْ تَبَرَّأُوا عَنْ مُوَالَاتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ، وَبَقُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ خَلَدَ اللَّهُ مُلْكَهُ.

وَحِينَ لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ وَغَيْرِهِمْ مَا طَلَبَهُ مِنْهُمْ الْإِمَامُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُؤَيَّدِي، نَدِمَ عَلَيَّ يَحْيَى عَلَى مَا جَرَى مِنْ مُوَالَاتِهِ لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَتَسْلِيمِ حُصُونِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ، وَلَمْ تَفْسُهُ عَلَى مُبَايَعَتِهِ حَيْثُ لَا تُجْدِي النَّدَامَةُ وَبَقِيَ يُرَاسِلُهُ فِي الْإِمْدَادِ لَهُ بِالرِّجَالِ وَالْأَمْوَالِ، فَلَمْ يُؤَمِدْهُ بِشَيْءٍ إِلَّا أَمَانِي مِنْهُ وَعِدَاتٍ.

وَالسَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى بَعْدَ مُبَايَعَتِهِ لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ وَتَسْلِيمِ حُصُونِهِ لَهُ طَلَبَ مِنْ ابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَادِي أَنْ يُعَاهِدَ وَيُبَايِعَ مِثْلَهُ لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ كَرَاهِيَةً لِمُتَابَعَةِ الْإِمَامِ الْمَذْكُورِ، فَسَكَتَ عَنْهُ عَمَّهُ وَلَمْ يُطَالِبْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ عَمِلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَادِي عَلَى الْمَيْلِ إِلَى جَانِبِ السُّلْطَانَةِ الْخَاقَانِيَّةِ فَكَاتَبَ سِرّاً إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَدَامَ اللَّهُ سُمُوهُ وَحَرَسَ عُلوَّهُ عَلَى نَظَرِ الْآغا صَلاَحِ بْنِ سَالِمٍ أَنَّهُ يُرِيدُ الدُّخُولَ [٢٠١] فِي الطَّاعَةِ وَأَنَّهُ مُبَايِنٌ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْإِمَامِ وَعَمَّهُ عَلِيٍّ يَحْيَى، فَأَجَابَ

عليه<sup>(١)</sup> [مولانا صاحب السعادة] يَشْكُرُهُ عَلَى فِعْلِهِ وَعَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ مِنْ مُبَايَنَةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَمِّهِ وَكَانَ يُوجِّهُ إِلَيْهِ بِصَلَاةٍ خَفِيَّةٍ وَوَعْدَهُ إِنْ فَعَلَ مَا كَتَبَ إِلَيْهِ وَصَدَّقَ فِيهِ أَنْ يُنِيلَهُ الْخَيْرَاتُ وَيُرْقِيَهُ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ مَتَى آوَى إِلَى جَانِبِ السُّلْطَنَةِ السَّعِيدَةِ.

وَقَدْ كَانَ وَقَعَ بَيْنَ مُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي وَعَمِّهِ مُنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ وَحَدِيثَةٍ ضَعُفٌ وَمُوَاحِشَةٍ، لِأُمُورٍ حَدَّثَتْ مِنْ مُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي، انْتَهَتْ إِلَى عَمِّهِ عَلِيٍّ يَحْيَى، أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَرَادَ التَّغْلُبَ عَلَى مَسُورٍ حِينَ كَانَ فِيهِ وَكَانَ الْمَوْجِبَ لِمَسِيرِ عَلِيٍّ يَحْيَى إِلَى مَسُورٍ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَالْبَقَاءَ فِيهِ إِلَى الْآنَ، فَكَانَ فِي نَفْسِ مُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَمِّهِ وَأَيْضًا سُعْيٌ بَيْنَهُمَا مِنْ أَصْحَابِهِمَا، بِمَا وَقَعَتْ بِسَبَبِهِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُمَا، وَقِيلَ إِنَّ: مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ أَرَادَ قَتْلَ عَمِّهِ غَيْرَ مَا مَرَّةً بَعْدَ مُبَايَعَتِهِ لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ فَلَمْ يَتَيَسَّرَ لَهُ خُلُوءٌ فِي قَتْلِهِ «وَالْغَمْرُ لَمْ يَبْلُغْ أَجْلَهُ» فَلَمَّا تَكَرَّرَتِ الْمُكَاتَبَةُ بَيْنَ مُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي وَبَيْنَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَجَاءَتْ أَجُوبَتُهُ الْكَرِيمَةُ عَلَيْهِ بِمَا تَطَيَّبَ بِهِ نَفْسَهُ وَيَقْرِ بِهِ خَاطِرَهُ وَيَنْشِرِحَ بِهِ صَدْرَهُ عَمَلٌ حِينَئِذٍ عَلَى اسْتِمَالَةِ جَمَاعَةٍ مِنْ بِلَادِ مَسُورٍ مِنْ أَهْلِ سَهْلِهِ وَجَبَلِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عَسْكَرِ عَمِّهِ وَاسْتَخْلَفَهُمْ لَهُ [٢٠٢] فَلَمَّا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ قَدْ حَالَفَهُ وَاسْتِمَالَهُ

(١) علي يحيى: في الأصل، وهذا سهر من الناسخ، والصواب ما أثبتناه بين معكوفتين ليستقيم المعنى.

على القيام معه وعدّ الآغا صلاح بن سالم إلى مكان فوق مخيمه مما يُشرف على بيت عذّاقه يُقال له: (شريمة) وأنه إذا أرسل إليه وطلب منه عينه وجهها إليه، فأجاب عليه الآغا صلاح بن سالم بإنفاذ ما طلبه متى وصل نادية.

ولما كان نهار الخميس سابع شهر الحجة الحرام من هذه السنة المُقدّم ذكرها سار محمد بن الهادي إلى شريمة، التي يُريد الخلاف فيها على عمّه واستدعى بالعساكر السلطانية إليها وأظهر لعمّه حال مسيره من عنده من الرغيل أنه يُريد أن يغزو قرية، من التي قد صارت تحت يد الدولة السلطانية السعيدة الخاقانية، فلما صار في هذا الموضع الذي ذكرناه سابقاً أرسل إلى الآغا صلاح بن سالم أن يوجّه إليه بعينه من عساكر السلطنة الذين عنده فوجّه بها الآغا صلاح بن سالم من ساعته، فلما صارت عنده أظهر الخلاف على الإمام الحسن بن علي وعمّه وأنه قد صار من أتباع الدولة السعيدة السلطانية، فلما تقدّمت العينة إلى محمد بن الهادي وصارت عنده لحق في أثرها الآغا صلاح بن سالم والنقيب ياقوت عبد الأمير شمس الدين بمن عندهما من العساكر السلطانية فاجتمعوا بمحمد بن الهادي في ذلك اليوم في المكان الذي أظهر فيه الطاعة لمولانا السلطان [٢٠٣] ثم أغار عليهم الأمير كيوان بمن عنده في بيت علّمان واجتمع بهم في آخر ذلك اليوم.



وَبَلَغَ عَلِيٌّ يَحْيَى خَبَرَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ وَهُوَ فِي الرُّغَيْلِ فِي حَازَةِ مَسُورٍ فَأَغَارَ مِنْ سَاعَتِهِ فَيَمَنْ اجْتَمَعَ لَدَيْهِ مِنْ عَسَاكِرِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى الَّتِي كَانَتْ يَوْمَئِذٍ تَحْتَ يَدِهِ، وَطَلَعَ بِهِمْ مَسُورٌ مِنْ طَرِيقِ الرُّغَيْلِ .  
وَمَسُورٌ جَبَلٌ وَسِيعٌ وَحَصْنٌ رَفِيعٌ وَفِي رَأْسِهِ حُصُونٌ وَقُرَى وَغُيُولٌ وَمُزْدَرَعَاتٌ وَلَهُ أَبْوَابٌ عَلَى حُصُونِهِ، وَقُرَاهُ وَمُزْدَرَعَاتُهُ تُغْلَقُ، وَلَهُ طُرُقَاتٌ -رَجُلٍ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهِ- وَعِرةُ الْمَسْلُوكِ.

فَلَمَّا صَارَ عَلِيٌّ يَحْيَى بَيْنَ الْمِضْمَارِ<sup>(١)</sup> وَبَيْتِ فَايشِ<sup>(٢)</sup> بِمَنْ مَعَهُ، جَاءَ وَقَدْ تَمَكَّنَتْ عَسَاكِرُ السَّلْطَنَةِ مِنْ حِفْظِ مَكَانِهِمُ الَّذِي قَدْ صَارُوا فِيهِ، وَهُوَ أَصْلُ مَسُورٍ، فَسَقَطَ فِي يَدِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثُمَّ طَلَبَ مِنْ مَعَهُ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى عَسَاكِرِ السَّلْطَنَةِ وَأَنْ يُحَرِّبُوهُمْ مَعَهُ، فَلَمَّا يُسَاعِدُهُ أَحَدٌ إِلَى ذَلِكَ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ حِينَئِذٍ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَأَخْرَجَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ وَسَرَارِيهِ وَجَوَارِيهِ<sup>(٣)</sup> وَأَوْلَادِهِ مِنْ حَصْنِ الْمِضْمَارِ وَبَيْتِ فَايشِ، وَحَمَلَ مَعَهُ مَا خَفَّ وَنَزَلَ بِهِمْ فِي لَيْلَتِهِ إِلَى الرُّغَيْلِ، وَبَقِيَ حِينَئِذٍ حَائِرًا بِنَفْسِهِ مَا يَدْرِي مَا يَفْعَلُ فِي أَمْرِهِ.

(١) الْمِضْمَارُ: قَالَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ: «مِنْ حُصُونِ الْيَمَنِ لِحَمِيرٍ، عَلَى مِيلٍ وَنِصْفٍ مِنْ صَنْعَاءَ، حَيْثُ تَجْرِي الْخَيْلُ، وَذَكَرَ فِي حَدِيثِ الْعَنْسِيِّ». انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ يَاقُوت. [بُلْدَانُ الْيَمَنِ (٤) / ٧١٠].

(٢) بَيْتُ فَايشِ: قَرْيَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ مَسُورِ الْمُتَنَابِ. [بُلْدَانُ الْيَمَنِ (٤) / ٦٣١].

(٣) «جَوَارِهِ»: فِي الْأَصْلِ.



فلما كانت الليلة الثانية، عمل على المسير إلى ظفير حجة، بأهله وأولاده لأنه ليس له مكان يأوي إليه غيره.

والظفير مما [٢٠٤] يُقارب مسور، وهو جبل رفيع وحسن منيع، وأهل الظفير أصهاره وخوالة والده وهجرة جده الإمام المهدي أحمد بن يحيى مُصنّف كتاب (الأزهار) وكتاب (البحر الرّخار الجامع لعلم علماء الأمصار) وله مُصنّفات كثيرة ما يُقارب مائة مُصنّف وعلى فقهه ومُصنّفاتِه اعتمادُ الزّيدية في هذا الأوان، وللإمام شرف الدين جد عليّ يحيى فيه أموال وبيوت، وكذلك لحي والده وعمومته.

وقد كان عليّ يحيى منذ تولى بعد أبيه اتباع فيه مُزدراءات، وكان يظهرُ منه أن دولته وأهله لا تطول مُدتها، فسار إلى ظفير حجة في جماعة يسيرة، نحو خمسة عشر رجلاً على ما قيل، والله أعلم.

وفيما بلغني عن بعض أصحابه الذين مالوا عنه حين سار إلى جانب الدولة الخاقانية، أنه استدعى جماعة من أعيان أصحابه، وممن كان ينالهم إحسانه، أن يسيروا معه إلى الظفير أو إلى بعض الطريق، فتابوا عن ذلك، وقد كان كرهه في تلك الأيام عسكره لما لحقهم معه من الفقر والفاقة وعدم ما ينالهم منه، وهرب منه حال مسيره إلى الظفير سائس دوابه، وجاءت طريقه في أماكن وعرة المسلك لا يظن أحد أنه يسلكها وذلك خوفاً على نفسه إن هو سلك غيرها.

وأما حرّمه وأولاده وسراريه وجواريه، فساروا في طريق أخرى يمشون على أرجلهم [٢٠٥] وليس يجدون ما يركبون عليه ولا حمولة يحملون عليها كسأهم وفراشهم، ولا حملوا معهم إلا ما عليهم من كسوتهم وحليهم، وقيل إنه انتهب بعد مسيرهم من الخزائن والآلات شيئاً كثيراً وغير ذلك من الفرش والسلاح، ولم يسر مع حرّمه وأولاده ومن معهم من الجواري في مسيرهم إلى الظفير إلا أنفاً يسيرة من قبائل مسور، وتحسبوا فيهم<sup>(١)</sup> وبلغ معهم من التعب والعطش والجوع والخوف والترويع ما كانت أرواحهم وأنفسهم تذهب منه، فنعوذ بالله من نوائب الزمان وشوائبه ونسأله الجمالة والسلامة إنه ولي كل خير ونعمة.

وتلقاهم بنو مهند<sup>(٢)</sup> إلى أطراف بلادهم فمنعواهم عن المسير أولاً وروعوهم فساروا راجعين إلى هدا، ثم أذنوا لهم في المسير، فلما قاربوا الظفير تلقاهم أهله إلى أطراف بلادهم وأدخلوهم بيوت أهلهم التي هنالك، والسيد علي يحيى تقدّم وصوله قبلهم.

(١) وتحسبوا فيهم: فعلوا المعروف فيهم.

(٢) بنو مهند: من نواحي الأهنوم، ونسبهم ينتهي إلى القبل قدم بن قاذم الهمداني، وقد وفقت على مخطوط في الأنساب يحكي نسبهم وأخبارهم، وقد أعدته للنشر بفضل الله.

ولَمَّا استولتِ العساكر السلطانية على حصن مسور وسارت العشائر بأخذه وفتحه إلى حضرة صاحب السعادة، أظهر الفرح والسرور وحمد الله سبحانه وتعالى.

وفي ابتداء توجيه الأمير السامي الناظر مصطفى بن طاهر فيمن معه من العساكر السلطانية، على مخروس ثلاء، أمر مولانا [٢٠٦] صاحب السعادة الأمير شمس الدين كما تقدم ذكره أن يحرب علي يحيى، وأن يحاصره في مسور، ويوجه لذلك عسكره، فامتثل أوامره الشريفة وجعل له حينئذ مراسيم كريمة، وبلاده متى فتحت؛ وذلك لما رأى من قيامه في الخدم السلطانية بجهده وجدّه وبذله لطائفه وتلاذه في موالاته ونصرته لجانب الدولة السعيدة الخاقانية، مثل ما كان عليه والدّه وزیادته، وقد عُرف من حال مولانا صاحب السعادة الإنعام بالأیادي الجسام، والتطولات الزليفة العظام، على من صح موالاته للدولة السلطانية وثبت على قدم طاعتها.

ولَمَّا خرَجَ السید علي يحيى عن مسور هارباً إلى ظفیر حجة على الحالة التي تقدم ذكرها وبيان شرحها، ولم يبق في مسور غير محمد بن الهادي والآغا صلاح بن سالم، والأمير كيوان، وياقوت نقرزان عبد الأمير شمس الدين، ومن معهم من العساكر السلطانية، كتب الأمير شمس الدين إلى مولانا صاحب السعادة، يستأذنه في شأن مسور، فأمره، فأجاب عليه أنه يريد توجيهه عليه بطائفة من أصحابه لولايته وحفظه،

وكتب مراسيم شريفة إلى محمد بن الهادي، والأمير كيوان وصالح بن سالم، أن يخرجوا بمن معهم عن مسور ويتركوا عسكر الأمير شمس الدين فيه.

فأما الأمير كيوان فسار إلى بلاد ولايته، والآغا صالح بن سالم بقي عند محمد [٢٠٧] بن الهادي، ومحمد بن الهادي تلكاً عن الخروج، وأراد أن يكون مسور له، فلم يسعه مؤلانا صاحب السعادة به، بل أمره بالمسير إلى مقامه ضحبة الآغا صالح بن سالم وكرّر عليه المراسلة، وقيل إن محمد بن الهادي حين أمره مؤلانا صاحب السعادة بالخروج عن مسور عظم عليه ذلك فأراد الغدر بعسكر السلطنة ويتغلب على مسور، فلم يتأتى له ما أراده، من تفاوت من قد خالفه من قبائل مسور وأصحاب عمه، فلما لم يتم له مراده خرج عن مسور وهو غير راض مع الآغا صالح بن سالم وسيأتي خبر قدوميهما في هذا التاريخ إن شاء الله تعالى إلى مقام مؤلانا صاحب السعادة.

وقد كان مؤلانا صاحب السعادة أدام الله سؤوه قبل واقعة محمد بن الهادي بأيام يسيرة، عمل على المسير إلى بيت عذاه لطيفة تلك النواحي والجهات، ثم الطيافة بعد ذلك إلى المخيم المنصور الذي على حصن محروس ثلاً وافتقاد أموره، فانتهى إلى الأمير شمس الدين أحمد بن محمد خبر ذلك، فكتب إلى مؤلانا صاحب السعادة أنه يحب التشرف بقدومه الميمون إلى محروس كوكبان، فكرّر المراسلة والمكاتبة إلى



حَضَرَتِ الكَرِيمَةُ فِي الإسْعَافِ لَهُ بِذَلِكَ، وَثُرَادُ الأَمِيرِ شَمْسُ الدِّينِ يُعْرِفُ  
الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ وَالْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ صِدْقَ مَحَبَّتِهِ وَخَالِصَ مَوَدَّتِهِ وَصَحِيحَ  
مُؤَالَاتِهِ لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَأَنْ قَلَعَتْهُ مِنْ جُمْلَةِ الْقِلَاعِ [٢٠٨]  
السُّلْطَانِيَّةِ مِنَ المَمَالِكِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ.

وَالْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ لَمَّا رَأَى مِنْ شَفَقَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ عَلَيْهِ، وَمَا صَارَ  
يُصِلُ إِلَيْهِ مِنْ تَطَوُّلاتِهِ وَعَمِيمِ مَكَارِمِهِ وَمَا نَالَهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ بِبَرَكَةِ يُؤْمِنُ  
مُؤَالَاتِهِ أَحَبَّ هَذَا الأَمْرَ وَطَالَبَ بِهِ، فَسَاعَدَهُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ  
بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ وَالاجْتِمَاعِ بِهِ وَأَضْرَبَ عَنِ الْمَسِيرِ إِلَى بَيْتِ عِذَاقِهِ، وَأَمَرَ أَنْ  
تُنْصَبَ خِيَامٌ فِي الْمَائِدَةِ تَحْتَ نَاصِرَةِ مَحْرُوسٍ ثَلَاثًا، وَلِكَافَةِ أَصْحَابِهِ  
وغيرِهِمْ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ وَبِتَأْهِيبِ سَمَاطِ هُنَالِكَ لَوْصُولِهِ الْمَيِّمُونَ.  
وَالْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ لَمَّا أَسْعَفَ لَهُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِالْوُصُولِ  
إِلَى مَحْرُوسٍ كَوُكْبَانٍ تَأَهَّبَ فِي عَمَلِ الضِّيَافَةِ حَالِ قُدُومِهِ وَأَظْهَرَ الْفَرَحَ  
وَالشُّرُورَ بِذَلِكَ، وَأَنْ قُدُومَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْظَمِ الْكَرَامَاتِ وَأَجَلِّ التَّشْرِيعَاتِ،  
وَمِمَّا يُفْتَخَرُ بِهِ فِي زَمَانِهِ عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَمْثَالِهِ.



## اتفاقية سعيّة

وفي اليوم الذي فُتِحَ فيه مَسُور قَدِمَ إلى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ  
 الْجَنَابِ السَّامِيِّ حُسَيْنٍ يازَجِي الدِّيوانِ السَّعِيدِ مِنَ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ  
 الْخَاقَانِيَّةِ، وَالْعَتَبَاتِ الْمُنِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ - شَيْدَ اللَّهِ مَعَالِمَهَا وَأَبَدَ عَمْرَانَهَا -  
 بِجَوَابَاتِ كَرِيمَةِ سُلْطَانِيَّةِ، وَخِلَعِ شَرِيفَةِ خَاقَانِيَّةِ، مِنْ مَوْلَانَا سُلْطَانِ  
 الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مَلِكِ الْخَافِقِينَ، مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ مُرَادِ بْنِ  
 سَلِيمٍ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ وَجَعَلَ الْأَرْضَ بِأَسْرِهَا مِلْكَهُ - وَالْمَعْنَى الْمُتَضَمَّنُ  
 لِهَذِهِ الْجَوَابَاتِ [٢٠٩] الْكَرِيمَةِ الشُّكْرَ لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ لِمَا وَقَعَ  
 عَلَى يَدَيْهِ وَبِعَنَائَتِهِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْأَفْطَارِ الْوَاسِعَةِ وَالْحُصُونِ  
 الشَّامِخَةِ الرَّاسِخَةِ الْمَنِيعَةِ فِي إِقْلِيمِ الْيَمَنِ، الَّتِي لَمْ يَكُنْ فَتَحَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنْ  
 بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِ وَالْحَمْدُ لِأَحْوَالِهِ، فَقَابَلَهَا  
 مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ، وَالتَّفْخِيمِ وَالْإِكْرَامِ، وَقَامَ لَهَا  
 قَائِمًا وَقَبَلَهَا وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ وَلَبَسَ التَّشْرِيفَاتِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَنَامِ،  
 بِمَجْمَعٍ فِيهِ الْخَاصُ وَالْعَامُ، وَدَعَا لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ بِالْجِرَاسَةِ وَالْحِمَايَةِ

مِنْ غَيْرِ<sup>(١)</sup> الْآيَامِ، وَتَخْلِيدَ مَمْلَكَتِهِ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ، وَأَظْهَرَ الْفَرْحَ  
وَالْمَسْرَّةَ.

وَوَصَلَ حُسَيْنُ يَزْجِي الدِّيَّانَ، بِعِنَايَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَشِفَاعَةِ  
عُرُوضِهِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْعَتَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، خِلْعَةً شَرِيفَةً سُلْطَانِيَّةً وَمَعَهَا  
سَيْفٌ مُحَلَّى لِحَيِّ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى،  
وَكِتَابٌ كَرِيمٌ سُلْطَانِيٌّ تَقْتَضِي<sup>(٢)</sup> مَعَانِيهِ الشُّكْرَ لِلْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ فِي ثُبُوتِ  
قَدَمِهِ عَلَى الطَّاعَةِ وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَى صِدْقِ الْمُوَالَاةِ، وَكَذَلِكَ لِحَيِّ الْأَمِيرِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُطَهَّرِ خِلْعَةً شَرِيفَةً وَسَيْفٌ مُحَلَّى بِشِفَاعَةِ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَيُؤْمِنُ عُرُوضِهِ، فَوَصَلَ حُسَيْنُ يَزْجِي الدِّيَّانَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ  
وَقَدْ مَاتَ الْأَمِيرَانِ الْمَذْكُورَانِ، فَقَالَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ: «يُصَيِّرُ ذَلِكَ  
إِلَى وَلَدَيْهِمَا» [٢١٠] رِعَايَةً مِنْهُ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِحَيِّ أَبِيهِمَا وَلِثُبُوتِهِمَا  
عَلَى قَدَمِ الْخِدْمِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَهُوَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعْرُوفٍ بِحُسْنِ الرِّعَايَةِ  
لِمَنْ وَآلِي جَنَابِهِ وَكَانَ صَادِقًا فِي مَحَبَّتِهِ وَوِدَادِهِ.

وَكَانَ مَسِيرُ حُسَيْنِ يَزْجِي الدِّيَّانَ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ مُبَشَّرًا  
بِفَتْحِ مَخْرُوسِ مُدَعٍ، حَسَبَمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي هَذَا التَّارِيخِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) غَيْرِ الْآيَامِ: تَغْيِيرَهَا وَتَقْلِيدَهَا.

(٢) «يَقْتَضِي»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

وكان تأخره وإبطاؤه إلى هذه المدة ووصول الآغا مُصْطَفَى قَبْلَهُ وهو سار بعده بِمَدَّةِ أَيَّامٍ مُبَشِّرًا بِفَتْحِ دَمْرَمَرٍ لأمورٍ أوجبت ذلك.

ولما كان نهار الخميس بعد العصر اليوم الرابع والعشرون من شهر الحِجَّة الحرام من السَّنة المُقَدَّمِ ذِكْرُهَا، سار مَوْلَانَا صاحب السَّعادة من مَحْرُوسَة صَنْعَاء إلى مَحْرُوس كَوَكْبَان في خواصّه ومَمَالِيكِهِ وَأَعْيَانِ أَصْحَابِهِ، وجماعة من رؤساء العَرَب المُقِيمِينَ يَوْمئِذٍ بِبَابِهِ، وسار بقيّة يَوْمِهِ ذلك وليلة الجُمُعَة حتى وصل المُنْقَب<sup>(١)</sup> في الثُّلث الأخير، ولما رُئيت<sup>(٢)</sup> المَشَاعِل في المُنْقَب أُخْبِر الأَمِير شَمْس الدِّين بِذَلِكَ فَخَرَجَ مِنْ سَاعَتِهِ لِلِقَاءِ مَوْلَانَا صاحب السَّعادة فيمَن عنده من أَصْحَابِهِ وَبَنِي عَمِّهِ وَجَمِيعِ عَسْكَرِهِ، فالتقى هو ومَوْلَانَا صاحب السَّعادة إلى مَكَانٍ بِالقُرْبِ مِنْ حِجْرٍ سَعِيد<sup>(٣)</sup> مِنْ بَلَدِ هَمْدَانٍ وَحِينَ بَصَرَ مَوْلَانَا صاحب السَّعادة أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْأَمِيرِ شَمْس الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَدْ قَرَّبَ مِنْهُ نَزَلَ عَنْ مَرْكُوبِهِ [٢١١]

(١) المُنْقَب: بلد في عرض جبل أسود أصم ذو نقوب عديدة، وفي أسفل الجبل قاع فسيح يقال له: قاع المُنْقَب، ويمتد من شرقي مدينة شَبَام كَوَكْبَان إلى أسفل مدينة ثَلا. [البلدان والقبائل (١/١٦٦)].

(٢) «رأت»: هكنا في الأصل.

(٣) حَجْر سَعِيد: قرية وواد مغبول بمديرية هَمْدَان، على الطَّرِيق من صَنْعَاء إلى شَبَام كَوَكْبَان [البلدان والقبائل (١/٤٢١)]. وأثبتناها على ضبط المؤلف، لأن الحَجْر أصح من الحَجَر فيما نَعْلَم، والله أعلم.

وأمر أن يُفرش له هُنَالِكَ، فُفْرِشَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ، وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ: «كُنْتُ أَحَارِلُ الْاجْتِمَاعَ بِالْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَمْ يَكْتُبِ اللَّهُ لِي ذَلِكَ إِلَّا اجْتِمَاعَ وَلَدِي بِهِ وَاجْتِمَاعِي بِوَلَدِهِ»، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ السَّيِّدُ شَمْسُ الدِّينِ قَامَ فِي وَجْهِهِ وَصَافِحَتِهِ وَعَانَقَهُ وَهَشَّ بِهِ وَأَنَسَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ خِلْعَةً عَظِيمَةً، وَأَعْطَاهُ سَيْفًا مَخْلِيًا بِمَرْكُوبٍ مِنْ نَجَائِبِ الْخَيْلِ الْعَرَبِيَّةِ، عَلَيْهِ حِلْيَةٌ كَامِلَةٌ، وَخَلَعَ عَلَى ابْنِ عَمِّ الْأَمِيرِ شَمْسُ الدِّينِ الْمُطَهَّرَ بْنِ صَلاَحِ بْنِ شَمْسُ الدِّينِ وَعَلَى السَّيِّدِ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ عِزِّ الدِّينِ وَعَلَى وَزِيرِ الْأَمِيرِ شَمْسُ الدِّينِ السَّيِّدِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ صَلاَحِ الْحَمَزِيِّ.

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْضًا لَبَسَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ الْخِلْعَةَ السُّلْطَانِيَّةَ، وَتَقَلَّدَ السَّيْفَ الْمُحَلَّى السُّلْطَانِيَّ، الَّذِي جَاءَ بِهِمَا الْجَنَابُ الْعَالِي حُسَيْنُ يَازْجِي الدِّيَّانُ لِحْيَ وَالدِّهِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرَ ذَلِكَ، وَحَصَلَ بِقُدُومِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مَخْرُوسِ كُوكَبَانَ أَنْسَ فِي النُّفُوسِ، وَسُرُورٍ فِي الْقُلُوبِ، وَشَرَحَ فِي الصُّدُورِ.

وَدَخَلَ مَخْرُوسُ كُوكَبَانَ ضُحَاةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَجَاءَتْ طَرِيقُهُ مَدِينَةُ شِبَامَ حِوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعُدُّ سُوقِهَا، وَمُعْظَمُ اجْتِمَاعِ التُّجَّارِ إِلَيْهَا، وَقَدْ كَانَ وَصَلَ إِلَى شِبَامَ خَلَائِقُ كَثِيرَةٌ مِنْ نَوَاحٍ مُتَفَرِّقَةٍ لَمَّا بَلَغَهُمْ مَسِيرُ صَاحِبِ السَّعَادَةِ [٢١٢] أَدَامَ اللَّهُ غُلُوَّهُ، إِلَى مَخْرُوسِ كُوكَبَانَ لِلْفَرَحَةِ.



وَدَخَلَ مَدِينَةَ شِبَامَ فِي هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ وَأُبْهَةِ رَاقِقَةٍ حَسَنَةٍ وَزِيٍّ لَمْ يَرِ مِثْلَهُ فِي حُسْنِهِ وَرَوْنَقِهِ وَالْأَعْلَامُ خَافِقَةٌ وَالزَّمُرُ وَالطُّبْلُ وَالْعَسَاكِرُ الْعَظِيمَةُ وَالْخَيْلُ الْكَثِيرَةُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رُؤَسَاءُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَتَلَقَّاهُ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ بِالتَّجْلِيلِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِفْخَامِ وَالتَّكْرِيمِ وَعُقِرَتْ جُمْلَةُ مِنَ الْبَقَرِ تَجَاهَهُ حَالَ دُخُولِهِ شِبَامَ وَمَخْرُوسَ كَوُكْبَانَ، وَضُرِبَتِ الْمَدَافِعُ وَالزَّرْبُطَانَاتُ فَرَحًا وَسُرُورًا بِقُدُومِهِ.

وَقَدْ كَانَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ أَهْبَ سَّمَاطًا عَظِيمًا فِيهِ كُلُّ لَوْنٍ عَجِيبٍ مِنَ ألْوَانِ الْأَطْعِمَةِ، وَمِنْ مَطْبُوحَاتِ اللَّحْمِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَبَدِيعِ صُنْعِهَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوضَعَ عَلَى الْأَطْعِمَةِ فِي الْبَرِيَّةِ فِي دِاخِلِ مَخْرُوسَ كَوُكْبَانَ تَحْتَ دَارِهِ، وَعَمِلَ عَلَيْهِ سُورًا مِنْ دَوَائِرِ الْخِيَامِ وَجَعَلَ لَهُ أَبْوَابًا يُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْهَا، وَفِي طَرَفِ خِيَمَةٍ عَظِيمَةٍ أَهْدَاهَا لِحَيِّ وَالِدِهِ الْأَمِيرِ سِنَانَ.

وَحَصَنَ كَوُكْبَانَ قَلْعَةً وَاسِعَةً عَظِيمَةً تُعْقَدُ فِي رَأْسِهِ الْمَوَاكِبُ الْعِظَامُ وَطُولُهُ مِثْلًا غَيْرُ ذِرَاعٍ وَعَرْضُهُ رُبَّمَا يُقَارِبُ نِصْفَ مِيلٍ وَمُسِحٌ<sup>(١)</sup> فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ عَزَّ الدِّينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَجَاءَ طُولُهُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَأَمَّا عَرْضُهُ فَلَمْ يُمَسِّحْ يَوْمَئِذٍ فَتَقَدَّمَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ دُخُولِهِ مَخْرُوسَ كَوُكْبَانَ إِلَى ذَلِكَ السَّمَاطِ الْمَذْكُورِ، وَجَمِيعِ مَنْ مَعَهُ وَسَارَ

(١) مُسِحٌ: قِيسَتُ مَسَاحَتِهِ وَمَسَافَتِهِ.



صُحْبَةً رِكَابِهِ مِنْ أَعْيَانِ [٢١٣] الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ مِنْ عَرَبِهَا وَعَجَمِهَا وَجَمِيعِ مَنْ قَدِمَ مَعَ رِكَابِهِ مِنْ عَسَاكِرِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بَعْدَ تَمَامِ السَّمَاطِ إِلَى دَارِ حَيِّ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ فَوَقَّفَ فِيهَا وَقَدْ كَانَ أُفْرِغَتْ لَهُ وَلِخَوَاصِّهِ لَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا بَعْضُهَا فِي رَأْسِهَا فِيهِ حَرَمٌ حَيِّ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ. وَقَدْ كَانَ هُيئَتْ مَنَازِلُهَا بِأَحْسَنِ هَيْئَةٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفُرُشِ وَمَا يَلِيقُ بِهَا، وَاجْتَمَعَ فِي حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ السَّمَاطِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، جَمِيعُ مَنْ قَدِمَ صُحْبَةً رِكَابِهِ الشَّرِيفِ مِنْ رُؤَسَاءِ الْأَشْرَافِ وَالْعَرَبِ.

وَكَانَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَهُ السَّيِّدُ الْأَمِيرُ صَلَاحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمُؤَيَّدِي وَوَلَدَ عَمَّهُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَالْحُسَيْنِ بْنُ شَرْفِ أَحَدِ رُؤَسَاءِ بَنِي الْمُؤَيَّدِ وَالشَّرِيفُ الْأَمِيرُ الْهَادِي بْنُ النَّاصِرِ الْحَمَزِيِّ صَاحِبِ الْجَوْفِ، وَغَيْرُ مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ وَالْحَسَبِ مِنَ الْيَمَنِ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ وَمِمَّنْ كَانَ فِي تِلْكَ الْحَضْرَةِ الْفَخِيمَةِ الْأَمِيرِ شَمْسُ الدِّينِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَكَابِرِ قَرَابَتِهِ وَأَعْيَانِ أَصْحَابِهِ وَخَلَعَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ مَحْرُوسُ كَوُكْبَانَ عَلَى النَّقِيبِ الْأَمْجَدِ مُبَارَكِ شُعْبَانَ عَبْدَ حَيِّ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ خِلْعَةً مِنْ أَجْلِ الْقَفَاطِينِ الصَّرَاصِرِ<sup>(١)</sup>،

(١) القفاطين الصراصر: نوع من الملابس: [تكملة المعاجم (٦/٤٣٦)].

وكان الأمير عز الدين لا يُصدِرُ أمراً إلا بمشاورته، لِكَمَالِهِ وَرَجَالَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ وَشَجَاعَتِهِ.

وأمر الأمير [٢١٤] شمس الدين أن يُمدَّ في حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَاطٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُلُوى وَغَيْرِهِ وَشَكَرَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ عَلَى مَا رَأَاهُ مِنْ إِكْرَامِهِ لِحَبَنَاهِ الشَّرِيفِ وَصَلَّى أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَحْرُوسِ كَوُكْبَانَ ذَلِكَ الْيَوْمِ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ، وَخُطِبَ فِيهَا لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ الْخَاقَانِ الْمُؤَيَّدِ الْمُكْرَمِ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ خَلَدَ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكَهُ.

وكانت الخطبة على رأي أهل السنة في تقديم المشايخ رضي الله تعالى عنهم، ولم يكن قد خطب فيما قبل هنالك، ولا في جبال اليمن لأحد من سلاطين آل عثمان في إقامة الجمعة، إلا في أيام ولاية مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ لِإَقْلِيمِ الْيَمَنِ، وَإِنَّمَا كَانَ هُنَالِكَ فِيهَا مَرَّ إظهار الطاعة لمولانا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ وَمُوالاةِ أَنْصَارِهِ وَمُتَابَعَةِ أَتْبَاعِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ.

ثُمَّ اسْتَمَرَّتِ الْخُطْبَةُ الْمَذْكُورَةُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ فِي مَحْرُوسِ كَوُكْبَانَ وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَأْتَى لِأَحَدٍ مِنْ بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَأُمَرَاءِ الْمَمْلَكَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، مُنْذُ مَلَكَتِ الدَّوْلَةُ السُّلْطَانِيَّةُ الْيَمَنِ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ فِيهَا سَلَفَ وَعَبْرَ مِنَ الزَّمَنِ، وَلَا قَدْ وَقَعَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْفُتُوحَاتِ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ مِنَ الْحُصُونِ الْمَنِيعَةِ الرَّيْنَةِ مَا وَقَعَ وَحَصَلَ لِمَوْلَانَا [٢١٥] صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْبَاشَا حَسَنٍ، وَلَا قَدْ دَخَلَتْ

رؤساء اليمن ومُلوكه تحت لواء سلطان أو ملك مثل دخولها تحت لوائه،  
وذلك ليؤمن سعيه وفخيم رئاسته وحسن سياسته، ووفور كماله وراجح  
عقله، وفائض كرمه، وعظيم عفوه وكثرة حلمه وصلاح بينه وطيب  
سريته.

وبعد خروجه من صلاة الجمعة في ذلك اليوم زار قبر الأمير عز الدين  
رحم الله تعالى وترحم عليه وأعطى جماعة من الفقهاء الواقفين عند قبره  
عطية سنية.

وفي اليوم الذي وصل فيه مولانا صاحب السعادة إلى مخروس كوكبان  
وصل إليه السيد الأمير السامي عبدالرحيم بن عبدالرحمن من بلاد حجة  
زائراً له ومُسليماً عليه فاجتمع به بالقرب من مخروس كوكبان في حال  
دخوله فرحب به وأنسه وهش به.

وفي ذلك اليوم أمر مولانا صاحب السعادة أئده الله تعالى الجناب  
الفخيم حسين يازجي الديوان، أن يلبس الأمير عبد الرحيم الخلعة  
السلطانية ويقلده السيف المحلى السلطاني الذي جاء بهما لحي أبيه من  
المقامات الشريفة الخاقانية سيد الله تعالى عمران ممالكها وخلد ملك  
مالكها.

الثَّانِي عَشْرَ



### [الجزء الثاني عشر]

وفي اليوم الثاني من وصول مولانا صاحب السعادة أنعم على الأمير عبد الرحيم بسنجد شريف سلطاني وأمر أن يُزف إليه [٢١٦] في مخروس كوكبان، وخلع عليه خلعة عظيمة من أنف الأقيّة الصراصر، وخرج معه أيده الله تعالى لتلقي السنجد الشريف، تفضلاً وتكرماً ونثر الدراهم على السنجد بيده الكريمة، وتحمل عن الأمير عبد الرحيم ما يُصرف على السنجد من دراهم وخلع وغير ذلك، على مقتضى العادة لمن أنعم عليه بسنجد وهذه التفضلات، التي تفضل بها مولانا صاحب السعادة على الأمير عبد الرحيم من عادة سجية كرمه وفائض جوده وشرف نفسه وعظيم سياسته، واكتسابه للثناء الحسن، ولم يكن كغيره؛ ما همّه إلا اكتساب الأموال، واحتياجاتها<sup>(١)</sup> عن فضلاء الرجال، من أهل الرئاسة والكمال، فالله تعالى يُبقيه ويحرس ذاته الكريمة من غير الزمن.

ولقد دخلت حضرته الشريفة في هذا اليوم قبل أن يُزف السنجد إلى عبد الرحيم بن عبد الرحمن وحضرته أيده الله تعالى حافلة بالفضلاء والأكابر والعلماء وأجلة الأعيان والرؤساء وهو يحرض الأمير شمس الدين وعبد

(١) واحتياجاتها: وحجبتها.



الرَّحِيمَ وَيَعْظُمُهُمَا - وَأَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِهِ - عَلَى تَرْكِ  
الْمُنَافَسَةِ بَيْنَهُمَا، وَعَلَى اتِّفَاقِ حَالِهِمَا وَصَفَاءِ مَوَدَّتِهِمَا وَيَضْرِبُ لَهُمَا  
الْأَمْثَالَ الَّتِي لَا يُتَابِعُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْكَمَالِ وَفُضْلَاءُ أَجَلَّةِ  
الرِّجَالِ.

وَقَدْ كَانَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ وَفَاةِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ أَمْرًا أَنْ يُوْخَذَ بَيْنَهُمَا  
الْعَهْدُ عَلَى اتِّحَادِ الْحَالِ بَيْنَهُمَا فِي طَاعَةِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ [٢١٧]  
الْخَاقَانِيَّةِ الْعُظْمَى مَا يَعِظُ ذَلِكَ الْوَعِظُ، وَيُحَرِّضُ ذَلِكَ التَّحْرِيسُ،  
وَيَضْرِبُ تِلْكَ الْأَمْثَالَ بِتِلْكَ الْأَلْفَافِ الْجَزَلَةِ مَعَانِيهَا إِلَّا فُضْلَاءُ أَهْلِ  
الطَّرِيقَةِ وَأَكَابِرِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّ الْوَالِدَ الشَّفِيقَ وَالْخِذْنَ الصَّافِي الرَّفِيقَ مَا  
تَبْلُغُ<sup>(١)</sup> شَفَقَتُهُ عَلَيْهِمَا كَشَفَقَتِهِ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَنْعَمَ عَلَى الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ فِي أَيَّامِ وَقُوفِهِ فِي مَحْرُوسِ كَوُكْبَانَ  
بِإِنْعَامَاتٍ جَزِيلَةٍ وَتَكَرُّمَاتٍ نَبِيلَةٍ، مِنْ الْكِسْوَةِ النَّفِيسَةِ وَالْخِلْعِ السَّنِيَّةِ  
وَالسَّنَاجِبِ الْعَظِيمَةِ وَالْقَطَائِفِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا نِهَايَةَ لِحُسْنِهَا، وَلَا مَثَلَ  
لِجَنَسِهَا، وَأَمَرَ لَهُ أَيْضًا بِصُرَّتَيْنِ أَحَدُهُمَا مَمْلُوءَةٌ مِنَ الْكِسْوَاتِ الْغَالِيَةِ  
الْمُلُوكِيَّةِ وَالْأُخْرَى فِيهَا مِنَ الْجُورِ<sup>(٢)</sup> النَّفِيسِ الْغَالِ.

(١) «يبلغ»: هكذا في الأصل.

(٢) جُور: نسيج من صوف صفيق يكتسي به. [تكملة المعاجم العربية (٢/ ٣٢٨)].

وفي اليوم الثالث من وصوله مخروس كوكبان دخلت إلى حضرته الشريفة، فسلمت عليه وقبّلت يده الكريمة، فرحب بي وعنده الأمير شمس الدين وعبد الرحيم، والسيد الفاضل العلامة محمد بن الحسن والسيد الأمجد علي بن أحمد، وزير علي يحيى، وقد كان بعد الواقعة مع علي يحيى طلب لنفسه الأمان والدخول في طاعة مولانا السلطان، فأمنه مولانا صاحب السعادة بعد دخوله في الطاعة وسار إلى مقامه إلى مخروسة صنعاء، وبلغ من إكرام مولانا صاحب السعادة له ما عرفه الخاصة والعامة وحضرته مشحونة بأهل البيت النبوي ورؤساء العرب والعجم، [٢١٨] وعنده شاعر أديب من مشايخ خولان العالية له أدب وذكاء وفطنة يقال له: عبد العزيز بن سعيد بن فاضل الجبري، يُنشدُه قصيدة رابطة يهنيها فيها بقدره مخروس كوكبان ويمدحه فيها واستنشد أيضاً بعدها عدة قصائد من شعره قد كان امتدحه بها وهنأه فيها بفتوحات متقدمة كفتح دمرمر وصعدة.

فرايت وجهه أيده الله تعالى، قد أشرق وتبلى وتهلل واهتزت أعطافه  
 بسماع المدح له، وما أجدره وأحق وصفه بقول الشاعر<sup>(١)</sup>: (من الكامل)  
 ملك كأن الشمس فوق جبينه      متهلل الإمساء والإصباح  
 وإذا حللت ببابه ورواقه      فأنزل بسعيد وأرتحل بنجاح  
 ومن عادته وسجيته وكريم طبعه وفور فضله، أنه لا يدخل عليه شاعر  
 يمتدحه إلا وأجازه في ساعته تلك بجائزة سنيته، ومنهم من يصل جائزته  
 بالخلع النفيسة، بل الأكثر وقد يأمر له بالجائزة والخلع قبل تمامه الإنشاد  
 لشعره المتضمن مدحه، ولا يمكن أن شاعراً يخرج من عنده بغير جائزة  
 أبداً، فيما سمعت، وكذلك الوافد عليه والقادم إليه، لا يخرج إلا بعطية أو  
 خلع ابتداء منه [٢١٩] فلا يحتاج الوافد والقاصد والمستمنح والمادح  
 أن يسأله عطائه، وهذا من كرم خصاله، وفصل كماله، وشرف نفسه  
 وعظيم مرواته، ولعمري لقد منح الله سبحانه اليمن وأهله بولايته عليهم؛  
 لإحسانه وتطولاته العميمة على فضلائهم وكبرائهم.

فحين استتم ذلك الشاعر إنشاد شعره، التفت إلي أيده الله تعالى  
 وقال: «كل قد جاءنا بما هو من صناعته من قريب وبعيد، وأنت سألناك

(١) البيتان ينسبان للشاعر: محمد بن وهيب الحميري البصري البغدادي، من أعيان القرن الثالث  
 الهجري.

عَنْ أُمُورٍ لَمْ تَأْتِنَا بِهَا، مِمَّا هِيَ عِنْدَكَ، فَقُلْتُ لَهُ: «يَا مَوْلَانَا قَدْ عَمِلْتُ خَيْرًا»<sup>(١)</sup> مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ، مَا يَجْمَعُ الثَّنَاءَ وَالْمَدْحَ لِأَحْوَالِكُمْ وَيَنْشُرُ بِهِ ذِكْرَكُمْ فِي عُقْبَى الزَّمَانِ؛ قَدْ أَلَفْتُ كِتَابًا نَفِيسًا وَجَعَلْتَهُ بِرِسْمِكَ فِي ذِكْرِ مُحَامِدِكَ وَمُحَمَّدٍ أَحْوَالِكَ، وَمَكَارِمِ صِفَاتِكَ، وَحُسْنِ سِيرَتِكَ، وَشَائِعِ عَدْلِكَ، وَفَائِضِ جُودِكَ، وَعَظِيمِ مُرُوءَتِكَ، وَاشْتِهَارِ عَفْوِكَ، وَحَمِيدِ مَنَاقِبِكَ، وَمَا عَمَرْتُهُ مِمَّا دَرَسَ وَامَّحَى<sup>(٢)</sup> مِنْ مَآثِرِ الْكِرَامِ فِي إِقْلِيمِ الْيَمَنِ، وَمَا نِلْتَهُ مِنَ الْفَتْوحَاتِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الْقِلَاعِ الشَّامِخَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْأَقْطَارِ الْوَسِيعَةِ، وَحَكَيْتُ فِيهِ مَا قَدْ أَنَالَكَ اللَّهُ إِيَّاهُ وَاخْتَصَّكَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَحْوَالِ الْمَشْكُورَةِ الرَّشِيدَةِ.

فَقَالَ: «إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأُطْلِعْنَا عَلَيْهِ»، وَكُنْتُ قَدْ أَعَدَدْتُ مَا قَدْ أَلَفْتُهُ يَوْمئِذٍ مَعِي، فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ كُمِّي وَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَمَرَ السَّيِّدَ الْعَلَّامَةَ وَزِيرَ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ [٢٢٠] مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الْحَمَزِيِّ أَنْ يَقْرَأَهُ، فَابْتَدَأَ السَّيِّدُ الْمَذْكُورُ بِقِرَاءَةِ خُطْبَتِهِ وَاسْتِدْعَاءِ تَأْلِيفِهِ، فَأَسْفَرَ وَجْهَهُ، وَأَشْرَقَتْ أَسْرَتُهُ.

وَلَمَّا انْتَهَى فِي الْقِرَاءَةِ إِلَى ذِكْرِ دُخُولِهِ عُمْدَانِ وَقُعُودِهِ عَلَى الْإِيوَانِ شَاوَرَ تَرْجُمَانَهُ فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا جَاءَ وَوَضَعَ عَلَيَّ خِلْعَةً شَرِيفَةً وَوَضَعَ فِي يَدَيَّ صِلَةَ

(١) «خير»: هكنا في الأصل.

(٢) «ومحى»: هكنا في الأصل.



سَنِيَّةً، فَقَمْتُ قَبْلْتُ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ، وَدَعَوْتُ لَهُ بِالْبَقَاءِ وَالْحِرَاسَةِ، فَشَكَرَ لِي وَاسْتَمْلَحَ بِوَضْعِ هَذَا التَّارِيخِ الْمُبَارَكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِرِسْمِهِ، وَاسْتَمَرَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ فِي قِرَاءَتِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى فَتْحِ مَخْرُوسِ ظَفَارٍ فَتَرَكَ الْقِرَاءَةَ حِينَئِذٍ لِأُمُورٍ عَرِضَتْ فِي أُمُورِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَقَبِضَ النُّسْخَةَ الَّتِي قَدْ أَلْفَتْهَا، وَكُنْتُ قَدْ وَصَلْتُ فِيهَا إِلَى ابْتِدَاءِ الْحَرْبِ عَلَى مَخْرُوسِ مَسُورٍ.

وَقَالَ الْفَقِيهَ الْأَدِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْوَجِيهِ التَّعِزِيِّ الشَّافِعِيِّ السَّكِينِ بِمَدِينَةِ شَبَّامٍ حِوَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْدَ دُخُولِ مَوْلَانَا الْمَقَامِ الْأَكْرَمِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَخْرُوسَ كَوُكْبَانَ يَمْتَدِّحُهُ فِيهَا، وَهِيَ هَذِهِ:

(مَنْ السَّرِيعُ)

|                                         |                                           |
|-----------------------------------------|-------------------------------------------|
| هَذَا أَبُو الْإِقْبَالِ قَدْ أَقْبَلَا | أَهْلًا بِمَوْلَانَا الْحَسَنِ أَهْلًا    |
| وَالسَّعْدُ وَالْإِفْضَالُ قُدَّامُهُ   | يُرْتَلَانِ الْمُلْكُ مَهْمًا تَلَا       |
| أَهْلًا وَسَهْلًا ثُمَّ رَحْبًا بِهِ    | بَعْدَ مَنْ يَمْشِي وَمَنْ هَرُولا        |
| أَهْلًا وَسَهْلًا ثُمَّ رَحْبًا بِمَنْ  | طَوَّقَ بِالْجُودِ رِقَابَ الْمَلَا [٢٢١] |
| عَدْلًا وَإِحْسَانًا فَلَمْ يَبْرَحَا   | أَكْرَمَ وَأَجْمَلَ بِهِمَا مِنْ حَلَا    |
| يُفَاتِحَانِ الْعَقْلَ مَنْ دُونَهُ     | يُكَاشِفَانِ مَا غَابَ أَوْ أَشْكَلَا     |
| أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِهِ بِهَجَّةٍ     | رَفَاحَ رِيَّاهَا وَطَابَ الْكَلَا        |
| وَكُوكْبَانُ الْعِزِّ لَمَّا أَتَى      | عَلَيْهِ يَمْشِي نَالَ مَا أَمَلَا        |
| قَبْلَ نَعْلَيْهِ وَبَاهَى بِهِ         | كُلَّ الْأَرَاضِي وَعَلَا مَا أَعْتَلَا   |



وَكَانَ مَوْلَاهُ الَّذِي قَدْ حَلَا  
أَعَجَلَهُ الْمَوْتُ إِلَى رَبِّهِ  
يَعْنِي الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ شَمْسٍ  
وَبَعْدَهُ الْمَوْلَى ابْنُهُ حَسَنُ  
أَهْلٍ بِمَنْ وَفَا لِأَهْلِ الْوَفَا  
خَلِيفَةُ السُّلْطَانِ فِينَا وَمَنْ  
صَيَّرَ نَعْمَاهُ لَنَا مَطْعَمًا  
لَبَّاهُ إِذْعَانًا إِلَى طَاعَةِ الشَّ  
مُرَادِ الْحَامِي حَمَى دِينَنَا  
فَالطَّعْمَةُ الْأُولَى مُدْعٍ ثُمَّ ذِي  
ثُمَّ سِنَانٌ قَدْ عَلَا صَعْدَةً  
كَذَا حُضُورٌ قَدْ أَتَى مُسْرِعًا  
كَمْ مِعْقَلٌ أَسْيَافُهُ دَوَّخَتْ  
وَنَحْنُ سُبَّاقٌ وَمَنْ بَعْدَنَا  
وَلَيْسَ مَنْ قَالَ نَعَمْ مُوجِبٌ  
فَاللَّهُ يَحْمِي عَنْ سُلْطَانِنَا  
وَيَحْفَظُ الْبَاشَا عَلَيْنَا وَأَنْ  
بِمَسُورِ الْحَصَنِ فَمَا فَرْقُهُ

يَوَدُّ لُقْيَاهُ فَمَا أَهْمَهَا  
فَاللَّهُ يُؤَلِّيهُ جَمِيلَ الْوَلَا  
أَدْرَكَ مِنْكَ الْأَكْمَلَ الْأَفْضَلَ  
الْبَاشَا حَسَنُ أَهْلًا بِهِ أَهْلًا (١)  
بِهِ جَادَ عَلَيْنَا وَقَدْ أَجْزَلَا  
وَوَرَدَهُ الْعَذْبُ لَنَا مِنْهَا  
سُلْطَانٍ إِذْ نَادَى الْمَلَا وَالْخَلَا  
مِنْ سُوءٍ مَنْ قَدْ ضَلَّ أَوْ ضَلَّلَا  
مَرَمَرٌ يَتْلُوهُ أَتَى عَاجِلًا  
زَجَّ بِهِ مَا يُخْطِئُ الْمَقْتَلَا  
وَبَعْدَهُ لَا شَكَّ يَأْتِي ثَلَا [٢٢٢]  
مَا عَدَاها مَا بِهِ عَوَلَا  
أَتَوْا إِلَيْهَا جَحْفَلًا جَحْفَلَا  
وَلَا نَعَمْ طَوْعًا كَمَنْ قَالَ لَا  
وَيَجْعَلُ النَّصْرَ لَهُ مَوْتَلَا  
يَجْزِيهِ أَضْعَافَ أَضْعَافٍ مَا حَوَلَا  
مِنْ الَّذِي ظَلَمْنَا بِهِ الْأَطْوَلَا

(١) «أهل به»: هكنا في الأصل.

مِنْ كُلِّ مَرْغُوبٍ إِلَى مِثْلِهِ      مَنْ مِثْلُهُ حَقٌّ بِأَنْ يَفْعَلَا  
 يَجْنَحُ لِلْعَفْوِ إِذَا مَا دَعَا      دَاعٍ إِلَى سَفْكِ دِمَاءِ الطَّلَا  
 يُقَابِلُ الْجَهْلُ مِنْ حِلْمِهِ      بِمَا تَرَى الْجَهْلُ بِهِ أَحْفَلَا  
 يُنِيلُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ مَنَّةً      بِالْمَالِ أَوْ يُؤْلِيهِمُ الْأَمْثَلَا  
 قَالَ لَهُ السُّلْطَانُ كُنْ نِعْمَةً      وَمَنْ عَصَانَا كُنْ عَلَيْهِ بِلَا  
 هَذَا هُوَ الْفَخْرُ بِلَا كُلْفَةٍ      هَذَا هُوَ الْأَوْلَى بِنَيْلِ الْعُلَا  
 قَامَ بِهِ وَصَغَى إِلَى غَايَةٍ      قَصُرَتْ لَوْ أَبْلَغَ فِيهِ إِلَى  
 مَا لِي إِذْ يَقْدُمُ مِنْ عُدَّةٍ      غَيْرِ ثَنَاءٍ فِيهِ لِي قَدْ حَلَا  
 إِنْ لَا أَكُنْ أَهْلًا لِمَدْحِي لَهُ      فَإِنَّهُ الْأَهْلُ بِأَنْ يَقْبَلَا  
 مَا أَبْخَلَ الدَّهْرَ بِأَمْثَالِهِ      فَلَمْ يَجِدْ فِيهِمْ مَضَى لَا وَلَا  
 فَاللهُ لَا أَبْدَى لَنَا غَيْرَهُ      وَأَنْ يُدِيمَ الْأَفْضَلَ الْأَكْمَلَا [٢٢٣]

وَبَقِيَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَهُ وَإِسْعَادَهُ بِمَحْرُوسِ كَوَكْبَانَ  
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُنْشَرِحِ الْخَاطِرِ، قَرِيرِ النَّاطِرِ، وَالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ يُبَالِغُ لَهُ فِي  
 التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ، وَيَجْتَهِدُ فِي الضِّيَافَاتِ السَّنِيَّةِ، وَمَا يَلْحَقُ بِهَا بُكْرَةٌ  
 وَعَشِيَّةٌ، وَمَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ يُوَاصِلُ شُكْرَهُ وَيَمْنَحُهُ بِعَمِيمِ كَرَمِهِ  
 وَفَائِضِ جُودِهِ، وَحَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مَعْمُورَةٌ بِالْوَافِدِينَ  
 وَالْقَاصِدِينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَنَاحِيَةٍ، وَهُوَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى يَغْمُرُهُمْ بِإِحْسَانِهِ  
 وَتَطَوَّلَاتِهِ.

ولما كان ضحوة نهار الاثنين، اليوم الرابع من قدومه مخروس كوكبان سار إلى المخيم المنصور الذي أمر به تحت ناصرة مخروس ثلا، وحال مسيره عاود زيارة قبر الأمير عز الدين في ذلك اليوم مرة أخرى وترحم وخلع على الأمير شمس الدين حين عمل على المسير خلعاً نفيسة، وحين أراد المسير أيده الله تعالى، قدّم له الأمير شمس الدين حصاناً نجياً من نجائب الخيل العربية، كان من مراكب والده، كاملة شباته، وكان الأمير عز الدين إذا ركب غيره غار من ذلك فيثب على ذلك المركوب كوثبات الأسد، وإذا سمع المرفع<sup>(١)</sup> وأصوات الحرب لم يرد يقر، ويشتاق للحرب، وسرجه، ولبيّه ولجامه مخليّة، فركب عليه حال خروجه من كوكبان وسار الأمير شمس الدين [٢٢٤] صحبته في أعيان أصحابه وجماعة من أقاربه وجميع عسكره، وكذلك الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن فوصل أيده الله تعالى المخيم المنصور المقدّم ذكره، وقد كان أمر بتأهب سباط عظيم هنالك لوقت قدومه ومن معه فطعم منه أيده الله تعالى وكذلك جميع الأمراء وسائر الكبراء والرؤساء، وكافة العساكر السلطانية وأتباعهم ومن حضر هنالك من الرعايا.

ثم إن مولانا صاحب السعادة أيده الله تعالى خلع على الأمير عبد الرحيم خلعاً سنّية وكذلك على الأمير شمس الدين خلعاً عظيمة رايقة

(١) المرفع: العليّة الكبيرة.

فَخِيَمَةً وَأَمَرَهُمَا بِالرُّجُوعِ إِلَى مَحْرُوسِ كُوكَبَانَ، فَسَارَا مِنْ سَاعَتِهِمَا،  
وَاسْتَأْذَنَهُ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ فِي الْمَسِيرِ إِلَى مَحْرُوسِ مَسُورَ، لَافْتِقَادِهِ  
وَتَقْرِيرِ وِلَايَتِهِ وَالنَّظَرِ فِي شَأْنِهِ وَشَأْنِ أَهْلِ بِلَادِهِ، فَأْذَنَ لَهُ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى  
وَالْأَمِيرُ عَبْد الرَّحِيمِ اسْتَأْذَنَهُ أَيْضًا فِي الرُّجُوعِ إِلَى جِهَاتِهِ مِنْ بِلَادِ حَاجَّةٍ  
فَأْذَنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى هُنَالِكَ.

وَفِي هَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ وُصُولِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيْدُهُ اللَّهُ إِلَى هَذَا  
الْمُخَيَّمِ، قَدِمَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَادِي بْنِ الْمُطَهَّرِ، وَالْأَغَا صَلَاحُ بْنُ سَالِمٍ،  
مِنْ مَحْرُوسِ مَسُورَ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ هُنَالِكَ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ  
السُّلْطَانِيَّةِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمَا خِلْعَتَيْنِ نَقِيسَتَيْنِ، وَفِي خِلَالِ قُدُومِ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعَادَةِ إِلَى هَذَا الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ أَمَرَ إِلَى قَلْعَةِ حَضُورِ الْمَصَانِعِ  
الْمَعْرُوفِ [٢٢٥] بِحَضُورِ الشَّيْخِ مَنْ يُخَاطِبُ الشَّرِيفَ الْأَمِيرَ أَحْمَدَ بْنَ  
مُحَمَّدِ الْحَمَزِيِّ الْحَسَنِيِّ، وَمَنْ مَعَهُ فِي تَسْلِيمِ الْحَصَنِ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ، فَأَسْعَفَ الْأَمِيرُ أَحْمَدَ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى مَا طَلَبَهُ مَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ مِنْ تَسْلِيمِ حَضُورِ، وَرَأَى الْأَمِيرُ أَحْمَدُ أَنَّ ذَلِكَ الْأُولَى بِهِ  
وَالْأَصْلَحُ لِحَالِهِ وَالْمَحْمُودُ عَاقِبَتُهُ وَالْأَسْلَمُ لِنَفْسِهِ، وَطَلَبَ مِنْ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعَادَةِ تَأْمِينَهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَتَقْرِيرَ مَا أَرَادَ تَقْرِيرُهُ، فَوَجَّهَ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْجَنَابَ الْفَخِيمَ حُسَيْنَ جَاوُشَ إِلَى حَضُورِ بِتَأْمِينِ الْأَمِيرِ  
أَحْمَدَ وَمَنْ مَعَهُ فِي حَضُورِ، وَتَقْرِيرِ قَوَاعِدِهِمْ وَيَقْبِضِ الْحَصْنَ لِلدَّوْلَةِ  
السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ.



فَسَارَ حُسَيْنٌ جَاوِشٌ إِلَى هُنَالِكَ وَتَسَلَّمَ الْحَصْنَ وَقَبِضَ مَا كَانَ فِي  
الْحَصْنِ مِنْ شُحْنٍ وَبَارُودٍ وَرِصَاصٍ وَحُيُوبٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَخَرَجَ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ وَمَنْ مَعَهُ فِي حَصْنِ حَضُورٍ يَوْمَئِذٍ إِلَى بَيْنَ يَدَيِ  
مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً عَظِيمَةً، وَأَمَرَ  
بِكِسَاءٍ لِجَمِيعِ مَنْ وَصَلَ صُحْبَتَهُ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ فِي حَضُورٍ، وَأَمَرَ أَيْضًا  
لِلْأَمِيرِ أَحْمَدَ بِصِلَةِ جَزِيلَةٍ وَأَرْجَعَ لَهُ بَيْوتَهُ وَضِيَاعَهُ الَّتِي فِي مَخَالِيفِ مَدِينَةِ  
صَنْعَاءِ الْمَحْرُوسَةِ.

وَقَرَّرَ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَضُورٍ دَزْدَارًا وَجَمَاعَةً مَعَهُ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَنَةِ  
الْخَاقَانِيَّةِ وَسَارَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى حَصْنِ حَضُورٍ  
بَعْدَ قَبْضِهِ لَطِيْفَتِهِ وَافْتِقَادِ أُمُورِهِ [٢٢٦] وَقَلْعَةِ حَضُورٍ هَذِهِ مِنْ أَرْفَعِ قِلَاعِ  
الْيَمَنِ طُولًا.

وَبَعْدَ طِيَابَتِهِ رَجَعَ إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ عَلَى مَحْرُوسِ ثُلَا، وَأَمَرَ مَوْلَانَا  
صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْأَمِيرَ أَحْمَدَ الْحَمَزِيَّ، بِمَسِيرِهِ بِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ إِلَى  
مَحْرُوسَةِ مَدِينَةِ صَنْعَاءِ، وَأَمَرَ لَهُ بِجَمَالٍ يَنْقُلُ أَوْلَادَهُ وَثِقَلَهُ عَلَيْهَا، وَطَافَ  
مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ عَلَى الْمَحَاطِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى مَحْرُوسِ  
ثُلَا يَوْمَئِذٍ، وَدَخَلَ مَحْطَةَ الْأَمِيرِ السَّامِيِّ الْأَكْرَمِ الْهُمَامِيِّ، الْأَمِيرِ النَّاطِرِ  
مُصْطَفَى بْنِ طَاهِرٍ دَفْتَرُ دَارِ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَخَلَعَ عَنْهُ خِلْعَةً عَظِيمَةً مِنْ  
أَفْخَرِ الْقَفَاطِينِ الصَّرَاصِرِ.



وتَفَقَّدَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى أُمُورَ الْمَحَاطِ الَّتِي عَلَى مَحْرُوسِ ثُلَا، فَجَاءَ وَأَمَرَهَا مُنْتَظِمٌ وَأَحْوَالَهَا مَضْبُوطَةٌ، وَالَّذِينَ فِي ثُلَا مُضَيَّقٌ عَلَيْهِمْ غَايَةَ الضِّيقِ وَالْحُرُوبِ عَلَيْهِمْ قَائِمَةٌ عَلَى سَاقٍ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ، فَشَكَرَ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْأَمِيرِ النَّازِلِ وَأَثْنَى عَلَى أَحْوَالِهِ وَكَمَالِهِ وَوَعَدَهُ بِكُلِّ خَيْرٍ يَنَالُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مِنْ تَفَضُّلَاتِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، فَازْدَادَ الْأَمِيرُ النَّازِلُ هِمَّةً إِلَى هِمَّةٍ.

وَأَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ أَيَّامَ وَقُوفِهِ فِي الْمُخَيَّمِ الْمُنْصُورِ هَذَا مَنْ يُخَاطَبُ الَّذِينَ بِمَحْرُوسِ ثُلَا فِي التَّسْلِيمِ وَكَرَّرَ إِلَيْهِمُ الْمُرَاسَلَةَ، وَأَمَرَ السَّيِّدَ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ أَنْ يُخَاطِبَهُمْ فِي التَّسْلِيمِ، وَكَذَلِكَ النَّقِيبَ الْفَاضِلَ يَاقُوتَ الْمَلَا فَلَمْ يُسَاعِدُوا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بَلْ بَقُوا عَلَى عِنَادِهِمْ وَمُحَارَبَتِهِمْ، ثُمَّ لَمَّا تَمَّ لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ [٢٢٧] أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى مَا أَرَادَهُ مِنْ فَتْحِ حَضُورِ وَطِيافَتِهِ عَلَى الْمَحَاطِ الَّتِي عَلَى مَحْرُوسِ ثُلَا وَالتَّشْدِيدِ عَلَى مَنْ فِيهَا فِي عَدَمِ الْغَفْلَةِ وَبَذْلِ الْجَهْدِ وَالْهِمَّةِ رَجَعَ إِلَى مَحْرُوسِ صَنْعَاءَ عَلَى الْكِرَامَةِ، وَكَاهِلِ الْيَمَنِ وَالسَّلَامَةِ.

وَأَمَّا شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ فَسَارَ إِلَى مَحْرُوسِ مَسُورَ، صُبْحَ نَهَارِ الْخَمِيسِ مُسْتَهْلَ أَوَّلِ شَهْرِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَكُنْتُ فِيْمَنْ سَارَ صُحْبَتَهُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هُنَالِكَ وَقَفَ عَلَى مَخَازِينَ عَلِيِّ يَحْيَى وَقَدْ كَانَ خَتَمَ عَلَيْهَا الْآغا صَلاَحُ بْنُ سَالِمٍ حَالَ دُخُولِهِ إِلَى مَسُورَ، وَاسْتِيلَاءِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ

فأمرني الأمير شمس الدين أن أكتب إلى مولانا صاحب السعادة كتاباً مضمون ألفاظه، الإخبار له بحصوله في مخروس مسور وافتقاده لأحواله وأمره، وأنه أيدّه الله تعالى يوجّه إليه من أرادته من أعيان أصحابه ومن ثقات أمنائه لتفتيح مخازين علي يحيى عنده، ويعرض ما فيها في حضرته<sup>(١)</sup> ليحيط بمعرفتها ويطلع على من فيها من قليله وكثيره، وقيل إنها قد كان انتهب منها ما انتهب، من الآلات والعُدَد خفية قبل أن يختم عليها الآغا صلاح بن سالم ممن كان هنالك، فوجّه مولانا صاحب السعادة إلى الأمير شمس الدين إلى مسور حسين جاوش، المُقدّم ذكره، فعرضت مخازين علي يحيى على نظره ورُقمت في دفتر صار بيده، ورُقعت إلى صاحب [٢٢٨] السعادة أخبارها، فأمر مولانا صاحب السعادة بمصيرها إلى حضرته إلى مخروس صنعاء

وفي أيام وقوف الأمير شمس الدين بمسور كتب جملة كتب إلى السيد علي يحيى، يعذله عما صار عليه من الإصرار والخروج عن طاعة مولانا السلطان الأعظم، وأن الأليق والأصلح لحاله والأسلم لعاقبة أمره موالاة مولانا صاحب السعادة، وأن يصون بذلك هجرة آبائه وأجداده ويأمن هو وأهله وأولاده من اجتلاب الفتن والاصطلاء بالمحن، قبل أن تتوجه العساكر السلطانية وأمراء الدولة الخاقانية عليه، فيكون خراب هجرة

(١) في حضرته: هكذا في الأصل.

أجداده على يده وهلاك من فيها بسببه، وأنه يسعى له في تقرير قواعده وصيائمه من صاحب السعادة، ويسلم ثلاً للدولة السعيدة الخاقانية حسبما قد ورد من الأوامر الشريفة من العتبات الخاقانية بأخذه وفتحها، وأنه قد عرف من مولانا صاحب السعادة العفو عمّن لاذ به وعدم المؤاخذه له فيما سلف من ذنبه والإحسان إلى من سارع إلى طاعة سلطانها، وأن المبادرة بذلك خير له من التماسي في غيه<sup>(١)</sup> فجاءت جواباته على غير مقتضى المراد؛ فيها مبالغة ومواعدة، فترك الأمير شمس الدين مكاتبته وأعزب عن نصحه وعذله حيث لم يجد العذل والنصيحة، ثم أيضاً كتب إليه وزيره السيد علي بن أحمد [٢٢٩] بعد مصيره إلى جانب الدولة السلطانية وتفنيته بظلمها، ومتابعته لأتباعها وأنصارها، ينصحه ويعرفه بما قد خص الله به مولانا صاحب السعادة من العفو والحلم والفضل، وأنه يرى له مبادرته بموالاته ومتابعة طاعته وأنه متى فعل ذلك أنجز حاله ونال ما يرجوه وزيادة إن شاء الله تعالى، فلم يقع منه شيء يومئذ مما أشير به عليه.

قلت: ومولانا صاحب السعادة أدام الله توفيقه وإسعاده في عفوهِ وأحواله فيما رأيناه منه بالمُشاهدة في عفوهِ على من وقع في يده بعد مخالفتِهِ فيمن تمكن منه وصار بين يديه كما قال الشاعر: بيت (من الكامل)

(١) «غيره»: هكذا في الأصل.

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ أَدَى أَنْسَتِهِ قُدْرَتُهُ الْحُقُوقُ فَأَقْلَعَا<sup>(١)</sup>  
وَلَقَدْ رَأَيْنَا خَلْقًا كَثِيرًا مِمَّنْ أَتَى بِالْجَرَائِرِ الْعَظِيمَةِ، فَأَتَاهُ تَائِبًا مِنْ ذَنْبِهِ  
وَلَائِدًا بِعُفْوِهِ فَكَافَأَهُ بِالْعُفْوِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهُ وَالْإِمْتِنَانِ عَلَيْهِ بِالْمُسَامَحَةِ وَقَلَّدَهُ  
تَفَضُّلَاتِهِ وَطَوْقَهُ مَكَارِمَهُ.

وَبَقِيَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ فِي مَسُورَ اثْنَا عَشَرَ نَهَارًا، وَأَتَمَّ مَا أَرَادَ مِنْ  
الطَّيَافَةِ وَالْإِفْتِقَادِ وَتَقْرِيرِ مَا قَرَّرَ، وَرَجَعَ إِلَى مَحْرُوسِ كُوكَبَانَ بَعْدَ أَنْ رَتَّبَ  
فِي حُصُونِ مَسُورَ وَأَبْوَابِهِ مَنْ يَتَّقَى بِهِمْ وَيَأْمَنُ مِنْ جِهَتِهِمْ، وَجَعَلَ هُنَالِكَ  
عَيْنَاتٍ كَثِيرَةً لِلْإِطْلَاعِ عَلَى أَحْوَالِ رُتْبِهِ.

وَمَسُورَ جَبَلٌ وَسِيعٌ لَا يَحْفَظُهُ إِلَّا [٢٣٠] خَلْقٌ كَثِيرٌ وَجَمٌّ غَفِيرٌ، وَفِي  
رَأْسِهِ حُصُونٌ وَقِلَاعٌ وَبِهِ كَانَتْ مَمْلَكَةُ بَنِي عَبْدِ الْحَمِيدِ مِنْ دُعَاةِ الْعُبَيْدِيِّينَ  
مُلُوكِ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ، وَبَقِيَ الْآنَ مِنْ آثَارِ عِمَائِرِهِمُ الْجَامِعِ الَّذِي فِي بَيْتِ  
رَيْبِ<sup>(٢)</sup> فِي مَسُورَ، وَدَخَلْتُهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ مَعَ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ وَقَدْ جُدِّدَ  
سَقْفُهُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ سَقْفِهِ الْأَوَّلِ إِلَّا مَا كَانَ فَوْقَ الْمَنْبَرِ فِيهِ صَنْعَةٌ عَجِيبَةٌ  
بَدِيعَةٌ مُزَوَّقَةٌ مُزَخْرَفَةٌ، يُشَابِهُ سَقْفَ جَامِعِ مَدِينَةِ شَبَّامِ حِوَالِ فِي حُسْنِهِ  
وَتَزْوِيقِهِ، وَرَأَيْتُ تَارِيخَ وَقْتِ عَمَلِ مَنبَرِهِ مَكْتُوبًا فِي رَأْسِهِ مِنْ كِتَابَةِ النَّجَّارِ

(١) «قدره»: هكنا في الأصل.

(٢) بيت رَيْبٍ: قرية من ناحية مَسُورَ وأعمال حَجَّة، قال في معجم البلدان: «بيت رَيْبٍ حصن  
باليَمَنِ فِي جَبَلِ مَسُورَ». [بلدان اليمَن (٢) / ٣٧٤].



الذي عملهُ واصطنَعَهُ ما لفظه «عَمِلَ هذا المِنْبَرُ في شَهْرِ جُمَادَى الأولى سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ مِمَّا أَمَرَ بِعَمَلِهِ الإمام أحمد بن القاسم المُستعين بالله أمير المؤمنين».

وهو منبر غير مُزَوَّق فيه صِنْعُهُ غَرِيبٌ، وَعَدْدُ دَرَجِهِ سَبْعَ دَرَجٍ، وفي هذا الجامع قَبْرٌ عِنْدَ أَحَدِ أَبْوَابِهِ مُقَضَّضٌ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ كِتَابَةٌ بِاسْمِ المَقْبُورِ فيه وأهل تلك النواحي يَزُورُونَهُ وَيُنْذِرُونَ له.

وسألتُ فقيهاً من أهل المَكَانِ الذي يَتَصَرَّفُ على إقامته وهو ساكن عِنْدَهُ وأهله قَبْلَهُ: «هل تَسْمَعُ باسمِ مَنْ هو؟».

قال: «لا، إلا أسمع عَمَّنْ سَلَفٍ يقولون هو قَبْرُ ولي».

وأما ما كان من الأمير شمس الدِّين حالَ مَسِيرِهِ إلى مَحْرُوس كَوَكَبَانَ وَحُسَيْن جَاوُش، فأحضروا ما قَدَرُوا عليه [٢٣١] مِنَ الجِمالِ حالَ مَسِيرِهِمْ بِحَمَلٍ ما أَمَكَّنَ من خِزائنِ علي يَحْيَى، من الأصْفَارِ والفُرُشِ والآلاتِ والكُتُبِ ونحوها، وبقي منها بَقِيَّةٌ، فَبَعْدَ وُصُولِ الأمير شمس الدِّين إلى مَحْرُوس كَوَكَبَانَ أَرْسَلَ لها بِجِمالٍ مِنْ جِمَالِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ إلى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ يُعْرِفُ مَسَامِعَهُ الشَّرِيفَةَ مِنْ أَجْلِ حَوَائِجِ علي يحيى المَوْجُودَةِ في مَسُورٍ، أَنَّهُ قد وَصَلَ صُحْبَتَهُ وَصُحْبَةَ حُسَيْن جَاوُش بعضها، وَأَنَّهُ قد أَرْسَلَ لِبَاقِيهَا فَجَوَّبَ عليه أَنَّهُ متى قد صَارَتْ في مَحْرُوس كَوَكَبَانَ جَمِيعُهَا وَجَّهَ بِهَا إلى مَقَامِهِ إلى مَحْرُوس



صَنَعَاءُ صُحْبَةٍ حُسَيْنٍ جَاوُشٍ وَأَنْ يُسِيرَ مَعَهَا الرِّيحُ<sup>(١)</sup> الْعَرَبِي وَالنُّفَارَةُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْ تُجْعَلَ فَوْقَ الْجِمَالِ رَايَاتٌ، وَيُخْرَجَ مِنْ كَوْكَبَانَ بِزَفَةٍ حَتَّى يَرَى النَّاسَ  
عَاقِبَةَ مَنْ عَانَدَ الدَّوْلَةَ السَّعِيدَةَ السُّلْطَانِيَّةَ الْخَاقَانِيَّةَ فَأُخْرِجَتْ مِنْ مَخْرُوسِ  
كَوْكَبَانَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ صَاحِبُ السَّعَادَةِ وَلَمَّا قَارَبَتْ مَخْرُوسَ  
صَنَعَاءَ، أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ الْأَعْيَانَ وَالْكَبَرَاءَ وَالْعَسَاكِرَ السُّلْطَانِيَّةَ  
الْمَنْصُورَةَ مِمَّنْ هُوَ بِصَنَعَاءَ بِتَلْقِيهَا وَمَعَهَا الزَّمَرُ وَالطَّبْلُ فَدَخَلَ بِهَا صَنَعَاءُ  
يَوْمَئِذٍ بِزَفَةٍ عَظِيمَةٍ وَاجْتَمَعَ خَلَائِقُ كَثِيرَةٌ مِنْ نَوَاحِي بَعِيدَةٍ لِلْفُرْجَةِ عَلَى  
دُخُولِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي حَكَيْنَاهَا.

وَعِنْدَ حُصُولِهَا لَدَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَخَذَ مِنْهَا مَا أَرَادَ وَأَعْطَى  
مِنْهَا مَا أَعْطَى وَأَرْجَعَ لِلْأَمِيرِ [٢٣٢] شَمْسُ الدِّينِ مَا أَرْجَعَ، وَوَجَّهَ أَيْضًا  
لِلْأَمِيرِ شَمْسُ الدِّينِ مَعَ مَا أَرْجَعَ لَهُ مِنْ حَوَائِجِ عَلِيٍّ يَحْيَى بِكْرُوسِي بِدِيْعِ  
الصَّنْعَةِ غَرِيبِ الشَّكْلِ هِنْدِي الْعَمَلِ، لَمْ أَرِ مِثْلَهُ فِيمَا أَعْرِفُ؛ جَاءَ  
لِصَاحِبِ السَّعَادَةِ هَدِيَّةٌ مِنَ الْهِنْدِ، وَفِي أَرْكَانِهِ صُورٌ فَيَلَّةٌ فَوْقَهَا أُسُودٌ وَفِيهِ  
نَقْشٌ وَزَخْرَفَةٌ مُرَبَّعِ الشَّكْلِ وَفِي جَوَانِبِهِ شِعْرٌ بِالْفَارْسِيَّةِ.

(١) الرِّيحُ: آلة طرب.

(٢) النُّفَارَةُ: دَفٌّ كَبِيرٌ مِنَ النُّحَاسِ يَحْمَلُ عَلَى جَمَلٍ أَوْ بَغْلٍ. [تكملة المعاجم العربية (٢٨٩/١٠)].

وأما ما كان من أمر الأمير سنان فإنه لما وصل إلى مدينة صعدة، جمع من هنالك من العساكر السلطانية وأتباعهم، وجميع ما يحتاج إليه لسفريه من زاد وزواد وعدد وسار على الأهنوم، لمحاربة الإمام الحسين بن علي المؤيدي وأتباعه وأعوانه وأحزابه، حتى قدم إلى بلاد عذر، وخيم في قرن الوعر، فهرب منه مشايخ عذر، وأما سائر قبائل عذر فواجهوا وبذلوا الطاعة للدولة السعيدة السلطانية، وهم كانوا من أتباع الإمام الحسن وأنصاره في ابتداء دعوته، فكسا الأمير سنان مشايخهم وآمنهم وأمر بتقريبهم، وكذلك واجه قبل قبائل عذر قبائل العصيمات وبذلوا الطاعة للدولة السعيدة السلطانية، وقبضت رهائنهم إلى حصن عيان وهم أهل شدة بأس وقوة نجدة، وفيهم العدد الكثير والجَم الغفير، وأكثرهم بدابة وفيهم غبابة وجهالة، وعيشتهم نكد، وملابسهم خشنه وأكثرهم لا يعرفون فروض الصلاة ولا يصومون، ويؤدون الزكاة.

ولما استقر [٢٣٣] الأمير سنان في قرن الوعر هو ومن معه من عساكر السلطان والأمراء والأغوات والأعيان، بعد مدة يسيرة قصد جبل الأهنوم من طريق الهجر في العساكر السلطانية ف وقعت هنالك ملحمة عظيمة ووقعة هائلة جسيمة، وقُتل فيها خلائق من كلا الفريقين ولم يظفر الأمير سنان يومئذ بمكان من قرى الأهنوم فرجع ومن معه من الأجناد السلطانية إلى المخيم بقرن الوعر، ومن كان في جملة من الأمراء الأمير عبدالله بن

المُطَهَّر، والأمير علي من الأتراك والشيخ الرئيس محمد بن حميد السَّحَّانِي وغير مَنْ ذكرنا.

وأما الأمير لطف الله فَإِنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى كُحْلَانَ الشَّرَف، بعد مَسِيرِهِ مِنْ مَقَامِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنْ مَحْرُوسِ صَنْعَاءَ، حَسَبَمَا سَبَقَ ذِكْرَ ذَلِكَ، وَاجْتَمَعَ بِأَخِيهِ حِفْظَ اللَّهِ بْنِ الْمُطَهَّرِ هُنَالِكَ، نَزَلَا إِلَى بَعْضِ حَوَارِ الشَّرَفِ إِلَى مَكَانٍ رَدِيءِ الْهَوَاءِ مَعْرُوفٍ بِالْوَبَاءِ، وَبَقِيََا بِهِ أَيَّامًا وَذَلِكَ قَبْلَ حَرَكَةِ الْأَمِيرِ سِنَانٍ إِلَى بِلَادِ عُذْرٍ فَتَأَلَّمَا هُنَالِكَ مِنَ أَلَمِ الْحُمَمَاتِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِمَا وَعَادَا إِلَى كُحْلَانَ الشَّرَفِ الْيَمَانِي<sup>(١)</sup> وَاشْتَدَّ الْأَلَمُ عَلَى الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَى، وَرَدَّاءِ الْمَوْضِعِ الَّذِي تَأَلَّمَ بِهِ وَبَسَبَبِ وَصُولِهِ إِلَيْهِ وَهَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي سَارَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَجَنَّبُ وَصُولَهُ إِلَيْهِ وَمُرُورَهُ فِيهِ، ثُمَّ أَقَالَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْأَلَمِ.

وَفِي أَوَاخِرِ شَهْرِ مُحَرَّمِ الْحَرَامِ [٢٣٤] أَوَّلِ شُهُورِ عَامِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، نَجَّمَ خِلَافَ غُوثِ الدِّينِ عَلَى الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَعَصِيَانِهِ عَلَيْهَا وَنَكَثِ عُهُودِهِ وَجَحْدِهِ نَعِيمَهَا، مِنْ غَيْرِ أَمْرِ صَدَرَ إِلَيْهِ أَوْ شَائِبٍ وَقَعَ عَلَيْهِ، وَرَأَى الْإِمَامَ الْحَسَنَ صَاحِبَ الْأَهْنُومِ، وَقَدْ كَانَ قَبْلَ خِلَافِهِ بِأَيَّامٍ يَسِيرَةٍ كَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ سِنَانٍ مِنْ جِهَةِ الْمِدْفَعِ الَّذِي عِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا احْتِاجَ إِلَيْهِ لِحَرْبِ الْأَهْنُومِ وَجَّهَ لَهُ مَنْ يُخْرِجُهُ، وَكَانَ ذَلِكَ ابْتِدَاءً مِنْهُ

(١) «الشرب اليماني»: هكذا في الأصل. واليماني: الجهة الجنوبية.

من غير مُطالبَةٍ له وبلغَ مَوْلَانَا صاحب السَّعادة ذلك فَشَكَرَ له ورجَّه إليه  
 بناسٍ من أربابِ المَدافع وغيرهم فلمَّا قَدِمُوا على غوث الدِّين رَحَبَ بِهِمْ  
 وكَسَاهُم، وبقي يُواعِدُهُم بِخُرُوجِهِ حتَّى تَمَّت قواعِدُهُ التي بيَّنه وبين  
 الإمام الحسن المُؤيَّدي والمُعاهدة، أمرَ الذين جاؤوا لِلْمِدْفَع بِالرُّجُوعِ  
 على أثرِهِمْ ويغْلِبُ على المَدافع، وقيل إنَّه <sup>(١)</sup> كانَ له مُدَّة أَيْام مُنذ كان  
 صِنُوهُ علي يَحْيَى في مَسُور يُكَاتِبُ الإمام الحسن سِرّاً في تَقَرُّر القَوَاعِد فيما  
 بيَّنه وبينه، ووفاء القيام معه، ومُلازمة جُمعِيته وجماعته، وقد كان والآء في  
 ابتداء دَعْوَتِهِ وقال بِإمامته وخطَبَ له في حصنه، وقَسَم الشَّرَف وحُصونه  
 بيَّنه وبينه بالسَّوية بعد أن حَصَرَهُ وأَحْرَبَهُ مُدَّة أَيْام في حصن عَفَّار وأغرى به  
 يومئذٍ قبائل تلك الجِهاد وغَدَرَ به منهم مَن غَدَرَ في بعض حُصونه وثارت  
 [٢٣٥] عليه جميع قبائل بلاد عَفَّار مع أتباع الإمام الحسن المُؤيَّدي حتَّى  
 كاد يُشْرِف على الهلاك وخاف على نفسه ممَّن عنده من الولاة والرُّتبة،  
 ولم يتم له تلك الأيَّام ما وَضَعه وقرَّره مع موالاته وقوله بِإمامته بل اختلف  
 عليه في أَقْرَب مُدَّة وتغيَّرت عليه أمورُه وانْهانت أحواله ورأى الهوان في  
 نفسه، وكانت موالاته لِلإمام الحسن في تلك الأيَّام وأخوه علي يَحْيَى في  
 غاية القُوَّة والسَّيِّد أحمد وصِنُوهُ عبدالرَّحْمَن بن المُطَهَّر والأَمير مُحَمَّد بن  
 النَّاصِر، هؤلاء رؤساء اليَمَن وملوكه كانوا يومئذٍ قد بايعوا لِلإمام الحسن،

(١) «إن»: هكنا في الأصل.



وقالوا بإمامته وكانوا جميعاً في طاعته وموالاته ومناصرته، فكيف يغتر غوث الدين بموالاته ومتابعته وقد جرى مع هؤلاء الذين كانوا أعوان الإمام الحسن وأنصاره ما سبق ذكره من استلاب مُلكهم وهلاك أكثرهم، والإمام في حال خلافه هذا مشغول بنفسه، قد استولت العساكر السلطانية على أكثر بلاده ومُعظم أتباعه وأنصاره ومع ذلك فقد عُرف بما سبق إليه منه حين والاه أولاً، ووقعت إليه أمورٌ كان يرى الموت خيراً منها ورآها عيانياً وإنما وقع هذا منه لسوء تدبيره، ويجلب بسبب ما وقع منه المصائب والفتن على نفسه، وصار كالباحث على حتفه بظلفه

وكان المعروف من أحوال غوث الدين فيما تقدّم [٢٣٦] محبته للسكون والدعة وصيانته جنابه وبعد الفتن عن مكانه وبلاده، وما هو معروف من بُخله<sup>(١)</sup> وعدم سماحة نفسه بالإنفاق<sup>(٢)</sup> حتى على أهله وأولاده، وترك إنالة أقاربه وأرحامه.

وأما ما كان من أهل ظفیر حجة بعد مصير السيد علي يحيى عندهم واستجارته بهم؛ فإنهم حينئذ مالوا عن طاعة الدولة الخاقانية بعد موالاتهم لجانبها الشريف وجحدوا إحسانها إليهم وخانوا عهدها المأخوذ عليهم ولم يذكروا ما قد نالهم يئمن سعدتها من دفع المضار والمخاوف عنهم

(١) «محلّه»: هكذا في الأصل.

(٢) «بالإنفاق»: هكذا في الأصل.



من حيّ السيّد عبدالرحمن بن المظهر، وما قد كان أظهره من قصده  
لنكاليهم وإيقاع الشرّ بهم والاستيلاء على بلادهم؛ وذلك أنّها كانت بينهم  
وبينه مواحشة وعداوة قديمة منذ أيام حيّ والده وكانوا خائفين منه خوفاً  
شديداً، وكان لا يزال يتوقّع فرصة تُوقع بهم وتُدوِّخ بلادهم، وبلاده  
مُتصلة بالظفير، فلمّا فتح مولانا صاحب السعادة أدام الله علوه مخروس  
قلعة مدع ازداد خوفهم من الأمير عبد الرحمن بن المظهر ولم يقرّ بهم  
قرار، وبقوا مُنحصرين إلى أبواب بيوتهم وأيقنوا بالهلكة، ورأوا من  
صلاح أمور الأمير عبد الرحمن بسبب موالاته للدولة السلطانية وعظم  
جأه عند صاحب السعادة وما أنعم به عليه من البلاد والسنجق الشريف  
واللواء المنيّف السلطاني [٢٣٧] وقد تقدّم الكلام على ذلك.

الثَّالِثُ عَشْرُ



## [الجزء الثالث عشر]

فسار من مشايخ أهل ظفير حجة ورؤسائهم إلى كوكبان إلى الأمير عز الدين، وهم أخواله وأصهاره، فلاذوا به أن يكتب لهم شفاعات إلى مولانا صاحب السعادة، بأن يجعل لهم مراسيم كريمة وتقريرات شريفة وقوانين أكيدة، باحترام جانبهم وإجرائهم على مقتضى عوائدهم وأنهم داخلون في طاعة الدولة الخاقانية، وأن بلادهم من جملة ممالكها المحمية، وأن لا يكون للأمير عبدالرحمن عليهم سلطانا، فكتب لهم حي الأمير عز الدين إلى صاحب السعادة، وتلطف بمولانا صاحب السعادة في قبول شفاعته فيهم، ووجه بهم إلى مقامه، فلما قدموا على صاحب السعادة، قبل شفاعته الأمير عز الدين في مطلبهم الذي طلبوه والمقصد الذي راموه، وأنعم عليهم بالخلع السنية، ووصلهم بالصلات الجزيلة الهنيئة، وجعل لهم مراسيم شريفة وقواعد أكيدة باحترام جانبهم والإجراء لهم على عوائدهم الأولى وعاداتهم السابقة، ورجعوا إلى بلادهم وهم فرحون بما نالهم من صاحب الإنعامات، وحصل لهم من التشريفات من صاحب السعادة وبقوا على ذلك مدة أيام.

ثم أنه وقع بينهم وبين الأمير عبد الرحمن مواحشة وأعاقهم من المسير في بلادهم، وأراد الوئوب عليهم فشكوا إلى الأمير عز الدين ذلك، وطلبوا

منه تعريف [٢٣٨] مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ، وَمَا قَدْ أَظْهَرَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنَ الْعَدَاوَةِ، وَمَا أَوْعَدَهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ صَارُوا مِنْ أَتْبَاعِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَ مَالِكِيهَا، فَعَرَفَ الْأَمِيرُ عِزَّ الدِّينِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِأَمْرِهِمْ وَشَفَعَ لَهُمْ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ يَكْفَ شَرَّهُ مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لَهُمْ بِمَكْرِهِ، فَكُتِبَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُحَذِّرُهُ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ وَمَعَادَاتِهِمْ، وَأَنْ يَتْرَكَ التَّعَدِي عَلَيْهِمْ، فَامْتَثَلَ الْأَمِيرُ الشَّرِيفَةَ وَكَفَّ عَنْهُمْ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُمْ بَعْدُ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ إِثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قِتْلًا؛ قِيلَ قَتَلَهُ عَبْدٌ لَهُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَمْرُ ابْنِهِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بِقَتْلِ ذَلِكَ الْعَبْدِ، وَقِيلَ: بَلْ قَتَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ كَانَ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّةِ ذَلِكَ.

وَلَمَّا تَقَرَّرَ عَلَيَّ يَحْيَى عِنْدَ أَهْلِ الظُّفَيْرِ، وَالْوَا إِمَامِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْأَهْنُومِ، وَقَالُوا بِإِمَامَتِهِ وَخَطَبُوا لَهُ عِنْدَهُمْ، وَسَارَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ إِلَى الْأَهْنُومِ إِلَى إِمَامِ الْحَسَنِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ النُّصْرَةَ وَالْإِمْدَادَ لَهُمْ بِعَيْنِهِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَوَجَّهَ مَعَهُمْ بِطَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ، صُحْبَةً أَمِيرِ الدِّينِ الَّذِي كَانَ وَجَّهَهُ إِلَى مَسُورٍ حَسْبَمَا قَدِمْنَا فِي ذِكْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ طَلَبُوا أَيْضًا مِنْ غَوِثِ الدِّينِ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَنِ طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ [٢٣٩] عَيْنَةً مِنْ أَصْحَابِهِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِجَمَاعَةٍ مِنْ عَسَاكِرِهِ.

ولما انتهى إلى صاحب السعادة خبر خلاف غوث الدين على الدولة السعيدة الخاقانية، لم يُراجعه في أمر عصيانه ونكثه للعُهود، ونقضه للعُود التي في عنقه للدولة السلطانية، بل جهز طائفة من العساكر السلطانية ومعهم الخزائن والعُدَدُ صُحْبَةَ الأمير رضوان، والآغا صلاح بن سالم، وأمرهم أولاً بالخروج إلى هجر بني قُطيل، من مخاليف قلعة مُدَعِ المَحْرُوسَةِ فساروا<sup>(١)</sup> إلى هُنَالِكَ وخيَّموا به وكتبَ صاحبُ السعادة إلى السيّد الحسن بن الإمام شرف الدين صاحب كُخلان تاج الدين أن يتنبه على أطرافِ بلاده، ومتى احتاج إلى إمداد بعسكر أو غيره عرفه بذلك، حتى يوجه إليه بما يطلبه لأنّه من جُمْلَةِ أتباع الدولة السلطانية وأنصارها.

وفي يوم الخميس سابع شهر صفر الخير من هذه السنة المُقَدَّمِ ذُكْرُهَا، وَصَلَ إلى مقام السعادة الآغا حُسَيْن من الأبواب الشريفة السلطانية والعتبات الفخيمة الخاقانية بتشريفات له سلطانة وخَلَعَ كريمة خاقانية، وبسيف مُحَلَّى، من حَضْرَةِ مَوْلَانَا سلطان الإسلام والمُسلمين مُلِكِ البرّين والبحرين، خادم الحرمين الشريفين مَوْلَانَا السلطان مُراد بن سليم شَيْدَ الله عِمْرَان مَمَالِكِهِ، وفي هذه التَّشْرِيفَاتِ الكَرِيمَةِ الإخبار لمَوْلَانَا صاحب السعادة [٢٤٠] بالإنعام عليه بالمرتبة السَّما بالوزارة الفخيمة العظيمة، وتجديد الولاية له على إقليم اليَمَن فَخَرَجَ في اليوم المُقَدَّمِ ذَكَرَهُ

(١) «فسار»: هكنا في الأصل.



من مَحْرُوسَة صَنَعَاءَ فَيَمَن لَدِيهِ مِنَ الْعَسَاكِرِ وَالْأَمْرَاءِ إِلَى حَمْرَاءِ عَلَبُ،  
لَتَلْقَى هَذِهِ التَّشْرِيفَاتِ السُّلْطَانِيَّةَ وَالْخَلَعَ الْفَخِيمَةَ الْخَاقَانِيَّةَ فَلَيْسَ الْخَلَعَ  
هُنَالِكَ، وَتَقْلَدُ السَّيْفَ السُّلْطَانِيَّ وَقَبْلَ التَّشْرِيفَاتِ الْكَرِيمَةِ، وَقَامَ لَهَا قَائِمًا  
إِعْظَامًا لَهَا، ثُمَّ دَخَلَ مَدِينَةَ صَنَعَاءَ الْمَحْرُوسَةِ فِي زِيٍّ حَسَنٍ وَهَيْئَةٍ رَائِقَةٍ  
عَظِيمَةٍ، وَضَرَبَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَدَافِعُ وَالزَّرْبُطَانَاتِ، وَأَظْهَرَ صَاحِبُ  
السَّعَادَةِ الْفَرَحَ وَالْمَسْرَةَ، بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ مِنْ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ بِهَذِهِ الْمُرْتَبَةِ  
وَأَنْفَذَ الْبَشَارَاتِ إِلَى جَمِيعِ بِلَادِ وَلَايَتِهِ، وَأَمَرَ بِالتَّلْبِيسِ فِي مَدِينَةِ صَنَعَاءَ  
سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَدَعَا لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ بِتَخْلِيدِ مُلْكِهِ وَدَوَامِ عِزِّهِ.

وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ هَذَا الشَّهْرِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ جَهَزَ  
غَوْثُ الدِّينِ جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ عَسَاكِرِهِ وَأَتْبَاعِهِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ لُطْفِ اللَّهِ بْنِ  
رَضِيِّ الدِّينِ صَاحِبِ حَصْنِ جُرْعَ<sup>(١)</sup> إِلَى بِلَادِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى حَاجَّةٍ، وَأَمَرَ أَهْلَ الظَّفِيرِ وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُمْ أَنْ يَفْتَحُوا الْحَرْبَ  
مِنْ جِهَةِ بِلَادِهِمْ، فَفَعَلُوا وَفَتَحُوا الْحَرْبَ مِنْ جِهَةِ بِلَادِهِمْ عَلَى الْأَمِيرِ عَبْدِ  
الرَّحِيمِ، وَلُطْفِ اللَّهِ بْنِ رَضِيِّ الدِّينِ جَاءَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، لَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ  
الْأَمِيرُ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَلَا أَصْحَابُهُ لِعَدَمِ هِمَّتِهِ وَتَنْبَهِهِ<sup>(٢)</sup>، وَإِنْفَاذِهِ<sup>(٣)</sup> [٢٤١]

(١) جُرْعَ: حصن مشهور ما بين كُحْلَانَ تاج الدِّينِ، وَبِلَادِ عَفَّارِ. [بِلْدَانُ الْيَمَن (١/ ١٨٤)]. وَقَدْ  
أَثْبَتْنَاهَا كَمَا ضَبَطَهَا الْمُؤَلِّفُ.

(٢) «وَتَنْبَهَهُ»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

الجواسيس لتأمينه بالأخبار، فبينما أصحابه في شدة الحرب ومعظمه إذ قد دهمتهم عساكر غوث الدين من ورائهم، ففشلوا وولوا مُنْهَزِمِينَ كُلَّ عَلَى رأسه، ولم يَكُنْ يحضر الحرب بنفسه، ولا جَعَلَ له عِيْنَةٌ ورئيساً ترجعُ العسكر إليه وتستحي منه، فَقُتِلَ جماعة من عسكره ومن أهل بلاده، وانتهبت قُرى كثيرة من قُرى بلاده، وَرَجِعَ لُطْفُ الله بن رَضِيّ الدين فيمَن مَعَهُ إلى عَفَّار من ثاني يومه، وَكُتِبَ الأَمِيرُ عَبْدُ الرحيم إلى صاحب السَّعادة يَطْلُبُ منه الإمداد له، فَكُتِبَ إلى الأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ أَنْ يُمِدَّهُ بِعَسْكَرٍ من أصحابه، ففَعَلَ الأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ ما أَمَرَهُ به، وَوَجَّهَ بِعَسْكَرٍ من سَاعَتِهِ إلى الأَمِيرِ عبد الرحيم، فَلَمَّا وصلوا إليه فَرَّقَهُمْ في حُصُونِهِ لحفظها، وأمر مَوْلَانَا صاحب السَّعادة الأَمِيرَ خِضْرَ المَعْرُوفَ بِقِلَاقٍ، أَنْ يَتَوَجَّهَ إلى عَفَّارٍ لِمُحَارَبَةِ غوث الدين وَجَهَّزَ مَعَهُ العَسَاكِرَ المَنْصُورَةَ من التُّركِ والعَرَبِ وَصُحْبَتَهُ مِدْفَعٍ وَرَرِبْطَانَاتٍ لِيَكُونُ هُوَ ومن مَعَهُ في نَحْرِ غوث الدين وحربه، وَيُشْغِلَهُ عن مُحَارَبَةِ عبد الرحيم؛ لكونه منُ أُمراء الدَّولة السَّعيدة.

وفي هذا الشَّهر المُقَدَّم ذكره عَزَّتْ (١) العَسَاكِرُ المَنْصُورَةُ الَّذِينَ بِمُخَيَّمِ قَرْنِ الوَعْرِ من بلاد عُذْرٍ إلى حَاذَةِ جَبَلِ الأَهْنُومِ، فغَنِمُوا من مواشيهم

(١) «وانقادا»: هكنا في الأصل.

(٢) «اغزا»: هكنا في الأصل.

غنيمة عظيمة، وقتلوا من الذين غزؤهم مقتلة جسيمة، وهزموا عسكر الإمام الحسن هزيمة فاضحة [٢٤٢].

ورجعت العساكر المنصورة السلطانية غانمة ظافرة ثم غزت العساكر المنصورة السلطانية الذين بقرن الوعر مرة أخرى، في شهر ربيع الأول من هذه السنة المباركة إلى بلاد ظليمه من بلاد الإمام الحسن المؤيدي، فغنمت عساكر الدولة السعيدة الخاقانية من تلك البلاد من المواشي وغيرها شيئاً كثيراً وقتلوا وأسروا من الرجال والحريم والأطفال خلقاً كثيراً، وعادوا إلى المخيم المنصور ظافرين مسرورين، ولما قدموا بالأسرى والأطفال إلى المخيم المنصور أمر الأمير سنان بفك الأسرى والحريم والأطفال وتخليه سبيلهم وأمر بتسريحهم حيث شاءوا في بلاد الدولة السلطانية، وكان رئيس هذه الغزاة من أمراء السلطان عبدالله بن المطهر.

وأما الأمير رضوان والآغا صلاح بن سالم، ومن عندهما من عساكر السلطنة، فأمرهم صاحب السعادة بعد تخييمهم في بني قُطيل، أن يتقدموا إلى حازة حصن كُخلان تاج الدين، وأن يُخيموا هنالك، وهذا المكان من الأماكن المتاخمة لعفار وبلاده، وكتب أيده الله تعالى إلى السيد الحسن بن الإمام شرف الدين أن يوجه ولده عز الدين وأصحابه إلى الأمير رضوان وأن يبقوا عنده ويكونوا من جملته ويجهدوا في معاونته ومناصرته، ففعل ما اقتضته الأوامر الشريفة [٢٤٣] أيدها الله تعالى.

وأما الأمير خضر فتوجه بمن معه من العساكر المنصورة إلى موضع تحت حصن سيد الغرابي يقال له: (الدعسمي)، وخيم به وأما المدفع فتركه في عمران، والدعسمي مما يتأخم عقار، وأضر مكان على صاحب عقار وبلاده.

وهذا حصن سيد الغرابي قد كان مؤلانا صاحب السعادة استفتحته منذ مدة بحسن سياسته وعظيم رجالته ولقب الغرابي لسواده وهو حصن وعبر المسالك، ومما يحيط به قري مُحَصَّنَة، وكان في يد جماعة من أهله من بني حبش، ولم يقدروا على فتحه ومملكه حي السيد الناصر المظهر بن الإمام شرف الدين مع معرفته بضرره على عقار، بل صالح أهله على تسليم زكاتهم فقط، وقد كان صاحب السعادة بعد فتحه وجه إليه بجماعة من الأتراك لحفظه وأمر أيده الله تعالى رؤساء قبائل جنب<sup>(١)</sup> من قبائل حصن جعل وغيرهم بالمصير مع الأمير خضر، ففعلوا ما أمرهم به مؤلانا صاحب السعادة.

وفي العشر الأخرى من صفر الخير من هذه السنة، قدم إلى مقام مؤلانا صاحب السعادة الأمير سنان إلى محروسة صنعاء في جماعة قليلة، وأما سائر الأمراء وأعيان الأغوات والكبراء وكافة العساكر السلطانية الذين

(١) بلاد جنب: قبيلة ومركز إداري من مديرية السود في غربي جبل عيال يزيد، من أعمال محافظة عمران. [البلدان والقبائل (١/٣٥٩)].



بقرن الوعر من بلاد عُذْر فبقوا على حالهم هنالك في حرب الإمام الحسن [٢٤٤] وأتباعه ومحاصرتهم له في جبل الأهنوم، وفي جملة من جاء ضحبة الأمير سنان الفقيه عبدالله بن يحيى بن المعافا صاحب السودة والشريف محمد علي بن الشويع وابن عمه عبدالله بن قاسم بن الشويع.

وفي يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول من هذه السنة المُقَدَّم ذكُرَهَا جمَعَ غوث الدِّين جُمُوعًا كَثِيرَةً من أصحابه وأتباعه ومَن معه من أصحاب الإمام الحسن، وقَصَدَ بهم مُخَيَّم الأمير خِضَر، وكانت مَنَّتُهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَسْتُولِي عَلَى مُخَيَّم الأمير خِضَر ومن معه، فوقع بين أصحاب غوث الدِّين ذلك اليوم حربٌ عَظِيمٌ وَقِتَالٌ شَدِيدٌ وَأَحَاطُوا عَسْكَرَ غوث الدِّين وأصحاب الإمام الحسن بعساكر السِّلْطَنَةِ من جميع جوانب المُخَيَّم، فأمدَّ الله سبحانه عساكر السِّلْطَنَةِ بِنَصْرِهِ وتأييده فولوا الأدبار مُنْهَزِمِينَ خَائِبِينَ إِلَى عَقَّار، وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَخُزَّتْ رُؤُوسُ الْمُقَاتِلِ مِنْهُمْ وَلَمَّا بَلَغَ الْأَمِيرُ رِضْوَانُ وَالْأَغَا صَلَاحُ بْنُ سَالِمٍ تَقَدَّمَ أَصْحَابُ غوث الدِّينِ إِلَى حَيْثُ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، أَغَارُوا فِيْمَنْ مَعَهُم وَوَقَعَتْ بَيْنَهُمْ مِلْحَمَةٌ هُمْ وَبَعْضُ عَسَاكِرِ غوث الدِّينِ فِي مَكَانٍ بِقُرْبِ عَقَّارٍ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ غوث الدِّينِ.

وسارَ الْأَمِيرُ رِضْوَانُ وَالْأَغَا صَلَاحُ بْنُ سَالِمٍ وَمَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ، حَتَّى اجْتَمَعُوا بِالْأَمِيرِ خِضَرٍ وَاجْتَمَعَ الْأَمِيرُ خِضَرُ وَمَنْ ذَكَرْنَا



في وادي قُطَابَة<sup>(١)</sup> وعقروا بساتين لغوث الدّين هُنَالِكَ [٢٤٥] ورجع كلّ منهم إلى مُخِيَمِهِ.

وفي يوم السَّبت سابع شَهر ربيع الأول من الشَّهر المُقَدَّم ذكره انتهى إلى الأمير شَمْس الدّين أحمد بن محمّد بن شَمْس الدّين أن أهل نَجْرَه ومن لَفَ لفهم من قبائل قُدَم<sup>(٢)</sup> قد عَمِلُوا على الفساد وإظهار العِناد، وصاروا يرأسلون أتباع الإمام الحَسَن صاحب الأَهْنُوم، وكان منهم وُلاة لقلعة قُراضَه، وكان بعد استيلاء العَسَاكِر السُّلْطَانِيَّة على مَسُور وخروج علي يَحْيَى منه بذلوا الطَّاعة للدَّوْلَة السُّلْطَانِيَّة، فقررهم الأمير شَمْس الدّين على ولايتهم وعلى جاري عوائدهم بعد قبض العُهود منهم، وهم في الزَّمان السابق ممَّن يُحَافِظ على طاعة من مَلِكُهُم وتولى بلادهم، ويبالِغُون في النُّصح والخدمَة، وعَرَفَ ذلك منهم كل خاصّ وعام، فكان تقريرهم من الأمير شَمْس الدّين في قلعة قُراضَه لأجل ما ذكرناه من صِفَة أحوالهم واستقامَة أقدامهم على الطَّاعة لِمَن مَلَك بلادهم وبُعدهم عن

(١) قُطَابَة: مركز إداري من مديرية السُّود، وأعمال محافظة عَمْران، يقع في شمال جبل كُحْلان عَفَّار. [البلدان والقبائل (٢/ ١٢٨١)].

(٢) قُدَم: قبيل كبير من قبائل حاشِد، تسكن في بلاد حَجَّه، وتنقسم إلى عدد من البطون منها: أَعْسَب، شَاوِر، الشَّاهِل، بني مَدْيَحَه، حُزْلِي، جَلّ، جَهْم. وهذه القبيلة مُعَيَّت كثير من الأوطان في بلاد حَجَّه، منها: جبل قُدَم، يقع إلى الجنوب من بلاد حَجَّه، وبيت قُدَم، يقع إلى الشرق من مدينة حَجَّه. [البلدان والقبائل (٢/ ١٢٥٥)]. وفي الأصل: 'قُدَم' بضمّ أوله وثانيه.

كَلِمَةِ الدِّمِّ، وَهُمْ أَهْلُ شَجَاعَةِ نَجْدَةٍ، وَعَدَدٍ وَعُدَدٍ، وَبِلَادِهِمْ فِيهَا مَعَاوِلُ  
 حَصِينَةٍ وَقُرَى مَنِيعَةٍ، وَهُمْ رَأْسُ بِلَادٍ قَدَمٍ، وَحِينَ بَلَغَهُ عَنْهُمْ تَوَاتُرُ الْأَخْبَارِ  
 الصَّحِيحَةِ بِمَا قَدْ رَأَوْهُ مِنَ الْفَسَادِ وَالشَّقَاقِ وَالْخِلَافِ وَالْعِصْيَانِ عَلَى  
 جَانِبِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يُبَادِرْ بِاِفْتِقَادِ أُمُورِهِمْ وَحَسْمِ شُرْهِمْ  
 ظَهَرَ فِسَادُهُمْ وَسَرَى إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْقِبَائِلِ الْمُحَازِرَةِ لَهُمْ وَيَقْتَدِي  
 [٢٤٦] بِأَفْعَالِهِمْ غَيْرِهِمْ، مِنْ مَوَالَاةِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ، فَعَمَلَ الْأَمِيرُ شَمْسُ  
 الدِّينِ عَلَى غَزْوِهِمْ خَفِيَّةً، فَتَجَهَّزَ بِنَفْسِهِ وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الصَّيْدَ مِنْ بِلَادِ  
 الطَّوِيلَةِ، فَجَمَعَ مِنْ لَدِيهِ مِنْ عَسْكَرِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَارَ إِلَيْهِمْ، فَبَاتَ فِي بِلَادِ  
 الطَّوِيلَةِ وَسَارَ مِنْ صُبْحِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَاصِدًا لَهُمْ، وَجَاءَ مِنَ الْأَمَاكِينِ الَّتِي لَا  
 يُشْعَرُ بِمَسِيرِهِ فِيهَا وَسَارَ سِرًّا حَتَّى وَأَمَرَ أَنْ لَا يُضْرَبَ بُنْدُقٌ وَلَا مِدْفَعٌ،  
 وَقَدَّمَ الطَّلَائِعَ عَلَيْهِمْ سِرًّا فَلَمْ يَكُنْ آخِرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَّا وَقَدْ صَارَ بَيْنَ  
 بِلَادِهِمْ وَقَلْعَةِ قُرَاضِهِ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْهُمْ، وَأَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ عَنْ  
 الْمَرَأَى لَهُ وَلِعَسْكَرِهِ لَمَّا قَارَبَ بِلَادَهُمْ وَقَرَاهُمْ، وَلَمَّا صَارَ بَيْنَ بِلَادِهِمْ أَمْرَ  
 أَصْحَابِهِ بِأَسْرَ مَنْ وَجَدُوا مِنْهُمْ مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ، فَوَقَعَ فِي يَدِهِ فِي تِلْكَ  
 السَّاعَةِ أَكْثَرُ مَشَايِخِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ بَذَلُوا الْعُهُودَ بِالطَّاعَةِ  
 السُّلْطَانِيَّةِ وَهُمْ أَرْبَابُ الْفَسَادِ وَشَيَاطِينُ قَوْمِهِمُ وَالْمَسْمُوعَةُ كَلِمَتُهُمْ عِنْدَ  
 قِبَائِلِهِمْ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِمْ وَسَقَطَ فِي أَيْدِي الَّذِينَ بِقَلْعَةِ قُرَاضِهِ مِنْ أَصْحَابِهِمْ،  
 فَخَرَجُوا إِلَى بَيْنِ يَدَيِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ مُوَاجِهِينَ، فَدَخَلَ قَلْعَةَ قُرَاضِهِ  
 وَبَاتَ بِهَا فِي خَوَاصِّهِ وَأَعْيَانِ إِخْوَتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَمَرَ بِحِفْظِ الْحَرِيمِ

والأطفال، وأن لا يُغَيَّرَ عليهم ولا يعترضهم أحد من العساكر ودخل باقي قبائل بلاد نَجْرَه<sup>(١)</sup> في طاعة مَوْلَانَا السُّلْطَان، مَنْ قَضَى مِنْهُمْ وَدَانَ وَصَلَحَ حَالَهُمْ وَانْتَظَمَ أَمْرَهُمْ وَانْحَسَمَ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى [٢٤٧] وَسَعِدَ مَوْلَانَا السُّلْطَان - شَرُّهُمْ، فَرَتَّبَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِهِ وَرَجُلٍ عَلَيْهِمْ عَيْنَةٌ، وَعَمِلَ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى مَخْرُوسِ كُوكَبَانَ وَالَّذِي قَبَضَهُمْ مِنْ مَشَايخِهِمْ مَعَهُ تَحْتَ الْحِفْظِ وَالتَّرْسِيمِ، وَلَمْ يَسْتَحْسِنِ الرُّقُوفَ هُنَالِكَ أَيَّامًا رَفَقًا بِالرَّعَايَا لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْمَشَقَّةِ بِسَبَبِ أَقْوَاتِ الْعَسَاكِرِ وَالْأَمْتَعَةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ السَّنَةَ كَانَتْ أَسْعَارُهَا غَالِيَةً وَثِمَارُهَا كَانَتْ ضَعِيفَةً نَزْرَةً، وَكَتَبَ إِلَى خَضْرَةَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِأَمْرِ غَزَوَاتِهِ<sup>(٢)</sup> هَذِهِ وَلِإِصْلَاحِ أَمْرِ بِلَادِ نَجْرَه وَحَسْمِ فِسَادِهِمْ وَإِخْمَادِ نَارِ فِتْنَتِهِمْ، وَقَبْضِهِ لِقَلْعَةِ قُرَاضَه مِنْ أَيْدِيهِمْ وَالْقَبْضِ عَلَى رُؤْسَائِهِمْ وَمَشَايخِهِمْ فَجَوَّبَ عَلَيْهِ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُهُ عَلَى فِعْلِهِ وَصَلَاحِ عَمَلِهِ وَيُثْنِي عَلَى مَا دَبَّرَهُ فِي غَزَوَاتِهِ هَذِهِ مِنْ سَدِيدِ رَأْيِهِ، وَقَالَ السَّيِّدُ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ شَرْفِ الدِّينِ قَصِيدَةً يَهْنِي بِهَا الْأَمِيرَ شَمْسُ الدِّينِ بِظَفَرِهِ بِبِلَادِ<sup>(٣)</sup> نَجْرَةَ وَقَبْضِهِ لِقَلْعَةِ قُرَاضَه مُسْتَهْلَهَا هَذِهِ الْأَيَّاتُ:

(١) نَجْرَه: جبل وناحية يقع إلى الجنوب من بلاد حَجَّه. [البلدان والقبائل (٢/ ١٧٢٢)].

(٢) «غزواته»: هكنا في الأصل.

(٣) «ببلاد»: هكنا في الأصل.

نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ      بَشْرٌ بِهِ كُلُّ مُجِبِّ حَيْبٍ  
 رَبِيعٌ فَتَحَ فِي رَبِيعٍ أَتَى      فَلَبَسَ الْقَوْمَ جَدِيدٌ قَشِيبٌ  
 فَذَا رَبِيعٌ لِقُلُوبٍ وَذَا      رَبِيعٌ إِبْصَارٍ وَكُلُّ عَجِيبٍ

وفي هذا الشهر المبارك أمر مولانا صاحب السعادة للأمير عبدالله بن إدريس بن علي الداعي الأنفي أن يصل إلى مقامه [في] صنعاء وكان يومئذ في [٢٤٨] بلاد الحيمة<sup>(١)</sup> في بلاد ولايته، فلما وصل إلى مقامه خلع عليه خلعة شريفة، وجمع معه عساكر منصوره وكتائب موفورة من العساكر السلطانية، وأمره بالمسير بهم إلى مخيم الأمير خضر ببلاد حصن سيد الغرابي من بلاد بني حبش الأعرم، وأن يكون هو والأمير خضر ومن عندهما من عساكر السلطنة المنصورة يداً واحدة في حرب غوث الدين وأتباعه ومن هنالك من عساكر الإمام الحسن صاحب الأهنوم، وأن يشنا الغارات على بلاد غوث الدين في كل وقت ويجتهدا في حربه، فسار الأمير عبدالله إلى هنالك بمن معه حسب الأوامر الشريفة أعزها الله تعالى.

وفي يوم الخميس ثاني الشهر المقدّم ذكره أنعم مولانا صاحب السعادة أدام الله إسماعده على محمد بن الهادي بن المطهر، بسنجد شريف سلطاني ولواء منيف خاقاني، وأمر له بصلة جزيلة، وخلع نفيسة، وبسيف محلي

(١) الحيمة: بلاد واسعة تقع إلى الغرب من مدينة صنعاء، بمسافة ٣٧ كيلاً، وكانت تعرف قديماً باسم (الأخروج). [البلدان والقبائل (١/ ٥٥١)].



[و] بسيف نفيس، وتحمل عنه جميع ما يصرف ويُنفق على السنجق من خلع ودراهم وسماط وغير ذلك مما يكثر ذكره وقيمته، ولك أن صاحب السعادة لما عرف انسلاخه إليه ومنافرتة لأهله، ولا بقي له ملجأ ولا ظل يتفيا فيه غير جانب الدولة السعيدة السلطانية خلد الله ملك مالكيها، أنعم<sup>(١)</sup> عليه بالسنجق الشريف تفضلاً وتكرماً حسبما هو المعروف من عظيم مكارمه وعميم تطولاته، وحين زف السنجق الشريف إلى محمد بن الهادي أمر مولانا صاحب السعادة [٢٤٩] الأمير سنان أن يصير إلى محمد بن الهادي ويحضر عنده حال تلقيه للسنجق الشريف، ففعل الأمير سنان ذلك وقرر مولانا صاحب السعادة يومئذ لمحمد بن الهادي جوامك سنجقه تنساق إليه، وسيأتي خبر ما آل إليه أمره وتخليطه إن شاء الله تعالى. وفي هذا الشهر أيضاً وصلت إلى مقام مولانا صاحب السعادة أدام الله علوه وحرس سموه إلى محروسة صنعاء اليمن زوجته الحرة الكاملة أم ولده المقام السامي الأمير حسين بك، وقد سبق في هذا الكتاب خبر قدومها إلى مكة المشرفة حرسها الله تعالى من الديار المصرية للحج، وإشعارها مولانا صاحب السعادة بقدومها إلى هنالك وجواب مولانا صاحب السعادة عليها بوصولها إليه، وكان الواصل صُحبة ركايبها من مكة الأمير علي خواجه أمير حاج اليمن من قبل مولانا صاحب السعادة

(١) «أنعم»: هكنا في الأصل.



المُقَدَّم ذكره وحُسَيْنُ ثَرْجُمَانِ الذي وجهه مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ إِلَى  
الْأَمِيرِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي نَمِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ بَرَكَاتٍ صَاحِبَ مَكَّةَ بِرِسَالَةٍ  
بَلِيغَةٍ يُعْزِيهِ بِهَا عَنْ وَفَاةِ أَبِيهِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَخَرَجَ صُحْبَةَ الْمَذْكُورِينَ إِلَى  
الْيَمَنِ بَعْدَ الْحَجِّ فِي طَرِيقِهِمَا هَذِهِ أَوْلَادُهُمَا وَحَرَمُهُمَا.

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ حَصُولَ زَوْجَتِهِ فِي مَدِينَةِ تَعِزِّ  
الْمَخْرُوسَةِ وَجَّهَ وَلَدَهُ الْأَمِيرَ حُسَيْنَ يَتْلِقَاهَا وَوَجَّهَ صَحْبَتَهُ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ  
وَجَمَالٍ لِتَحْمِيلِ أَثْقَالِهَا [٢٥٠] فَاجْتَمَعَ فِي يَرِيمٍ وَسَارٍ صُحْبَتُهَا إِلَى  
مَخْرُوسَةِ صَنْعَاءَ وَحِينَ قَارَبَتْ صَنْعَاءَ أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ بِتَفْرِيعِ  
دَارِ لَهَا وَلِجَوَارِهَا<sup>(١)</sup> فِي غُمْدَانٍ فَدَخَلَتْ إِلَيْهَا وَسَكَنْتَ فِيهَا وَكَانَ تَحْوِيلُ  
هَذِهِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ كَانَ تَحْوِيلُهَا أَوَّلَ لَيْلَةِ الْخَمِيسِ تَاسِعَ عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ  
سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وَالزُّهْرَةَ فِي بُرْجِ الثَّوْرِ وَالْمُشْتَرِي، وَكَذَلِكَ  
مُسْتَقِيمِي السَّرِّ وَهُمَا السَّعْدَانِ الْأَكْبَرَانِ وَبُرْجُ الثَّوْرِ، هُوَ بُرْجُ صَنْعَاءَ الْيَمَنِ  
حَرَسَهَا اللَّهُ مِنْ غَيْرِ الزَّمَنِ.

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى السَّيِّدِ الْأَمِيرِ السَّامِيِّ شَمْسِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ  
شَمْسِ الدِّينِ خَبَرَ قَدُومَ زَوْجَتِهِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ إِلَى مَخْرُوسَةِ  
صَنْعَاءَ، وَجَّهَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
بِهَدِيَةِ سَنِيَّةٍ مِنْهَا صَنْدُوقٌ فِيهِ مِنَ الْحُلِيِّ الذَّهَبِ الْعَيْنِ النَّسَوَانِي الْمُكَلَّلِ

(١) وَلِجَوَارِهَا: وَلِجَوَارِيهَا.

باللؤلؤ والياقوت من حليّة حي والدته الشريفة الفاضلة فاطمة بنت عزّ الدين بن الإمام شرف الدين رحمهما الله تعالى وبجُملة من الكساء النفيس النسواني ومن الشمع ثلاثمائة [و] من السكر العطوي المُتخَب ألف رطل وغير ذلك من السمن والعسل والبُن والقشر.

فلما وصلت هذه الهدية إلى مقام مولانا صاحب السعادة أمر بمصيرها إلى زوجته، وأنعم على من وصل بها بإنعاماتٍ هنيئة، وخلع سنيّة إلى حدّ سائس الجمال وجوبّ على الأمير [٢٥١] شمس الدين يشكره على هديته ويثني على صنعه ومُروته.

وفي هذا الشهر المُقدّم ذكره، وقع بين الشريف علي بن الأمير مُطهر بن محمد الشويح الحمزي ومن معه من قرابته ومخالفه من أهل الجوف والظاهر، وبين إخوة الأمير حفيظ بن الأمير الناصر الحمزي، ومن ينضم إليهم من قراباتهم ومخالفهم وقعة عظيمة، وملحمة جسيمة، بالقرب من الزاهر من قرى الجوف، واضطربوا فيها بالسيوف وتطاعنوا بالرماح حتى تكسّرت وتلازموا بالرقاب والأعناق، فكانت الدائرة على إخوة الأمير حفيظ ومن معهم، وانهمزوا هزيمة فاضحة ولّوا الأدبار مُنهمزين هاربين، بعد قتل جماعة من محاسنهم وأعيان شجعانهم وخيار فرسانهم، وعُقرت خيلٌ من خيلهم، وقيدت قلائع نحو ستة عشر فرساً، واستلبت أسلحة المقاتيل، وأخذت دروعهم، وهؤلاء المذكورين لا تزال الفتن والحروب بينهم قائمة وكذلك كان أيضاً بين آبائهم وأجدادهم، مُنذ أيام الأمير

الشَّريف مُحَمَّد بن الحُسَيْن البَهَّال<sup>(١)</sup> وقيل من قبل ذلك منذ قتل جدُّهم شَمْس الدِّين بن المَنْصُور الإمام أحمد بن الحُسَيْن المَقْبُور بِذِي بَيْن، وحُزَّ رأسه، وإن أمرهم لم يَلْتَمُ مِنْهُ قُتِلَ<sup>(٢)</sup> والله أعلم وكل مَنْ قُويَ مِنْهُمْ طرد خصمه عن الجُوف، وقعد مكانه، هذا دأبهم على اختلاف أحوالهم وأمورهم.

ولا يزال [٢٥٢] كل رئيس منهم مع ملك من ملوك اليَمَن في كل وقت وزمن يستنصر به على خصمه، ولهم وَقَعَات مشهورة وملاحِم مذكورة، لَيْسَ هذا موضع ذكرها وإيرادها، ومن عجيب أحوالهم وغريب أمورهم أَنَّهُ لا يَنْتَظِمُ الأمر بينهم ويكتَفَ شَرَّهم وهم بنوا عَمَّ وقِرابة ولو مُدَّة سيرة، وإن تعاهدوا وتعاهدوا وتضامنوا وتكاتبوا فما أسرع بأن يتغايروا ثُمَّ يتشاجروا ويتحاربوا.

(١) الشَّريف مُحَمَّد بن حُسَيْن البَهَّال: صاحب صَعْدَة، استدعاه أهل صَنْعَاء في باقي أَيَّام مُحَمَّد النَّاصر، لِيَفَكَّ الحصار المَعْلُوق الذي فرضه عليهم السَّلعَان عامر بن عبد الوهاب، وقد استطاع كسر الحصار، ثم عاد السَّلعَان عامر بعد وفاة الإمام ابن النَّاصر لمحاصرة صَنْعَاء، فعاد البَهَّال لِيُنْقِذَهُمْ، فوقع بينه وبين عسكر السَّلعَان قتال انهزم فيه البَهَّال، وقتل من عسكره عالم كثير، وانتهب مخيم البَهَّال، ورجع مهزوماً، وتوفي بصَعْدَة في رجب سنة ٩١٥ هـ [قلادة النحر (٥٤٤/٦)].

(٢) «وَأَنَّ أَمْرَهُمْ لَمْ يَرِيدَ يَلْتَمِمْ مِنْهُ قَتْلُ» هكذا في الأصل، ويستقيم المعنى بما أثبتناه، والله أعلم.

وفي هذه الواقعة لم يقتل فيها من خيل ابن الشويع غير اثنين، ولم يستمر اجتماعهم فيما أعرف لملك ويكونوا جميعاً تحت حكمه وفي طاعته ورسمه، وتحت لوائه غير مؤلّاناً صاحب السعادة وذلك لحسن سياسته فيهم وبركة تدبيره وعظم مكارمه عليهم وكثرة حلمه وصبره وسعة صدره، والتعاطي لما يبدوا منهم ويقع من التشاجر بينهم، فأما هو أيّده الله تعالى فإنه جمعهم وأنعم عليهم وأحسن إليهم، وقرر لهم الجوامك الوافرة لصغيرهم وكبيرهم، وأجمل سياستهم حتى ملك قيادهم وقرب من بعد منهم إليه بإحسانه وصبره، على اختلاط أحوالهم واختلاف أعمالهم وأقوالهم، وقسم الجوف بالسوية بينهم بعد أن قرّر عليه الأموال السلطانية.

ولما انتهى مؤلّاناً صاحب السعادة خبر هذه الواقعة، جمع بين الأمير بن حفيظ والمطهر وذكر لهما ما جرى بين أصحابهما من القتل [٢٥٣] والفرقة، وأن هذه الأسباب الواقعة من تسهيلهما وغفلتهما عن التشديد على أصحابهما ومن إليهما، لأنّهما رئيسا قومهما ومن أمراء السناجق الشريفة السلطانية، فكلّ منهما ادعى أن الحجّة ووقوع ابتداء الشركان من أصحاب الآخر، وكثرت المشاجرة بينهما، فرأى مؤلّاناً صاحب السعادة أن يجعل بين الفريقين هدنة سنة وأشهد على الأميرين المذكورين بذلك من حضر مقامه في ذلك الوقت من رؤساء العرب وأهل المناصب والحسب، وكتب بذلك مكتوب وأمر بقبض حصن الزاهر من أيديهم



وتخليته للدولة السعيدة السلطانية وجعل فيه دزداراً وجماعة من عساكر السلطنة الخاقانية.

قلت: وهؤلاء الأشراف الذين هم أشراف الجوف والدعاة في اليمن داء ملوك العرب في اليمن، في كل وقت وزمن، منذ قويت شوكتهم، واشتهرت كلمتهم، من مآلوا عنه إلى ملك آخر خذله، ومن كانوا معه ووالوه نصره، والحال في ذلك لمن تدبر الأمور ظاهر مشهور، منذ أيام شمس الدين بن المنصور وبني حاتم، فإن الأمير شمس الدين بن المنصور لما مآل عن الإمام أحمد بن الحسين ونكث بيعته إلى الملك المظفر الغساني، كان بعد ذلك قتل الإمام أحمد واستلاب ملكه، وذرية شمس الدين بن المنصور من بعده على ذلك وهلم جرأ.

ومن تتبّع تواريخ اليمن وسير ملوكه عرف صحة ذلك وكان [٢٥٤] بنو حاتم على مثل هذا النمط، وكذلك من تبعهم من الدعاة أولاً فأولاً إلى زماننا هذا، وقضية أشراف الجوف حين والوا على عامر بن عبد الوهاب الطاهري<sup>(١)</sup> العسكر المنصور من الشراكسة الذي كان بسببه هلاكه واستلاب ملكه ظاهرة مشهورة.

(١) عامر بن عبد الوهاب الطاهري: الملك الظاهر (ت ٩٢٣ هـ) عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة القرشي الأموي، الملقب بالملك الظاهر، صلاح الدين: آخر سلاطين اليمن من بني طاهر. ولي بعد وفاة أبيه (سنة ٨٩٤ هـ) وكان شديد الشكيمة بطاشا. أقام في ربيد.



وللإمام الداعي يحيى بن المحسن الحسني<sup>(١)</sup> يذم شرفاء الجوف أولاد  
الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة المقبور بظفار رحمته الله هذه الآيات:

قَبِيلَةٌ لَيْسَ لَهَا فِي الْعُلَا حَظٌّ      وَلَا فِي الْمَجْدِ ثَوْبٌ يَقْسِ  
سِوَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي      كَانَ خَمِيْسًا قَبْلَ قَوْدِ الْخَمِيْسِ  
مَا حَيَّتْ تُنْكِرُ مِنْ قِصَّةٍ      فَقَسُ بِذَا إِنْ كُنْتَ مِنْ يَقْسِ  
وأما ما كان من الأمور بعد قدوم المقر السامي الأمير سنان من المخيم  
المنصور بقرن الوعر من بلاد عُذر إلى مقام مولاتنا صاحب السعادة  
حسب أوامره الشريفة، وقد تقدّم ذكر قدومه فيما سبق من هذا التاريخ  
المبارك إن شاء الله تعالى فإنّها وقعت المفاوضة والأنظار الرشيدة الثابتة

واستولى على صنعاء ففتك ببعض أعيانها، وامتد سلطانه في جميع اليمن . من مآثره عمارة  
الجامع الأعظم في مدينة ريد، وعمارة مدرستين، وإجراء العين في نجر، وبناء مدرسة عظيمة في  
عدن، وكثير من المساجد والمدارس والصفاريج والآبار في أماكن مختلفة. وهاجمه جيش من  
الترك، يقوده أمير اسمه حسين (كان أرسله السلطان قانصوه الغوري صاحب مصر لدفع الإفرنج  
عن اليمن ) فنشبت بين حسين وعامر حروب كثيرة انتهت بمقتل الظافر عامر، في جبل (نقم)  
بقرب صنعاء وبه انتهت دولة بني طاهر، ومدتهم نحو ٦٣ سنة. [الأعلام للزركلي (٣/٢٥٢)].

(١) المعتضد بالله (ت ٦٣٦ هـ) يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى، من ذرية  
الهادي: من أئمة الزيدية في اليمن . كان قيامه بصعدة سنة ٦١٤ بعد وفاة الإمام عبدالله بن حمزة.  
وتلقب بالمعتضد بالله. ولم يتم أمره لأن القوة كانت للأشراف بني حمزة. وكان من العلماء.  
[الأعلام للزركلي (٨/١٦٣)].

والآراء السديدة الصائبة والتدبيرات السعيدة الميمونة الموافقة، فيما بين مؤلانا صاحب السعادة وبين الأمير سنان على قصد غوث الدين إلى حصن عفار ومناجزته وإخماد ما شب من نار فتنته والأخذ لبلاده وحصونه وقلاعه لأنه لما نجم خلافه وظهر عصيانه على الدولة الخاقانية وعناؤه [٢٥٥] وقوله بإمامة الحسن بن علي صاحب الأئمة ومتابعته لجمعته وجماعته وما جرى منه من المغازي والمعاربة لعساكر السلطنة الخاقانية، الذين وجههم مؤلانا صاحب السعادة عليه حين ظهر خلافه وشقاقه، وقد شرحنا فيما تقدم ذكر من وجهه مؤلانا صاحب السعادة من الأمراء والأغوات الأكابر، رأى مؤلانا صاحب السعادة أن أهم الأمور، وما به يكون صلاح الجمهور، وسداد الثغور، وحسم مادة الشرور، توجيه العساكر السلطانية صحبة المقر السامي الكريم الأمير سنان على غوث الدين وحسم موارده، واعتقاله في حصنه وقلعته حتى يدخل في الطاعة السلطانية طوعاً وكرهاً، لأجل لا يسري فساد فيه يضافه من البلاد السلطانية، ولا يغتر به أحد من غوغاء القبائل وشذاذ الأراذل بقيامه مع الإمام الحسن صاحب الأئمة، لأن قبائل اليمن الغالب على أكثرهم الميل إلى الفساد، ولهم ثورات مشهورة فيتغير عن حاله من اغتر به فيميل عن طاعته، وإن الإمام الحسن قد عرف من حاله وطلبة أمره التحور عن مكانه في جبل الأئمة وإنه لا يقدر أن يتعدى على غير مكان هو فيه مع أنه قد بذل جهده وجده في مكاتبات أعيان القبائل وغيرهم من رؤساء العرب

يدعوهم إلى طاعته والميل إلى جنابه ومتابعته والمخالفة على جانب السلطنة وكرّر بذلك كتبه ورسائله، فلم يساعده أحد ولا اغترّبه ولا بكتبه بل كل [٢٥٦] من جاءته رسالة أو مكاتبة منه، جاء بها أو وجهها إلى صاحب السعادة وتبراً من إجابته، وأن تلك العساكر السلطانية التي في قرن الوعر مع من عليها من أمراء السناجق الأعلام والأغوات الكرام يقومون في مقاتلته وحربه، فعمل أيده الله تعالى على حشد طوائف كثيرة ممن بقي في بلاد اليمن ومدنه من عساكر السلطنة وأتباعهم، ومصيرهم إلى مخروسة صنعاء، وتوجيههم على غوث الدين صحبة الأمير سنان. وفي خلال حشده لهذه العساكر المنصورة أمر الأمير سنان أن يخيم خارج مدينة صنعاء المخروسة بالقرب من مسجد قروّة بن مسيك الصحابي رضي الله عنه لأنه لا يصلح لهذا الأمر غيره لما يعرف من شهامته وكماله وحسن تدبيره وبسالته، وأن العساكر المنصورة السلطانية لا تخالفه فيما يأمرهم به ويندبهم إليه لعظم محله ومكانته عند مولانا صاحب السعادة ومن وصل إلى بابه من العساكر المنصورة السلطانية التي أمر بحشدها وجمعها أمرهم بالتخيم عند مخيم الأمير سنان، فلما اجتمعت العساكر التي أراد مولانا صاحب السعادة حصولها في المخيم الذي ذكرنا أمر بعرضهم وافتقادهم وأعطاهم أرزاقهم وجوامكهم وأمر بالتأهب لما يحتاجونه للسفر الميمون الذي هو بكل نصر وظفر مقرون.

الجزء

الترّاع عَشْرَة





## [الجزء الرابع عشر]

وكتب أَيَّدَهُ اللهُ تعالى إلى الأمير شمس الدين [٢٥٧] أحمد بن محمد أن يُهَبِّ عَسْكَرَ من عنده للمسير صحبة الأمير سنان إلى عَفَّار، فجاء جوابه عليه بالامتنال لأوامره ونواهيه، وأنه باذِلٌ لجهده وجدّه وطَّارفه وتلاده في طاعة السُّلْطَنَةِ ونصرتها، والقيام مع أتباعها وأنصارها حَسْبَ مَا تَحِبُّهُ مِنْهُ وَزِيَادَةً، والأمير سنان شاور مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ فِي الْاجْتِمَاعِ بِالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ فِي مَخْرُوسِ كُوكْبَانَ، ومسيره من عنده فيمن توجَّه معه مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ، وتقدَّمه بعد ذلك على غوث الدِّينِ وبَلَادِهِ، فأذن له بذلك فكتب الأمير سنان إلى الأمير شمس الدين بِمَحَبَّتِهِ بِالْاجْتِمَاعِ بِهِ وَالْمَشَاوَرَةِ لَهُ فِيمَا يَكُونُ الْعَمَلُ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ هَذِهِ فَأَمَرَنِي الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ حِينَئِذٍ بِأَنْ أَجُوبَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ شَدِيدُ الرَّغْبَةِ إِلَى الْاجْتِمَاعِ وَالْإِتِّفَاقِ بِهِ وَأَنْ يَكُونَ مَسِيرُهُ مِنْ عِنْدِهِ، وبالع في ذلك أَشَدَّ الْمَبَالِغَةِ وَكَرَّرَ عَلَيْهِ فِيمَا بَعْدَ فِي ذَلِكَ الْمَرَّاسِلَةِ وَالْمَكَاتِبَةِ وَعَرَّفَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَحَبَّةِ الْاجْتِمَاعِ بِالْأَمِيرِ سِنَانَ وَقُدُومِهِ عَلَيْهِ وَمَسِيرِهِ مِنْ عِنْدِهِ، فَجُوبَ عَلَيْهِ بِالْإِسْعَافِ فِي ذَلِكَ وَوَصُولِ الْأَمِيرِ سِنَانَ إِلَى هُنَالِكَ وَشُكْرِهِ عَلَى قَوْلِهِ وَأَثْنِي عَلَى أَحْوَالِهِ وَعَمَلِهِ.



وكان يومئذ في جُملة مَنْ توجَّهَ مع الأمير سنان محمد بن الهادي بن المُطَهَّر بأمر مَوْلَانَا صاحب السَّعادة بعد إنعامه عليه بالسَّجْق الشريف والأمير شمس الدِّين عمل حينئذ على تأهيب [٢٥٨] العساكر السَّائرة من عسكره مع الأمير سنان وما يحتاجه من الضَّيافات والتَّكْرُمات لِقْدوم الأمير سنان إلى مَحْرُوس كوكبان.

ولَمَّا كَانَ نهار الخميس رابع شَهْر ربيع الآخر من هذه السَّنة المُقَدَّم ذَكَرَهَا سار الأمير سنان إلى مَحْرُوس كوكبان، بعد أن جَهَّز معه مَوْلَانَا صاحب السَّعادة من الخزائن والعُدَد ونحوها لِسَفَره وصحبته الأمير خواجا علي أمير حاج اليَمَن في السَّنة الأولى، وَوَجَّهَ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى لِلْأَمِير شَمْس الدِّين صحبة الأمير علي بهدية سَنِيَّة، وَصِلَّة هَنِيَّة، وَخِلْعَة نَفِيسَة، وتلك الهدية من أفضل الهدايا وأَسْنَاهَا، وَأَجْلَاهَا وَأَعْلَاهَا، وَأَعْظَمَهَا قَدْرًا وَقِيَمَةً مَكَافَأَةً لَهُ عَلَى مَا أَهْدَاهُ إِلَيْهِ حَال قَدُوم زَوْجَتِهِ أُم وَلَدِهِ الْأَمِير حُسَيْن عَلَيْهِ إِلَى مَحْرُوسَة صَنْعَاء وَإِكْرَامًا لَهُ عَلَى قِيَامِهِ بِخِدْمَةِ الدَّوْلَةِ السَّعيدة السُّلْطَانِيَّة والنُّصْرَةِ مِنْهُ لَأَنْصَارِهَا وَمُنَابَذَةِ مَنْ عَانَدَهَا مِنْ جُمْلَتِهَا خِيَمَة مُلُوكِيَّة بَعِيدَة الصَّنْعَة غَرِيبَة الشَّكْلِ وَشَنْ<sup>(١)</sup> مِنْ فَضَّة هِنْدِي الصَّنْعَة فِيهِ

(١) وَشَنْ: قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ بِتَوْشَحْهَا الْعَرَبُ بِمُنَابَذَةِ نَجَاد وَحَمَالَة. [تكملة المعاجم (٦/٣٥٩)].

صنعة غريبة مزخرفة بالذهب واللازورد<sup>(١)</sup> عجيبة وغير ذلك من التحف النفيسة.

ولما قارب الأمير سنان مدينة شبام حوال، لقيه الأمير شمس الدين في أعيان إخوته وأقاربه ورؤساء أصحابه وجميع عسكره إلى سواد مدينة شبام ولما التقيا نزلا عن جواديهما وتسالما وتعانقا وهش كل منهما بصاحبه وكان الالتقاء بينهما ضحوة نهار الجمعة ثاني مسيره [٢٥٩] من المخيم الذي كان مخيما به وخلع الأمير سنان حينئذ على الأمير شمس الدين خلعة نبيلة وقدم له هدية جزيلة من الكسر النفيسة والقطائف السنية الملوكة ما يعظم قدرها وشأنها، ودخل الأمير سنان والأمير شمس الدين مدينة شبام في زي حسن وعساكر واسعة، واستبقى الأمير سنان العساكر السلطانية الواصلة صحبته خارج مدينة شبام ولم يدخل معه كوكبان إلا جماعة من أصحابه وخواصه.

وأظهر الأمير شمس الدين الفرح والمَسار بقدم الأمير سنان عليه مع الأمير شمس الدين إلى مخروس كوكبان، فعُقرت العقائر تجاهه وضربت المدافع والضربانات فرحا بقدومه، وقد كان الأمير شمس الدين أمر قبل قدوم الأمير سنان بنصب خيام في مخروس كوكبان لأصحاب الأمير سنان وتفرغ منازل وبعمل سُمَاط عظيم فيه أنواع الطُعم وسائر أصناف

(١) اللازورد: من أنواع الحجارة الكريمة المنسوبة إلى بلاد أرمينيا.

اللُّحُوم، وصناعات كثيرة مختلفة ألوانه وصفاته وأسماءه، فتقدّم الأمير  
سِنان مع الأمير شمس الدّين حال دخوله مَحْرُوس كوكبان إلى ذلك  
السَّماط، فطعموا منه وجميع من حضر يومئذٍ من العَسَاكِر وغيرهم، ثُمَّ  
تقدّم الأمير سِنان بعد تمام السَّماط إلى الدَّار التي دخلها مَوْلَانَا صاحب  
السَّعادة حال قدومه إلى مَحْرُوس كوكبان في التَّاريخ المُقدّم ذكره، وقد  
كانتُ أفرغت له ولخواصّه، وبالعَ الأمير شمس الدّين في إكرامه وتعظيم  
جَنابِه، وصلى هنالك صلاة الجمعة وأمر الأمير سِنان بِصِلاتٍ كثيرة  
لأَعْيَان [٢٦٠] الأمير شمس الدّين على أكرم حال وأجلّه وأفخمه وأنبله  
وعلى الضّيفات السَّنيّة والإكرامات الهنيئة مُدّة إقامته بمَحْرُوس كوكبان،  
ورأى الأمير سِنان والأمير شمس الدّين والأمير علي خواجه حال  
اجتماعهما بمَحْرُوس كوكبان أن يكتبَ الأمير شمس الدّين إلى غوث  
الدّين بالعدل له عما صار عليه من الإصرار والعناد لجانب الدَّولة  
الخاقانيّة وعصيانها، وأن الأبقى له والأصلح لحاله وللمن تحت يده من  
المسلمين، وللمن في جانبه من أقاربه وأرحامه الرُّجوع إلى طاعة الدَّولة  
السَّعيدة الخاقانيّة خلدَ اللهُ مُلكَ مالِكها، حتّى يسلمَ بذلك هو ومن معه من  
المصائب والنَّوائب، قبل أن تتوجّه عليه العَسَاكِر السُّلْطانيّة فتستولي على  
بلاده وتأخذ حصونه وقلاعها فيكون السَّاعي بنفسه في هلاكه وزوال  
رئاسته وملكه والباحث على حتفه بظُلْفه.

وكتاب آخر إلى السيد علي يحيى أنه يتدارك نفسه وأهل هجرة آبائه وأجداده، ومن عنده من أهله وأولاده بدخوله في طاعة مؤلانا السلطان، فإن بطاعته صلاح دينه ودنيا، ويسلم حصن ثلا للدولة السلطانية قبل أن تتوجه عليه العساكر السلطانية، إلى معمر الظفير فتستولي عليه فيندم عليه، ولا ينفعه ندمه ويكون خراب هجرة آبائه وأجداده بسببه ويكون هو الجالب الشر إليها وإلى نفسه، وقد عرف بما جرى معه من الأمور في أمسه وأنه ينال بطاعته من مؤلانا السلطان ومن إنعامات مؤلانا صاحب السعادة [٢٦١] الخيرات إن شاء الله تعالى والسلامة وأن مؤلانا صاحب السعادة قد عرف الخاص والعام عفوّه وصفحه والإحسان إلى من لاذ به وأطاع سلطانه.

فأما غوث الدين فجاء جوابه جواب من ضلّ عقله وتبع جهله، فيه التوبيخ والتهمك بالأمير شمس الدين، لمتابعته لجانب السلطنة الخاقانية، وذلك منه لسوء رأيه وتدبيره وما يريد الله سبحانه فيه، من إنفاذ قدره وسلب رئاسته واجتلاب المصائب على نفسه وأولاده، ومن كان تحت يده يومئذ من أهل بلاده وكان أمر الله قدراً مقدوراً، إلا أنه أظهر الخلاف على الدولة السلطانية من غير مطمع حينئذ يناله، وهو في ضعف من نفسه ورجاله وعدم الناصر له بما يدافع به عن نفسه وبلاده.

وأما علي يحيى فجاء جوابه فيه الإشعار منه في التدارك لنفسه بدخوله في طاعة مؤلانا السلطان الأعظم، فعرض جواب غوث الدين على مؤلانا



صاحب السَّعادة، فرآه جواب من أعمى الله بصيرته وسلب عقله فأمر  
الأمير سنان بالحث في مسيره وتوجهه عليه، وأن لا تُعاود المكاتبة إليه.  
ولما عمل الأمير سنان على المسير من مخروس كوكبان إلى عقار، أمر  
له الأمير شمس الدين بخلعة فاخرة سنيّة من أنفاس الأقبية، وبدرع عظيم  
النظير في حسنه ومعه مغفر ما يُناسب الدرع في الحسن، وبمركوب نجيب  
من نجائب الخيل العربيّة، عليه حليّة كاملة، وغير ذلك ممّا وصله به من  
الهدايا، وكذلك خلّع على الأمير علي الخواجا [٢٦٢] الواصل بهديّة  
مولانا صاحب السَّعادة خلعة فخيمة، وأمر له بصلّة وبمركوب نجيب،  
وأمر للواصلين صحبته بكساء ودراهم، وكذلك أيضاً خلّع على محمّد  
بن الهادي خلعة عظيمة.

وحين سار الأمير سنان من مخروس كوكبان نزل وبات بمدينة شِهام  
حوال وشيعة الأمير شمس الدين حال مسيره، وأعيان أصحابه وسار من  
صُبح تلك الليلة بمن معه من العساكر المنصوّرة، ومن توجه معه من  
عسكر الأمير شمس الدين، وجاءت طريقه بلاد مخروس مُدع وبلاد  
الأشْمُور.

ولما وصل إلى بلاد مخروس كُخلان تاج الدين، خيم بها ووصل إليه  
أربعة من أولاد السيّد الحسن بن الإمام شرف الدين، فخلّع عليهم أربع  
خلع نفيسة، وأمر لهم بصلاتٍ جزيلة، ثمّ تقدّم إلى تحت حصن كُخلان،  
فخيم هنالك، وحلف عليه السيّد الحسن إلى حصنه كُخلان، لأنّه لم يقدر



على المَسِير للاجتماع بالأمير سنان لسبب مرضٍ معه من الفالج<sup>(١)</sup> له فيه مُدَّة أيام، فدخل إليه وتلقاه الحَسَن وأولاده بالجلالة والكرامة، وبالعِظَم له في الضيافة، فخلع الأمير سنان على السَّيِّد الحَسَن خِلْعَةً جَلِيلَةً وأمر له بِصِلَةٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ جَزِيلَةٍ، ودخلَ عليه جماعة أولاد الحَسَن وأولاد أولاده ممن لا يستطيع الرُّكُوب، فأمرَ لهم بخلع وصلاتٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ، وبذل الأمير سنان هنالك لمن وصل إليه من مشايخ تلك الجهات وغيرهم ممن وفد إليه أو قدم بهديةً عَلَيْهِ [٢٦٣] صغيراً كان أو كبيراً جُمْلَةً مِنَ الدَّرَاهِمِ والدَّنَانِيرِ والكِسَاءِ، وأنسهم غاية التَّانِيسِ حتى استمال قلوبهم بإحسانه. ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ جَمَعَ الْأُمَرَاءَ، وَكَافَّةَ الْأَغْوَاتِ وَالْكِبَرَاءِ، الَّذِينَ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ وَالْكَلامَ على مَسِيرِهِمْ حِينَ وَجَّهَهُمْ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ لِحَرْبِ غُوثِ الدِّينِ الَّذِينَ هُمُ الْأَمِيرُ خِضْرُ وَالْأَمِيرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسِ الدَّاعِي، وَالْأَمِيرُ رِضْوَانُ وَالْأَغَا صَلَاحُ بْنُ سَالِمٍ وَغَيْرِهِمْ، وَجَمِيعَ مَنْ هُنَالِكَ مِنَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَمَنْ لُفٍّ وَحُشْدٍ مِنْ أَتْبَاعِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَخَطَبَهُمْ وَحَرَّضَهُمْ عَلَى بَذْلِ جَهْدِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ فِي الْحُرُوبِ، وَبَذَلَ نَفْسَهُمْ مَتَى تَوَجَّهَ بِهِمْ عَلَى جَبَلِ جُرْعَ وَبِلَادِهِ وَمُحَارَبَةِ عَسْكَرِ غُوثِ الدِّينِ، وَعَسَاكِرِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ وَأَتْبَاعِهِ، فَأَجَابُوا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَبِمَا تَطَيَّبُ بِهِ نَفْسُهُ فَشَكَرَ لَهُمْ.

(١) الفالِج: مرضُ الشَّلَلِ النَّصْفِيِّ. [تكملة المعاجم (٤/ ١٧٥)]

ولمّا عمل على قُصْدِ جَبَلِ جُرْعَ وهو مُتَّصِلٌ بِحِصْنِ عَفَّارٍ، وهو سَنَامٌ  
تلك الجهات، وبلاستيلاء عليه ينحصر من في عَفَّارٍ حِصَّاراً مُحَكِّماً  
ويضعف من فيه، وإن كانوا عدداً كثيراً عن المحاربة، فَرَّقَ الْعَسَاكِرَ  
السُّلْطَانِيَّةَ مع أمرائهم ورؤسائهم في أماكن عَيْنَهَا لَهُمْ يَحْرُبُونَ مِنْهَا  
ويُطْلَعُونَ مِنْهَا وَعَيْنٌ لَهُ وَلَمْ يَنْ مَعَهُ الْأَمَكانَ الَّتِي هِيَ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ فِي  
مَسَالِكِهَا.

وجبل جُرْعَ وما يليه جبل منيع عالٍ رفيع عَسِرَ الْمَسَالِكُ، مَخُوفٌ  
المهالك، وقد كان غوث الدِّينِ عَسَرَ طَرَقَاتِهِ وَرَتَّبَ فِيهَا [٢٦٤] عَسَاكِرَهُ  
وَأَتْبَاعَهُ فِي جَمِيعِ نَوَاحِيهِ وَجِهَاتِهِ، وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَى ظَنِّهِ وَالْأَقْوَى عَلَى  
قَلْبِهِ، أَنَّهُ لَا يُطْلَعُ قَهْرًا أَوْ عُنُوةً لِعَسَرِهِ وَصُعُوبَةِ مَسَالِكِهِ، وَالْأَمْرُ فِي عَسَرِهِ  
وَصُعُوبَتِهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَا يَصْدُقُ بِصِحَّةِ صُعُوبَةِ مَسَالِكِهِ وَطَرَقَاتِهِ، إِلَّا مَنْ  
شَاهَدَهُ مِنْ عِنْدِهِ.

فَلَمَّا كَانَ نَهَارَ السَّبْتِ عَشْرُونَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ، حَمَلَتْ عَسَاكِرُ السُّلْطَانَةِ  
مِنَ الْأَمَكانَ الَّتِي عَيْنَهَا لَهُمُ الْأَمِيرُ سِنَانٌ، بِجَمْعِ هَمَّةٍ وَعَزِيمَةٍ فَأَمَدَّ اللَّهُ  
سَبْحَانَهُ عَسَاكِرَ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةَ وَأَنْصَارَهَا بِتَأْيِيدِهِ، فَمَا كَانَ بِأَسْرَعٍ مِنْ  
اسْتِيْلَاءِ الْأَمِيرِ سِنَانٍ وَمَنْ مَعَهُ عَلَى جَبَلِ جُرْعَ جَمِيعَهُ قَهْرًا وَعُنُوةً، وَانْهَازَ  
عَسَاكِرَ غُوثِ الدِّينِ وَعَسْكَرَ الْإِمَامِ الْحَسَنِ صَاحِبِ الْأُمْنُومِ أَقْبَحَ هَزِيمَةٍ  
وَقُتِلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ وَخُزَّتْ رُؤُوسُهُمْ، وَلَمْ يُقْتَلْ أَحَدٌ فِيمَا بَلَغَنِي مِنْ  
عَسَاكِرِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ [وَقَتَلُوا] خَلْقًا كَثِيرًا مِنْ عَسَاكِرِ غُوثِ الدِّينِ

وأتباعه، فأمر الأمير سنان بفك الأسارى وتخليه سبيلهم والعفو عنهم، وغنمت العساكر السلطانية ومن لف لفها من أتباعها وأنصارها جميع ما في القرى التي بجبل جرع وفي جوانبه من المواشي والحبوب والسلاح وغير ذلك، وأمر الأمير سنان بالكف عن التعرض للحريم والصبيان، وصاح لهم بالأمان والسكون في بيوتهم، فلم ينالهم شراً، وأمر لأهل بلاد جرع بعد الاستيلاء والفتح ودخولهم في الطاعة السلطانية بتأمينهم وسكونهم في بلادهم.

وحكى لي رجل من عساكر الدولة السعيدة السلطانية قال: [٢٦٥] «لما توجهنا على هذا الجبل ورأينا صعوبته وعُسْر مسالكه وارتفاعه كنّا نظنّ أن لا نقدر على أخذه قهراً وعنوة، وكُنّا آيسين من نفوسنا، فأبى الله تعالى إلا أن يكون التأييد والنصر والظفر لعساكر الدولة السعيدة الخاقانية، وقهرهم لعدوّهم في أسرع وقت ولم يكن آخر ذلك اليوم الذي منّ الله سبحانه وتعالى فيه بفتح جبل جرع وبلاده على الدولة الخاقانية، إلا وقد قبضت جميع حصونه ولم يبق إلا حصن جرع إلى اليوم الثاني من طلوع جبله واستأمن [من] فيها فأقمنهم الأمير سنان وخرجوا عنها، وهذه الحصون حصن عزّان والمكram وتِعِز ونيعان<sup>(١)</sup>، وأمر الأمير سنان بعد

(١) «نيعان»: بغير نقط في الأصل، ولم أقف على خبره.

قُبْضُهَا بِخَرَابِهَا جَمِيعُهَا الْخَرَابُ الْمُحْكَمُ»، وَقَالَ: «هَذِهِ حَصُونٌ وَقِلَاعٌ  
لَيْسَ لِبَقَائِهَا مَصْلَحَةٌ لِلسُّلْطَنَةِ وَلَا لِضَبْطِهَا مَعْنَى فِيهِ فَائِدَةٌ».

وَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ اسْتِيلَاءِ عَسَاكِرِ السُّلْطَنَةِ عَلَى جَبَلِ جُرْعَ،  
وَجَّهَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ مِنْ يَخَاطِبِ أَهْلِ جُرْعَ فِي تَسْلِيمِهِ وَتَأْمِينِهِمْ، وَكَانَ بِهِ  
اِثْنَانِ مِنْ عِيَالِ عَزِّ الدِّينِ بْنِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ، فَطَلَبَا لِأَنْفُسِهِمَا الْأَمَانَ  
وَلِمْنَ عَنْدَهُمَا، فَأَمْنَهُمُ الْأَمِيرُ سِنَانٌ وَخَرَجُوا إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ  
وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَأَمَرَ لَهُمْ بِصَلَةِ جَزِيلَةٍ، وَقَرَّرَ فِي جَبَلِ جُرْعَ جَمَاعَةً مِنْ أَتْبَاعِ  
الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْخَاقَانِيَّةِ لِحِفْظِهِ، وَخَيْمٌ وَمِنْ مَعَهُ فِي جَبَلِ جُرْعَ وَغُوثُ  
الدِّينِ انْحَصَرَ بِحَصْنِ عَفَّارٍ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَعْوَانِهِ.

وَأَمَرَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ بِعِمَارَةِ الطَّرِيقِ إِلَى [٢٦٦] بِلَادِ الطَّرْفِ وَشَرَعَ فِي  
عَمَلِهَا مِنْ تَحْتِ كُخْلَانَ تَاجِ الدِّينِ، وَوَسَّعَ فِي عَرْضِهَا وَتَسْهِيلِهَا، وَكَانَتْ  
وَعِرةً جَدًّا لَا يَمُرُّ بِهَا جَمَلٌ وَلَا حَمُولَةٌ لِعُسْرِ مَسْلِكِهَا وَصَرَفَ لِكُلِّ أَجِيرٍ  
يَوْمَ أَرْبَعَةَ دِرَاهِمٍ سُلَيْمَانِيَّةٍ سُلْطَانِيَّةٍ وَلِلْمَعْمَارِيِّينَ لِكُلِّ وَاحِدٍ ثَمَانِيَةَ دِرَاهِمٍ.  
وَبَعْدَ اسْتِقْرَارِ الْأَمِيرِ سِنَانٍ فِي جَبَلِ جُرْعَ وَمِنْ مَعَهُ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ،  
وَجَّهَ بِرُؤُوسِ الْمُقَاتِلِ، الَّتِي خُزَّتْ فِي يَوْمِ الْاسْتِيلَاءِ عَلَى عَسَاكِرِ غُوثِ  
الدِّينِ وَعَسْكَرِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ صَاحِبِ الْأَهْنُومِ إِلَى مَخْرُوسَةِ صَنْعَاءَ  
الْيَمَنِ، وَطِيفَ بِهَا حَوَالِي ثَلَاثٍ وَجُعِلَ كُلُّ رَأْسٍ فَوْقَ عُودٍ لِيَشَاهِدَهَا مَنْ فِي  
ثُلَا وَيُرَوِّا عَاقِبَةَ مَصِيرِ مَنْ حَارَبَ عَسْكَرَ السُّلْطَنَةِ ثُمَّ حَمَلَتْ إِلَى صَنْعَاءَ.



ومن عجائب الاتفاق وما يخلد ذكره في بطون الأوراق أن هذا اليوم الذي استولت فيه عساكر السلطان على جبل جُرع وهزيمة عساكر من سبق ذكره، انتصرت فيه عساكر الدولة السلطانية في مكانين آخرين أحدهما في البلاد المتاخمة للأهنوم، وذلك أن الإمام الحسن وجّه في صُبح هذا اليوم بطوائف من أصحابه وأتباعه، إلى بعض البلاد التي قد صارت إلى جانب السلطنة فشعرت بذلك العساكر المنصورة السلطانية الذين هم مخيمون بقرن الوعر فقصدت منهم طائفة أصحاب الإمام فهزموهم هزيمة فاضحة وقتلوا منهم جماعة وقبضوا منهم عدّة أسرى وحُزّت رؤوس المقاتل منهم [٢٦٧] وكل أصحاب الإمام في هذا اليوم بعد الهزيمة أمعنوا في الفرار كلّ على رأسه لا يلوي أحدٌ منهم على صاحبه، وقد كان منتهم نفوسهم بهذه الغزاة أن ينالوا فيها غنيمة، فكان منالهم فيها الفرار والهزيمة.

والمكان الآخر في حجة، وذلك أن الأمير عبد الرحيم بن عبدالرحمن بن المظهر، قد كان أمره مؤلّناً صاحب السعادة أن يحرب على ظفير حجة هو وأصحابه وأعوانه، في اليوم الذي استولت فيه عساكر السلطنة على جبل جُرع، فقصد الظفير في ذلك اليوم لحرب عمّه علي يحيى ومن معه من أهل الظفير وأصحاب الإمام الحسن، فكان التأيد والنصر لعساكر السلطان وانهمز أهل الظفير وأصحاب الإمام وتحيروا في الظفير ولم يقدرُوا على محاربة عساكر السلطان.



ولما انتهت إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ هذه البشارات والانتصارات،  
 للعساكر السُّلْطَانِيَّةِ، في هذه الأماكن التي سبق ذكرها وبما فتح الله به على  
 الدَّوْلَةِ الخاقَانِيَّةِ، بفتح جبل جُرْع وقلاعه، حَمَدَ الله وأثنى عليه، وتبَلَّجَ  
 وجهه وأثلجَ هذا الفتحُ والنَّصْرُ صدره، ولَعَمْرِي إِنَّهَا بشارات عظيمة  
 وَمِنْحَ من الله جسيمة أدارت على أولياء الدَّوْلَةِ الخاقَانِيَّةِ وأنصارها  
 كؤوس الحُبُورِ والمسرة، مُعْلِنَةً بسعادة الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الخاقَانِيَّةِ قاضيةً  
 بِيَمْنِ طائر جدِّ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَسَعْدِهِ [٢٦٨] وجميل نيته  
 الحميدة وحميد تدبيراته الرَّشِيدَةِ لِأَنَّهُ كَانَ حال ظهور خلاف غوث الدِّينِ  
 على الدَّوْلَةِ الخاقَانِيَّةِ ومتابعته للإمام الحَسَنِ وموالاته له واجتماع  
 عساكرهما واتحاد حالهما، كثرت الأراجيف بذلك، لأن أكثر عساكرِ  
 السُّلْطَنَةِ ومحاسنهم في قرن الوعر في مقاتلة الإمام الحَسَنِ وأتباعه،  
 وكذلك المحاط المحاصرة ثلًا يومئذٍ من عساكرِ السُّلْطَنَةِ وتوجيه  
 العساكرِ، قد كان وجههم مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ في حرب غوث الدِّينِ  
 فلم ينالوا في تلك الأيام ما أرادوا فكان بهذا الاستيلاء الميمون الذي هو  
 بالفتح والنَّصْرَ مقرون لجانب السُّلْطَانِيَّةِ عند مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ  
 المسرَّة الكبرى والمنحة العظمى.

وأما ما كان من عساكرِ الإمام الحَسَنِ صاحب الأهُنُومِ الذين كانوا مع  
 عساكرِ غوث الدِّينِ في جبل جُرْع، ورئيسهم الذي كان عليهم بعد الهزيمة  
 رَجَعُوا إلى الأهُنُومِ هارين أشرَّ مآبٍ ورضوا من الغنيمة التي قد كانوا

يمنوا أنفسهم بها بالإياب، وبطل سعيهم وخاب أملهم وهذه سنة الدولة الخاقانية، التي عودها الله تعالى هزيمة من حاربها وهلاك من ناوأها وعاند أنصارها، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وجبل جرع وقلاع ما حوله من البلاد لم يصله أحد من ملوك العجم فيما سبق من الزمن، ممن وصل إلى بلاد اليمن ولا قاربه.

وأما ملك الغز حجة وبعض أطراف بلاد لاه [٢٦٩] - فمن<sup>(١)</sup> تتبع تواريخهم عرف صحة ما حكينا من<sup>(٢)</sup> اضطراب كان في أمورهم، وكثرة مشاجرة عساكرهم، وعدم تمكنهم، وكراهة العرب لدولتهم.

ثم إن الأمير سنان<sup>(٣)</sup> تقدم إلى الشوخطي ثم حمل بالعساكر المنصورة السلطانية على عفار، وهي بلدة من حارة عفار<sup>(٤)</sup>، حصينة وعليها سور وباب يغلق ففشل من بها من عسكر غوث الدين فدخلها عساكر السلطنة عنوة بعد قتال يسير وهرب من كان بها إلى حصن عفار، ومنهم من هرب على رأسه طالباً لنجاة نفسه، وكان الاستيلاء على غرقة عفار وفتحها آخر ليلة السبت ثالث شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة،

(١) «ومن»: هكنا في الأصل.

(٢) «مع»: هكنا في الأصل.

(٣) «سنان»: هكنا في الأصل.

(٤) «عفران»: هكنا في الأصل.

وعند ذلك وقع الحصار المحكم على عفار وأحاطت به العساكر السلطانية من جميع جوانبه، وتفرقت المحاط حوله كل محطة مع أميرها أو رئيسها، ولم يقدر من في عفار على الخروج أو الدخول ورموا أهل عفار على من حولهم من المحاط بالمدافع والزربطانات، فلم تضر أحداً، ورتب الأمير سنان بعمارة منازل له فافتدت به من هنالك من العساكر السلطانية فعمرت المنازل والدكاكين، فاعتمرت من هنالك من العساكر السلطانية أماكن كثيرة وانساق إلى هذا المخيم المنصور الأقوات [٢٧٠] ونحوها من كثير نواحي اليمن، فكثر في الخيرات وصار جميع ما يطلب يوجد فيه وكانت الطرقات إليه من أهل البوادي وغيرهم الجالين الغنم والطحين والسمن والحبوب والعلف والقشر، وغير من ذكرنا من التجار مثل طرقات النمل ما بين غاد ورايح، من كثرة الواصل إليه.

وفي آخر ليلة الاثنين من الشهر المتقدم ذكره، جاءت البشرية إلى مقام مولانا صاحب السعادة، بفتح غرقة عفار واستيلاء العساكر السلطانية عليها، وفي ضحوة هذا اليوم أيضاً وصل إلى مقام مولانا صاحب السعادة من الأبواب الشريفة السلطانية والعتبات الفخيمة الخاقانية خلد الله تعالى ملك مالکها، الآغا علي مهردار الذي وجهه مولانا صاحب السعادة مبشراً بفتح مدينة صعدة، وقتل السيد أحمد بن الحسين المؤيدي،

وصحبته لمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى تَشْرِيفَاتِ سُلْطَانِيَّةٍ،  
وَجَلَعَ كَرِيمَةً خَاقَانِيَّةً، مِنْ مَلَابِسِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ، وَالْخَاقَانِ  
الْمَكْرَمِ، شَيَّدَ اللهُ تَعَالَى بَنِيَانَهُ مُلْكِهِ، وَجَعَلَ الْأَرْضَ بِأَسْرَها مِلْكَهُ،  
وَمَرَّاسِيمَ شَرِيفَةٍ مُقْتَضِيَةِ أُمُورِنَا بِأَغْرَاضِهِ وَمَرَادِهِ، وَقَبُولَ عَرُوضِهِ  
وَشَفَاعَاتِهِ، فِي جَمِيعِ مَطَالِبِهِ، وَمَرَامَاتِهِ، وَالشُّكْرَ وَالثَّنَاءَ عَلَى أَحْوَالِهِ  
الْحَمِيدَةِ، وَأَعْمَالِهِ الْمَيْمُونَةِ الرَّشِيدَةِ، وَالتَّعْظِيمَ لَشَأْنِهِ، وَالْإِعْلَانُ بِعُلُوقِ  
رَتَبَتِهِ وَمَكَانَتِهِ، فَتَلَقَّاهَا مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ إِلَى حَمْرَاءَ عُلَبَ فِيْمَنْ لَدِيهِ  
مِنَ الْعَسَاكِرِ [٢٧١] السُّلْطَانِيَّةِ وَأُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَرُؤَسَاءِ  
الْمَمْلَكَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَلَبَسَ الْخَلَعَ الشَّرِيفَةَ هُنَالِكَ بَعْدَ أَنْ قَامَ لَهَا تَعْظِيمًا  
وَقَبْلَهَا تَكْرِيمًا، بِمَجْمَعٍ عَظِيمٍ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَتَقَلَّدَ السَّيْفَ الْمُحَلَّى  
السُّلْطَانِيَّ، وَدَخَلَ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي زِيٍّ حَسَنٍ وَهَيْئَةٍ رَاقِعَةٍ وَأُبْهَةِ  
فَخِيمَةٍ فَائِقَةٍ يَرُوقُ حَسْنُهَا لِلنَّاضِرِينَ.

وَقَدْ كَانَ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى أَمْرَ بَتَّاهِيْبِ سَمَاطٍ عَظِيمٍ لِرَجُوعِهِ مِنْ تَلَقِّيِ  
التَّشْرِيفَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَطَعِمَ مِنْهُ وَجَمِيعُ الْأُمَرَاءِ وَالْأَغْوَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ  
وَأَعْيَانِ الْكُثْبَاءِ وَسَائِرِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ لَفَّ لَفًّا مِنْ أَعْوَانِهَا  
وَأَتْبَاعِهَا، وَخَلَعَ عَلَى الْآغَا عَلِيٍّ خِلْعَةً سَنِيَّةً، وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ هَنِيَّةٍ وَدَعَا  
لِمَوْلَانَا سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ بِتَخْلِيدِ مَلِكِهِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، وَأَمَرَ أَهْلَ مَدِينَةِ  
صَنْعَاءَ بِالتَّلْبِيسِ الْمَعْتَادِ فِي الدَّكَاكِينِ وَالْخَانَاتِ أَيَّامَ الْبُشْرَى وَالْفَرَحَاتِ،  
وَكَانَ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَدَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بَشَارَتَانِ أَحَدُهُمَا بِفَتْحِ



الْعُرْقَة وَالْأُخْرَى بِوَصُولِ التَّشْرِيفَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَهِيَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ بَشَارَةٍ، وَأَنْفَذَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِعْلَانِ بِهَذِهِ الْبَشَارَاتِ إِلَى جَمِيعِ نَوَاحِي الْيَمَنِ.

وَمِمَّا جَاءَ صَحْبَةَ الْمَرَاسِيمِ الشَّرِيفَةِ الْوَاصِلَةِ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنَ الْأَبْوَابِ الْعَالِيَةِ الْخَاقَانِيَّةِ بِبَرَكَةِ يُمْنِ عَرُوضِهِ وَشَفَاعَاتِهِ، خَلَعَ شَرِيفَةَ سُلْطَانِيَّةٍ وَسَيُوفَ مَحَلِّيَّةٍ خَاقَانِيَّةٍ وَتَرْقِيَّاتٍ لَجَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُبَرَاءِ، وَسُنُورِدُ ذِكْرِ بَعْضِهَا فِي هَذَا التَّارِيخِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى [٢٧٢] وَفِي هَذِهِ الْمَرَاسِيمِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، دَلَالَةٌ عَلَى عَظَمِ جَلَالَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَعُلُوِّ مَكَانِهِ وَتَفْخِيمِ رَتَبَتِهِ عِنْدَ سُلْطَانِهِ، وَذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ نَعْهَدِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ لِأَحَدٍ مِنْ بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، فِيمَنْ قَدِمَ الْيَمَنَ وَتَوَلَّى، وَذَلِكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ السَّنِيَّةِ لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَعَظِيمِ تَفْضُلَاتِهِ وَامْتِنَانِهِ عَلَيْهِ، فَلَا زَالَتِ أَيَّامُهُ مَفْتَرَةَ الْمَبَاسِمِ جَارِيَةِ الْأَقْدَارِ بِمَقْتَضَى مَطْلَبِهِ وَمَرَادِهِ فِي طَاعَةِ سُلْطَانِهِ.

وَفِي خِلَالِ ابْتِدَاءِ الْمَحَاصِرَةِ لِحَصْنِ عَفَّارٍ وَجَّهَ الْأَمِيرُ لُطْفُ اللَّهِ النَّقِيبُ بِلَالٌ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِكِتَابٍ مِنْهُ، يَعْرِفُهُ أَنَّ الْبِلَادَ الَّتِي مِنْ بِلَادِ الشَّرَفِ<sup>(١)</sup> الْمَتَاخِمَةَ لِبِلَادِهِ أَنَّ أَخَاهُ غُوْثَ الدِّينِ قَبَضَهَا عَلَيْهِ فِي أَيَّامِ حِصَارِهِ بِمَحْرُوسٍ ذَمْرَمَرٍ حَالِ مَصَالِحَتِهِ تِلْكَ الْأَيَّامِ لَجَانِبِ السُّلْطَنَةِ

(١) الشرق: هكنا في الأصل.



ودخوله تلك المدة في الطاعة وأن ذلك كان منه على سبيل القهر والغلبة، وأنه يتفضل ويُنعم عليه بها ففعل له أيده الله تعالى بها مراسيم شريفة.

ولما جعل مولانا صاحب السعادة للأمير لطف الله المراسيم الكريمة بما طلبه من بلاد الشرف، التي ادعى أن أخاه غوث الدين قبضها عليه على سبيل القهر والغلبة حسبما سبق ذكر ذلك، وجه بعد وصول المراسيم الشريفة لجماعة من أصحابه وعسكره مع رئيس عليهم من أعيان أصحابه إلى المخيم المنصور على عفار حسبما أمر به مولانا صاحب السعادة [٢٧٣].

والأمير عبد الرحيم بعد فتح جرع وجبله بأيام يسيرة قدم على الأمير سنان وصحبته هدية له فخلع عليه الأمير سنان خلعة عظيمة ثم رجع إلى مكانه من بلاد حجة.

وجه مولانا صاحب السعادة الآغا علي مهردار المقدم ذكره الواصل من الأبواب السلطانية إلى الأمير شمس الدين أحمد بن محمد بن شمس الدين إلى مخروس كوكبان، ومعه خلعة سلطانية وسيف محلي خاقاني، ومرسوم شريف للأمير عز الدين رحمة الله تعالى من مولانا السلطان، فأمر مولانا صاحب السعادة بمصير ذلك إلى ولده الأمير شمس الدين، رعاية لحق أبيه ولأجل استقامة قدمه على الطاعة السلطانية، فلما قارب الآغا علي مهردار مخروس كوكبان، خرج الأمير شمس الدين في لقاء الخلعة السلطانية والتشريفات الخاقانية في جميع عسكره وإخوته وأعيان

أصحابه، واستقام قائماً على قدميه حال ورود التّشريفات الكريمة عليه تعظيماً وإجلالاً لحق مَوْلَانَا السُّلْطَان الأعظم ولبس خِلْعَةً على رؤوس الأنام وأظهر الفرح والسُّرور بقدوم هذه التّشريفات السُّلْطَانِيَّة وابتهل بالدُّعاء لمَوْلَانَا سُلْطَان الإسلام، ناشر أعلام العدل على الأنام، الملك المُظَفَّر المُنْصُور مَوْلَانَا السُّلْطَان مُراد خَان، ودعا بتخليد مُلكه وحراسة ممالكه، ودعا أيضاً لمَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَةِ ببقاء رئاسته، وإعظام شأنه، وارتفاع رُتَبته ومكانه، وأكرم الآغا علي غاية الإكرام [٢٧٤] وخلع عليه خِلْعَةً سَنِيَّةً من فاخر الأقبية وأمر له بصلّة جزيلة وأن يُقاد إليه مركوب من نَجائب خيله.

ثمَّ سار الآغا علي المُهْرِدَار من عند الأمير شمس الدّين إلى الأمير سِنَان إلى المُخَيَّم المُنْصُور على عَقَار بخلعة، وصلت صحبته سلطانيّة للأمير سِنَان وكنت فيمن سار صحبته بأمر الأمير شمس الدّين بكتاب (القاموس المحيط)<sup>(١)</sup> هديةً للأمير سِنَان، ونسخة القاموس هذه نسخة لم أرى فيما أعرف مثلها في بلاد اليَمَن، في حُسْن خطّها والعناية التامة في صحتها وصغر حجمها جزءاً واحداً، يضعها الإنسان في كُفّه على مشهله، وخطّها جليّ مع قوته، وناسخه رجل شريف من عِرَاق العَجَم يُقال له: علي بن

(١) القاموس المحيط: من أشهر معاجم اللغة العربية، ألفه الإمام اللُّغوي مجد الدّين أبي طاهر محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشّيرازيّ الفيروز آبادي المتوفى سنة (٨١٧ هـ).

ناصر الحسن بن اللاحجاني قَدِمَ اليَمَنَ في أَيَّامِ السَّيِّدِ الْمُطَهَّرِ بنِ الإمامِ شَرَفِ الدِّينِ إلى مَدِينَةِ ثُلَا، فَأَكْرَمَهُ وَأَقَامَ فِيهَا مُدَّةً وَنَسَخَ فِيهَا جُمْلَةَ كُتُبٍ مِنْهَا هَذَا الْقَامُوسَ، وَاشْتَرَاهُ مِنْهُ السَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى بِجُمْلَةٍ دَنَانِيرَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ، وَهَذَا الْكِتَابُ مِنْ جُمْلَةِ الْكُتُبِ الَّتِي قَبِضَتْ عَلَى عَلِيِّ يَحْيَى حَالِ فَتْحِ مَسُورٍ، وَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى الْأَمِيرِ سِنَانٍ بِهَذَا الْكِتَابِ سُرَّ بِهِ سُرُورًا عَظِيمًا وَشَكَرَ لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ عَلَى إِهْدَائِهِ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً قَبَا سَنِيَّةً وَأَمَرَ لَهُ بِعُطِيَّةٍ هَنِيئَةٍ.

وَمِمَّنْ جَاءَتْ لَهُ تَشْرِيفَاتٌ سُلْطَانِيَّةٌ صَحْبَةُ الْآغا عَلِيِّ مُهْرُ دَارِ الْأَمِيرِ لُطْفِ اللَّهِ بنِ الْمُطَهَّرِ وَالْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ الْمُطَهَّرِ وَالْأَمِيرِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَغَيْرِ مَنْ ذَكَرْنَا وَذَلِكَ بِعُنَايَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ [٢٧٥] وَعَظِيمِ جَاهِهِ وَقَبُولِ شِفَاعَاتِهِ وَعَرُوضِهِ وَمَحَبَّتِهِ لِاصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ، إِلَى مَنْ وَالَاهُ وَلَاذُ بَجَنَابِهِ وَأَطَاعِ مَوْلَاهُ وَسُلْطَانِهِ، وَذَلِكَ لِمَا جَبَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكِرَمِ الطَّبَاعِ وَشَرَفِ النَّفْسِ وَعِظَمِ الْهَمَّةِ وَاكْتِسَابِ الثَّنَاءِ وَالْمَحَامِدِ.

وَلَمَّا فَتَحَتِ الْعَسَاكِرُ الشَّرِيفَةُ السُّلْطَانِيَّةُ غُرْقَةَ عَفَّارٍ كَمَا تَقَدَّمَ ذَكَرَ ذَلِكَ وَتَضَاقَقَ الْحِصَارُ عَلَى مَنْ فِي عَفَّارٍ، وَجَّهَ الْأَمِيرُ سِنَانُ الْأَمِيرِ رِضْوَانُ وَالِي تَوَابِعِ مُدَعٍ وَمَا يَلِيهَا إِلَى عَمْرَانَ الْبَوْنِ لِلْمَدْفَعِ الَّذِي بِهَا، وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي ابْتِدَاءِ خِلَافِ غَوْثِ الدِّينِ وَجَّهَ بِهِ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ خَضِرَ إِلَى عَمْرَانَ، حِينَ أَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ لِحَرْبِ غَوْثِ الدِّينِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ مَسِيرَهُ،

فسار الأمير رضوان إلى هنالك وجمع القبائل التي من بلاد ولايته وأمر كل قبيلة بجره في حد بلادها حتى تُخرجه عن حده، وتلقاه القبيلة الأخرى، فتفعل كفعل الأولى حتى وصل إلى المخيم المنصور على عقار في أقرب مدة ونصب هنالك وصار يرمى به على عقار في الليل والنهار.

وفي خلال ابتداء المحاصرة على عقار وقع بين الأمير سنان وبين السيد علي يحيى مكاتبات وتكرير مراسلات، في أمر تسليم مخروس ثلثا للسلطنة الخاقانية ودخول السيد علي يحيى في الطاعة والتقيؤ بظل الدولة العثمانية، وطلب العفو والصفح من مولانا صاحب السعادة، وتقرير بما يقر بها قلبه وخاطره، ويأمن بها خوفه ويسكن بأهله وأولاده [٢٧٦] في هجرة آبائه وأجداده، ويجري له مولانا صاحب السعادة من الجرايات والجوامك السلطانية ما يقوم بأهله وأولاده، ومن يتعلق به حسبما هو معروف ومشهور من مكارمه وتفضلاته العامة، وكانت تأتي جوابات من السيد علي يحيى على الأمي سنان بمقتضى ما هو مطلوب منه، ووقع في معرض هذه المراسلات المقدم ذكرها من الأمير أحمد بن محمد بن حمزة المقدم ذكره في هذا التاريخ إلى علي يحيى مكاتبة في شأن ما سبق ذكره، واستأذن مولانا صاحب السعادة في ذلك، فأذن له فجاءت جوابات السيد علي يحيى على الأمير أحمد يطلب منه الوصول إليه، فأطلع الأمير أحمد مولانا صاحب السعادة على الجوابات المذكورة، فأمره مولانا صاحب السعادة أيده الله تعالى بالمسير إليه لنجاز الأمور المطلوبة منه.



وحكى لي الأمير أحمد حال مسيره إلى علي يَحْيَى بما هو دال على  
 كمال فضل مؤلانا صاحب السعادة، وعفوه وتجاوزه وصفحه وطيب  
 سريرته وقلبه وجلالة مكارمه، أن قال له أَيْدُهُ اللهُ تعالى حال وداعه له: «قُلْ  
 لعلِّي يَحْيَى بعد أن تَخُصَّهُ بالسَّلام بالله عليه وبجَدِّه، لا يكون نَصِيبُ  
 النَّاسِ مِنَّا الْخَيْرُ، ويكون نَصِيبُهُ مِنَّا دائِمُ الشَّرِّ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَى مَعْقُولِهِ  
 وَيَتَذَكَّرُ نَفْسُهُ فِي صَلَاحِ حَالِهِ وَنِظَامِ أَمْرِهِ بِدُخُولِهِ فِي الطَّاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ  
 وَتَسْلِيمِ قَلْعَةٍ ثَلَاثًا، حَتَّى يَنَالَهُ مِنَّا مَا يَحِبُّهُ وَيَرْتَجِيهِ وَيُؤَمِّلُهُ مِنْ فِعْلِ  
 الْمَعْرُوفِ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللهُ وَزِيَادَةِ فِى سَعَادَةِ [٢٧٧] الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ  
 الْخَاقَانِيَّةِ مَا يَرْجَى وَيَطْلُبُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الْوَاسِعَةِ وَالْمَرَاتِبِ السَّامِيَةِ  
 الرَّفِيعَةِ».



الخَامِسِينَ عَشْرِينَ



## [الجزء الخامس عشر]

وأمر الأمير أحمد بن محمد بن حمزة حال مسيره من عنده أن يجتمع  
 بالأمير شمس الدين في مخروس كوكبان، ويخبره بما هو سائر له ثم يتقدم  
 إلى المخيم المنصور الذي على عقار، فيجتمع بالأمير سنان ويعرض  
 عليه الأمر الذي توجه له، ثم يسير بعد ذلك إلى ظفير حجة فسار الأمير  
 أحمد واجتمع بمن سبق ذكره، ثم تقدم إلى ظفير حجة فاجتمع بالسيد  
 علي يحيى هنالك، وبلغني ممن حضر الاجتماع بينهما، أنه حين نظر كل  
 منهما إلى صاحبه وشاهد صورته أجهشا بالبكاء، ثم عظم بكاؤهما حتى  
 بكى كثير ممن شاهدهما، ثم تسالما وبينهما مودة أكيدة وصداقة قديمة،  
 منذ كان الأمير أحمد في جنابه ومن المتعلقين بخدمته وأهدابه، وأكرم  
 السيد علي يحيى ملقى الأمير أحمد غاية الكرامة وبالغ في ضيافته وإجلال  
 مقابلته، ثم وقع الخوض بينهما في الأمور المطلوبة منه، وتسليم قلعة ثلا  
 للدولة الخاقانية، وتقريره في ظفير حجة، وتأمينه وسكونه بين أهله  
 وأولاده في هجرة آبائه وأجداده، ودخوله في الطاعة وفيما يتقرر له من  
 الجوامك والجراية، فأسعف السيد علي يحيى إلى جميع ما طلبه منه  
 مولانا صاحب السعادة، وقد كان الأمير أحمد حقق له ما أودعه إليه  
 مولانا صاحب السعادة فطابت بذلك نفسه [٢٧٨] إلا أنه طلب من

تفضلات مؤلانا صاحب السعادة أن يكون صلح صنوه غوث الدين بصلحه [١]... ويُسَلِّم ما عنده من العدد السلطانية، وأن يرجع له بلاده، فرجع الأمير أحمد إلى المخيم المنصور واجتمع بالأمير سنان وأخبره بإسعاف علي يحيى إلى ما طلبه منه مؤلانا صاحب السعادة، وأن أخاه غوث الدين يدخل معه في صلحه، فأنهى الأمير سنان إلى مسامح مؤلانا صاحب السعادة ما طلبه السيد علي يحيى في شأن غوث الدين، فأجاب أيده الله تعالى بأن غوث الدين لا يدخل في قواعده وصلحه حتى يسلم قلعته، فأخبر السيد علي يحيى بذلك فأعرض عن ذكر صنوه غوث الدين وصلحه، وعاود ما كان مختصاً بنفسه والسعي في صلاح حاله وأمره، وتكررت المكاتبة والمراسلة بينه وبين الأمير سنان، على تمام أموره والاتفاق بينهما، وسار الأمير مرة أخرى إلى السيد علي يحيى لنجاز الاتفاق وما يكون بعده من تقرير القواعد وأنعم السيد يحيى على الأمير بكسوة نفيسة من القطائف والملابس الشريفة ووصله بصله.

وقد كان الأمير سنان استأذن مؤلانا صاحب السعادة في الاتفاق بينه وبين علي يحيى فأذن له بذلك ثم أنه وقع الاتفاق بينهما فيما بين الظفير وبلاد عفار في شهر جمادى الأولى من السنة المُقَدَّم ذكُرُهَا، ولَمَّا التَقِيَا نزلا عن جواديهما وتصافحا [٢٧٩] وتعانقا وكل منهما هَشَّ بصاحبه،

(١) في الأصل طمس قدر كلمتين.

وحين رأى الأمير سنان إلى حال علي يحيى وضعف جسده وهو مُبَلّ من مرضه وما قد عراه من نوائب الزمان ومشاقه، رَقَّ له كثيراً وبكى رَحْمَةً له بكاءً شديداً، وأمر السيد علي يحيى للأمير سنان حال الاتفاق بخلعتين سَنِيَّتَيْنِ وبسيف محلي وترس محلي، فأراد الأمير سنان أن لا يقبل ذلك فقال الأمير أحمد: «إن لم تقبل منه ذلك استوحش» فقال: «إنني إنما أردت أن لا أقبله إلا أن أشق عليه، لما قد صارت عليه أحواله من الأمور الشاقة الظاهرة معرفتها»، فقال: «لا بُدَّ من قبول ذلك» فقبله، ثم خلع على السيد علي يحيى خِلْعَةً سَنِيَّةً وأمر له يومئذ.

ولما وقعت المفاوضة بعد الاتفاق في الخوض في تقرير القواعد وتسليم قلعة ثلا للسلطنة الخاقانية، فأسعف علي يحيى إلى التسليم لثلا وعلى تقريره بجوامك وجرايات ما يقوم به وبأولاده والمتعلقين بجنابه، ويكون من جملة أتباع الدولة السعيدة السلطانية، وأن مولانا صاحب السعادة يقرره بتأمين [من] يسكن في ظفير حجة وأن أمواله تطلق عليه حيث كانت، وأن لا يكون له بلداً ولا حصناً، وأن أهل ظفير يُقررون على عادتهم الأولى في مكانهم وعلى جاري عوائدهم السابقة وأمانهم في البلاد السلطانية [٢٨٠] مهما بقوا على قدم الطاعة وأن يضمنوا على السيد علي يحيى لسكونه بينهم وسلوكه في طاعة السلطنة عندهم، وإن حصل منه أمرٌ يوجبُ خروجه عن الطاعة فلا سكون له في الظفير ويضمن الأميران الكبيران الأمجدان السيدان أحمد بن محمد وعبد الرحيم بن عبد



الرَّحْمَن، على أهل الظَّفِير بالوفاء بضمانتهم المَذْكُورَة وبيقاتهم على الطَّاعَة والاستقامة وأنه إن جَرَى مِن أَهْلِ ظَفِير حَجَّةً أَمْرٌ يوجب خروجهم عَن الطَّاعَة والميل عَن الاستقامة، كَانَ الأميران المذكوران المتولَّيان لحربهم وقتالهم والقيام عليهم، وعلى أن تَسِير جماعة مِن أَعْيَان مشايخ الظَّفِير إلى مَحْرُوس ثُلا بكتب مِن السَّيِّد علي يَحْيَى إلى أخيه إبراهيم ولده وسائر الولاة والنُّواب في ثُلا، بأنها قد تَقَرَّرت قواعده وانتظمت أموره بما فيه صلاح دينه ودُنياه وأخِرته وعقباه بِطاعة سُلطان الإسلام والمُسلمين المشترطة طاعته على جميع الأنام بنص الكتاب المبين، وتسليم قلعة ثُلا للسُّلْطَنَة السَّعيدة الخاقانيَّة، وأنهم لا يخالِفون أمره في تسليم القلعة.

وكان مِن جُمْلَة الشُّروطِ في القَوَاعِدِ، أن ما كانَ في ثُلا المحروس مِن العُدَد والمدافع والزَّربُطانات والسَّلاح والبارود والرَّصاص والكبريت والملح والحديد ونحو ذلك، فللسُّلْطَنَة السَّعيدة، وما كانَ غير ذلك فيُخْرِجه علي يَحْيَى إلى ظَفِير حَجَّةً، وأما باقي الشُّحْن فيسلم له أثمانها وأن لأخيه إبراهيم [٢٨١] جامكية وجراية وكذلك ولده أحمد، ورجع الأمير سنان بعد تمام بيان هذه القَوَاعِدِ إلى المُخَيَّم المَنْصُورِ على عَقَّار والسَّيِّد علي يَحْيَى رَجَعَ إلى ظَفِير حَجَّةً

ثُمَّ إِنَّ الأمير سنان بعد الاتفاق كتب إلى مَوْلَانَا صاحب السَّعادة يَعْرِفه بإسعاف السَّيِّد علي يَحْيَى إلى جميع ما يَطْلُبُه مِنْه، مِن تسليم ثُلا وما



تَقَرَّرَتْ بَيْنَهُمَا مِنَ الْقَوَاعِدِ الْمَذْكُورَةِ حَالَ اتِفَاقِهِمَا، فَرَضِي بِهَا مَوْلَانَا  
صَاحِبُ السَّعَادَةِ وَسَاعِدُ إِلَيْهَا، فَسَارَ مَشَايِخُ أَهْلِ الظَّفِيرِ وَجَمَاعَةُ مِنْ  
قَوْمِهِمْ إِلَى مَخْرُوسِ كَوَكَبَانَ، فَأَحْسَنَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ تَلْقِيَهُمْ  
وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمُنْصُورِ عَلَى ثَلَا وَمَعَهُمْ مِنْ قَبْلِ  
الْأَمِيرِ شَمْسُ الدِّينِ السَّيِّدُ الْفَاضِلُ عِزُّ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ صَلَاحِ  
الْحَمَزِيِّ، وَاجْتَمَعُوا بِالْأَمِيرِ الْكَبِيرِ الرَّئِيسِ الْفَخِيمِ النَّاطِرِ مُصْطَفَى بْنِ  
طَاهِرٍ دَفْتَرْدَارِ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ هُنَالِكَ فِي الْمُخَيَّمِ الْمُنْصُورِ عَلَى ثَلَا،  
وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَاءُوا لَهُ، وَقَدْ كَانَتْ تَقَدَّمَتْ أَمْرًا شَرِيفَةً بِمَا سَبَقَ ذَكَرَهُ مِنْ  
الْقَوَاعِدِ وَوَصُولِ مَشَايِخِ أَهْلِ الظَّفِيرِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنُوهُ فِي الْمَنَادَاةِ وَالْمَخَاطَبَةِ  
لَأَهْلِ مَخْرُوسِ ثَلَا وَالْإِخْبَارِ لَهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى  
فَإِذَنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ تَقَدَّمَ الْمَذْكُورُونَ إِلَى تَحْتِ الْقَلْعَةِ  
وَنَادَوْا إِلَى مَنْ فِي الْقَلْعَةِ فَأَجَابُوهُمْ فَانْتَسَبُوا لَهُمْ فَعَرَفُوهُمْ، فَأَخْبَرُوهُمْ  
بِقُدُومِهِمْ مِنْ عِنْدِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَأَنْ مَعَهُمْ [٢٨٢] كَتَبَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ فِي  
التَّسْلِيمِ لِلْقَلْعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَتَقْرِيرِ قَوَاعِدِهِمْ وَتَأْمِينِهِمْ، فَأَمَرَ  
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُطَهَّرِ أَنْ يُجَابَ عَلَيْهِمْ أَنَّ الْحَصْنَ قَدْ صَارَ لِمَنْ هُوَ فِيهِ يَعْنُوا  
إِبْرَاهِيمَ وَذَمُّوا عَلِيَّ يَحْيَى وَأَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى تَسْلِيمِهِ بِأَمْرِهِ فَسَأَلُوا أَنْ يَقْبَضُوا  
الْكَتَبَ الَّتِي إِلَيْهِمْ فَامْتَنَعُوا مِنْ قَبْضِهَا وَأَنْ لَا يَدْخُلَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
فَعَادَلُوهُمْ أَنَّ الْحَصْنَ وَدَاعَةٌ مَعَهُمْ وَأَنْ فِي رِقَابِهِمْ أَيْمَانٌ وَعَهْدٌ لِصَاحِبِ  
إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَدْلِ فَلَمْ يَسْعَفُوا إِلَى كَلَامِهِمْ، فَرَجَعُوا إِلَى

مَحْرُوس كَوْكَبَان، فَكَتَبَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ وَالْأَمِيرُ النَّاطِرُ دَفْتَرُ دَارِ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ يُعَرِّفَانِهِ بِمَا جَرَى مِنَ الَّذِينَ بَثَلَا، مِنْ عَدَمِ الْقَبُولِ لَمَّا جَاءُوا مَشَايِخَ أَهْلِ الظَّفِيرِ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ النَّاصِرِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسْكَرِ وَالنُّوَابِ فِي مَحْرُوس ثُلَا، إِنَّمَا امْتَنَعُوا مِنَ التَّسْلِيمِ بِأَمْرِ عَلِيِّ يَحْيَى.

إِلَّا أَنْ إِبْرَاهِيمَ قَدْ كَانَ اسْتِمَالَ قُلُوبَ مَنْ فِي ثُلَا، وَعَاهَدَهُمْ لَهُ قَبْلَ الْمَخَاطَبَةِ بِأَيَّامِ سِيرَةٍ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ التَّسْلِيمُ عَلَى يَدِهِ لِيَشْرَطَ أُمُورًا لَخَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَوَعَدَ مَنْ فِي ثُلَا أَنَّهُ سَيَشْرَطُ لَهُمْ مَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسَهُمْ وَإِنْ تَغَيَّرَتِ الْأُمُورُ عَلَى أَخِيهِ لَمْ يُبَالِي كَائِنًا مَا كَانَ، وَلَمْ يَرِيدَ يِرَاعِي مَا لِأَخِيهِ فِي رَقَبَتِهِ مِنَ الْعَهُودِ وَالْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ، الَّتِي لَا يَسَعُهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا الْوَفَاءُ بِهَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ [٢٨٣] قَالَ تَعَالَى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} [سورة النحل: ٩١].

وَحَدَّثَنِي السَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ فِي حَضْرَةِ الْأَمِيرِ شَمْسُ الدِّينِ أَنَّهُ لَمَّا وَجَّهَ عَلِيُّ يَحْيَى أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى ثُلَا يَجْلِسُ فِيهِ، لَمَّا تَوَجَّهَتْ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ لِحِصَارِهِ، أَمَرَ عَلِيُّ يَحْيَى أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَهْدًا أَكِيدًا، أَنَّهُ قَائِمٌ فِي ثُلَا بِجَهْدِهِ وَجَدِّهِ وَإِنَّهُ مَتَى أَمَرَهُ فِيهِ بِأَمْرٍ يَخَالِفُهُ فِيهِ وَلَا يَتَغَيَّرُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَا نَازَعَهُ وَلَا شَاقَقَهُ فِيهِ، وَالسَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى ابْتَلَى مِنْ بَعْضِ إِخْوَتِهِ وَأَوْلَادِهِ بِأُمُورٍ يَعْظُمُ شَرْحُهَا، مِنَ الْمِيلِ عَنْهُ وَالْغَدْرُ بِهِ وَالسَّعْيُ فِي نَكَائِهِ، وَقَطَعَ رَحِمَهُ، وَنَكَثَ عَهْدَهُ، وَالطَّمَعُ فِيهِ، وَذَلِكَ مِنَ

تساهله وإهماله الحزم في كل أموره ولم يحذر ويخاف على نفسه ورئاسته وملكه مِمَّنْ قد أوتر قلبه من إخوته وأقاربه.

ولما انتهى إلى السيد علي يحيى خبر ما جرَّ من أخيه إبراهيم، من عدم قبوله، لما أمره به من تسليم قلعة ثُلا إلى الدولة السعيدة السلطانية ومساعدة النواب والعساكر لأخيه إبراهيم، حتى ولده فيما قد أراده وأن أخاه إبراهيم مريدٌ للمحق عليه فيما قد انتظم من أموره وبتقعيد قواعده عند مَوْلَانَا صاحب السعادة، توهم واعتقد أن مَوْلَانَا صاحب السعادة يظنُّ فيه أنه لم يصح منه الرضى والصدق بتسليم الحصن المحروس، ولا صحيح موالاته لجانب الدولة الخاقانية فوقعت بينه وبين الأمير سنان مراسلات ومكاتبات [٢٨٤] وكان عقيها مسير السيد علي يحيى إلى الأمير سنان إلى المخيم المنصور على عفار، فاجتمع به هُنَالِكَ فأكرم الأمير سنان تلقيه، وبالغ في إكرامه وتجليله وإفخامه وأنس خوفه غاية التأنيس، وأمر أن تُنصب له خيمة عند خيمته وكتب الأمير سنان، حينئذ إلى مَوْلَانَا صاحب السعادة يعرفه بقدم السيد علي يحيى عليه، وإنه حيث يحب في إخلاص الطاعة للدولة الخاقانية وإنه يطلع صحبته إلى المخيم المنصور على مخروس ثُلا يومئذ لأجل تسليمه، وأن مَوْلَانَا صاحب السعادة يُعرف الأمير شمس الدين بتوجيه السيدين الأمجدين الأعلامين، علي بن أحمد ومحمد بن الحسن إليه لأجل أمور تختص بالسيد علي يحيى، يودعهما تحقيقها إليه بعد وصولهما فكتب مَوْلَانَا



صاحب السَّعادة إلى الأمير شمس الدِّين بذلك، فوجَّه بالسَّيدين المذكورين إلى الأمير سنان فسارَ إلى هُنالك واجتمعا بالأمير سنان والسَّيد علي يَحْيَى، وبما أودعهما إلى مَسامع مَوْلانا صاحب السَّعادة، فَرَجعا السَّيدان المذكوران إلى مقام مَوْلانا صاحب السَّعادة، وشرحا له ما أودعاه، ففضَّى الأغراض الَّتِي وصلا إلى مقامه لأجلها بعد أن خلَعَ عليهما خِلعة نَفيسة مِن أَجل ملابس الأَقبية ووصلهما بالصَّلوات السَّنية.

وفي خلال وصول السَّيد علي يَحْيَى إلى المُخيم المُنْصُور الذي على عَفَّار، جرت قضية محمَّد بن الهادي في مَسُور، وأراد أخذه لنفسه وقد كان له مُدَّة [٢٨٥] طويلة يبالغ في وقوع حصن مِن حصون عمِّه علي يَحْيَى في يده، ويستولي عليه منذ كان في جَناب عمِّه علي يَحْيَى مِن بَعْد وفاة جَدِّه، فيملكه وَيَسْتَقِل فيه بنفسه، وأرادَ في تلك الأَيام الغدر بقلعة مَحروس مُدَع غير مرة، فَأَنْذَرَ بذلك عمِّه فاحترَزَ مِنْه، وأرْسَلَ عليه جماعة مِن عَسْكره يكرمونه ويصلون به إليه، فشعر بهم محمَّد بن الهادي فهربَ مِن ساعته إلى الأمير عزَّ الدِّين إلى مَحروس كَوَكَبان، والكلام على أحواله يَتَسَّع ذكره ويعظم شرحه، وقد قدمنا قضيته في مَسُور مع عمِّه علي يَحْيَى مستوفاة فيما تقدَّم مِن هذا التَّاريخ المُبارك إن شاء الله تعالى، ثُمَّ مصيره بعد جانب الدَّولة السُّلطاني وما أنعمَ به عليه مَوْلانا صاحب السَّعادة مِن تعظيم حاله وإكرام جانبه وتشريفه بالسَّنجق السُّلطاني، لما آوى إلى ظل الدَّولة السَّعيدة الخاقانية، وما غمره به مِن إحسانه وعميم تطولاته ثُمَّ

توجيهه صُحْبَةً رُكَّابِ الْأَمِيرِ سِنَانِ خَالِ مَسِيرِهِ عَلَى غَوْثِ الدِّينِ  
وَمَحَاصِرَتِهِ فِي حَصْنِ عَفَّارٍ حَسْبَمَا شَرَحْنَا ذَكَرَ ذَلِكَ آتِفًا.

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمُخَيَّمِ الْمُنْصُورِ عَلَى عَفَّارٍ، صَارَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ يَتَفَقَّدُهُ بِمَا  
يُصْلِحُ بِهِ خَالَهُ وَيُرْسِلُ لَهُ بِصَلَاتٍ مُتَابِعَاتٍ، فِي أَيَّامٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَنَّهُ صَارَ  
إِلَيْهِ فِيمَا بَلَغَنِي عَلَى أَلْسِنِ الثَّقَاتِ فِي أَقْلٍ مِنْ شَهْرَيْنِ مِنَ الْأَمِيرِ سِنَانٍ مِنَ  
الْعَطَايَا وَالصَّلَاتِ، فَوْقَ ثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ، فَكَانَ يَصِلُ إِلَيْهِ  
إِلَى هَذَا الْمُخَيَّمِ أَصْحَابٌ لَهُ مِنْ بِلَادِ [٢٨٦] مَسُورٍ مِنْهُمْ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ  
بِهَدِيَةٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَفِدُ عَلَيْهِ يَسْتَمْنِجُ مِنْهُ وَكَانَتْ مُوَاصَلَتُهُمْ لَهُ عَلَى وَجْهِ  
الْكُتْمَانِ فَيُعْطِيهِمْ وَيُكْرِمُهُمْ وَيُبْدِي إِلَيْهِمْ مَا هُوَ مُسِرٌّ فِي نَفْسِهِ مِنَ التَّأْسُفِ،  
عَلَى عَدَمِ حُصُولِ مَسُورٍ لَهُ، وَمَصِيرِهِ فِي يَدِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ صَدَاقَةٍ  
وَمُحَبَّةٍ، مِنْذُ كَانَ فِي مَسُورٍ أَيَّامَ الْحِصَارِ عَلَى مُدَّعٍ، وَكَانُوا يَنَادِمُونَهُ  
وَيُشْرِبُونَ مَعَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ يَصْحَى عَنِ الشَّرَابِ سَاعَةً وَلَا وَقْتًا، فَكَانُوا  
يُحْسِنُونَ عَلَيْهِ أَنْ مَسُورٌ فِي يَدِهِ مَتَى شَاءَ، وَأَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ فِي حُصُولِهِ وَوُقُوعِهِ  
إِلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ يَقُومُونَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا الْكَلَامُ يَجْرِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَهُوَ  
سُكْرَانًا مُنْتَشِيًا فَيَغْتَرَّ بِقَوْلِهِمْ، فَيُعْطِيهِمْ وَيُعَاهِدُهُمْ وَيَأْمُرُ نَاسًا مِنْهُمْ مَنْ  
يَتَجَسَّسُ لَهُ أَخْبَارَ مَسُورٍ وَحُصُونَهُ سِرًّا، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً يَسِيرَةً  
حَتَّى اسْتَمَالَ إِلَى خِدْمَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ بِلَادِ مَسُورٍ وَمِنْ غَيْرِهِمْ،  
وَرُكْنَ إِلَيْهِمْ وَصَدَّقَ مُوَاعِيدَهُمْ فِيمَا وَعَدُوهُ بِهِ وَرَابَطَهُمْ عَلَيْهِ.



وفيه إقدام وشجاعة وقوة بأس وبسالة، وكان ممّا يظهر منه في كثير الأوقات، أنّه إذا صار معه بُندُقه وسيفه حاربَ الجيوش الكثيرة، وأنّه لا يقدر أحد أن يقوم لحربه، فجاءت إليه عيونه وجواسيسه يخبرونه ويكذبون عليه، أن حصناً من حصون مَسُور يُسمّى بيت فايش، ليس فيه إلا جماعة يسيرة وهو رأس مَسُور وفيه حبوبٌ وشحن من البارود والرصاص فواعد من كان [٢٨٧] استخلفه ومن واصله من الذين تقدّم ذكرهم، بأن يجتمعوا إليه في مكان عينه لهم، فلما كان يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الآخرة من السنة المُقدّم ذكرها سار خفيّة من المُخيم المنصور الذي على عفار فيمن عنده من أصحابه من غير شعور الأمير سنان ولا غيره من عسكر السلطان فوصل إلى الرّغيل ليلاً وفيه أولاده وحريمه والأمير شمس الدين يجري عليهم الجرايات من النّفقة وغيرها ولا يزال يتفقدهم بما يحتاجونه من قليل وكثير.

ولما وصل الرّغيل اجتمع إليه من اجتمع ممن واعدته وحالفه على المصير معه هُنالك، وتخلّف عنه أكثرهم وطلع جبل مَسُور من ساعته ليلاً حتّى وصل بمن معه تحت باب بيت فايش، وبقي هُنالك إلى الصّباح في جُرف عند الباب، وتأخر عنه بعض أصحابه قليلاً إلى ناحية تحت الحصن، وانتظروا ما يؤول إليه أمره، فلما فُتح باب الحصن استرق على من فتحه ودخل مبادراً وكان قد خلع عمامته عن رأسه لأجل لا يُعرف، وفي خلعه لعمامته عن رأسه تفاؤلاً عليه بخلع رئاسته وبعد دخوله

الحصن قَصَدَ الدَّارَ الَّتِي بِهَا الْفَقِيهَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النُّصَيْرِيُّ، وَأَرَادَ قَتْلَهُ فَلَمْ يَتَأْتِ لَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، فَطَلَعَ رَأْسَ الدَّارِ وَرَمَى بُنْدُقَةً وَصَاحَ بِصَوْتِهِ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ أَصْحَابَهُ يَجِيبُونَهُ وَأَنَّ الرُّتَبَةَ وَالْعَيْنَاتِ لَا تَقُومُ عَلَيْهِ. وَأَمَّا أَصْحَابُهُ لَمَّا أُغْلِقَ الْبَابُ دُونَهُمْ، كُلُّ مِنْهُمْ هَرَبَ عَلَى رَأْسِهِ فَارِحًا بِنَجَاةِ نَفْسِهِ [٢٨٨] فَثَارَتِ الرُّتَبَةُ وَالْعَيْنَاتُ عَلَيْهِ وَأَرَدُوا قَتْلَهُ فَاسْتَجَارَ بِهِمْ وَاسْتَأْمَنَ لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ فَقَالُوا: «لَا نَجِيرُكَ وَلَا نَوْمُنُكَ حَتَّى تَخْلَعَ عَنْكَ سِلَاحُكَ» ففعل، فأمنوه.

وَأَمَّا الْأَمِيرُ سِنَانٌ لَمَّا شَعَرَ بِخَبَرِ مَسِيرِهِ مِنَ الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ، عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَقْصِدُ غَيْرَ مَسُورٍ، لَمَّا صَارَ يَبْلُغُهُ عَنْهُ مِنَ التَّأْسُفِ وَالتَّأَوُّهِ عَلَى عَدَمِ حُصُولِ مَسُورٍ، إِلَيْهِ فَوَجَّهَ حِينَئِذٍ مَمْلُوكًا لِلْأَمِيرِ شَمْسَ الدِّينِ رَئِيسَ الْعَسْكَرِ الَّذِينَ عِنْدَهُ مِنْ عَسْكَرِ الْأَمِيرِ شَمْسَ الدِّينِ فِي سِتِينَ نَفَرًا، وَأَمَرَهُمْ بِسُرْعَةِ السَّيْرِ فِي أَثَرِ مُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي وَالْغَارَةَ عَلَى مَسُورٍ، فَوَصَلُوا هُنَالِكَ وَقَدْ صَارَ مُحَمَّدُ بْنُ الْهَادِي مَلْزُومًا عِنْدَ الْفَقِيهِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى النُّصَيْرِيِّ. وَالْأَمِيرُ شَمْسَ الدِّينِ جَاءَهُ رَجُلٌ مُبَشِّرًا مِنْ رُتَبَةِ بَيْتِ فَايْشَ بِخَبَرِهِ بِوَقْعَةِ مُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي وَقَضِيَّتِهِ وَقَبْضِهِمْ عَلَيْهِ وَمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ فِيهِ، فَوَجَّهَ مَمْلُوكَهُ النَّقِيبَ مَرْجَانَ قَرْمَانِي فِي جَمَاعَةٍ إِلَى مَسُورٍ بَعْدَ أَنْ قَدْ أَنْفَذَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ عَسْكَرِهِ إِلَى مَحْرُوسِ مَسُورٍ لِإِفْتِقَادِ أَمْرِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ وَحِفْظِ حُصُونِ مَسُورِ الْمَحْرُوسَةِ، وَأَمَرَ مَمْلُوكَهُ النَّقِيبَ مَرْجَانَ أَنْ يَسِيرَ بِهِ إِلَيْهِ تَحْتَ الْحِفْظِ وَكَتَبَ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ يَعْرِفُهُ بِقَضِيَّةِ مُحَمَّدَ بْنِ الْهَادِي

وما أَرَادَهُ مِنَ الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ فِي جَبَلِ مَسُورٍ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبْطَلَ عَمَلَهُ وَخَيَّبَ أَمَلَهُ، وَأَنَّهُ قَدْ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ الْمَصِيبَةَ وَالْبَسَ لِيَاسِ الدِّمِّ وَالْفَضِيحَةَ وَصَارَ [٢٨٩] مَقْبُوضًا عَلَيْهِ، وَأَيُّهُمَا رَجَعَ مَصِيرُهُ سِيرُهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ جَوَابُهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّهُ يَرْسِلُهُ إِلَيْهِ إِلَى مَقَامِهِ لِيَنْظُرَ فِيهِ بِنَظَرِهِ، فَأَمَرَ بِهِ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ صُحْبَةَ مَمْلُوكِهِ مَرْجَانَ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ إِلَى مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي ثَلَاثِينَ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِهِ، تَحْتَ الْحَفِظِ وَالتَّرْسِيمِ مَا شِئَا عَلَى رَجَالِهِ.

وَلَمَّا دَخَلَ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ، أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ أَنْ يَرْكَبَ عَلَى بَغْلَةٍ، وَأَنْ تَشِيعَهُ الْعَسْكَرُ حَالَ دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ وَتَجَاهَهُ الطُّبْلُ الْعَرَبِيُّ، وَجِيءَ بِهِ فِي أَسْوَاقِ مَدِينَةِ صَنْعَاءَ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ رَأَاهُ أَوْ مَرَّ عِنْدَهُ مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ، ذَمَّهُ وَقَبَّحَ فِعْلَهُ لَاسْتِدَامَةِ غَدْرِهِ وَمَكْرِهِ وَسَعِيهِ فِي حَطِّ مَنْزِلَتِهِ وَرُتْبَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ، فِي تَعْظِيمِ جَنَابِهِ وَرَفْعِ مَكَانَتِهِ وَصَيْرَتِهِ أَمِيرًا، فَسَعَى فِي هَدْمِ عِزِّهِ بِقَبِيحِ فِعْلِهِ، وَكَانَ كَالْبَاحِثِ عَلَى حَتْفِهِ بِظُلْفِهِ بِمَا جَنَاهُ وَاقْتَرَفَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَمَّا دَخَلَ عُثْمَانُ أَمْرَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ جَاوُوشِيَّتَهُ مِنْ عِنْدِهِ، بِإِنْزَالِهِ عَنْ بَغْلَتِهِ وَحَبْسِهِ وَتَكْبِيلِهِ وَخَلَعَ عَلَى مَمْلُوكِ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ الْوَاصِلِ بِهِ خِلْعَةَ سَنِيَّةٍ، وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً جَزِيلَةً وَأَمَرَ بِكَسَاءٍ وَدِرَاهِمٍ لِمَنْ جَاءَ صَحْبَتَهُ.

وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَادِي مَا سَمِعْتُهُ عَنِ السَّيِّدِ عَزِّ الدِّينِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى

عَمَّهُ علي يَحْيَى بعد قدومه إلى الْمُخَيَّم الْمُنْصُورِ على عَفَّار، قبل قضيَّته بِيَوْمَيْنِ، فَلَمَّا دَنَى مِنْ بَابِ الْخِيَمَةِ بَقِيَ يَقُولُ: «سَمِ اعْيِبْ سَمِ اعْيِبْ» يريد بذلك نَفْسَهُ، فَقَالَ [٢٩٠] لَهُ عَمَّهُ: «ادْخُلْ»، فَدَخَلَ، فَلَمَّا جَلَسَ عِنْدَهُ أَدَّى لَهُ سَيْفًا مَحْلِيًّا نَفِيسًا، مِمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مُؤَلَّانًا صَاحِبُ السَّعَادَةِ، فَاِمْتَنَعَ عَمَّهُ مِنْ قَبُولِهِ فَحَلَفَ عَلَيْهِ إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَجُوعَهُ إِلَيْهِ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَأَمَرَ عَمَّهُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَرْجِعَ السَّيْفَ إِلَيْهِ فَطَرَحَ فِي مَكَانِهِ.

وَمِنْ أَغْرَبِ مَا جَرَى لَهُ وَوَقَعَ عَلَيْهِ، مِنْ جِنْسِ مَا وَقَعَ عَلَى عَمِّهِ بِسَبَبِهِ حَالُ خُرُوجِهِ مِنْ مَسُورٍ إِلَى ظَفِيرِ حَجَّةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَيرَ بِهِ مِنْ مَسُورٍ عَلَى رَجْلَيْهِ بَعْدَ أَنْ انْتَهَبَ سِلَاحَهُ، وَأَكْثَرَ مَا عَلَيْهِ مِنْ كِسْوَتِهِ فِي أَمَاكِنِ وَعِرَةٍ وَطَرَقَاتٍ بَعِيدَةٍ غَيْرِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الطَّوِيلَةِ، ثُمَّ سِيرَهُ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ فِي جَبَلِ الضِّلَعِ<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا قَارَبَ بَيْتَ عِزٍّ<sup>(٢)</sup>، بِالْقُرْبِ مِنْ مَحْرُوسِ كَوُكْبَانَ، وَأَرَادُوا أَنْ يَمْضُوا فِي طَرِيقِ سَهْلَةِ الْمَسَالِكِ فَاِمْتَنَعَ مِنَ الْمَسِيرِ بِهَا وَعَوَّلَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرُوا بِهِ فِي طَرِيقِ رَجُلٍ عَسِيرَةٍ وَعِرَةٍ، وَهُوَ يَعْرِفُهَا مِنْذُ كَانَ فِي جَنَابِ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ، وَقَدْ زَلَّتْ فِيهَا أَقْدَامُ نَاسٍ فَهَلَكُوا فَسِيرُوهُ فِيهَا، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا إِلَّا عَلَى مَشَقَّةٍ بَعْدَ الْأَيْنِ وَمُكَابَدَةِ الْحَيْنِ، وَقَدْ عَثَرَ بِهَا مَرَارًا وَأَصَابَتْهُ جَرَاحٌ مِنْ عَثَرَاتِهِ، وَجَرَى الدَّمُ عَلَى

(١) «الضلع»: هكذا في الأصل.

(٢) «بيت عزة»: في الأصل. بيت عِزٍّ: من بُلْدَانِ جَبَلِ الضِّلَعِ، الْقَبَائِلِ وَالْبُلْدَانِ: (١/٩٤٧).



قُمصانه وتخرق منها ما تخرق، وعمه حال خروجه من مَسُور جاء في طرقات عسرة مبتعدة غير الطرق المعروفة إلى ظفير حجة، وأن العضاة خرقت قمصانه ونالته فيها مشقة عظيمة وما خلص [٢٩١] منها إلا بعد جهد عظيم، فكان مسير محمد بن الهادي في هذه الطرقات المذكورة أولاً وما وقع عليه منها من المشاق العظيمة من قبيل المكافئة من الله تعالى على عمله مع عمه، وإن كانت قضيته أعظم شناعة ولولا أن مولانا صاحب السعادة أيده الله تعالى كثير العفو والصفح والصبر والتجاوز، لكان ينال محمد بن الهادي من الأمور التي يستوجب تأديبه بها على قبح فعله وما جناه على نفسه واجترأه على إسقاط حرمة سنجقه الشريف السلطاني، من التعزير والتنكيل ما لا وراه.

ومما وقع من الحوادث في البلاد الخولانية، من مخالف مدينة صعدة بعد تقدم العساكر المنصورة السلطانية على عقار واستيلائهم على جبل جرع، وذلك أن الإمام الحسن صاحب الأئمة بعث بعض دعاة إلى الحرجة ونواحيها يستخدم له طائفة من فرسانها، ويصير بهم إلى السيد صلاح بن علي المؤيدي القطايري المقدم ذكره فيما سبق من هذا التاريخ، وكتب إلى السيد صلاح أن يسعى في تفسيد من قدر عليه من قبائل خولان، وكان من المحرضات للإمام الحسن على ذلك طمعاً منه، أن الفتنة والحروب إذا جرت على يديه في تلك الجهات، أن أمرها يعظم ويتعذر سدّها على جانب السلطنة، لأن العساكر السلطانية منها ما صار



في مقابلته في قرن الوعر ومنها ما هو محاصر لحصن ثلاً [٢٩٢] ومنها ما توجه على عقار مع الأمير سنان وغيره من الأمراء، وأن حركة أصحابه وأتباعه في بلاد خولان فرصة يغنم أمرها، وقد كان في تلك الأيام وقع خلاف من بعض قبائل نجران، وعادوا إلى العصيان وتغلبوا على بلادهم، وقتلوا واليهم.

وأهل نجران من قديم الزمان لا يزال خلافهم وعصيانهم في كل وقت وأوان، فخرج هذا السيد المذكور أولاً فيمن اجتمع لديه من أرباب الفساد وأهل الشقاق والعناد، إلى أطراف بلاد خولان، وله عند أهل تلك الجهات سمعة، ولهم فيه محبة، فمالت إليه خلائف من رعا<sup>(١)</sup> القبائل وأوباشها، وسار بهم في أطراف البلاد مُغيّراً بمن قد مأل إليه ووالاه، والمعروف عند عقلاء الناس وفضلائهم وأهل التجارب، أن ثورته في تلك الجهات من ضعف عقله وفساد رأيه وسوء تدبيره وعدم معرفته بعواقب الأمور، وإنما ثورته هذه، إلا كجالب المشاق والتهلكة على نفسه وعلى من مأل إليه وتابعه من أهل تلك النواحي والجهات، لأنه لم يكن له أموال ولا خزائن ينفقها على من تابعه ولا عساكر يحارب بها ولا معاقل حصينة يملكها إذا نابتة نابتة أو ملى إليها.

(١) رماع: هكذا في الأصل.

ولمّا انتهت الأخبار إلى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، بِمَا نَجَمَ مِنْ هَذَا السَّيِّدِ  
 الْمَذْكُورِ، وَمَا صَارَ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْبِلَادِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَأَمَرَ أَيْدُهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى الْأَمِيرَ عَلِيَّ فِي مَخِيْمٍ [٢٩٣] قَرْنَ الْوَعْرِ مِنْ بِلَادِ عُذْرٍ، مِنْ جُمْلَةِ  
 الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ هُنَالِكَ، أَنْ يَسِيرَ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ وَأَنْ يَقْصِدَ  
 طَرِيقَ حَيْدَانَ<sup>(١)</sup> وَيَسِيرَ إِلَى بِلَادِ خَوْلَانَ وَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ مُصْطَفَى أَمِيرِ  
 بِلَادِ رَازِحٍ، أَنْ يَتَوَجَّهَ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، وَأَمَرَ أَمِيرَ مَدِينَةِ صَعْدَةِ وَهُوَ الْأَمِيرُ  
 حُسَيْنٌ أَنْ يَجْمَعَ مَنْ لَدَيْهِ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ، وَيَسِيرَ إِلَى هَذَا السَّيِّدِ  
 الْمَذْكُورِ مِنْ نَوَاحٍ<sup>(٢)</sup> مُخْتَلِفَةٍ حَتَّى لَا يَمُوتَ، فَامْتَثَلَ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءُ مَا  
 أَمَرَهُمْ بِهِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ، وَجَمَعُوا مَنْ لَدَيْهِمْ مِنَ الْعَسَاكِرِ  
 السُّلْطَانِيَّةِ، وَسَارَ كُلُّ مَنْ نَاحِيَةٍ فَلَمَّا عَرَفَ هَذَا السَّيِّدُ بِقَصْدِ الْعَسَاكِرِ  
 الْمَنْصُورَةِ السُّلْطَانِيَّةِ لَهُ لَمْ يَقْرَ بِهِ قَرَارًا، فَأَمَعَنَ فِي الْهَرَبِ وَالْفِرَارِ مِنْهُمْ مَا  
 إِلَى جَبَلِ بَنِي عَوْفَانَ، وَتَفَرَّقَ مَنْ كَانَ مَعَهُ كُلُّ مَنْهُمْ عَلَى رَأْسِهِ وَفَرَسَانُ  
 الشَّامِ وَلَوْ الْأَدْبَارَ مُنْهَزِمِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، وَاسْتَوْلَتْ الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ  
 عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ الْمُخَالَفَةِ جَمِيعِهَا، وَصَلَحَ أَمْرُهَا وَانْحَسَمَ مَا نَجَمَ مِنْ  
 شَرِّهَا وَقُبِضَتْ رَهَائِنُ مَنْ قَدْ كَانَ مَالَ إِلَى الْفَسَادِ مِنْ أَهْلِهَا.

(١) «حيدان»: هكنا في الأصل.

(٢) «نواحي»: هكنا في الأصل.

ثُمَّ تَوَجَّهَتْ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ السُّلْطَانِيَّةُ بَعْدَ صَلَاحٍ مَا فَسَدَ فِي الْبِلَادِ الْخَوْلَانِيَّةِ عَلَى بِلَادِ هَذَا السَّيِّدِ غَازِينَ لَهَا، وَهِيَ نَازِحَةٌ مِنْ بِلَادِ خَوْلَانَا، وَبِلَادِ عَسْرَةٍ وَعِوَرَةٍ لَا تَمْلِكُهَا دَوْلَةٌ بِالْقَهْرِ وَالْعَنُودَةِ، إِلَّا بِالْمَصَالِحَةِ وَالطَّاعَةِ، وَمَنْ حَوْلَهَا مِنَ الْقِبَالِ أَهْلُ شَجَاعَةٍ وَقُوَّةٍ، فَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا الْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ عَنُودَةً وَغَنِمُوا [٢٩٤] مَا فِيهَا وَمِنْ جَمَلَةٍ مَا انْتَهَبَ هُنَالِكَ كَتَبَ هَذَا السَّيِّدُ وَكَتَبَ أَهْلَهُ وَقَرَابَتَهُ، وَهِيَ كَتَبٌ كَثِيرَةٌ وَخَزَانَةٌ جَلِيلَةٌ كَبِيرَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ جَرَى عَلَى قُطَايِرِ وَبِلَادِهَا مِنَ النَّهْبِ وَوَقَعَ الشَّرُّ عَلَى أَهْلِهَا، وَاجْتِلَابِ الْمَصَائِبِ إِلَيْهَا، إِلَّا فِي مُدَّةِ هَذَا السَّيِّدِ الْمَذْكُورِ وَرَجِعَتْ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ السُّلْطَانِيَّةُ مَعَ أَمْرَائِهَا بَعْدَ ظَفَرِهِمْ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ، وَكَتَبُوا إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ بِهَزِيمَةِ هَذَا السَّيِّدِ وَصَلَاحٍ مَا ظَهَرَ مِنْ فُسَادِهِ وَنَهَبِ مَكَانِهِ وَبِلَادِهِ.

وَفِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ جَهْزُ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ مِنْ مَحْرُوسَةٍ صَنْعَاءِ الْيَمَنِ الْأَمِيرِ عَلِيٍّ، أَمِيرِ حَاجِ الْيَمَنِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ فِي عَسَاكِرِ وَاسِعَةٍ وَعُدَّدَ نَافِعَةً إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ بِقَرْنِ الْوَعْرِ مِنْ بِلَادِ عُذْرٍ، وَصَحْبَتِهِ مَدْفَعٍ وَزُرْبَطَانَاتٍ وَخَزَائِنٍ وَجَوَامِكِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الْخَاقَانِيَّةِ، الَّذِينَ هُنَالِكَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَسَارَ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ إِلَى هُنَالِكَ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ يَحْيَى بَعْدَ قَدُومِهِ عَلَى الْأَمِيرِ سِنَانٍ إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ عَلَى عَقَّارٍ، فَإِنَّهَا وَقَعَتِ الْمَكَاتِبَةُ بَيْنَ الْأَمِيرِ سِنَانٍ وَبَيْنَ

مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي مَسِيرِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَالْأَمِيرِ سِنَانٍ إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ، الَّذِي عَلَى مَحْرُوسِ قَلْعَةِ ثُلَا، لِأَجْلِ الْمَخَاطَبَةِ لِمَنْ فِيهَا بِتَسْلِيمِهَا، لِأَنَّهُ رُبَّمَا إِذَا شَاهَدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُطَهَّرِ، وَرُتَبَةُ ثُلَا السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى وَعَرَفُوا [٢٩٥] أَنَّهُ قَدْ صَارَ مِنْ أَتْبَاعِ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمِنْ الْمُتَفِيئِينَ فِي ظِلِّهَا، يَمْتَثِلُوا بِتَسْلِيمِ الْقَلْعَةِ فَأَذِنَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي ذَلِكَ.

وَلَمَّا كَانَ نَهَارَ الثَّلَاثَاءِ ثَلَاثَ عَشَرَ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ الشَّهْرِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ، سَارَ الْأَمِيرُ سِنَانٌ وَالسَّيِّدُ عَلِيُّ يَحْيَى مِنَ الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ، فَبَاتَا فِي قَرْيَةٍ مُدَّعٍ وَمِنْ ثَانِي يَوْمِهِمَا، قَدِمَا إِلَى الْمُخَيَّمِ الْمَنْصُورِ عَلَى قَلْعَةِ ثُلَا، وَكَانَ فِي ضُحْبَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى جَمَاعَةٌ مِنْ مَشَايِخِ أَهْلِ ظَفِيرِ حَجَّةَ، وَكَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ وَصُولِهِمَا وَقَعَتِ الْمَرَاסَلَةُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ، وَإِلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الرُّتَبَةِ مِنَ السَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى، فِي أَمْرِ التَّسْلِيمِ فَامْتَنَعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُطَهَّرِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ لِلْقَلْعَةِ إِلَى عَلِيِّ يَحْيَى لِلدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَعَاتَبَهُمْ عَلَى فِعْلِهِمْ غَايَةَ الْمَعَاتَبَةِ وَكُرِّرَتْ إِلَيْهِمُ الْمَرَاجَعَةُ وَالْمَرَاسَلَةُ، وَعَرَفُوا بِمَا فِي رِقَابِهِمْ مِنَ الْعُهُودِ فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى ذَلِكَ.

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُطَهَّرِ بَيْنَ اتِّفَاقِ صِنُوهُ وَالْأَمِيرِ سِنَانٍ وَمَعْرِفَتِهِ، أَنَّ أَخَاهُ قَدْ صَارَ مِنْ جُمْلَةِ أَتْبَاعِ السُّلْطَانَةِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَتَقْرِيرِ مَا تَقَرَّرَ لَهُ مَعَ أَخِيهِ رَاسِلَ إِلَى الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ الْعَالِي الْأَمِيرِ النَّاطِرِ سِرًّا فِي أَمْرِ التَّوَسُّطِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ



مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ فِي التَّسْلِيمِ وَتَقْرِيرِ قَوَاعِدِهِ، وَمَا اشْتَرَطَهُ وَأَنْ يَكُونَ  
الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ مَتَوَسِّطًا أَيْضًا فِي ذَلِكَ مَعَ الْأَمِيرِ النَّاطِرِ دَفْتَرْدَارِ  
الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَشَرَطَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُطَهَّرِ شُرُوطًا كَثِيرَةً مِنْهَا [٢٩٦]  
مَا هُوَ لَخَاصَّةِ نَفْسِهِ وَمِنْهَا مَاهُو لَابْنُ أَخِيهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ يَحْيَى وَسَائِرَ  
الْعَسْكَرِ الَّذِينَ عِنْدَهُ فَرَفَعَ حَضْرَةَ الْأَمِيرِ النَّاطِرِ وَالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ خَبَرَ  
ذَلِكَ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ الْأَمْرُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ.

وَفِي خِلَالِ هَذِهِ الْمَفَاوِضَةِ كَتَبَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ إِلَى  
مَقَامِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ دَامَ إِسْعَادُهُ مُطَالِبًا لِلِالْتِقَاءِ مَعَ الْمَقَرِّ السَّامِيِّ  
الْفَخِيمِ، دَفْتَرْدَارِ الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ، مَوْلَانَا الْأَمِيرِ النَّاطِرِ مُصْطَفَى بْنِ  
طَاهِرٍ، فَأَشَارَ مَوْلَانَا أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْأَمِيرِ الْمُشَارِّ إِلَيْهِ، أَنْ يَلْتَقِيَ هُوَ  
وَأَيَّاهُ لِإِخْفَاءِ أُمُورٍ يَعُودُ نَفْعُهَا لِلْسُّلْطَانَةِ الْقَاهِرَةِ أَعَزَّهَا اللَّهُ تَعَالَى.

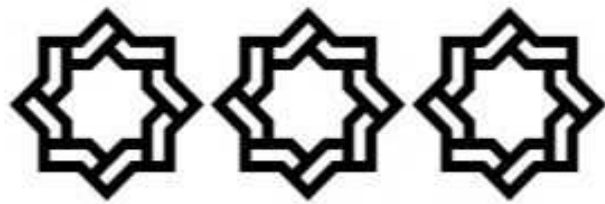
وَفِي آخِرِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، نَزَلَ الْأَمِيرُ  
شَمْسُ الدِّينِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ وَوُزَرَائِهِ إِلَى قَاعِ حَوْشَانِ إِلَى  
عَقَابِ مَدِينَةِ ثَلَاثٍ<sup>(١)</sup> وَكَتَبَ إِلَى الْأَمِيرِ النَّاطِرِ بِوُضُوحِهِ إِلَى الْمَكَانِ الْمُسَمَّى  
بِضُرْمٍ فَلَمَّا وَصَلَ كَتَبَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ قَامَ الْأَمِيرِ الدَّفْتَرْدَارِ نَاطِرِ  
الْأَمْوَالِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَرَكَّبَ بِجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِزِيٍّ حَسَنٍ وَهَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ،  
لَأَنَّ الْأَمِيرَ الدَّفْتَرْدَارَ مَشْهُورٌ وَمَذْكُورٌ بِالشُّوْكَةِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْبَسَالَةِ

(١) «ثوله»: هكنا في الأصل.



والرجالة زائداً على سائر النظار، الذين جاءوا إلى هذه الأقطار اليمانية،  
 ووصل إلى المكان الموعود، واستقبله الأمير شمس الدين وأكرمه  
 إكراماً بالغاً وإعزازاً زائداً فلما اتفقا تعانقا وتجابرا وتصافحا [٢٩٧] لأن  
 بينهما محبةً أكيدةً ومودةً شديدةً، من حيي المرخوم الأمير محمد بن  
 شمس الدين في مدة جلوسه في قاع حوشان، ثم دخلا إلى داخل الشقيق  
 ومعهما السيد علي بن أحمد وزير علي يحيى، وابن عم الأمير شمس  
 الدين صلاح بن المطهر، وتفاوضا وتشاورا، ولم يقف أحد بمفاوضتهم  
 لأن عادة المقام الكريم السامي الأمير الناظر مصطفى بن طاهر دفتردار  
 الممالك اليمنية ما يدخل أحد في مقامه حين مفاوضته، وبعد تمام  
 المشاورة، خرجا من الشقيق، فأفرغ الأمير الناظر على الأمير شمس  
 الدين خلعة بديعة من أنفاس الأقبية، وأعطاه الخاتم الذي في يده وهو  
 يساوي ثلاثمائة دينار ذهب، وأعطى لجماعة الأمير شمس الدين أيضاً  
 مائة دينار ذهب بخشيشاً من عنده وافترقا هو وإياه على أحسن حال  
 وأطيب بال.

السيّاتين عَشْرَتَيْنِ



## [الجزء السادس عشر]

وأما الأمير سنان، لما عرف من إبراهيم المُطَهَّر عدم المساعدة لتسليم  
مُخْرُوس ثلاً على نظره، بعد وصول السَّيِّد علي يَحْيَى ومشاهدتهم له  
ومخاطبته لهم بالتسليم وتكرير المراسلة وكراهة إبراهيم لما قد تقرر له  
من القَوَاعِد مَعَ أخيه علي يَحْيَى، أعرَض هو والسَّيِّد علي يَحْيَى عَنْ  
مخاطبتهم ومراسلتهم، وعَمَلَ على المَسِير إلى مقام مَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ إلى مُخْرُوس صَنْعَاءِ المَخْرُوسَةِ، وصحبته السَّيِّد علي يَحْيَى بن  
المُطَهَّر.

فلما كَانَ ليلة السَّبْت السَّابِعِ عَشْرَةَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ الْمُقَدَّمِ  
ذِكْرُهَا سَارَ هو والسَّيِّد [٢٩٨] علي يَحْيَى إلى مقام مَوْلَانَا صَاحِبِ  
السَّعَادَةِ، فلما انتهى إلى مَسَامِعِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ قَرَبِ وصولهم،  
أمرهم أَنْ يتَأَخَّرُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ فِي ضِلْعٍ<sup>(١)</sup> لِأَجْلِ التَّأَهُّبِ فِي لِقَاءِ الْعَسَاكِرِ  
السُّلْطَانِيَّةِ لِلسَّيِّدِ عَلِيِّ يَحْيَى حَتَّى يَدْخُلَ مَدِينَةَ صَنْعَاءِ المَخْرُوسَةِ فِي هَيْئَةِ  
حَسَنَةٍ.

(١) ضِلْع: انظر: صفة جزيرة العرب (١٠٧).

ولَمَّا كَانَ صَبِيحَ نَهَارِ الْاَحَدِ الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ سِيرِهِ مِنَ الْمُخَيَّمِ الْمُنْصُورِ عَلَى ثُلَا، أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدَهُ الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ الْأَمِيرَ حُسَيْنَ بَكْ دَامَ عِزُّهُ وَجَمِيعَ الْأُمَرَاءِ وَسَائِرِ الْأَغْوَاتِ وَالْكُبَرَاءِ وَكَافَةِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّذِي بِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ، وَجَمِيعَ خَوَاصِهِ وَأَعْيَانِ أَصْحَابِهِ أَنْ يَلْقُوا السَّيِّدَ عَلِيَّ يَحْيَى بْنَ الْمُطَهَّرِ إِلَى الْمَنْجَلِ بِالْقَرَبِ مِنْ صَنْعَاءَ، فَدَخَلَ السَّيِّدُ عَلِيَّ يَحْيَى مَدِينَةَ صَنْعَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي هَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ وَالزَّمَرِ وَالطَّبْلِ مَعَهُ وَالْأَعْلَامِ.

وَلَمَّا دَخَلَ إِلَى حَضْرَةِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ إِلَى غُمْدَانَ، اسْتَقَامَ لَهُ وَصَافِحُهُ وَعَانِقُهُ وَأَكْرَمَ مَقَابِلَتَهُ وَأَجَلَ مَحَلَّهُ وَعَظُمَ مَكَانُهُ وَأَنَسَهُ غَايَةُ الْإِنْسَانِ، وَبَالِغَ فِي التَّعْظِيمِ لَهُ حُسْبَمَا هُوَ مَعَهُودٌ مِنْ مَكَارِمِهِ وَفَضْلِ كِمَالِهِ، وَمُحَامَدِ صِفَاتِهِ، وَشَرَفِ نَفْسِهِ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خَلْعَتَيْنِ مِنْ أَنْفُسِ الْأَقْبِيَّةِ وَأَسْنَاهَا وَأَجَلَهَا وَأَغْلَاهَا وَهَمَا مِنَ الْخَلْعِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكُهُ عَلَيْهِ، وَخَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ سِنَانَ خِلْعَةً نَبِيلَةً مِنْ أَجْلِ الْقِفَاطِينَ الْقَبَا، وَكَذَلِكَ [٢٩٩] عَلَى الْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعَافَا صَاحِبِ سُودَةِ شَنْطَبَ، وَعَلَى النَّقِيبِ الْفَاضِلِ يَاقُوتِ الْمَلَا الْحَبَشِيِّ، ثُمَّ قَامَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ وَالسَّيِّدُ عَلِيَّ يَحْيَى مَعَهُ، وَكَافَةُ أَهْلِ حَضْرَتِهِ وَجَمِيعِ الْأُمَرَاءِ وَسَائِرِ الْأَغْوَاتِ وَالْكُبَرَاءِ وَأَجَلَّةِ أَعْيَانِ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ إِلَى السَّمَاطِ الْمُعَدِّ لِقُدُومِ السَّيِّدِ عَلِيَّ يَحْيَى، وَهُوَ سَمَاطٌ يَعْظُمُ وَصَفُ ذِكْرِهِ وَتَكَثَّرَ أَلْوَانُهُ وَتَعَدَّادُ صِفَاتِهِ، فَطَعَمَ مِنْهُ وَمَنْ ذَكَرْنَاهَا، ثُمَّ كَافَةِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ



وأتباعهم ثُمَّ خَرَجَ السَّيِّدُ عَلِيٌّ يَخْبِي إِلَى بَيْتِ الْأَمِيرِ سِنَانٍ بِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ فَأَقَامَ بِهِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَمْرٌ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيْدُهُ اللَّهُ مِنْ ثَانِي هَذَا الْيَوْمِ لِلْسَيِّدِ عَلِيٍّ يَخْبِي بِجُمْلَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مَلَابِسِهِ النَّفِيسَةِ وَكِسَوَتِهِ <sup>(١)</sup> الشَّرِيفَةِ السَّنِيَّةِ الْفَاخِرَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَجْلِ مَلَابِسِهِ وَأَسْنَانِهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَأَجْنَاسِهَا إِلَى عِمَامَةٍ مَتَعَمَّمَةٍ مِنْ عِمَائِمِهِ الْمُبَارَكَةِ، وَبِحِصَانَيْنِ مَحْلِيَيْنِ عَلَيْهِمَا حِلْيَةٌ كَامِلَةٌ مِنْ أَنْجَبِ مَرَاكِبِهِ وَمَحَاسِنِ الْخَيْلِ الْعَرَبِيَّةِ وَبَسِيفٍ مَحْلِيٍّ وَبُثْلَاثِمَائَةِ دِينَارٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التُّخَفِ، وَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ إِلَى حَضْرَتِهِ كُلِّ يَوْمٍ وَيُؤْنِسُهُ وَيَبَالِغُ فِي تَسْكِينِ جَاشِهِ وَيُطَيِّبُ قَلْبَهُ وَخَاطِرَهُ.

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا قَالَ لَهُ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ أَلْسِنِ الثَّقَاتِ مَا مَعْنَاهُ، مِمَّا يُرِيدُ بِهِ تَسْلِيَةَ خَاطِرِهِ مِمَّا عَرَّاهُ مِنْ اسْتِلَابِ مُلْكِهِ وَزَوَالِ دَوْلَتِهِ: أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْوَاقِعَةَ مَعَكَ وَالْحَاصِلَةَ إِلَيْكَ قَدْ وَقَعَ إِلَى مَنْ سَبَقَكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ أَعْظَمَ [٣٠٠] وَأَشَدَّ مِنَ الْوَاقِعِ عَلَيْكَ، وَهَذَا دَابُّ الزَّمَانِ فِي تَقَلُّبِ أَحْوَالِهِ وَحَصُولِ شَوَائِبِهِ وَغَوَائِلِهِ، فَلَا تَدْخُلُ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ، فَإِنْ الْجَارِيَاتُ تَجْرِي، وَوَعْدُهُ بِكُلِّ خَيْرٍ يَنَالُهُ مِنْهُ مِنْ تَفَضُّلَاتِ السُّلْطَنَةِ السَّعِيدَةِ بِمَا يَصْلَحُ بِهِ حَالُهُ مِنَ الْإِعْزَازِ وَالْإِنْصَافِ وَالْإِجْلَالِ وَالْإِتْحَافِ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ مِنَ التَّشْرِيفَاتِ، مَا يَطِيبُ بِحَصُولِهَا إِلَيْهِ نَفْسَهُ وَيَقَرُّ بِمَصِيرِهَا

(١) «وكسوة»: هكنا في الأصل.

لديه قلبه وناظره، وتزول بها وحشته ويسكن بها جأشه، فدعا لمولانا السلطان الأعظم ثم لصاحب السعادة وأثنى على تفضلاته وشكر عظيم تطولاته ومنحه ومكارمه وتأسف على ما سبق من مخالفته.

وأما ما كان من إبراهيم بن المطهر، بعد مسير الأمير سنان وأخوه علي يحيى من المخيم المنصور على مخروس ثلاً إلى مقام صاحب السعادة، فراسل إلى الأمير الفخيم الناظر مصطفى بن طاهر دفتردار الممالك اليمينية، وإلى الأمير أحمد بن محمد شمس الدين في التوسط بينه وبين مولانا صاحب السعادة، واجتمع بإبراهيم بن المطهر رجل من أعيان الأمير الناظر في أمر التسليم وخروج إبراهيم من القلعة وبين له إبراهيم أموراً شرطها لنفسه من جملتها أن يُنعم عليه مولانا صاحب السعادة بسنّجق شريف وتأمين من معه من الرتبة والعينات، وكل منهم يخرج بما معه، فعرف الأ미ران المُقدّم ذكرهما مولانا صاحب السعادة فأسعف [٣٠١] إلى بعضها وبعضها امتنع عنه، وقال أئده الله في جوابه: «إن ساعد إبراهيم ومن معه إلى ما ذكرنا ويسلموا القلعة للدولة السعيدة الخاقانية فعلنا لهم بذلك قواعد مباركة ومراسيم شريفة، وإن لم يساعدوا إلى ذلك فقد صاروا في اليد إن شاء الله تعالى، وقد صار صاحب أمرهم عندنا وصاروا على طاعة مولانا السلطان الأعظم، وأمرهم قد تلاشاً بسبب كثرة مدة الحصار عليهم وصاحب أمرهم أيضاً قد أمرهم بالتسليم».

فعرَفَ الأَمِيرَ النَّاطِرَ والأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ بِمَا جَوَّبَ بِهِ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ عَلَيْهِمَا فِي شَأْنِهِمْ، وَلَمْ يَزَلِ الأَمِيرُ النَّاطِرُ بَعْدَ ذَلِكَ يَكْرُرُ المَرَاثِلَةَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ فِي تَسْلِيمِ القَلْعَةِ، وَأَنَّ الأَلِيقَ لَهُ والأَصْلَحَ لِحَالِهِ قَبُولُ مَا قَدْ ذَكَرَهُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ، وَأَنَّ المَبَادِرَ لَهُ خَيْرٌ مِنَ المَبَاعِدَةِ فَجَاءَ جَوَابُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ بِالمُسَاعَدَةِ إِلَى ذَلِكَ، فِي أَمْرِ التَّسْلِيمِ يَكُونُ إِلَى مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ عَلَى نَظَرِ الأَمِيرِ النَّاطِرِ والأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ، وَأَنَّ أَخَاهُ عَلِيَّ يَحْيَى والأَمِيرَ سِنَانَ لَا يَحْضُرَانِ فِي وَقْتِ تَسْلِيمِهِ وَخُرُوجِهِ، وَلَا تُسَلَّمُ القَلْعَةُ إِلَّا بِحَضُورِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ فَوَجَّهَتْ بِجَوَابَاتِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ.

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا وَتَحَقَّقَ صِحَّةُ أَمْرِهَا، عَمَلَ عَلَى المَسِيرِ مِنْ وَقْتِهِ، وَأَمَرَ السَّيِّدَ عَلِيَّ يَحْيَى والأَمِيرَ سِنَانَ بِالْوُقُوفِ فِي صَنْعَاءَ، وَسَارَ لَيْلَةَ الخَمِيسِ فِي اليَوْمِ الثَّانِي والعَشْرِينَ [٣٠٢] مِنَ الشَّهْرِ المُقَدَّمِ ذَكَرَهُ، وَصَحْبَتَهُ الأَمِيرَ حُسَيْنَ، وَكَافَّةَ مَنْ كَانَ فِي مَقَامِهِ مِنَ الأُمَرَاءِ الأَعْلَامِ والأَعْوَاتِ الكِرَامِ وَجَمِيعِ خَوَاصِّهِ وَأَعْيَانِ أَصْحَابِهِ والعَسَاكِرِ المُنْصُورَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّذِينَ بِمَدِينَةِ صَنْعَاءَ، وَالمَشَاعِلِ تَضِيءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَصْبَحَ عَلَيْهِ فِي المُنْقَبِ.

وَلَمَّا قَارَبَ حِجْرَ سَعِيدٍ مِنْ قَرْيَةِ هَمْدَانَ، لَقِيَهِ الأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ فِي أَصْحَابِهِ وَعَسْكَرِهِ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ الأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ بِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً عَظِيمَةً، ثُمَّ سَارَ صُحْبَةً رِكَابَهُ إِلَى المُخَيَّمِ المُنْصُورِ عَلَى مَخْرُوسِ قَلْعَةٍ ثَلَاثًا، وَلَمَّا قَارَبَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيْدَهُ

الله تعالى مدينة ثُلا تقدّم إلى لقائه المقام الكريم الأمير الناظر الفخيم، مُصطَفَى بن طاهر في عسكر عظيم من العساكر السلطانية فخلع عليه مَوْلَانَا صاحب السعادة خُلعة عظيمة وشكر له قيامه بجهد وجاهه في محاصرة قلعة ثُلا، فدخل مَوْلَانَا صاحب السعادة إلى بيت مَوْلَانَا الأمير الناظر حيث كان مُخيماً يومئذ بمدينة ثُلا، وقد كان الأمير الناظر أعدّ ضيافة سنّية لقدم صاحب السعادة فطعم منها وجميع الرؤساء وكافة الأكابر والأمرء والعساكر المنصورة.

ولما استقر ركاب مَوْلَانَا صاحب السعادة بالمُخيم المنصور على قلعة ثُلا، أمر الأمير الناظر مُصطَفَى بن طاهر والأمير شمس الدين، بتعريف إبراهيم بن المُطهر، ومن عنده وصوله أيّده الله تعالى، للتسليم وتأمينهم وتقرير قواعده فوق تلكو<sup>(١)</sup> من إبراهيم [٣٠٣] بن المُطهر والرتبة في أمر التسليم وطلبوا غير ما قد تقرّر على يد الأمير الناظر والأمير شمس الدين، فقال مَوْلَانَا صاحب السعادة: «لا أفعل لهم غير ما قد بيّناه لهم، ولا يمكن أنّا نجعل لهم غير ما قد قرّرناه، فإن ساعدوا وإلا لم نَزِد<sup>(٢)</sup> نقبل لهم مراجعة ولا مراسلة».

(١) «تلكي»: هكذا في الأصل.

(٢) «نزيد»: هكذا في الأصل.



فَعَرَّفَهُمْ بِذَلِكَ الْأَمِيرَ النَّاطِرَ، فَسَاعَدُوا إِلَى مَا قَالَهُ مُؤَلَّانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ شَرِيفَانِ أَحَدُهُمَا يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرٍ مِنْ شُرَفَاءِ دِمَارٍ، لَهُ مَعْرِفَةٌ فِي عُلُومِ الْأَدَبِ، وَالْآخَرُ نَاصِرُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمَزِيِّ، مِنْ شُرَفَاءِ دَيْقَانَ، لَتَمَامِ الْقَوَاعِدِ وَأَخْذِ الْأَمَانِ عَلَى الْأُمُورِ الْمَشْرُوطَةِ فِيمَا تَقَرَّرَتْ بِهِ الْقَوَاعِدُ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ وَأَمَرَ لَهُمَا بِصِلَةِ نَبِيلَةٍ، وَفَعَلَ لَهُمُ الْمَرَامِسِيمَ الشَّرِيفَةَ بِمَا تَقَرَّرَتْ بِهِ قَوَاعِدُهُمُ وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ عَنْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمُ وَالْإِنْعَامِ الْجَزِيلِ عَلَيْهِمُ.

وَحِينَ تَمَّتِ الْقَوَاعِدُ مِنْ صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ الَّتِي طَلَبَهَا لَخَاصَةِ نَفْسِهِ وَلِمَنْ عِنْدَهُ فِي الْحَصْنِ مِنْ سَائِرِ الرُّتَبَةِ وَالْعِيَّاتِ الَّتِي تَقَرَّرَ التَّسْلِيمُ عَلَيْهَا وَوَضَعَتِ الْمَرَامِسِيمَ الشَّرِيفَةَ لَهَا، وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهَا مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ الْإِنْعَامُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ بِسَنَجَقِ شَرِيفٍ وَلَوَاءِ مُنِيفٍ وَجَامِكِيَّةٍ سَنَجَقَهُ وَابْنِ أَخِيهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ يَحْيَى بِجَامِكِيَّةٍ كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ عُثْمَانِيٍّ، وَمَا كَانَ بِمَحْرُوسِ ثَلَاثٍ، مِمَّا هُوَ [٣٠٤] مِنْ خَزَائِنِ عَلِيٍّ يَحْيَى، وَابْنِ أَخِيهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ يَحْيَى يَقْتَسِمَانِهِ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَكُونُ لِلسَّيِّدِ عَلِيٍّ يَحْيَى مِنْهَا شَيْئًا، قَلِيلُهَا وَكَثِيرُهَا وَجَلِيلُهَا وَحَقِيرُهَا، وَسَائِرِ الْوَلَاةِ وَالرُّتَبَةِ كُلِّ مَنْهُمْ يُخْرِجُ مَا هُوَ لَهُ فِي بَيْتِهِ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ، إِلَى حَيْثُ يُحِبُّ مِنَ الْبِلَادِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَمَنْ أَحَبَّ التَّقَرُّرَ مِنْهُمْ فِي الْخِدْمِ السُّلْطَانِيَّةِ قُرَّرَ بِجَوَامِكِ، وَمَا كَانَ مِنْ سَائِرِ الْعُدَدِ وَالْمَدَافِعِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالسَّلَاحِ



والبارود والرصاص ونحو ذلك، فبقي للدولة السعيدة الخاقانية، ويسلم لإبراهيم في مقابل باقي شحنة الحبوب وغيرها ألفي دينار.

وأمر مولانا صاحب السعادة الجناب السامي حسين يازجي الديوان، أن يدخل إلى الحصن المحروس، ويقف فيه في جماعة من عساكر السلطان، ويطلع على ما كان في القلعة مما يصير إلى الخزائن السلطانية، وأمر أيده الله تعالى إبراهيم بن المظهر، وابن صنوه وكافة من كان في قلعة مخروس ثلا بالتحويل، وإخراج ما هو لهم وما اشترطوه لأنفسهم، فأخرجوا جميع ما اشترط لهم وحول إبراهيم وابن صنوه إلى مدينة شبام حوال، مدينة مخروس كوكبان، وأمر صاحب السعادة بحمال تحمل تحويل إبراهيم بن المظهر المرة بعد المرة، ولما تم التحويل خرجت الحريم والأطفال والأمراض، ولم يبق غير حريم إبراهيم ومكالفه وحريم ابن صنوه ومكالفه، من ثلا ولم يبق غيره [من] الرجال إلا ضحى برؤوسهم مع إبراهيم بن المظهر.

فلما كان ليلة الاثنين السادس [٣٠٥] والعشرون من شهر جمادى الآخرة خرج حريم إبراهيم بن المظهر وجميع مكالفه، وكذلك حريم أحمد بن علي يحيى ومكالفه وجوارهم إلى مدينة شبام حوال، ووافوا مولانا صاحب السعادة لمن كان في مخروس ثلا بجميع ما وضعه لهم

وقرّره، ولم يتغيّر على أحد منهم حال<sup>(١)</sup> خروجهم عن القلعة، ولا في وقت تحويلهم، وقد كان في أيام تحويلهم أمر مَوْلَانَا صاحب السَّعادة جاور شيته تَبَقَى في أبواب الحصن، وأن لا يدخل أحد إلى القلعة إلا بأمره، وأن لا يُعترَض أحد من الخارجين بتحويلهم أو بحريمهم وأطفالهم، فَخَرَجَ جميع مَنْ كانَ بمحروس ثُلا على أَجْمَلِ الأحوالِ وأحسَنها وأتمها وأفضلها.

وَمِنْ عَظِيمِ تَفَضُّلاتِ مَوْلَانَا صاحب السَّعادة ومروءاته ومكارمه وفائض جوده، أَنَّهُ أمرَ لِمَنْ كانَ في مَحْرُوس ثُلا، قبل خروجهم في أيام تحويلهم من كثير وصغير، بَعْدَ بذلهم للطَّاعة السُّلْطَانِيَّةَ بِعَطَايا مِنَ الدَّنانير جَزِيلَةٍ، لِيَسْتَعِينُوا بها على صلاح أحوالهم وقوام أنفسهم وأولادهم، وما سَمِعْنَا في كتاب ولا وقفنا على تاريخ أن أحداً مِنَ الملوك والرُّؤساء أو الأكابر والخلفاء يُعطي أحداً مِمَّنْ كانَ على هذه الصِّفَةِ مِمَّنْ ذكرنا وَيَشْمَلُهُمْ بتطولاته وَيُعْمَهُمْ بمكارمه وتفضلاته غير صاحب السَّعادة.

ولَمَّا كانَ ضحوة نهار الإثنين المُقَدَّم ذكره، خَرَجَ إبراهيم بن المُطَهَّر وولد صِنُوهُ أحمد بن علي يَحْيَى وجميع مَنْ بَقِيَ مِنْ أصحابها في مَحْرُوس [٣٠٦] ثُلا مِنَ العَيْنَاتِ والرُّتَبَةِ إلى بين يدي مَوْلَانَا صاحب السَّعادة، إلى المُخَيَّمِ المُنْصُورِ وَحِينَ صاروا بباب الحديد وهو أسفل

(١) «حال في خروجهم»: هكنا في الأصل.

أبواب القلعة، أمر مَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَةِ ولده الأمير السَّامِي حُسَيْنَ والأمير النَّاطِرَ وكافة الأمراء وسائر الأغوات والكُبراء وجميع العساكر المَنْصُورَةَ السُّلْطَانِيَّةَ، بتلقِّيهم ومعهم الطُّبْل والزَّمر والأعلام الشَّرِيفَةَ، فساروا بهم إلى مقام مَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَةِ في زِفَةِ وهيئةِ حَسَنَةٍ وزِيٍّ عَظِيمٍ، وضرب المدافع والزَّربُطانات والبنادق مِنَ القلعة، وَمِنَ الْمُخَيِّمِ المَنْصُورِ.

فلَمَّا دخل إبراهيم بن المُطَهَّر وابن صِنُوهِ إلى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَةِ، قابلهم بالإجلال والإكرام والإعزاز والإعظام، وقد كَانَ هَيَأَ سَمَاطٍ عَظِيمًا لضيافتهم، لوقت قدومهم عليه، فتقدم أَيْدُهُ اللهُ تَعَالَى إلى السَّمَاطِ وهُمَا مَعَهُ وجميع الأمراء وكافة الأكابر والرؤساء مِنَ الْعَرَبِ والعَجَمِ وسائر العساكر السُّلْطَانِيَّةِ، فطعموا مِنْهُ جميعهم ثُمَّ بعد تمام السَّمَاطِ، أمر مَوْلَانَا صَاحِب السَّعَادَةِ بِأَنْ يُزِفَ السَّنَجَقَ الشَّرِيفَ إلى إبراهيم بن المُطَهَّر، بمؤنة جميع ما يصرف على السَّنَجَقِ الشَّرِيفِ مِنْ دَرَاهِمٍ وَخِلَعٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كَرَمِهِ وَسُنَنِ تَطَوُّلَاتِهِ وَعَمِيمِ إِحْسَانِهِ وَتَمَامِ صَنَائِعِهِ وَعَظِيمِ مَرُوءَاتِهِ وَشَرِيفِ مَنَاقِبِهِ.

وَأَمْرٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُطَهَّرِ وَلابْنِ أَخِيهِ بِعَطِيَّةِ نَبِيلَةٍ وَأَمْرٌ لِلرُّتَبَةِ وَالْعَيْنَاتِ [٣٠٧] الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُمَا مِنْ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ بِكِسَاءٍ وَدَرَاهِمٍ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا نَالَتْهُ عَطِيَّةٌ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالْكِسْوَةِ.

وَرَتَّبَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ بَعْدَ قَبْضِهِ لِمَحْرُوسِ قَلْعَةِ ثُلَا طَائِفَةً  
 كَثِيرَةً مِنَ الْأَتْرَاكِ مِنْ عَسَاكِرِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَجَعَلَ لِيهِمْ دِزْدَارًا  
 وَسُرًّا أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِفَتْحِهِ الْمِيمُونَ لِهَذِهِ الْقَلْعَةِ السَّعِيدَةِ غَايَةَ السُّرُورِ  
 وَحَمْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَنْفَذَ الْبَشَارَاتِ إِلَى جَمِيعِ الْأَقْطَارِ  
 وَالْجِهَاتِ إِلَى جَمِيعِ الْأَعْيَانِ وَالْكَبَرَاءِ مِنْ أَعْيَانِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَأَعْطَى  
 جَمِيعَ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَالِكَ، وَزَادَ لَهُمْ فِي جَوَامِكِهِمْ  
 وَتَرْقِيهِمْ، وَأَنْفَقَ إِنْفَاقَاتٍ عَظِيمَةً حَالَ فَتْحِ مَحْرُوسِ ثُلَا وَأَمَرَ مَوْلَانَا  
 صَاحِبَ السَّعَادَةِ الْأَمِيرَ الْفَخِيمَ النَّازِرَ مُصْطَفَى بْنَ طَاهِرٍ دَفْتَرْدَارَ الْأَمْوَالِ  
 السُّلْطَانِيَّةِ أَنْ يَطْلُعَ إِلَى مَحْرُوسِ الْقَلْعَةِ وَيَطُوفَهَا فَيَطْلُعَ فِي جَمَاعَتِهِ  
 وَأَصْحَابِهِ إِلَى رَأْسِ الْقَلْعَةِ وَنَصَبَ الْأَعْلَامَ الشَّرِيفَةَ فِي الدَّارِ الَّتِي فِي رَأْسِ  
 تَعْلَةِ الْقَلْعَةِ .

قُلْتُ: وَحَصَنَ ثُلَا مِنْ أَعْظَمِ حُصُونِ الْيَمَنِ وَقِلَاعِهِ سُمْعَةَ وَشَهْرَةَ، وَهُوَ  
 حَصْنٌ مَشْهُورٌ بِالْبَرَكَةِ، وَلَيْسَ فِي الْيَمَنِ حَصْنٌ يَشْبَهُهُ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ مِنْهَا  
 أَنَّهُ كَثِيرُ الْبَقَاءِ فِي يَدِي مَلِكِهِ، وَمِنْهَا أَنْ حَوْلَهُ وَمِمَّا يَطِيفُ بِهِ مِنْ قَبَائِلٍ كَثِيرَةٍ  
 يَمْلِكُهُمْ صَاحِبُهُ فِي حَوَازِهِ الْمَتَّصِلَةِ بِهِ وَبِجَبَلِهِ عُدَدٌ كَثِيرَةٌ جَمٍّ غَفِيرٍ أَهْلٍ  
 نَجْدَةٍ وَقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ وَشَجَاعَةٍ [٣٠٨] مَشْهُورَةٍ، وَمَلَا حَمَّ مُدَوَّنَةٍ مَذْكُورَةٍ،  
 وَلَهُمْ مَعَ مَنْ يَمْلِكُهُ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ، صَبْرٌ  
 وَقِيَامٌ بِجِدٍّ وَجَهْدٍ، فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوِبُهُ، يَقَاتِلُونَ دُونَهُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ



وَيُذْلَوْنَ فِي نَصْرَتِهِ طَارِفُهُمْ وَتِلَادُهُمْ وَتَخَرُّبُ قَرَاهِمِ وَبِلَادِهِمْ وَلَا يَتَغَيَّرُونَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

ومدينته هي من مكان في مدن حصون الجبال وبلدانها، وأصْحُها هواء وأطيبها مسكنًا، وأهلها فيهم شجاعة وأَنَفَة، وكثير من الناس من يأوي إليها، ويسكن فيها من البلاد النَّازحة عنها، لِعِزِّها وخَيْرِيَةِ أهلها، ولا يزال فيها عالم ومتعلِّم، وأهلها يحبُّون العُلَمَاءَ، ويكرِّمون الفضلاء، وبها مشاهد مشهودة، وتُربُّ مزورة مُقَدَّسة، وبها قبر السيِّد الفاضل العلامة إمام الحقيقة والطَّريقَة، صاحب الاسم الأعظم، المتصرِّف به في زمانه والمعروف بالبراهين السَّاهرة والفضائل الباهرة، في حياته وبعد مماته، محمَّد بن الهادي الحسني قدس الله روحه، وقبته التي قُبر بها عمرها قبل مماته بمدة كثيرة، وعيِّن فيها موضع قبره، وهي معدومة النظير في جميع إقليم اليمن ليس لها شبيه في عمارتها وحُسن شكلها وسعتها وارتفاعها، وقبره مزوراً وله أموال يُنفق من محضولها على العُلَمَاءَ والمُعَلِّمين وله في مدينة ثُلا من العماثر والأساسات وعمارة المساجد ما هو باقي إلى الآن، وله المآثر الحسنة فيما استخرج [٣٠٩] من الغيول لمصالح المسلمين في مدينة ثُلا ما يقدر أن يقوم لعمارتها وبتمام عملها إلا ملكٌ كبير، وسلطانٌ خطير، وكان حائزاً لعلوم الطَّريقَة والحقيقة.

وكانت مدينة ثُلا قبل خرابها الأول، ألف بيت وبها مساجد كثيرة وبها جامع كبير ولها أسواق كثيرة.

وحصن ثُلا حرسه الله تعالى، قد ذكرته علماء حِمير في ملاحمها وكتبها، وفي كثير من مساندها، وقد روى في ذكره مصنف كتاب [صفة] جزيرة العرب) عن مشايخه عن شَقَّ وسَطِيح وهو أعرف النَّاس بأخبار حِمير وكَهْلان ومَآثر قَحْطَان وسِير ملوك حِمير وهَمْدَان، قال: «هو الجبل الأَشْنَبُ أو الأَشْيَبُ، بالياء المثناة من تحت، المقابل لِشَدِّ النَّارِ»؛ يعني البلاد المتاخمة لَضِيْن<sup>(١)</sup> التي احترقت في الجاهلية الجاهلاء، وقد نطق القرآن الكريم بحريقها في سورة نون، وهو على وَزْن جُبا وليس على وَزْن جُبا غير ثُلا، وأن كثيراً من علماء حِمير يروون عَمَّن أدرك شَقَّ وسَطِيحاً أنَّهما قالاً فيه ما معناه، أنَّه أول ما يحرب عليه في حصون اليَمَن بالنَّار ويحرب ما حوله من القرى وتخلُّوا عن أهلها سبعة شهور أو سِتَّة، وتعوي الذَّنَابُ فيها، ثُمَّ يكون فيما بعد من أجل حصون اليَمَن وأشهرها، إذا سَكَنَ سَكَنَ اليَمَن وإذا تحرَّك تحرَّك اليَمَن، فأول ما أُحْرِبَ عليه بالنَّار من حصون اليَمَن: ثُلا المَرَّة الأولى ثُمَّ المَرَّة الأخرى أُحْرِبَ عليه بالمدافع والزَّربانات [٣١٠] والبنادق، ولم يُحْرَبَ عَلَيْهِ بغير ذلك، وهو المراد بِحَرْب النَّار، الذي أشارَ إِلَيْهِ شَقَّ وسَطِيح، وحربت تلك المُدَّة أيام الحرب والحِصَار عليه في سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ كثير من بيوته

(١) «الطين»: في الأصل، ضِيْن: جبل هرمي بُركاني في الشمال الغربي من مدينة صنعاء القبائل والبلدان: (١/٩٢٥).

ودوره ومدينته جميعها، لم يبقَ غير دارا لامرأة بها وخرب ما حوله من القرى جميعها وخلت عن أهلها مدة سبعة شهور وعوت الذئاب فيها وسكنت السباع بها في التاريخ المُقَدَّم ذكره، حين حاصراه الباشتان أزدُمُر ومُضْطَفَى المعروف بنشار، ولم يتمكن من أخذه وفتحه، ثمَّ عظم أمر صاحبه فيما بعد ذلك، وآوت العرب إليه واشتهر أمره وعلا ذكره في الروم والشام والعراقين وفي بلاد الهند والصين.

وكانت لصاحبه السيّد المُطَهَّر بن شرف الدين الملاحم الجسام والوقائع العظام المشهور ذكرها في يمن وشام، عند خاص وعام، وفي بلاد جميع الإسلام حتى ضربت بحروبه الأمثال في السُّهول والجبال، ومنه ملك الإمام شرف الأنام إقليم اليمن في آخر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وعظم أمر الإمام شرف الدين لما ملكه وصار في يده.

ومنه دعا جماعة من أئمة أهل البيت من الزيدية، فعظم أمرهم واشتهر ذكرهم، وكان من أحوالهم ما هو مذكور في تواريخ اليمن.

وللسيّد المُطَهَّر فيه من العماثر الحسنة والدُّور المشيِّدة والبرك العظيمة، وبه دارٌ تُسمَّى البيضاء؛ لأنَّها عُمِّرت بالجصّ والقضاض، وفيها بناءٌ عجيبٌ [٣١١] ولها شكل غريب، وفيها من البهاء والشرح في منازلها ما لا مزيد عليه، ومناظرها غريبة في حُسْنها وشكلها، وأكثر أبواب منازلها وطاقات مناظرها مزوّقة مزخرفة مذهبة، وعليها الأشعار الرائقة الحسنة،

ومنها ما عليه رَسَم عامِر بن عبد الوهاب الطَّاهِرِي<sup>(١)</sup> سُلْطَان اليَمَن في عصره في تلك الأشعار المكتوبة عليها في غاية الحسن والجودة.

وكنت قد سمعت منذ أيام قديمة أنها زُخِرَتْ وزُوِّقَتْ في الهِنْد؛ أمر عامِر بن عبد الوهاب وأهله قبله، تُجَارَهُمْ بَعْمَلِهَا هُنَالِكَ، وكانوا ملوك الطَّاهِر لهم ولعة بالتَّجَارَة والزَّرَاعَة، وعمائرهم ناطقة بقوتهم وعِظَم رئاستهم واتِّساع مُلْكِهِمْ، ومآثرهم في جُبْن والمِقْرَانَة<sup>(٢)</sup> ورَدَاع، ومدينة ثُلا وتَعِز<sup>(٣)</sup> باقية إلى الآن.

وأعظمها مآثر عامِر بن عبد الوهاب، لأنَّه كان أعظمهم قوة وأحسنهم عدلاً وأطهرهم ذِيلاً، وهو الَّذِي قَتَلَهُ الْعَسْكَرُ الْمِصْرِي مِنَ الشَّرَاكِسَةِ عِنْدَ صَنْعَاءِ اليَمَن في سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ، وهذه الأبواب التي ذكرنا في الدَّارِ الْبَيْضَاءِ مِنْ جُبْن<sup>(٤)</sup> والمِقْرَانَة مِنْ أَبْوَابِ دُور آل طَاهِر التي

(١) «الطاهري»: هكذا في الأصل.

(٢) المِقْرَانَة: بلدة أثرية مشهورة في منطقة حَجَّاج من بلاد جُبْن السَّابِقِ ذِكْرُهَا، وقد سكنها السَّلاطِين آل طَاهِر وتركوا فيها الكثير من آثارهم وقصورهم التي امتازت بفن معماري جميل. [البلدان والقبائل (٢/١٦١٥)].

(٣) تَعِز: ضبطها في الأصل: «تَعِز» بكسر أوله، وهي اليوم تُعَلَّقُ بفتح أوله (تَعِز) ولا زال العامة من بلاد المرتفعات الشَّمالِيَّة في اليَمَن ينطقونها على هذا النحو الَّذِي أثبتته المؤلِّف.

(٤) جُبْن: مدينة تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة رَدَاع بمسافة نحو ٥٠ كيلاً. تقوم في هضبة تحيط بها الجبال من جميع الجهات. وفيها حصون مليئة بالآثار القديمة، وكهوف للماء منحوتة



هُنَالِكَ، أَطْلَعَهَا حَيَّ السَّيِّدِ الْمُطَهَّرِ بْنِ الْإِمَامِ شَرْفِ الدِّينِ حِينَ اسْتَوْلَى عَلَى مَمْلَكَةِ بَقِيَّةِ جَمَاعَةِ مِنْ بَنِي طَاهِرٍ وَبِلَادِهِمْ.

وَمِنْ مَآثِرِ الْمُطَهَّرِ الْعَجِيبَةِ الْبَاقِي أَثَرُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا أَمَرَ بِنَحْتِهِ فِيهِ إِلَى غِيلٍ فِي حَزْنٍ<sup>(١)</sup> حَصْنٌ ثَلَاثًا يَغْرِفُ مِنْهُ الْمَاءَ مَنْ كَانَ فِي [٣١٢] الْحَصْنِ وَيَسِيرُ فِي دَرَجَةٍ وَلَا يَبْصُرُهُمْ أَحَدٌ مِمَّنْ هُوَ مُحَاصِرٌ لَهُمْ، وَلَا يَنَالُهُمْ مَدْفَعٌ وَلَا غَيْرُهُ، وَيَسْتَضِيءُ السَّائِرُ فِي طُرُقَاتِهِ مِنْ كُورَى وَمُثْقَبَةٍ فِي الصَّفَاءِ.

وَمِنْ مَآثِرِهِ الْعَظِيمَةِ مَا أَمَرَ بِنَحْتِهِ فِي نَاصِرَةِ مَخْرُوسِ قَلْعَةٍ ثَلَاثًا فِي كَثِيرٍ مِنْ جَوَانِبِهَا، مِنْ الْمَحَاجِي وَالطُّرُقَاتِ وَنَحْوِهَا، بَقِيَ الْعَمَلَةُ فِيهِ بُرْهَةٌ مِنَ الزَّمَانِ، وَهُمْ خَلَقَ كَثِيرٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ بَعْضِ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ حِصَارِ مَخْرُوسِ مُدَعٍ.

وَحَصْنٌ ثَلَاثًا لَمْ يَخْرُجْ مَلِكُهُ مِنْ مَمْلَكَةِ مُلُوكِ الْعَرَبِ لَا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ فِيمَا نَطَقَتْ بِهِ التَّوَارِيخُ وَالسِّيَرُ الْقَدِيمَةُ وَالْحَدِيثَةُ، وَلَمْ يَفْتَحْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ وَالْعَجَمِ، غَيْرَ مُؤَلَّانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ حَاصِرُهُ الْبَاشَا أَرْدُؤَرُ

---

بِأَعْجَبِ صَنْعَةٍ، وَكَانَ السَّلَاطِينُ (بَنُو طَاهِرٍ) قَدْ اتَّخَذُوا مِنْهَا وَنَوَاحِيهَا سَكَنًا لَهُمْ خِلَالِ فِتْرَةِ حُكْمِهِمْ (٨٥٨-٩٣٣ هـ) وَبِهَا قُبُورُهُمْ وَأَنَارَهُمُ الظَّاهِرَةُ حَتَّى الْيَوْمِ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ عَدَدٌ مِنَ الْأَعْلَامِ. [البلدان والقبائل (١/٢٨٦)].

(١) الْحَزْنُ: مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ فِي ارْتِفَاعٍ؛ النَّاجِ: (حَزْنٌ).

مرة نحو شهرين، وما رَحَلَ عَنْهُ إِلَّا بَعْدَ مَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمَضَرَّةٍ نَالَتْهُ وَعَسْكَرَهُ، فَأَصْلَحَ صَاحِبَهُ ثُمَّ سَارَ عَنْهُ إِلَى مَدِينَةِ صَنْعَاءَ.

وَالْمَرَّةُ الْأُخْرَى حَاصِرُهُ وَمَعَهُ الْبَاشَا مُصْطَفَى الْمَعْرُوفِ بِنَشَارٍ، وَعَسَاكِرُ عَظِيمَةٌ مِنْ عَسَاكِرِ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَلِيمٍ قُدْسَ اللَّهِ رُوحَهُ، وَكَافَّةُ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ، وَالْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ وَالنَّظَّارِيِّ صَاحِبِ حَصْنِ حَبِّ يَوْمُئِذٍ.

وَسَمِعْتُ مِنْ كَثِيرٍ أَنَّ أَمْرَاءَ السَّنَاجِقِ كَانُوا يَوْمُئِذٍ فَوْقَ الْعِشْرِينَ، وَمَآثِرُ مُحَاطِهِمْ بَاقِيَةٌ إِلَى الْآنِ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَخْذِهِ وَاضْطَرَبَتْ أُمُورُهُمْ وَوَقَعَ التَّشَاجُرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ [٣١٣] فَسَارُوا مِنْهُ عَلَى صَلَاحٍ.

وَمَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ اسْتَفْتَحَ بِلَادًا وَحُصُونًا فِي إِقْلِيمِ الْيَمَنِ، لَمْ يَسْتَفْتَحْهَا فِيمَا عَبَرَ مِنَ الزَّمَنِ أَحَدٌ غَيْرُهُ، مِنْ بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ الْخَاقَانِيَّةِ وَأَمْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ فِي أَيْدِي مُلُوكِ الْعَرَبِ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ.

فَأَمَّا الْحَصُونُ فَحَصْنُ مُدَعٍ، وَالْقُفْلُ، وَمَحْرُوسُ ذَمْرَمَرٍ، وَعِزَّانُ، وَقَهْرَانُ، وَجَبَلُ جُرْعٍ، وَحَصُونُهُ وَهِيَ سَبْعَةُ حَصُونٍ وَحَصُونُ بِلَادِ شَطْبٍ، وَحَصْنُ سَيِّدِ الْأَعْرَامِ، الْمَلْقَبُ بِالْعُرَّابِيِّ لِسَوَادِهِ الْمُتَاخِمِ لِحَصْنِ عَفَّارٍ، وَحَصُونُ جَبَلِ عِزَّانٍ<sup>(١)</sup>، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَجَمِ وَمُلُوكِهَا

(١) اعران: هكنا في الأصل.

يستولي على جميع قلاع اليمن وسائر بلاده ويملك سهول اليمن وجباله ويخرج مملوكه من شامخات القن<sup>(١)</sup> غير مؤلانا صاحب السعادة وذلك لسعادة مولاه وسلطانه سلطان الإسلام خلد الله ملكه، وحسن سياسته ويمن تدبيره.

ورأى رجل من أهل الفضل مناماً لمؤلانا السلطان الأعظم في شهر رجب بسنة إثنين وتسعين وتسعمائة دال على ما منح الله به مؤلانا صاحب السعادة من التأيد والفتوحات للدولة السعيدة الخاقانية، قال: «إنه رأى رجلاً دخل حصناً وسمى ذلك الحصن وهو راكب على فرس ومعه حفل عظيم والتسبيح تجاهه يقرؤون { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } [سورة الفتح: ١] إلى عزيز الآية».

قال: فقلت [٣١٤] لواحد ممن معه: «من هذا؟» فقال: «هذا مؤلانا السلطان الأعظم ظل الله في العالم مؤلانا السلطان مراد خلد الله ملكه» ومؤلانا صاحب السعادة له منامات عجيبة، منامات من اختصه الله بفضله، وأعطاه بسطة في الرئاسة ودالة على حسن طويته وطيب سريرته. ورأى أيضاً سردار العساكر المنصورة المظفرة على محاصرة حصن ثلا المحروس مؤلانا المقام الفخيم العالي الأمير مصطفى دفتردار اليمن الميمون مناماً في أثناء فتح القلعة وهو:

(١) «الفتن»: هكنا في الأصل.

كأنه يدور المتارس والمحاجي في الليل فشاف<sup>(١)</sup> مَوْلَانَا السُّلْطَانَ  
الأعْظَمَ والخاقان المَكْرَمَ مَوْلَانَا سُلْطَانَ<sup>(٢)</sup> الإسلام والمسلمين،  
راكباً<sup>(٣)</sup> على حصان أبلق مُسرِعاً ومستعجلاً إلى جانب القلعة، فأقبل  
عليه مولنا الدَفْتَرْدَار وقَبْلَ رِكَابِهِ، فقال: «يا مَوْلَانَا إلى أين تَعِزُّمَ والبنادق  
والضربانات والمدافع محضرة من العدو المخدول؟» فضحك مَوْلَانَا  
السُّلْطَان وقال: «ما يُبَالِي، فأين باب القلعة؟ رَوَيْني<sup>(٤)</sup>» فلم يَرُدْ أمره وسار  
قدامه<sup>(٥)</sup> إلى باب الحديد، ثُمَّ قَالَ: «يا مَوْلَانَا هذا مكان خطير لا يمكن  
الوصول إلى بابه لكثرة البنادق وغيرها» فقال له: «لا تخف، اطلِّع  
قُدَامِي»، فأطاعه الأمير الدَفْتَرْدَار وطلِّعَ قُدَامَهُ مِنْ باب القلعة، فلَمَّا وصل  
إلى الباب رآه مفتوحاً فدخل ودخل السُّلْطَان معه إلى باب العارضة في  
وسطِ القلعة، فاستيقظ من منامه فما مضى أَيَّام إلا [٣١٥] وقد فتح الله  
بفتحه.

(١) شاف: رأى، أدرك، تصور. [تكملة المعاجم العربية (٦/ ٣٨٢)]. وهي لفظة عامية لا زالت

مستخدمة عند بعض أهل اليمن.

(٢) «السُّلْطَان»: هكنا في الأصل.

(٣) «راكباً»: هكنا في الأصل.

(٤) رَوَيْني: أرني؛ عامية.

(٥) قُدَامَهُ: أمامه؛ عامية.



وأيضاً رأى مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ لَيْلَةً، كَأَنَّهُ جَاءَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُطَهَّرِ صَاحِبَ قَلْعَةٍ ثَلَاثًا إِلَيْهِ عَلَى صُورَةٍ حَسَنَةٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» قَالَ: «أَنَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُطَهَّرِ، جِئْتُكَ لثَلَاثَ يَدُخُلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَحَدٌ»، فَقَالَ: «إِنْ أَرَدْتَ ذَلِكَ فَالْأَمْرُ سَهْلٌ، وَنَرَعَاكَ غَايَةَ الرَّعَايَةِ، وَلَكِنْ رُحْ<sup>(١)</sup> إِلَى قَلْعَتِكَ وَأَنَا أَصِلُ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى»، فَبَعْدَ بَرُوزِهِ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ دَخَلَ السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ إِلَى بَيْتِهِ فَقَالَ: «يَا حَسَنُ أَلَا تَمُوتُ مِنَ الْحَرْبِ وَالضَّرْبِ، قَدْ كَفَاكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ، وَفَتَحَ الْيَمَنَ عَلَى يَدِكَ قَرِيبٌ، وَلَكِنْ مَنْ هَذَا الشَّابُّ الْحَسَنُ الصُّورَةِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ؟» فَقَالَ لَهُ: «يَا مَوْلَانَا إِنْ هَذَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُطَهَّرِ قَدْ جَاءَ لِيَسْلِمَ الْقَلْعَةَ»، ثُمَّ إِنْ صَاحِبُ السَّعَادَةِ سَأَلَ مِنَ السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ عَنْ حَالِ الْوَزِيرِ فَرِهَادِ بَاشَا سَرْدَارِ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ فِي بِلَادِ الصُّوفِيَّةِ، فَقَالَ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ: «إِنَّهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى إِسْطَنْبُولِ<sup>(٢)</sup> وَأَرْسَلَتْ عَوَضَهُ وَزِيرَنَا الْأَعْظَمَ عُثْمَانَ بَاشَا، وَالنَّصْرَ وَالْخَيْرَ قَرِيبٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى».

وَاسْتَيْقِظَ مِنْ مَنَامِهِ، فَمَا مَضَى أَسْبُوعًا إِلَّا وَقَدْ وَصَلَ كِتَابٌ مِنْ مَوْلَانَا الدَّفْتَرْدَارِ بَعْدَ مَا صَلَحَتْ الْأَحْوَالُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُطَهَّرِ إِلَى صَاحِبِ السَّعَادَةِ، لِيَصِلَ إِلَى ثَلَاثِ لِقَبْضِ الْحَصَنِ الْمَحْصُورِ، فَجَاءَ مَوْلَانَا صَاحِبَ

(١) رُحْ: اذْهَبْ؛ عَاتِيَةً.

(٢) «إِسْطَنْبُولُ»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

السَّعَادَةُ وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُطَهَّرِ مِنَ الْقَلْعَةِ وَسَلَّمَهَا إِلَى جَانِبِ السُّلْطَنَةِ الْعَالِيَةِ، فَبَعْدَ مَا [٣١٦] قَبِضَتِ الْقَلْعَةُ أَنَّ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ وَالْأَمِيرَ الدَّفْتَرْدَارَ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُطَهَّرِ وَالْأَمِيرَ أَحْمَدَ بْنَ شَمْسِ الدِّينِ، وَجَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ جَالِسِينَ عَلَى الْمَرْقَحَةِ<sup>(١)</sup> ذَكَرَ الْأَمِيرُ الدَّفْتَرْدَارُ رُؤْيَاهُ فِي شَأْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ خَلَدَ اللَّهُ مَلِكَهُ، فَسَأَلَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ مِنَ الْأَمِيرِ الْمَذْكُورِ رُؤْيَاكَ هَذِهِ فِي أَيِّ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي وَقَعَتْ؟ فَحَسَبَ الْأَمِيرُ الدَّفْتَرْدَارُ وَبَيَّنَّ لَيْلَةَ رُؤْيَاهُ وَحِينَ تَبَيَّنَ حَلْفَ صَاحِبِ السَّعَادَةِ وَقَالَ: «وَاللَّهِ إِنْ رُؤْيَايَ الَّتِي رَأَيْتَهَا أَيْضًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَتَعَجَّبْنَا مِنْ هَذَا الْإِتْفَاقِ بَيْنَهُمَا، فَسَبَّحْنَا وَحَمَدْنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ كَرَامَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْأَعْظَمَ وَإِعْثَاتِهِ لِعَسَاكِرِهِ الْمُنْصُورَةِ الْمُظْفَرَةِ بَرًّا وَبَحْرًا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَنْصُرُهُ وَيَحْفَظُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى كَافَةِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، آمِينَ.

وَحَكِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْإِطْلَاعِ فِي أَيَّامِ قُدُومِ صَاحِبِ السَّعَادَةِ الْيَمَنِ، وَقَدْ عَرَضَ ذَكَرَهُ عِنْدَهُ فَقَالَ: «هَذَا الرَّجُلُ مَنْ سَارَعَ إِلَى إِجَابَتِهِ فِي طَاعَةِ سُلْطَانِهِ، وَكَانَ صَادِقًا فِي مَوْلَاتِهِ، نَالَ مِنْهُ مَرَادُهُ، وَمَنْ نَاوَاهُ تَمَكَّنَ مِنْهُ وَمِنْ بِلَادِهِ»، فَكَانَ فِيمَا بَعْدَ كَمَا قَالَ.

(١) الْمَرْقَحَةُ: جَلْسَةٌ تُشْرَبُ فِيهَا الْقَهْوَةُ.

وقال السيّد الفاضل العلامة غُرّة فضلاء سادات الأشراف في اليمن،  
الوليّ بن عبد الله بن صلاح الحاجريّ الحسنيّ، المُقدّم ذكره في هذا  
التّاريخ في حق صاحب السّعادة [٣١٧] وقد جرى في ذكره كلام عنده والله  
ما قد رُمي اليمن منذ خلق الله آدم فيما أسمع وأعرّف برجل أعظم رجالة  
وأكمل سياسة وأوفر عقلاً وأكثر كرمًا، وأوسع صدرًا، وأكثر حلمًا  
وصبرًا، بمثل مَوْلانا صاحب السّعادة الباشا حسن والأمر كما قاله وزدناه.

الجزء

السَّابِعُ عَشَرَ





## [الجزء السابع عشر]

ولما كان ضحوة نهار الخميس التاسع والعشرون من الشهر المُقَدَّم ذكره دَخَلَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ مَحْرُوسَ قَلْعَةٍ ثَلَا لَطِيْفَتِهِ وَافْتِقَادِ أُمُورِهِ وَمَا يَنْبَغِي فِيهِ تَقْرِيرُهُ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْأَعْلَامِ، وَالْأَعْوَاتِ الْكَرَامِ الْآلِزَمِينَ يَوْمَئِذٍ لَهُ، وَكَافَّةَ أَعْيَانِ رُؤَسَاءِ الْعَرَبِ الْمُقِيمِينَ بَبَابِهِ، وَلَمَّا دَخَلَ الْحَصْنَ الْمَحْرُوسَ جَاءَتْ طَرِيقَهُ أَوَّلًا إِلَى الْمَسْجِدِ الَّذِي فِيهِ فَصَّلَى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَكْثَرَ بَعْدَهُمَا مِنْ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ وَالِدُعَاءِ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ، وَفِي وَقْتِ دُخُولِهِ ضُرِبَتْ الْمَدَافِعُ وَالزَّرْبُطَانَاتُ مِنْ رَأْسِ قَلْعَةٍ ثَلَا، وَمِنْ الْمُخَيِّمِ الْمَنْصُورِ وَمِنْ مَحْرُوسِ كَوْكَبَانَ وَالْعُرُوسِ وَالظَّفِيرِ، وَفِي مَدِينَةِ صَنْعَاءَ ، لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ أُشْعِرَ مَنْ فِي مَحْرُوسِ صَنْعَاءَ بِدُخُولِهِ ذَلِكَ الْوَقْتُ، وَكَذَلِكَ فِي مَحْرُوسِ مُدَعٍ وَذَمْرَمَرٍ فَسَمِعَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِلْأَرْضِ رَجَّةً عَظِيمَةً اتَّصَلَ صَوْتُهَا مُدَّةَ سَاعَةٍ زَمَانِيَّةٍ، وَقَدِمْتُ إِلَى حَضْرَتِهِ إِلَى مَحْرُوسِ حَصْنِ ثَلَا [٣١٨] وَهُوَ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدَّارِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي بَعْضِ مَفَارِشِهَا أَهْنِيهِ بِفَتْحِ هَذَا الْمَعْقِلِ الْحَصِينِ، وَالْحَصْنِ الشَّامِخِ الزَّيْنِ<sup>(١)</sup> وَحَوْلِهِ الْأُمَرَاءُ

(١) الزَّيْنُ: الشَّدِيدُ، الْمَتِينُ الْقَوِيُّ. [تكملة المعاجم العربية (٥/ ٢٨٧)].

وسائر الأعْيَان والكُبرَاء مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَهُوَ مُتَبَلِّجُ الْوَجْهِ ثُلُجُ الصَّدْرِ، مَسْرُوراً بِهَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، الَّذِي طَبَقَ الْآفَاقَ ذَكَرَهُ، وَارْتَفَعَ شَيْئُهُ وَأَمْرُهُ، وَلَمْ أَرَى فِيهِ مَا يَكُونُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنَ الْمَشَامِخِ وَالزَّهْوِ وَالْإِعْجَابِ، بَلْ هُوَ فِي غَايَةِ التَّوَاضِعِ وَالْقُرْبِ إِلَى النَّاسِ، وَبَاتَ فِي مَخْرُوسٍ ثَلَا لَيْلَةٍ وَصَلَّى فِيهِ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ، وَخُطِبَ فِيهَا خُطْبَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَعَا فِيهَا بِخُلُودِ دَوْلَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ خَلَدَ اللَّهُ تَعَالَى مُلْكَهُ الْمَكِينِ وَأَمَدَهُ بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ.

وَبَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَمْرَاءَ الدَّوْلَةِ السَّعِيدَةِ الْخَاقَانِيَّةِ بِإِخْرَاجِ الْمَدْفَعِ مِنْ مَخْرُوسٍ ثَلَا الْمُسَمَّى بِالْخُبَانِي، وَهُوَ أَعْظَمُ مَدْفَعٍ فِي الْيَمَنِ وَأَحْسَنُهَا وَأَكْبَرُهَا وَأَقْوَاهَا رَمِيًا وَالْمَسِيرَ بِهِ إِلَى مَخْرُوسَةِ صَنْعَاءَ، وَحَضَرَ فِي ابْتِدَاءِ جَرِّهِ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةَ وَجَرَّهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ، وَأَمَرَ لِلْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ يَوْمَئِذٍ بِعُطِيَّةٍ جَزِيلَةٍ فَفُرِقَتْ فِيهِمْ.

وَقَدْ كَانَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ فَتْحِ مَخْرُوسٍ ثَلَا، وَدُخُولِ الْعَيْنَةِ إِلَيْهِ مِنْ عَسْكَرِ السُّلْطَنَةِ الْخَاقَانِيَّةِ [٣١٩] وَوُصُولِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ صَنْعَاءَ الْمَحْمِيَّةِ، مُسْتَبَشِّرِينَ بِذَلِكَ الْفَتْحِ الْعَظِيمِ، أَنْفَذَ الْبَشَائِرَ إِلَى جَمِيعِ نَوَاحِ الْيَمَنِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عَدَنَ وَأَمَرَ بِالتَّلْبِيسِ فِي مَدِينَةِ صَنْعَاءَ الْمَعْتَادِ، فِي أَيَّامِ الْفَتْوحَاتِ وَزِيَادَةِ وَضَرْبَتِ الْمَدَافِعِ وَالزَّرْبِطَانَاتِ سَبْعَ لَيَالٍ.

وفي يوم السبت مستهل رَجَب الفرد استأذنَ الأمير شمس الدين أحمد بن محمد مؤلانا صاحب السعادة في مسيره إلى مخروس كوكبان، ومسير إبراهيم صحبته، فأذن له وخلع عليه خِلعة عظيمة من أجل ملابس الأقيّة وأسناها، وخلع على إبراهيم بن المُطَهَّر قفطانا من القبا الصّراصر، وشكر صاحب السعادة الأمير شمس الدين وأثنى عليه وأنعم صاحب السعادة أيّده الله تعالى في هذا اليوم بسنّجق شريف على ولد الأمير شمس الدين محمد بن أحمد، وذلك لما رأى من قيام الأمير شمس الدين بخدمة السلطنة الخاقانية بجهده وجده وحسن استقامته على قدم الطاعة وبذل نفسه وماله في خدمة الدولة السلطانية.

ولما زف هذا السنّجق تلقاه الأمير شمس الدين وولده إلى خارج مدينة شبام حوال بالتعظيم والإجلال والتكريم وإظهار المسرة والخبور، ودخل مخروس كوكبان بالسنّجق الشريف في هيئة عظيمة رائقة تعظيماً لحق السنّجق السلطاني، وأمر الأمير شمس الدين للأغا مُصطَفَى الواصل به بخِلعة سنّية وبعطية هنيئة وبمركوب نجيب ولسنّجق دار بخِلعة وعطية [٣٢٠] وكذلك الزمارين وأهل الطُّبُول بعطايا وكسا.

وكان مُدة الحصار على مخروس ثلث تسعة أشهر إلا تسعة أيام، وكان قد اشتد الحصار على من فيه وعدم عندهم آخر المُدة الحنطة؛ بلغ ثمنُ القَدَح البرّ ديناراً، وكذلك اللحوم عِدَمَت، وبلغ ثمنُ الدُّجاجة ديناراً وبلغ

ثُمَّنُ رَأْسِ الْغَنَمِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ دِينَارًا، وَأَنَّهَا ذُبِحَتْ بِقَرَةِ بَلْعَ ثَمَنُهَا ثَلَاثِينَ دِينَارًا.

وَشَرَعَ فِي آخِرِ الْحِصَارِ مَعَ الَّذِينَ فِيهِ أَلَمٌ مِنَ الْكُوبَلِ وَالْبِطْنِ، وَهَلَكَ مِمَّنْ كَانَ فِيهِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَذَكَرَ وَأُنْثَى، عَلَى مَا قِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ نَحْوِ الْمِائَةِ النَّفْسِ.

وَبَلَّغْنِي أَنَّ جُمْلَةَ الْمُنْحَصِرِينَ الْمُقَاتِلَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِهِ ثَلَاثُمِائَةِ نَفَرٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ نَفَرًا الْمُقَاتِلَةِ، وَأَنَّ جُمْلَةَ النَّفُوسِ الَّتِي انْحَصَرَتْ بِهِ الَّتِي كَانَ يَصْرِفُ لَهَا الطَّعَامُ إِلَى حَدِّ الْيَهُودِ سَبْعُمِائَةِ نَفْسٍ.

وَصَبَرَ مَنْ كَانَ بِمَحْرُوسِ ثُلَا عَلَى مَشَقَّةِ الْحِصَارِ وَصُعُوبَتِهِ غَايَةِ الصَّبْرِ، وَلَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَارِبًا مِنْهُ مُدَّةَ الْحِصَارِ غَيْرَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَجَّاجٍ، وَأَمَّا السَّمْنُ وَالْعَسَلُ وَالْعَدَسُ وَالْفُولُ وَالْأَرْزُ فَكَانَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ. وَأَمَرَ صَاحِبُ السَّعَادَةِ بَعْدَ فَتْحِهِ لِمَحْرُوسِ قَلْعَةِ ثُلَا، بِوَضْعِ مَرَايِمٍ كَرِيمَةٍ لِأَهْلِ مَدِينَةِ ثُلَا، بِاحْتِرَامِ جَانِبِهِمْ وَإِجْرَائِهِمْ عَلَى عَوَائِدِهِمْ وَجَبَرِيَّتِهِمْ، وَقَدْ كَانَ الْأَمِيرُ النَّاطِرُ حَالِ مُوَاجَهَتِهِمْ لَهُ حَالِ فَتْحِهِ لِمَدِينَةِ مَحْرُوسِ ثُلَا، عَرَضَ لَهُمْ بِعَرُوضٍ إِلَى صَاحِبِ السَّعَادَةِ فِي تَأْمِينِهِمْ وَتَقْرِيرِ عَوَائِدِهِمْ، وَفِي أَيَّامِ الْمَحَاصِرَةِ [٣٢١] لِمَحْرُوسِ ثُلَا وَهُمْ مُتَلَاذِمُونَ لِمَقَامِ الْأَمِيرِ النَّاطِرِ مُصْطَفَى بْنِ طَاهِرٍ وَمِنْ الْبَاذِلِينَ لَجَهْدِهِمْ فِي الْخِدْمَةِ السُّلْطَانِيَّةِ.



وأقام الأمير الناظر في أيام الحصار في مدينة ثُلا الخطبة وصلاة الجمعة، ونقل منبر الجامع إلى قبة الإمام الفاضل محمد بن الهادي أعاد الله من بركته.

ولما كان آخر نهار الأحد ثاني شهر رجب الفرد، سار مولانا صاحب السعادة من المخيم المنصور على مخروس ثُلا إلى مدينة صنعاء المخروسة بعد أن قرّر بالمدينة الأمير أحمد بيطار، وطائفة معه من عساكر السلطنة الخاقانية، وسار مع المقام الكريم العالي الفخيم، الأمير الشهير مصطفى بن طاهر الناظر دفتردار الممالك اليمنية، ودخل مخروسة صنعاء نهار الإثنين ثالث شهر رجب، في زِيٍّ حسن وعساكر عظيمة وأجناد نافعة.

وبعد استقراره أقبلت إليه التّهاني من كل ناحية وجهة من بلاد إقليم اليمن.

ولما كان فتح مخروس قلعة ثُلا حرسها الله تعالى، أنعم مولانا صاحب السعادة أدام الله تعالى توفيقه وإسعاده، على المقر السامي الفخيم الأمير الناظر مصطفى بن طاهر، ببشارة فتح مخروس ثُلا إلى الأبواب العالية السلطانية، والعتبات السامية الخاقانية، خلّد الله ملكها وشيّد عمران ممالكها، وذلك الإنعام من مولانا صاحب السعادة [٣٢٢] مكافأة له على ما وقع منه من قيامه واجتهاده في الخدمة الشريفة السلطانية في أيام محاصرته لقلعة ثُلا المخروسة وعنايته وهمته وبذله لنفسه وماله

ومحاربته في أيام الحصار لِمَن كَانَ في مَخْرُوس ثُلَا، ومباشرته للأمور بنفسه، ولأجل إطلاعه على أحوال الفتوحات العظيمة للأقطار الواسعة والمعاقل الراسخة والحصون الرفيعة للدولة السعيدة السلطانية على يد مَوْلَانَا صاحب السعادة، وليرفع إلى مَسَامِع مَوْلَانَا السُّلْطَان الأعظم أعزَّ الله شأنه وخلَّد سُلْطَانَه، تحقيق الفتوحات الميمونة جميعها صغيرها وكبيرها وأقصاها وأدناها، وأنها فُتِحَتْ بِبُيُمن سَعَادَةِ سُلْطَانِهِ، مِنَ الْقِلَاعِ فِي الْيَمَنِ مَا لَمْ يَكُنْ قَدْ فَتَحَهَا أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَم، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَاشَوَاتِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَلَا قَدْ خَرَجَتْ عَنْ مُلْكِ مُلُوكِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، حَسْبَمَا نَطَقَتْ بِهِ تَوَارِيخُ الْيَمَنِ، وَسِيرَ مُلُوكِهِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ، وَلَمْ تَمْلِكْ وَتَتَوَخَّذْ إِلَّا فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ السَّعِيدَةِ، بِبِرْكَتِهِ وَسَعَادَتِهِ، وَخُطِبَ لَهُ فِيهَا عَلَى مَنَابِرِهَا، وَانْتَضَمَ لِدَوْلَتِهِ السَّعِيدَةِ فِيهَا أَوَامِرُهَا وَنَوَاهِيهَا، وَلَمْ يَكُنْ خُطِبَ هُنَالِكَ فِيمَا مَرَّ مِنَ الزَّمَانِ لِأَحَدٍ مِنْ مُلُوكِ آلِ عُثْمَانَ.

وكذلك يعرف النَّاظِرُ الْأَمِيرُ الْفَخِيمُ مُصْطَفَى لِحَضْرَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمُ الْخَاقَانِ الْأَفْخَمِ، بِأَنَّ الْيَمَنَ قَدْ صَارَ بِأَسْرِهِ سَهُولُهُ وَجِبَالُهُ فِي مَلِكِهِ وَلَمْ يَبْقَ فِي جَمِيعِ قَطْرِ الْيَمَنِ إِلَّا قَلْعَةُ عَقَّارَ، وَجَبَلُ الْأَهْنُومِ، وَقَدْ صَارَتِ الْمَحَاطُ وَالْعَسَاكِرُ السُّلْطَانِيَّةُ مُحِيطَةً بِهِمَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَنَاحِيَةٍ، وَقَدْ طَالَتْ مُدَّةُ حِصَارِهَا وَعَنْ قَرِيبٍ، وَقَدْ مَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُمَا وَمَنْ فَتَحَهُمَا، وَيَكُونَا مِنْ جُمْلَةِ الْمَمَالِكِ السَّعِيدَةِ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْقِلَاعِ الْخَاقَانِيَّةِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي الْيَمَنِ فِي

جميع نواحيه وأقطاره للدولة السعيدة السلطانية والقلاع الخاقانية، ولم يبق في اليمن في جميع نواحيه وأقطاره للدولة السعيدة السلطانية من يضادها وينازع أوامرها ونواهيها وحروبه، وصارت الدولة فيه دولته.

قلت: ولم يكن اليمن يصفوا لملك واحد فيما تقدم، وتقبض جميع حصونه ومعاقله بأسرها، وتدخل مملوكه تحت أمره، إلا مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين، مولانا السلطان مراد بن سليم خلد الله تعالى أيامه ودولته، فالله تعالى يبقيه زكناً للإسلام ويحمي حماه من غير الأيام بحق من عليه أفضل الصلاة والسلام.

وحال أن أنعم مولانا صاحب السعادة على الأمير الناظر ببشارة فتح مخروس ثلا إلى الأبواب العالية الخاقانية، قام قبل يده وشكر له على الإنعام عليه [٣٢٤] بذلك ومسيره إلى هنالك ليفوز بالمشول في تلك الأبواب الشريفة والعتبات السامية المنيفة، ويتشرف بزيارتها والقدوم عليها.

وأصحابه مولانا صاحب السعادة عروضا شريفة تتضمن أخبار جميع الفتوحات وأجلها عظماء؛ فتح مخروس ثلا، الذي هو قلب معاقل قلاع اليمن، وقبض ما فيه من المدافع والعُدَد السلطانية، وصالح أحوال اليمن وانتظام أمور دولته السعيدة في جميع نواحيه وأقطاره.

وتعريف مولانا السلطان الأعظم أيده الله بدخول مملوك اليمن تحت أمره ونهيه، وقبض حصونهم وقلاعهم، والاستيلاء على بلادهم،

ودخولهم في طاعته، وأنه أنعم على من يستحق منهم بعد دخولهم في الطاعة السلطانية بسناجق شريفة، وجواميك مباركة تقوم بأحوالهم، وتصلح بها معيشتهم.

وكذلك أيضاً تعريف مسامعه الشريفة بما يستحقه الأمير الناظر من سعادته وعظم تطولاته لأجل قيامه بخدمتها الشريفة أعزها الله تعالى وأعلى منارها.

وكتب بعض أعيان الأكابر إلى مولانا صاحب السعادة، رسالة تتضمن ما أنعم الله تعالى به من فتح الحصون، وحصول فتح قلعة ثلا وما يليها على يد مولانا مصطفى بك الدفتردار وتوجهه إليها وافتتاحها لها بعون الله تعالى، وقوة عزمه وهيمته، وسعد مولانا السلطان الأعظم وإشارة مولانا الوزير المعظم [٣٢٥] حضرة مولانا حسن باشا، بلغه الله من العز والنصر ما يشاء، وهي هذه:

الحمد لله الذي نصر الإسلام وأعزه وشيّد دعائمه، وأبّد شريعة سيّد الأنام، وأيّد أركان الإيمان وأطدّ قواعده، وحرس هذا الدين بالصّحابة والتّابعين، والخلفاء الراشدين، والملوك والسلاطين، وأمن البلاد والعباد والسبل للحجاج والقراة والمسافرين، حمداً طيباً مباركاً إلى يوم الدين. وأشكره شكر عبد نصر بالحقّ المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في كل وقت وحين، وأشهد أن سيّدنا محمّداً صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله هادياً وراجماً وأميناً، ونزل عليه {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ



فَتَحًا مُبِينًا ﴿١﴾ [سورة الفتح: ١] وعلى آله وأصحابه وانصاره الذين  
عزروه ونصروه وجاهدوا معه جهاداً متيناً، آمين.  
أما بعد:

فقد أنعم الله على الإسلام والمسلمين بالدولة الشريفة العثمانية من سنة  
سبع وأربعين وستمائة وقوت شوكتهم الخاقانية سلطاناً بعد سلطان،  
وزماناً بعد زمان ونصرهم في كل يتجدد، وعدوهم في الأسر والقتل  
مخلد، حتى بلغت فتوحاتهم الجليلة أكثر من أربعين تختاً من تخوت  
الملوك والسلاطين، مع حفظ البلاد والعباد والعدل والتأمين، وخص  
هذا القرن العاشر [٣٢٦] بتولية حضرة مولانا السلطان الأعظم، ظل الله  
على بني آدم سلطان الإسلام والمسلمين، حائر قصبات الملوك  
والسلاطين، مبيد الكفرة والمشركين، قاطع الطغاة المفسدين، حضرت  
مولانا السلطان الأعظم، مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان  
سليمان خان إلى رابع عشر سلطان، من بني عثمان، مد الله ظل دولته  
وبشر بالعز والنصر مناير ألويته، آمين.

ولم تزل الدولة الشريفة العثمانية مترقبة إلى فتح مملكة اليمن، التي  
ملكها نبي الله سليمان بن داود بعد شراحيل بن ذي جدن، والد بلقيس،  
صاحبة العرش النفيس، وبعده ملوك تبع وحمير، وملوك بني غسان،  
والسيد الشريف مطهر صاحب تخت ثلا المنيع الأركان، ومليك أولاده  
وأقاربه الحصون الشاهقة العالية البنيان، وظن أن لن يخونه الدوران،

حتى نظر بنظره الثاقب، ورأيه المنير الصائب، حضرة مولانا السلطان  
 مُراد أطل الله بقاءه وحرسه وحماه ووقاه في سنة ثمانٍ وثمانين وتسعمائة،  
 وولى اليمن المبرور، افتخار البكالربكية المنصور حضرت مولانا حسن  
 باشا بلغه الله من الظفر ما يشاء، وحضر إلى محروس اليمن في غرة الحجة  
 الحرام من التاريخ المذكور، وباشر افتتاح اليمن في أوائل جماد الأول  
 سنة تسع وثمانين وتسعمائة متوكلاً على العزيز الصبور، وشمر عن ساق  
 العزم، وشدد الحزم [٣٢٧] وعين سرداراً على العساكر المنصورة،  
 والأمرء والآغاوات، والعساكر بالرايات المنشورة، قدوة الأمرء الكرام،  
 عمدة الكبراء الفخام، صاحب السيف والقلم، والبند والعلم، حافظ  
 الأموال السلطانية، والدفاتر الشريفة اليمنية، مولانا المقر السامي، ذا<sup>(١)</sup>  
 الفضائل العلية، والمآثر، حاوي المناقب والمفاخر، الأمير مصطفى بن  
 طاهر، دفتردار الممالك اليمنية بتلك الأقطار، المؤيد من الله تعالى بالعز  
 والانتصار.

وكان أول فتوحاتهم في السنة المذكورة، ظفار داود بعناية الله الملك  
 الودود، وعمّر مدينة عمران، التي هي حواله ثلاً وكوكبان في اثنين  
 وأربعين يوماً من سنة تسعين وتسعمائة، وحصنها وقبض قلعة مدع  
 وحفظها وشييدها، وفيها افتتح قلعة بكر، وما إليه من الحصون، وقلعة

(١) «ذو»: هكنا في الأصل.

عَفَّار<sup>(١)</sup>، وَعَيَّان، وقلعة ذَيْفَان، وجبل عِيَالِ يَزِيد، وجبل نَقِيل عَجِيب،  
والظَّاهِر وما يليه، وقاعِ البُون.

وفي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ قَبْضِ جَبَلِ ظَلَمَلَمَ وما يليه من قلعة الفِصَّين،  
وظَفَرَ اللهُ بالقلعة الشَّاهِقَةُ ذَمْرُمَر<sup>(٢)</sup> وما يليها من الجبالِ الشَّاهِقَةِ والقِلَاعِ،  
وجَبَلِ العَقَارِبِ، وجَبَلِ رازِح، وقلعة الفَلَّلَةِ<sup>(٣)</sup>، تخت السَّيِّدِ أَحْمَد.

ولا زال النُّصْر والسَّعْدُ يَتَجَدَّدُ [٣٢٨] بِسَعْدِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ  
وَمَوْلَانَا الْبَاشَا حَسَنِ<sup>(٤)</sup> وفي أوائل سَنَةِ إِثْنِينَ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ قَبْضِ قَلْعَةٍ  
أُمِّ لَيْلَى<sup>(٥)</sup> الَّتِي<sup>(٦)</sup> تُوصَفُ بِالْمَنْعَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ صَعْدَةٍ<sup>(٧)</sup> وَتَوَجَّهَتْ

(١) «عَفَّان»: في الأصل، ولعله الصواب، والله أعلم.

(٢) «ذَمْرُمَر»: هكنا في الأصل.

(٣) فَلَّلَّة: هجرة عامرة مشهورة في أعلى وادي فَلَّلَّة من ناحية بلاد جُمَاعَة، وتقع في الشَّمال الغربي  
من مدينة صَعْدَة على بعد نحو ١٥ كيلو متراً تقريباً، وقد أسسها هجرة العَلَّامة علي بن المؤيد.  
[هَجَرَ الْعِلْمِ وَمَعَاظِلُهُ (٣/١٦١٨)].

(٤) «النُّصْر والسَّعْدُ يَتَجَدَّدُ»: كُثِرَتْ هذه العبارة في الأصل.

(٥) «لَيْلَى»: هكنا في الأصل.

(٦) «الَّتِي لَا تُوصَفُ»: هكنا في الأصل، ولعله أراد التوهمين من أهمية فتح هذه القلعة، والله أعلم.

(٧) «صَعْدَةٍ»: هكنا في الأصل.

القَصَادُ<sup>(١)</sup> بالبشائر بالنصر على الأعداء إلى الأبواب الشريفة السلطانية، إلى سدة السعادة المراد خانيه العثمانية، بافتتاح غالب الجهات اليمنية. فعند ذلك أنعم حضرت مولانا السلطان مراد أعز الله أنصاره، على حضرت مولانا حسن باشا بالوزارة، في نظير شكر هذه البشارة، وجهز له الطرر والمناشير الشريفة، والسيوف الماضية المنيفة، والخلع السامية، والمرتبة العالية، فشكر نعمة سيده<sup>(٢)</sup> ومولاه، وعلم قدر ما عليه به أنعم الله، وعمل الزينة والفرح والسرور، في سائر المملكة وصار تاريخاً مشهوراً<sup>(٣)</sup>، ومن فوره توجه إلى قلعة كوكبان، في أوائل سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، وأقام بها عشرة أيام، وخطب فيها لمولانا سلطان الإسلام، وأنعم على صاحبها الأمير أحمد بالسنجق الشريف، واللواء العالي المنيف، وقبض قلعة مسور، وما إليها من البلاد في السنة المذكورة، وحصنه بالعساكر المنصورة.

وأما معتمد القلاع المشهورة باليمن ومنعتها أشهر، قلعة ثلا، وحضور الشيخ، وعزان، تخت مطهر، فانتدب إليه [٣٢٩] حضرت مولانا مصطفى بك الدفتردار، وتوجه إليه خاصة سردار، في رجب سنة اثنين وتسعين

(١) القَصَاد: الشعراء.

(٢) «سيد»: هكنا في الأصل.

(٣) «مشهوراً»: هكنا في الأصل.



وَتِسْعِمَائَةٍ، وَكَانَ افْتِتَاحُهُ عَلَى يَدِهِ فِي رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ  
وَتِسْعِمَائَةٍ، بَعْدَ حَرْبٍ شَدِيدٍ وَقُوَّةٍ بِأَسْ مَا عَنْهَا مَزِيدٌ {ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ  
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾} [سورة الحديد: ٢١]  
وَاسْتَقْلَلَتِ الْبِلَادُ الْيَمَانِيَّةَ، فِي الْحَوْزَةِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى  
ذَلِكَ، وَالشُّكْرُ لَهُ فِيمَا هُنَالِكَ، وَعَادَتِ مُلُوكُهَا وَحُكَّامُهَا مِنْ جَمَلَةِ  
الْأَعْوَانِ، وَالْخَدَمِ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ.

فَقُلْتُ امْتَدِّحْ مَوْلَانَا الْوَزِيرَ صَاحِبَ الْقَدْرِ الْخَطِيرِ: (مِنْ الْكَامِلِ)

|                                                 |                                               |
|-------------------------------------------------|-----------------------------------------------|
| النَّصْرُ أَشْرَقَ وَالْبِلَادُ زَوَاهِرُ       | بَعْدَ الظَّلَامِ وَعَادَ نُورٌ أَنْوَرُ      |
| بِالْعِزِّ وَالتَّمَكُّينِ وَالْجَاهِ الَّذِي   | قَصَرَ الزَّمَانُ وَمَدُّهُ لَا يَقْصُرُ      |
| يَا مَالِكَ الْيَمَنِ الرَّفِيعِ جَلَالَةٍ      | يَا حَامِي الْبَيْدَا دَوَامًا تُذَكِّرُ      |
| مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ شُهْرَةٌ           | وَبِكُلِّ مُجْتَمَعٍ ثَنَاءٌ يُنْشَرُ         |
| وَأَجَلٌ مَنْ تُوْمِي إِلَيْهِ أَنَامِلُ        | وَأَعَزُّ مَنْ عَقَدَتْ عَلَيْهِ الْخُنُصْرُ  |
| يَا دَهْرَنَا أَشْعَفْتَنَا بِوَزِيرِنَا        | لَا زِلْتَ تُمْدِحُ فِي الْبِلَادِ وَتُشْكِرُ |
| حَسَنَ الْمُسَمَى وَالْخَصَائِلُ تَابِعُ        | لِلْأَسْمِ دَامَ لَكَ الْعُلَا وَالْأَفْخَرُ  |
| شُهُمٌ إِذَا رَكِبَ الْجِيَادَ بِبَاتِرٍ        | سَهْلٌ إِذَا أُعْطِيَ مُجِزٌ كَوْنُهُ         |
| [٣٣٠] بُشْرَاكَ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ بِتُخَفِ | تَدْرَكَ الْعُقْلَا لَهُ وَتَحْيِرُوا         |
| يَا كَوَكَبَانُ وَيَا ثَلَا بُشْرَاكُمَا        | قَدْ صِرْتُمَا فِي مَنَعَةٍ لَا تُحْصَرُ      |

وَدَمَّرَ الشَّاهِقُ مَا لَهُ رِفْعَةٌ  
وَتَبَاشَرُوا فِي دَوْلَةٍ عَلِيًّا فَلَا  
وَكَذَلِكَ نَأَلَتْ أُمُّ لَيْلَى مِنْ بَلَا  
وَكَذَلِكَ صَعْدَةُ وَالْبِلَادُ بِأَسْرِهَا  
فَسَمَّا لَأَنْتَ أَجَلٌ مَنْ سَعِدَتْ بِهِ  
مَلَأَتْ مَهَابُتُكَ الْقُلُوبَ بِأَسْرِهَا  
لَا زَالَ ذِكْرُكَ مِلْءَ آفَاقِ الْعُلَا  
لَا زَالَ عِزُّكَ دَائِمًا فِي مَنَعَةٍ  
وَصَلَاةُ رَبِّي يَحْتَبِيهَا الْمُصْطَفَى

وَمُدَّعٍ وَمَسُورٍ أَدْعَنُوا وَتَحَيَّرُوا  
يُذْرِكُ غُلَاهَا كُلَّ شَهْمٍ أَفْخَرُ  
وَعَدَتْ أَسِيرًا بِالْمَدَافِعِ تُدَحَّرُ<sup>(١)</sup>  
فَتُحُ الْوَزِيرِ حَسَنُ ثَنَاهُ أَعْطَرُ  
هَذِي الدِّيَارُ وَذَا يَمِينًا يَبْرُرُ  
هَذِي الْمَفَاخِرُ مَا عَدَاهَا مِفْخَرُ  
يُطَوَّى عَلَى هَذَا الزَّمَانِ وَيُنْشَرُ  
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الْأَنْوَرُ  
الْهَاشِمِيُّ الْأَبْطَحِيُّ الْأَفْخَرُ

ولما بلغ الأمر إلى غاية النصر والأمان والطاعة والإذعان، من كافة  
الحُكَّام والرَّعِيَّة لِمَوْلَانَا السُّلْطَان، عَيْنَ مَوْلَانَا حَضْرَتِ الْوَزِيرِ الْأَكْرَمِ  
صَاحِبِ النَّصْرِ الْأَفْخَمِ، لِلْبَشَارَةِ بِمَا بِهِ عَلَيْهِ اللَّهُ أَنْعَمَ، وَبِهَذَا النَّصْرِ الْمَتِينِ،  
لِلْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَّةِ حَضْرَتِ مَوْلَانَا قُدْوَةِ الْأُمَرَاءِ كَبِيرِ الْكُبَرَاءِ،  
صَاحِبِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ، الْمُؤَيَّدِ بِالنَّصْرِ وَالْعِفَّةِ وَالِدَيَّانَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ  
وَالشَّجَاعَةِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ الْفَخِيمِ الْمَقْدَارِ [٣٣١] مَوْلَانَا الْأَمِيرِ  
مُصْطَفَى بَكِ الدَّفْتَرْدَارِ الْمُشَارِّ إِلَيْهِ بِالتَّفْخِيمِ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِمِثْلِ بَشَارَةِ  
هَذَا الْفَرَحِ وَالنَّصْرِ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْدُدُ لَهُ السُّعُودَ، وَيَحْفَظُهُ

(١) «ضَمَّرَ مَرَّ»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٢) «الْبِلَا»: هَكَذَا فِي الْأَصْلِ.

في الذهب والعود، مبالغ المطامع، ولحساده قانع، ولأحبائه بالفرح  
والسرور لشملهم جامع، محفوظاً في النفس والمال والعيال والبنين،  
وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرين:

(من الكامل)

النَّصْرُ أَشْرَقَ وَالْبِلَادُ زَوَاهِرُ      بَعْدَ الظَّلَامِ وَعَادَ نَوْرٌ أَنْوَرُ  
بِالْعِزِّ وَالتَّمَكُّنِ وَالْجَاهِ الَّذِي      قَصَرَ الزَّمَانُ وَمَدَّهُ لَا يَقْصُرُ  
يَا مَالِكَ الْيَمَنِ الرَّفِيعِ جَلَالَهُ      يَا حَامِي الْبَيْدَا دَوَامًا تُذَكِّرُ  
مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ شُهْرَةٌ      وَبِكُلِّ مُجْتَمَعٍ ثَنَاءٌ يُنْشَرُ  
وَأَجَلَ مَنْ تُومِي إِلَيْهِ أَنَامِلُ      وَأَعَزُّ مَنْ عَقَدَتْ عَلَيْهِ الْخُنْصُرُ  
يَا دَهْرَنَا أَسْعَفْتَنَا بِوَزِيرِنَا      لَا زِلْتَ تُمْدِحُ فِي الْبِلَادِ وَتُشْكِرُ  
حَسَنَ الْمُسَمَى وَالْخَصَائِلُ تَابِعُ      لِلاِسْمِ دَامَ لَكَ الْعُلَا وَالْأَفْخَرُ  
شَهْمٌ إِذَا رَكِبَ الْحَيَادَ يَبَاتِرُ      سَهْلٌ إِذَا أُعْطِيَ مُجِزٌ كَوَثُرُ  
[٣٣٠] بُشْرَاكَ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ      تَذَرُكَ الْعُقُلَا لَهُ وَتَحْيَرُوا  
يَا كَوَكَبَانُ وَيَا ثَلَا بُشْرَاكُمَا      قَدْ صِرْتُمَا فِي مَنَعَةٍ لَا تُحْصَرُ  
وَذَمْرُمُ الشَّاهِقُ مَا لَهُ رِفْعَةٌ      وَمُدْعُ وَمَسُورٌ أَذْعَنُوا وَتَحْيَرُوا  
وَتَبَاشَرُوا فِي دَوْلَةٍ عَلَيَا فَلَا      يُدْرِكُ عُلاَهَا كُلُّ شَهْمٍ أَفْخَرُ  
وَكَذَاكَ نَالَتْ أُمَّ لَيْلَى مِنْ بَلَا      وَعَدْتُ أَسِيرًا بِالْمَدَافِعِ تُدَحِّرُ<sup>(١)</sup>

(١) «ضمير مر»: هكنا في الأصل.

(٢) «البلأ»: هكنا في الأصل.

وَكَذَاكَ صَعْدَةَ وَالْبِلَادُ بِأَسْرِهَا  
قَسَمًا لَأَنْتَ أَجَلُ مَنْ سَعِدَتْ بِهِ  
مَلَأْتَ مَهَابَتِكَ الْقُلُوبَ بِأَسْرِهَا  
لَا زَالَ ذِكْرُكَ مِلءَ آفَاقِ الْعُلَا  
لَا زَالَ عِزُّكَ دَائِمًا فِي مَنَعَةٍ  
وَصَلَاةُ رَبِّي يَحْتَبِيهَا الْمُصْطَفَى  
فَتَحَّ الوَزِيرِ حَسَن ثَنَاهُ أَعْطَرُ  
هَذِي الدِّيَارُ وَذَا يَمِينًا يَبْرُرُ  
هَذِي الْمَفَاخِرُ مَا عَدَاهَا مِفْخَرُ  
يُطَوِّى عَلَى هَذَا الزَّمَانِ وَيُنْشُرُ  
يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الْأَنْوَرُ  
الْهَاشِمِيُّ الْأَبْطَحِيُّ الْأَفْخَرُ

وقال بعض شعراء تهامة من ضمد قصيدة يذكر فيها فتح صاحب  
السَّعادة لحصون اليمن، من أثنائها:

(من الكامل)

حَسَن الَّذِي اسْتَوْلَى حُصُونًا شَمَخَا  
كَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ أَنَاخَ بِحَوْلِهَا  
بِجَحَافِلٍ وَصَوَاهِلٍ وَمَدَافِعٍ  
وَأَتَيْتَ مِنْ بَابِ السَّعَادَةِ مُقْبِلًا  
بِعَسَاكِرٍ مِثْلِ اللَّيْثِ ضَوَارِيَا  
فَاشْتَلْتَهَا فَوْقَ الْحُصُونِ عَوَادِيَا  
وَعَفَوْتَ عَفْوًا صَالِحًا عَنْ أَهْلِهَا  
وَسَنَنْتَ فَوْقَهُمْ نَوَالًا هَائِلًا  
وَكَسَوْتَهُمْ حُلَلِ الْأَمَانِ تَكْرَمًا  
أَعْيَتْ أَمِيرًا قَبْلَهُ وَوَزِيرًا  
وَعَدَا يُقَلِّبُ كَفَّهُ مَحْشُورًا  
فَعَدَّتْ لِعِزَّتِهَا هَبَا مَشُورًا  
وَالنَّصْرُ يَقْدُمُكَ الطَّرِيقَ بَشِيرًا  
وَاللَّهُ كَانَ لَكُمْ هُنَاكَ ظَهِيرًا  
وَأَخَذَتْهَا طُرًّا وَكُنْتَ جَدِيرًا  
وَرَجَوْتَ مِنْ رَبِّ الْأَنَامِ أَجُورًا  
وَسَمَحْتَ فِعْلًا أَوَّلًا وَأَخِيرًا  
وَعَمَرْتَهُمْ كِسْوًا هُنَاكَ حَرِيرًا

وقال بعض الشعراء في مدح مولانا الدفتردار:

بَنَى مَجْدَ عَلِيَّكَ السَّعَادَةَ وَالْفَخْرُ  
وَسَاعَدَ فِي إِقْدَامِكَ الْعِزَّ وَالنَّصْرُ

(من الطويل)



فَأَنْتَ حُسَامُ اللَّهِ فِي حَوْمَةِ الرَّعَى  
 [٣٣٣] وَهَاجَتْ أَسُودُ الْحَرْبِ عِنْدَ  
 مَخَالِبِهَا عِنْدَ التِّقَاهَا مُثَقَّفٌ  
 سُيُوفٌ تُرَى وَسَطُ الْقَتَامِ بَوَارِقُ  
 أَذَاقَهَا مِمَّنْ سَادَهَا يَوْمَ وَقْعَةٍ  
 هُمَا الْقَائِمَانِ رِفَاعَ مَجْدٍ طَاهِرِ  
 وَخَزَانُ عِلْمٍ فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ  
 تَقِيٌّ نَقِيٌّ طَاهِرِ وَابْنُ طَاهِرِ  
 سَمَى رِفْعَةً كُلُّ الْمُلُوكِ تَجَلُّهُ  
 أَبَا أَحْمَدَ حُزْتَ الْفَخَارِ بِأَسْرِهِ  
 تَقَرُّ مُلُوكُ الْعُرْبِ مِنْكَ مَخَافَةً  
 وَفَرُّوا وَمَا فَرُّوا بِأَفْصَى بِلَادِهِمْ  
 وَنَادَى ثُلَا يَا قَوْمُ إِنِّي مُسْلِمٌ  
 لِيَحْرِ النَّدَى، نُورِ الْهُدَى، مُتَلَفِ الْعِدَا  
 مُذِيقِ الْعِدَا غُصَّةَ بَعْدَ رَاحَةٍ  
 وَبَعْدَ سُمُومِ الْعِزِّ وَهَنَا وَذِلَّةٍ  
 فَلَا زِلْتَ مَحْمُودَ الْفِعَالِ بِنِعْمَةٍ  
 سَلَبْتَ بِصَافِي الْفَهْمِ مَنْ هُوَ مُدْبِرُ

إِذَا اشْتَجَرَتْ فِيهَا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمُرُ  
 كَأَمْثَالِهَا أُسْدٌ وَلَيْسَ لَهَا ظَفَرُ  
 بِكَفِّ هُمَامٍ بِأَيْسَلٍ لَيْسَ هُوَ غَمْرُ (١)  
 فَظَاهِرُهَا وَبَلٌّ وَبَاطِنُهَا جَمْرُ  
 يَسِيرَا حَلِيفَاهُ السَّعَادَةُ وَالنَّصْرُ  
 فَزَكَّى فُرُوعَ الْأَصْلِ الْفَارِسُ الْحَبْرُ  
 فَنَفِي سِرِّهِ عِلْمٌ وَفِي جَهْرِهِ فَخْرُ  
 فَمَا مِثْلُهُ بَرٌّ وَلَكِنَّهُ تُجْرُ  
 وَلَا سِيَمَا مَنْ كَانَ مِلْكَاً لَهُ الدَّهْرُ  
 فَبَاطِنُهُ رِبْحٌ وَظَاهِرُهُ شُكْرُ  
 فَلَمْ يُنْجِهِمْ حِصْنٌ مَنِيعٌ وَلَا قَفْرُ  
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِلْبَعْضِ ضَاقَ بِنَا الصَّبْرُ  
 لِحُكْمِ الَّذِي إِنْ قَالَ شَيْئًا مَضَى الْأَمْرُ  
 فَلِلْجُودِ يَا طَالِبُ نَدَا كَفَّهُ نَهْرُ  
 وَبَعْدَ سُكُونِ الدُّورِ مَسْكَنُهُمْ قَفْرُ  
 وَبَعْدَ اكْتِسَابِ الْمَالِ وَالْحُصْنِ قَفْرُ  
 وَلَا زَالَ مَنْ عَادَاكَ مَسْكَنُهُ الْقَبْرُ  
 فَتَطْلُقْ عِلْمٌ وَالصُّمُوتُ بِهِ فِكْرُ

(١) تركيب لغوي غريب.

[٣٣٤] فَأَمَّا ثُلَا هُنَيْتَ يَا ضَيْعَمَ الرِّعَى  
 فَرَبِّ هُمَامِ الْعَزْمِ حَادَ لِعِزِّهِ  
 عَدَا تَارِكًا مُسْتَعْظِمًا لِنِزَالِهِ  
 وَأَنْتَ بِعَوْنِ اللَّهِ أَصْغَرْتَ صَيْتَهُ  
 فَتَحْتَ مَدِينَتَهُ الْمَنِيعَةَ عُنُورَهُ  
 أَسَارَى يَرُونَ الْعَفْوَ مِنْكَ تَفْضُلًا  
 وَمِنْهُمْ مُطِيعُ الْأَمْرِ تَلْقَاهُ آمِنًا  
 وَمِنْ خَوْفِ لَيْثِ الْغَابِ قَالَتْ  
 فَهَلْ شَافِعٍ أَوْ نَافِعٍ لِمُضَارِعِ  
 فَضَاعِ الْحِجَا عَنْهُمْ كَمَا ضَاعَ بِأُسْهُمِ  
 مَلِكْتَ صِيَاصِيهِمْ وَأَقْصَى بِلَادِهِمْ  
 فَسْتَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا  
 عَلَى أَخْذِهِ فَخْرًا يُؤَيِّدُهُ نَصْرُ  
 وَذُرْ حِيلَةٍ قَدْ ضَاعَ مِنْ قَلْبِهِ الْمَكْرُ  
 يَقُولُ ثُلَا الْمَأْخُودُ بَاطِنُهُ سِرُّ  
 فَلَيْسَ لَهُ صَيْتٌ لَدَيْكَ وَلَا قَدْرُ  
 وَمِنْكَ لِمَنْ قَدْ كَانَ يَسْكُنُهَا الْفَخْرُ  
 يَقُولُونَ يَا ذَا الْمَجْدِ ضَاقَ بِنَا الْأَسْرُ  
 وَمِنْهُمْ أَنَاسٌ مِنْ إِسَاءَتِهِمْ فَرُّ  
 أَلَا مَسْنَا مِنْ حَرْبِ أَسَدِ الشَّرَى الضَّرُّ  
 كَمَا دَافِعٍ أَوْ مَانِعٍ مَنْ بِهِ قَهْرُ  
 فَلَا عَامُهُمْ عَامٌ وَلَا شَهْرُهُمْ شَهْرُ  
 وَصَارَ مُجِيبًا صَوْتَ صَوْلِكَ الزَّهْرُ  
 فَمَا ضَمَّهُمْ سَهْلٌ وَلَا عَزَّهُمْ وَعُرُّ

وفي يوم الخميس ثالث عشر شهر رجب الفرد الأصب من هذه السنة،  
 أنعم مولانا صاحب السعادة على السيد علي يحيى بن المظهر بسنجق  
 شريف سُلطاني، وهو يومئذ بمقامه الشريف بمدينة صنعاء، وقد تقدّم ذكر  
 وصوله إلى مقامه فيما سبق من هذا التاريخ المبارك إن شاء الله تعالى،  
 وأمر أن يُزَفَ إليه السَّنجَقُ وأمر الأمراء الأعلام والأغوات [٣٣٥] الكرام  
 أن تحضر عنده حال أن زُفَ السَّنجَقُ وخَلَعَ عليه ذلك اليوم خِلعة عظيمة  
 من أجل الأقيّة وتحمل عنه أيده الله تعالى، ما يُصرف على السَّنجَقِ من

سَماط وخَلَع ودَراهم وغير ذلك، وعَرَضَ له إلى الأبواب العَالِيَةِ  
السُّلْطَانِيَّةِ صُحْبَةَ الأَمِير السَّامِي النَّاطِرِ مُصْطَفَى بن طَاهِر الدَّفْتردار  
بدخوله في الطَّاعَةِ وأَنَّهُ قد صارَ مِن جُمْلَةِ أَتْبَاعِ الدَّوْلَةِ الخاقانيَّةِ، وَمِنَ  
المتفِئِينَ في ظِلِّها، وَذَلِكَ لِبَرَكَةِ جَدِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
وَسَلَامٍ.

وَلَمَّا لاذَ بِعَفْوِ جَانِبِ السُّلْطَانَةِ الخاقانيَّةِ، وَلِما أَنعمَ عَلَيْهِ مَوْلَانَا صَاحِبُ  
السَّعَادَةِ بالسَّنَجَقِ الشَّرِيفِ، طابَتَ نَفْسُهُ وَقَرَّتْ عَيْنُهُ وانشرحَ صَدْرُهُ،  
وَزالتَ وَحْشَتُهُ ودعا لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الأعْظَمِ ببقاءِ مُلْكِهِ ودوامِ دَوْلَتِهِ  
وسُلْطانِهِ، وشَكَرَ لِمَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ وأَثْنَى على أحوالِهِ المَيْمُونَةِ  
وقَدَّرَ لَهُ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ مِنَ الجامِكيَّةِ جَامِكيَّةَ أعْظَمِ سَنَجَقٍ في  
اليَمَنِ.

وبَعْدَ الإِنعامِ عَلَيْهِ بالسَّنَجَقِ بنحوِ ثمانية أَيامٍ أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ  
بِحِصانٍ نَجِيبٍ عَلَيْهِ حِلْيَةٌ كامِلَةٌ وفوقَهُ سَيْفٌ وَتَرَسٌ.

وفي يَوْمِ الجُمُعَةِ اليَوْمِ الثَّامِنِ والعِشْرُونَ مِن شَهْرِ رَجَبِ هَذَا، دَخَلَ إلى  
مَحْرُوسَةِ صَنْعَاءِ المَدْفَعِ السَّعِيدِ المُسَمَّى بالخُبَّانِي، الَّذِي كانَ في مَحْرُوسِ  
قَلْعَةِ ثُلا حَرَسَها اللهُ تَعَالَى [٣٣٦] الَّذِي أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ أَيْدُهُ  
اللهُ تَعَالَى بَعْدَ فَتْحِهِ لِمَحْرُوسِ ثُلا بِإِخْرَاجِهِ مِنْهُ وَمَسِيرِهِ إلى مَحْرُوسَةِ  
صَنْعَاءِ، وَقَدْ قَدِمْنَا القَوْلَ في ذَلِكَ ودَخَلَ بِهِ مَحْرُوسَةَ صَنْعَاءِ في زَفَّةٍ عَظُمِيَّةٍ  
والرَّيْحِ العَرَبِيِّ والطُّبُولِ، وَضُرِبَتْ حَالَ دَخُولِهِ المَدافِعُ والزُّرْبُطاناتُ

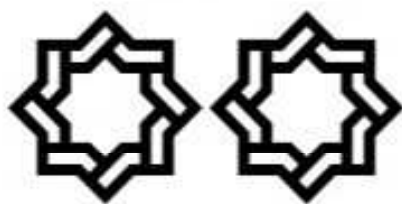
فرحاً بوصولهِ ورجوعه إلى مَحْرُوسَةِ صَنْعَاءَ، وَحَالَ دُخُولَهُ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ  
أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبَ السَّعَادَةِ أَنْ يَوْضِعَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَوَّلًا، حِينَ  
أَخْرَجَهُ حَيَّ السَّيِّدِ الْمُطَهَّرِ بْنِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ  
وَتِسْعِمِائَةٍ، قَوْضِعَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ أَوَّلًا، وَأَمَرَ صَاحِبَ  
السَّعَادَةِ بِضَرْبِ الْمَدَافِعِ وَالتَّلْبِيسِ فِي مَحْرُوسَةِ صَنْعَاءَ ثَلَاثَ لَيَالٍ.

وَهَذَا أَمْرٌ مَا كَانَ يَقْدِرُ وَلَا يَظُنُّ وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِ بَشَرٍ رَجُوعَ هَذَا الْمَدْفَعِ  
إِلَى مَكَانِهِ، وَهُوَ الْآنَ فِي مَوْضِعِهِ الْأَوَّلِ بِمَحْرُوسَةِ صَنْعَاءَ.

لَكِنْ هَذَا الْأَمْرُ بِسَعَادَةِ سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ  
الْأَعْظَمَ، وَيُؤْمِنُ بِرُكَّتِهِ وَفَضْلِهِ، وَمَا اخْتَصَّه اللَّهُ بِهِ مِنَ الْمُلْكِ الْعَظِيمِ،  
وَالسُّلْطَانِ الْفَخِيمِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَيَحْرُسُ مَهْجَتَهُ وَيُدِيمُ مَمْلَكَتَهُ  
وَيَحْمِي مَمَالِكَهُ، وَلَا زَالَتِ الْأُمُورُ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا وَبَحْرِهَا وَبَرِّهَا  
وَسَهُولِهَا وَجِبَالِهَا مَاضِيَةً بِمَقْتَضَى مُرَادِهِ، وَالْأَفْلاكُ وَالسَّبْعَةُ الْأَمْلاكُ  
جَارِيَةٌ بِمَطْلَبِهِ [٣٣٧] وَمَرَامِهِ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.



الثَّامِنُ عَشْرُ



## [الجزء الثامن عشر]

وفي يوم السبت اليوم التاسع والعشرون من هذا الشهر الكريم، قَدِمَ إلى  
 حَضْرَةَ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى السَّيِّدِ الْأَمِيرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
 الْمُطَهَّرِ إِلَى مَحْرُوسِ صَنْعَاءَ، فَلَمَّا قَارَبَهَا أَمَرَ مَوْلَانَا صَاحِبُ السَّعَادَةِ  
 الْأَمِيرَ النَّاطِرَ مُصْطَفَى بْنَ طَاهِرٍ بِأَنْ يَلْقَاهُ وَكَافَةَ الْأُمَرَاءَ وَالْأَعْوَاتِ وَأَعْيَانَ  
 الْعَسَاكِرِ السُّلْطَانِيَّةِ، فَدَخَلَ إِلَى حَضْرَةِ مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ أَيَّدَهُ اللهُ  
 تَعَالَى مِنْ سَاعَتِهِ فَانْسَهَ وَأَكْرَمَهُ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً عَظِيمَةً مِنْ أَجْلِ  
 الْقِفَاطِينَ وَأَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا وَأَمَرَ أَيَّدَهُ اللهُ بِتَفْرِيعِ دَارِهِ فِي مَحْرُوسَةِ صَنْعَاءَ،  
 وَهُوَ الْآنَ فِيهَا، وَأَجْرَى عَلَيْهِ الْجَرَائِدَ السَّنِّيَّةَ، وَلَا يَزَالُ يَدْخُلُ إِلَى  
 حَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ فَيُجَلِّ مَكَانَهُ وَيَرْفَعُ رُتَبَتَهُ.

وفي أوائل هذا الشهر الكريم واجهت<sup>(١)</sup> قبائل بلاد ظُلَيْمِهِ مِنْ بِلَادِ شَطْبِ  
 الْمِتَاخِمَةِ لَجَبَلِ الْأُمْنُومِ وَدَخَلَ أَهْلُهَا فِي الطَّاعَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الْخَاقَانِيَّةِ  
 وَدَخَلَتْهَا الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ السُّلْطَانِيَّةُ.

وفي يوم الخميس عشرون من هذا الشهر الميمون المُقَدَّمِ ذَكَرَهُ جَهْزُ  
 مَوْلَانَا صَاحِبِ السَّعَادَةِ تَجْهِيْزاً عَظِيْماً مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَالْكَتَائِبِ

---

(١) «واجه»: هكنا في الأصل.

الموفورة والعُدَد الكثيرة، والخزائن الواسعة الكبيرة مِنْ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ،  
وأمرهم بالتَّخْيِيم خارج مدينة مَحْرُوسَة صَنَعَاء في مكانٍ بِالقرب مِنْ  
مسجد فَرْوَة بْنِ مُسَيْك الصَّحَابِي رضي الله عنه، وعليهم الأَمِير سِنَان وَمَوْلَانَا  
صَاحِبُ السَّعَادَة كثير التَّيَمُّن بتجهيز المَحَاطِ الْمُبَارَكَة حَال توجيهِه  
[٣٣٨] للعساكر السُّلْطَانِيَّة أَوَّلًا، يَأْمُرُهُم بالتَّخْيِيم عند مسجد فَرْوَة بْنِ  
مُسَيْك المذكور رضي الله عنه، ثُمَّ يَبْقُوا هُنَالِكَ أَيَّامًا، حتَّى يتم له ما يريد من  
افتقادهم، وحشد مَنْ تَأَخَّر مِنْ الْعَسَاكِر السُّلْطَانِيَّة فإذا تَمَّ له ما أَرَادَ أمرهم  
بالمَسِير إلى حَيْث يريد توجيهِهم.

وهذا التَّجْهِيْز لخامس<sup>(١)</sup> مَرَّةً مِمَّنْ خِيَمَ عند مسجد فَرْوَة بْنِ مُسَيْك  
الصَّحَابِي رضي الله عنه. وَأَمَرَ أَيْدَهُ اللهُ تَعَالَى لهذه الْعَسَاكِر الْمُنْصُورَة بجميع ما  
يحتاجون مِنْ خِيَام وَجَوَامِك وَعُدَد وَبارود ورصاص ونحو ذلك، وَعَمِلَ  
لهم في المسجد سَمَاطًا عَظِيمًا وحضر عليه بنفسه الْكَرِيمَة، وَأَمَرَ الْأَمِير  
سِنَان وهذا الْعَسَاكِر الْمُنْصُورَة بالمَسِير إلى حَبُور مِنْ بِلَاد ظُلَيْمَة  
الْمُتَاخِمَة لَجَبَل الْأَهْنُوم، لمحاربة الإمام الْحَسَن بن عَلِيٍّ وَقِبَائِل الْأَهْنُوم  
ومحاصرتهم حتَّى يَصْلُحَ أمرهم بدخولهم في الطَّاعَة السُّلْطَانِيَّة وَيَسْلِمُوا  
جَبَل الْأَهْنُوم، فساروا صُبْحَ نَهَار الْخَمِيس السَّابِع والعشرون على حملة  
السَّلَامَة وَالْيَمْن والتَّأْيِيد والنَّصْر والظَّفَر والكَرَامَة، بِجَاهِ الْمُظَلَّلِ بِالْغَمَامَة.

(١) «الخامس»: هكذا في الأصل.

## [ذيل المخطوط]

وَقَدْ تَمَّ رَقْمُ هَذَا التَّارِيخِ الْمُبَارَكِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
 أَوَّلًا وَآخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا.  
 رُسِمَ بِرِسْمِ الْخَزَانَةِ الشَّرِيفَةِ الْوَزِيرِيَّةِ حَضْرَةَ صَاحِبِ السَّعَادَةِ مَوْلَانَا  
 حَسَنِ بَاشَا أَدَامَ اللَّهِ إِقْبَالُهُ.

تأليف: العبد الفقير

عَامِرُ بْنُ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ حَسَنِ الدُّعَامِي  
 بِمَخْرُوسِ كُوكْبَانَ.







الفهارس

## فهرس مطالب الكتاب

|     |                                                                                |
|-----|--------------------------------------------------------------------------------|
| ٢   | مقدمة المحقّق:                                                                 |
| ٧   | المؤلّف:                                                                       |
| ٩   | حسن باشا:                                                                      |
| ١١  | التحقّق اللّاتيني للمخطوط:                                                     |
| ١٢  | الوصف المادي للمخطوط:                                                          |
| ١٤  | صور من المخطوط:                                                                |
| ١٨  | [الجزء الأوّل]                                                                 |
| ٤٧  | [الجزء الثاني]                                                                 |
| ٦٩  | خُرُوجُ العَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى بِلَادِ الظَّاهِر:                    |
| ٧٦  | [الجزء الثالث]                                                                 |
| ٨٩  | عِمَارَةُ قَلْعَةِ عَمْرَان:                                                   |
| ١٠٣ | [الجزء الرّابع]                                                                |
| ١٢٧ | [الجزء الخامس]                                                                 |
| ١٢٩ | خُرُوجُ الْأَمِيرِ الدَّفْتَرْدَارِ بِالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى ثُلَا: |
| ١٣١ | مَسِيرُ الْأَمِيرِ يَسَنانَ بِالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى مُدَع:         |



- خروج العساكر المنصورة على دمر مرق ..... ١٣٤
- نكته غربية ..... ١٣٦
- وقع حرب عظيم بين الأمير الدفتر دار وعلي يحيى: ..... ١٣٨
- تخريب الأمير سنان بلاد قارن: ..... ١٤٠
- حرب عظيم بين الأمير الدفتر دار وعلي يحيى: ..... ١٤٣
- ذكر إطاعة السيد الحسن بن شرف الدين للدولة السعيدة السلطانية: ..... ١٤٨
- ذكر طاعة عبد الرحمن بن مظهر ..... ١٥٤
- [الجزء السادس] ..... ١٥٧
- ذكر طاعة غوث الدين للسلطنة العلية: ..... ١٦٤
- اجتماع علي يحيى مع الأمير عز الدين والأمير الدفتر دار في حوشان لأجل  
المصالحة: ..... ١٧٠
- ذكر تسليم حصن مدع للدولة السعيدة السلطانية: ..... ١٧٦
- ذكر طيافة مولانا صاحب السعادة: ..... ١٨٢
- مسير الأمير سنان بالعساكر المنصورة على دمر مرق: ..... ١٨٤
- فتح جبل ظليمه ..... ١٨٥
- [الجزء السابع] ..... ١٨٨

- ذكر ترتيب صاحب السعادة للمحاط على دمر ممر وفتح جبل قُها: ١٨٩.....
- توجيه مولاتنا صاحب السعادة العساكر المنصورة لأجل محاصرة قُهران وعزان: ١٩٢.....
- ذكر فتح قُهران: ١٩٤.....
- نادرة غربية ..... ١٩٩.....
- بروز الأمير سنان بالعساكر المنصورة على صعدة: ٢٠٤.....
- ذكر خروج الأمير الدفتر دار على المخيم المنصور بحصن دمر ممر ٢٠٦.....
- ذكر ملاقاته السيد لطف الله مع مولاتنا صاحب السعادة: ٢١٤.....
- ذكر دخول صاحب السعادة مخروس دمر ممر وإقامته لصلاة الجمعة فيه: ٢١٧.....
- [الجزء الثامن]..... ٢١٩.....
- نكتة عجيبة ..... ٢٢٥.....
- اتفاقية عجيبة ..... ٢٢٨.....
- ذكر خروج الأمير سنان كيخيه على المخيم المنصور بمدينة صعدة: ... ٢٣٠.....
- ذكر قتل صاحب صعدة: ..... ٢٣٩.....
- ذكر عمارة مدينة تحت دمر ممر ..... ٢٤٤.....
- [الجزء التاسع]..... ٢٤٨.....

- ذكر رؤيا صاحب السعادة لمولانا السلطان الأعظم خلد الله ملكه: ..... ٢٥١
- طباقة مولانا صاحب السعادة على عمران ..... ٢٦٠
- ذكر تسليم حصن حقل: ..... ٢٦٣
- ذكر محاصرة أم ليلي: ..... ٢٦٥
- [الجزء العاشر] ..... ٢٧٥
- خروج الأمير الدفتردار لفتح ثلا: ..... ٢٧٩
- [الجزء الحادي عشر] ..... ٣٠٠
- اتفاقية سعيدة ..... ٣١٢
- [الجزء الثاني عشر] ..... ٣٢١
- [الجزء الثالث عشر] ..... ٣٤٤
- [الجزء الرابع عشر] ..... ٣٦٦
- [الجزء الخامس عشر] ..... ٣٨٨
- [الجزء السادس عشر] ..... ٤٠٩
- [الجزء السابع عشر] ..... ٤٣٢
- [الجزء الثامن عشر] ..... ٤٥٣
- [ذيل المخطوط] ..... ٤٥٥

- ٤٥٨..... الفهارس
- ٤٥٩..... فهرس مطالب الكتاب
- ٤٦٧..... فهرس الآيات القرآنية
- ٤٦٩..... فهرس الأعلام
- ٤٧٧..... فهرس الأقوام والجماعات والقبائل والفرق
- ٤٨١..... فهرس البلدان والمواضع والجبال والحصون والقلاع
- ٤٩١..... فهرس المصطلحات والفوائد اللّغوية
- ٤٩٦..... فهرس الكتب
- ٤٩٧..... فهرس الشعر
- ٤٩٩..... فهرس مصادر ومراجع التحقيق





فَلْيَسِّرْ



## فهرس الآيات القرآنية

| الآية                                                                                                                                                                                                  | رقم الصفحة |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------|
| {لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [سورة الأنفال: ٤٢]                                                                                                                                       | ٨٤         |
| (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) [سورة الأحزاب: ٣٨]                                                                                                                                        | ١٢٧        |
| (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا) [سورة الأنفال: ٦١]                                                                                                                                     | ١٦٨        |
| (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [سورة يس: ٨٢]                                                                                                               | ٢٢١        |
| قَالَ تَمَالِكُ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٠] | ٢٣٦        |
| (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) [سورة الأحزاب: ٣٨]                                                                                                                                        | ٢٤٢        |
| (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) [سورة الشورى: ٢٣]                                                                                                          | ٢٥٦        |
| (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا) [سورة الأحزاب: ٣٨]                                                                                                                                        | ٢٩٨        |

|     |                                                                                                          |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣٩٣ | (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴿٥﴾ [سورة النحل: ٩١].                                     |
| ٤٢٦ | (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿٥﴾ [سورة الطح: ١].                                              |
| ٤٤٠ | (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿٥﴾ [سورة الطح: ١].                                              |
| ٤٤٤ | (ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٥﴾) [سورة الحديد: ٢١]. |



## فهرس الأعلام

|              |                                 |
|--------------|---------------------------------|
| ١٤٢.....     | إبراهيم بن مُطَهَّر             |
| ٢٤٧، ٤٢..... | ابن الحائك                      |
| ٨٤ .....     | ابن الوزير                      |
| ٧٩ .....     | أبو الفتح الديلمي               |
| ٢٢٥.....     | أبو القاسم بن إسماعيل           |
| ٧١ .....     | أبو بكر الجعفري الريمي          |
| ٢٩٣.....     | أبو بكر بن سالم                 |
| ٢٨٨.....     | أحمد أبو طالب                   |
| ٢٤٣.....     | أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد |
| ٣٥ .....     | أحمد بن الحسين                  |
| ٤٢، ٤١ ..... | أسعد الكامل                     |
| ٤٢ .....     | أسعد تبع                        |
| ٢٧ .....     | الأصمعي                         |
| ٣٠٠.....     | الأكوع                          |
| ٧١ .....     | الجعفري                         |
| ٤٢ .....     | الحسن بن أحمد بن يعقوب          |
| ١٥٨.....     | الحسن بن علي                    |

- الحسن بن محمد بن علي الزريقي ..... ٢٢٧
- الحُسَيْن بن الإمام القاسم ..... ٢٨٦
- الرَّازِي ..... ٩١، ٦٨
- الرَّشِيد بن الزُّبَيْر ..... ١٧٩
- الصُّلَيْحِي ..... ٧٩
- الظَّافَر عامر ..... ٣٦١
- العُنْسِي ..... ٣٠٥
- القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري  
..... ٢٥٤
- القاسم بن محمد ..... ٢٨٨، ١٠٣، ٣٢
- المتوكل على الله يَحْيَى شَرَف الدِّين بن شَمْس الدِّين ..... ٢٢٧
- المرتضى علي بن شَرَف الدِّين ..... ١٩٣
- المَسْعُود (الملك) ..... ٢٢٥
- المُطَهَّر بن شَرَف الدِّين ..... ١٨٥، ١٠٢، ٣٨
- المُعْتَضِد بالله ..... ٣٦١
- المُتَنَاب بن عمرو بن زيد بن عَلَاف بن ذِي أَيْبَن ..... ٢٩٩
- الْمَنْصُور عبد الله بن حمزة ..... ٤٣
- النَّاصِر ..... ١٩١
- النَّاصِر ابن الأشرف إسماعيل ..... ٢٢٥

- النَّاصِر بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عيسى الحسَنِي الطَّالِبِي ..... ٧٩
- النَّاصِر صلاح الدِّين ..... ٢٢٧
- النُّصَيْرِي ..... ١٨٥
- النَّظَّارِي ..... ١١٦، ٨٤
- النَّهْرَوَالِي ..... ١١٦
- الهَادِي ..... ٣٦١
- الهَمْدَانِي ..... ٢٤٧، ٢٢٤، ١٩٥، ١٧٧، ٩٠، ٤٢، ٢٦
- الوَشَلِي ..... ١٧٦
- بدر الدِّين مُحَمَّد بن حَاتِم بن بن عمران بن علي بن حَاتِم بن أحمد بن  
الفضل الياَمِي الهَمْدَانِي ..... ١٧٧
- بَرْوِيز ..... ١٩٢، ١١٥
- بَلال ..... ٨٤
- حسن باشا ..... ٢٨٨، ٢٨٦، ٤٧
- حسن بن علي بن داؤود ..... ٢٨٦
- خِضْر (الأمير) ..... ١١٤
- داؤود (الأمير) ..... ١١٤
- داؤود بن عبد الله بن حمزة ..... ٤٣
- ذو الدُّمَيْنَّة بن عَمْرٍو ..... ٤٢
- راشد بن علا ..... ٢٨٧

- ١٧٧..... رِكْس سَمِث
- ٦٠..... سَحْبَان بن زُفَر بن إِيَّاس الوائلي
- ٢٤٧..... سُخَيْم بن يدع بن ذِي حَوْلَان
- ١١٣..... سَعْد بن عِبَادَة الخَزْرَجِي
- ١٣١..... سَلِيم (السلطان)
- ١٦٠، ٣٨..... سِنَان
- ١٧٦..... شَرَف الدِّين يَحْيَى بن شَمْس الدِّين
- ١١٤..... صَاحِب بن أَحْمَد بن عبد الله الوَزِير
- ١١٤..... صَاحِب بن سَالِم
- ٢٢٧..... طُغْتَكِين بن أَيُوب بن شَاذِي
- ١٨٧..... طُفَّ الله
- ١١٦..... عَامِر بن عبد الوهَاب
- عَامِر بن عبد الوهَاب بن دَاوُد بن طَاهِر بن مَعُوضَة القُرَشِي الأموي
- ٣٦٠.....
- ٣٠٠..... عبد الحميد بن مُحَمَّد بن الحَجَّاج المَسُورِي
- ١٥٣..... عبد الرَّحْمَن بن الْمُطَهَّر بن يَحْيَى شَرَف الدِّين
- ٤٧..... عبد الرَّحْمَن بن حُسَيْن التُّزَيْلِي
- ١١٠..... عبد الرَّزَّاق بن هَمَّام الصَّنْعَانِي
- ١٨١..... عبد الله بن إدريس الدَاعِي

- عبد الله بن حمزة ..... ٣٦١
- عبد الله بن محمد ..... ٨٤
- عبد الله بن يحيى بن عمرو ..... ١٤٢
- عبد الله بن يحيى بن عمرو المعافى ..... ٢٨٦
- عز الدين ..... ٣١
- علي بن الفضل ..... ١٨٤
- علي بن المؤيد ..... ٤٤١
- علي بن حاتم ..... ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧
- علي بن حاتم بن أحمد الياامي ..... ١٧٩
- علي بن محمد الصليحي ..... ٧٩
- علي بن محمد بن علي ..... ١١٣
- علي يحيى ..... ١٦٠
- غوث الدين ..... ١٦٦
- فيروز ..... ١١٥
- قانسو الغوري ..... ٣٦١
- لطف الله ..... ٢٠٦، ٢٠٢، ١٨٥
- لقمان بن أحمد بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ..... ١١٨
- مبارك شعبان ..... ١٥٩



- مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر  
الشيرازي الفيروز آبادي ..... ٣٨٢
- مجد الدين بن الحسن بن عز الدين ..... ١٧٦
- محمد الباشا ..... ٢٨٨
- محمد بن الحسن العياني ..... ٤٧
- محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان، أبو نمي  
..... ٢٥٨
- محمد بن شمس الدين ..... ١٥٩، ١٥٨، ١١٤، ٤٧
- محمد بن عبد الرحمن الحضرمي ..... ١١٩
- محمد بن عبد الله بن أحمد الحوثي ..... ٢٨٨
- محمد بن عبد الله بن شرف الدين ..... ١١٨
- محمد بن وهيب الحميري البصري البغدادي ..... ٣٢٣
- محمد بن يحيى (المطهر) ..... ١٣٩
- محمود (الباشا) ..... ١١٦
- مروة بن عامر ..... ٢٤٧
- مُصطَفَى النشار (الباشا) ..... ١٣١
- مُصطَفَى بن طاهر ..... ١١٥
- مصعب بن الزبير ..... ٥٦
- مُطَهَّر بن الشَّويع ..... ١٩٢

- مُطَهَّر بن صلاح بن شَمْس الدِّين ..... ١٥٨
- مُطَهَّر بن مُحَمَّد الشَّويع ..... ١١٥
- معاوية بن أبي سفيان ..... ٦٠
- منصور اليَمَن ..... ١٨٤
- ياقوت ..... ١٥٨
- ياقوت النقرزان ..... ١٥٨
- ياقوت نقرزان ..... ١٥٨
- يَحْيَى بن المحسن بن محفوظ بن مُحَمَّد بن يَحْيَى ..... ٣٦١
- يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب .... ٥٦
- يحيى شَرَف الدِّين ..... ١٠٨
- يَحْيَى شَرَف الدِّين بن شَمْس الدِّين بن المهدي أحمد بن يَحْيَى
- الحسني العلوي ..... ١٣٩
- يوسف بن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عباس الرسولي ..... ٢٢٥



## فهرس الأقوام والجماعات والقبائل والفرق

|                             |                        |
|-----------------------------|------------------------|
| أعشَب.....                  | ٣٥١                    |
| آل أبي يُعْفِر.....         | ٢١٠                    |
| آل طاهر.....                | ٤٢٢                    |
| آل علي بن المؤيد.....       | ٢٣٤                    |
| آل كُثير.....               | ٢٩٣                    |
| الأتراك.....                | ١٣٩                    |
| الإنكشارية.....             | ١٠٤                    |
| الأيوبيّون.....             | ٤٧                     |
| الباطنيّة.....              | ١٣٩                    |
| الباطنيّة الإسماعيليّة..... | ١٧٩                    |
| التُّرك.....                | ٣٦١، ١٣٩               |
| الحنفيّة.....               | ١١٣                    |
| الزّيديّة.....              | ٣٦١، ٢٨٣، ١٧٦، ١٣٩، ٧٩ |
| السّلاجقة.....              | ٤٧                     |
| الصُّليحيّون.....           | ٧٩                     |

|                                           |                       |
|-------------------------------------------|-----------------------|
| ١٣٩.....                                  | الصُّوفِيَّةُ.        |
| ٣٠٠.....                                  | الْقَرَامِطَةُ.       |
| ٢٤٧.....                                  | الْكَلَّاعُ.          |
| ٤٨ .....                                  | المَمَالِيكُ.         |
| ٦٠ .....                                  | أَهْلُ السُّنَّةِ.    |
| ٦٠ .....                                  | بَاهِلَةٌ.            |
| ٢٥٢، ١٩٩، ٧٥.....                         | بَكِيلُ.              |
| ٧٥ .....                                  | بَنُو أَسَدٍ.         |
| ١٤٧.....                                  | بَنُو أَعَشَبٍ.       |
| ٧٩ .....                                  | بَنُو الدَّيْلَمِيِّ. |
| ٢٩٩.....                                  | بَنُو الْمُتَنَابِ.   |
| ٩٠ .....                                  | بَنُو حَجَّاجٍ.       |
| ٣٦١.....                                  | بَنُو حَمْزَةٍ.       |
| ٣٦٠.....                                  | بَنُو طَاهِرٍ.        |
| ٣٥١.....                                  | بَنُو مَدْيُحَه.      |
| ٣٥١.....                                  | جَلَّ.                |
| ٣٥١.....                                  | جِهْمُ.               |
| ٣٥١، ٢٨٣، ٩٠، ٥٥، ٤٣، ٤١، ٤٠، ٣٦، ٣٤..... | حَاشِدُ.              |
| ٣٥١.....                                  | حَوْلِي.              |



|     |            |
|-----|------------|
| ٢٥٣ | خولان      |
| ٢٣٤ | خولان صعدة |
| ٣٥١ | شاور       |
| ٩٠  | عذر        |
| ٧٩  | عنس        |
| ٩٠  | عيال سريح  |
| ٤٢  | همدان      |



## فهرس البلدان والمواضع والجبال والحصون والقلاع

|                     |                   |
|---------------------|-------------------|
| أَرْحَب.....        | ١٩٩، ١٣٠، ١١٥، ٧٥ |
| أَرْمِينِيَّة.....  | ٣٦٦، ٢٧           |
| أَفِيق.....         | ٧٩                |
| الأَخْرُوج.....     | ٣٥٤               |
| الأَشْمُور.....     | ٢٩٦               |
| الأَهْنُوم.....     | ٣٦                |
| البَوْن.....        | ٩١، ٣٩            |
| الجُدْم.....        | ١٥٨، ٦٨           |
| الجَعْفَرِيَّة..... | ٧١                |
| الجَنَد.....        | ٢٢٧، ١٧٩          |
| الجَوَف.....        | ١٧٩، ٧٥، ٣٥       |
| الحَوْضَيْن.....    | ١٥٣، ٣٧           |
| الخَشَب.....        | ٢٣٩، ٧٥           |
| الدَّيْلَم.....     | ٧٩                |
| الذَّنُوب.....      | ٦٠                |
| الرُّغَيْل.....     | ١٥٧               |

|               |             |
|---------------|-------------|
| الرّوضة.....  | ١١٥         |
| الرّاهِر..... | ٧٥          |
| الرّيدية..... | ٢٧          |
| السّود.....   | ٢٦٢         |
| السّودة.....  | ٣٤          |
| السّودة.....  | ٢٨٧         |
| الشّام.....   | ٢٣٢، ٢٧، ٢٤ |
| الشّاهل.....  | ٣٥١         |
| الشّرفين..... | ٥٤          |
| الصّليّف..... | ٢٧          |
| الطّويلة..... | ١٧١، ١٥٩    |
| الظّفير.....  | ١٣٩         |
| الظّلّمة..... | ١٨٨         |
| الغراس.....   | ٢٤٣، ٦٦     |
| الفصّين.....  | ١٨٧         |
| القاهرة.....  | ١١٣         |
| القفلة.....   | ٩٠          |
| المحاشية..... | ١٩١         |
| المحويت.....  | ٢٨٤، ١٧١    |

- الْمِنْجَل..... ١٠٧
- الْمَنْصُورَةُ..... ٢٢٧
- الْمَنْصُورِيَّة..... ٧٠
- النُّفَيْش..... ٢٩٥
- الْيَمَن ... ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٠، ٥٥،  
٦٠، ٧٠، ٧٩، ٩١، ٩٨، ١١٦، ١١٧، ١٣١، ١٣٩، ١٧٦، ١٧٩،  
١٨٨، ٢٠١، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٨٣، ٣٠٥، ٣٣٤،  
٣٤٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٤٢٢، ٤٢٦
- بَعْدَان..... ١١٦، ١١٧
- بني الحارث..... ٢٤٣
- بني حَشِيش..... ٦٦، ٢٣٣
- بيت الفقيه..... ٧٠
- بيت المقدس..... ١١٣
- بيت عُدَاقَه..... ١٦٠
- بيت قُدَم..... ٣٥١
- تُرْكِيَا..... ٢٨٦
- تَرِيم..... ١١٩، ٢٩٣
- تَغَزَا ٣١..... ٢٢٧، ٣٦١، ٤٢٢
- تَعَوَّد..... ٩١



- تِهَامَةُ..... ٢٨٤، ٢٣٤، ٧٠، ٢٧.
- ثُلَا ..... ٣١٣، ٢٩٦، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٦٢، ١٤٦، ١٤٢، ٨٦، ٤١.
- ثَوَمَهُ..... ١٥٩، ١٥٨.
- جبل أَفْلَحَ الْيَمَنِ..... ١٩١.
- جبل الْأَشْمُورِ..... ٨٦.
- جبل الشَّاهِلِ..... ١٩١.
- جبل الظِّلْمَةِ..... ١٨٧، ١٨٥.
- جبل المَصَانِعِ..... ٢٨٤، ٨٦.
- جبل بني أسعد..... ١٩١.
- جبل ثُلَا..... ٢٨١.
- جبل ثَنَيْنِ..... ٤٢.
- جبل حَضُورِ الشَّيْخِ..... ٨٦.
- جبل ظَفَّارِ دَاوُدَ..... ١٨٧.
- جبل عِيَالِ يَزِيدَ..... ٣٤٩، ١٥١، ١٣٠، ٥٦.
- جبل كَوُكْبَانَ..... ١٦٨.
- جبل مَسُورَ..... ٢٩٦، ١٨٤، ١٥٧.
- جُبْنِ..... ٤٢٢.
- جَدِرَ..... ١٨١.
- جُشَمَ..... ١٤٨.

|                                                    |                 |
|----------------------------------------------------|-----------------|
| ٤٤١، ٢٩٩، ٢٦٥ .....                                | جُماعة          |
| ٣٤٩ .....                                          | جَنْب           |
| ١١٦ .....                                          | حَبّ (حصن)      |
| ٥٨ .....                                           | حَبَابَة        |
| ٤٢٢ .....                                          | حَجَّاج         |
| ٣٣٤، ٢٩٥، ١٩١، ١٥٣، ١٥٠، ١٤٧، ٦٨، ٥٥، ٥٤، ٣٧ ..... | حَجَّة          |
| ٢٣٦ .....                                          | حرف سُفِيان     |
| ٢٩٥ .....                                          | حصن الجَوِيْمَة |
| ٢٩٥ .....                                          | حصن القِنان     |
| ١٦٠ .....                                          | حصن الكَلالِي   |
| ١٧١ .....                                          | حصن المُخَيَّر  |
| ٤٣ .....                                           | حصن المِيقَاع   |
| ١٥٣ .....                                          | حصن مَبِين      |
| ١٨١، ١٧٥ .....                                     | حصن مُدَع       |
| ١٥٨ .....                                          | حصن مَسُور      |
| ٢٩٥ .....                                          | حصن مَيْقَعان   |
| ١٧٩، ١١٩ .....                                     | حضر موت         |
| ٢٨٤ .....                                          | حُفّاش          |
| ٥٨ .....                                           | حَوْشان         |

|                      |                             |
|----------------------|-----------------------------|
| خَمِر                | ٤٣، ٤٢، ٤١                  |
| خَيْرَانِ الْمَحْرَق | ٢٨١                         |
| دُخَار               | ١٠٥                         |
| دَمَار               | ٢٧٨، ٧٩، ٧٨، ٥٠، ٣٦         |
| دَمْرَمَر            | ٢٠٢، ١٨٩، ١٨٧، ١٨٤، ١١٤، ٣٣ |
| ذِي بَيْن            | ٧٩                          |
| ذَبَّان              | ١٩٩، ٧٥                     |
| ذَيْفَان             | ١٤٠، ٣٩                     |
| رَدَاع               | ٤٢٢، ٢٤٧، ٣٦                |
| رَيْدَة              | ٦٨، ٤٢                      |
| رَيْمَة              | ٧١، ٧٠                      |
| رَيْمَة الْأَشَابِط  | ٧٠                          |
| رَبِيد               | ٣٦١، ٣٦٠، ٢٢٧، ١٧٩، ١٣١     |
| رُبَيْد              | ٢٧٨                         |
| سُرَاة قُدَم         | ٥٥                          |
| سُوْدَة شَطْب        | ٢٨٦، ٣٢                     |
| شَبَام               | ٢٤٣، ١٨٤، ١٤٨، ١٠٥، ٥٨، ٣١  |
| شَبَام أَقْيَان      | ١٠٥                         |
| شَبَام حَمِير        | ١٠٥                         |

- شِبَام كَوَّابان..... ٣١٣
- شِرَاع ..... ٧٩
- شُوابه..... ٧٥
- صَعْدَة. ٣٥، ٣٦، ٧٩، ١٧٦، ١٧٩، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٦٥،  
..... ٢٩٩، ٣٥٨، ٣٦١، ٤٤١
- صَنَعَاء. ٤١، ٤٣، ٥٠، ٥٥، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٩١، ١٠٥،  
..... ١٠٧، ١١٠، ١١٥، ٣٦١
- ضَيْن..... ٤٢٠
- ظَفَار..... ٣٥، ٤٣، ٧٨، ٧٩
- ظَفَار الظَّاهِر..... ٤٣
- ظَفَار داود..... ٤٣
- ظَفِير حَجَّة..... ١٣٩
- ظَلِيمَه..... ٣٤، ٥٥
- عَدَن..... ٣٦١
- عُدْر..... ٩٠، ٢٨٣
- عَزَّان..... ١٨٧
- عَفَّار..... ١٨٥

|                  |                                                    |
|------------------|----------------------------------------------------|
| عمران            | ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٥٥، ٥٦، ٦٨، ٨٦، ٩٠، ١٣٠،   |
|                  | ١٥١، ١٥٨، ١٧٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ٢٣١، ٢٦٢، ٢٨١، ..... |
|                  | ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٤٩، ٣٥١.....                            |
| عُش              | ٢٧٨.....                                           |
| عيال سُريح       | ١٨٩، ٢٣١.....                                      |
| عينات            | ١١٩.....                                           |
| عينات الجديدة    | ٢٩٣.....                                           |
| عُمَدَان         | ٢٩.....                                            |
| فَلَلَه          | ١٧٦.....                                           |
| قَارِن           | ٣٩.....                                            |
| قاع البُون       | ٤٢.....                                            |
| قاع الدَّيْلَمِي | ٧٩.....                                            |
| قاع المُتَقَّب   | ٣١٣.....                                           |
| قاع فَيْد        | ٧٩.....                                            |
| قُرَاضَه         | ١٧٢.....                                           |
| قُطَابَه         | ٣٥١.....                                           |
| قلعة ظُفْر عَجَس | ١٥٣.....                                           |
| قلعة الشَّامخ    | ٢٦٢.....                                           |
| قلعة العُرَّ     | ١٦٠.....                                           |



- ١٦٠..... قلعة الكاللي
- ١٩١..... قلعة قهران وعزان
- ١٥٣..... قلعة نعمان
- ١٨٩، ٣٩..... قُها
- ١٩١، ١٨٧..... قهران
- ٥٤..... كُخلان الشرف
- ٣٤٦، ١٤٧..... كُخلان تاج الدين
- ٣٥١، ١٩١، ١٤٧، ٨٦..... كُخلان عفار
- ..... ٢٢٥، ٢١٠، ١٨٤، ١٥٨، ١٤٩
- ١٥٨..... لاعة
- ١٧٨، ١٧٠، ١٥٠..... مُدع
- ٤٣..... مدينة ذي بِن
- ١٠٧..... مَذْبَح
- ٢٨٧..... مَذْرَح
- ٢٩٩، ١٩١، ١٧١، ١٦٠، ١٥٨، ١٥٧، ٦٨..... مَسُور
- ٢٩٥، ١٨٤، ١٧٢..... مَسُور المُنتاب
- ٣٦١، ١٧٩، ٥٠، ٢٩، ٢٤..... مِصر
- ٥٠..... مِصر اليمَن

|                                             |                 |
|---------------------------------------------|-----------------|
| ٢٥٨، ٢٢٧، ١٧٩، ١١٦، ٨٢، ٤٢، ٢٥، ٢٤، ٢٣..... | مَكَّة          |
| ٢٨٤.....                                    | مِلْحَان        |
| ١٤٨.....                                    | مُنْكِيل        |
| ٤٢ .....                                    | نَاعِط          |
| ٧٩ .....                                    | نَجْد الجاح     |
| ٣٦١، ١١٠.....                               | نُقْم           |
| ٢٣٣.....                                    | نِهْم           |
| ٢٩٥.....                                    | هَدَاد          |
| ٧٥ .....                                    | هَرَّان         |
| ١٤٨.....                                    | هَمْدَان        |
| ٢٩٣.....                                    | وادي حُضْرَمُوت |
| ٢٣٤.....                                    | وادي عَبَس      |
| ٤٤١.....                                    | وادي فَلَلَّة   |
| ٢٨٤.....                                    | يَنُور          |

## فهرس المصطلحات والفوائد اللغوية

- أَثَلُ الْمُلْكِ: عَظُمَ ..... ٦٥
- اسْتَكَّتِ الْمَسَامِعُ: صَمَّتْ وَضَاقَتْ ..... ٦٣
- آغا: السَّيِّدُ ..... ١٠٤
- الْأَطَمَةُ: الْحِصْنُ، وَالْأُطُومُ
- الْقُصُورُ ..... ٦٥
- الْإِيْوَانُ: الصَّفَةُ الْعَظِيمَةُ ..... ٢٩
- الْبَادِسْتَرُ: حَيَوَانٌ ثَدْيِي ذُو فَرْوٍ ثَمِينٍ ..... ١١٢
- الْجُرْفُ: عُرْضُ الْجَبَلِ الْأَمْلَسِ ..... ١٤٥
- الْحَزَنُ: مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ فِي ارْتِفَاعٍ ..... ٤٢٣
- الْحِنْدِسُ: اللَّيْلُ الْمُظْلِمُ ..... ٦٣
- الْخِذْرُ: الْهُودَجُ ..... ٢٣١
- الْخِذْنُ: الصَّاحِبُ وَالْمُحَدِّثُ ..... ٣٠
- الْخَرِيدَةُ: اللَّوْلُؤَةُ لَمْ تُثَقِّبْ، وَكُلُّ عِذْرَاءٍ ..... ٢٥٥
- الْخِلْعَةُ: خِيَارُ الْمَالِ يُعْطَى جَائِزَةً وَمُكَافَأَةً ..... ٢٨
- الدِّمُّ: الْقِطْعُ بِلِسَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ ..... ٢٠١
- الريح: آله طرب ..... ٣٣٦
- الرَّيْبُ: الشَّدِيدُ الْقَوِي ..... ٢١٨

- السَّمَاطُ: فِرَاشٌ يُمدُّ عليه الطَّعامُ..... ٤٨
- السَّمُطُ: الخَيْطُ مَا دَامَ فِيهِ الْخَرَزُ..... ١٧٨
- الشَّحْنَةُ: مَا يُفَاضُ لِلدَّوَابِّ مِنَ الْعَلْفِ..... ٤٣
- الشَّمْلَةُ: مِثْرَزٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعَرٍ يَشْتَمِلُ بِهَا الرَّجُلُ إِذَا نَامَ..... ٩٧
- الشَّيْءُ يَفِي بِالْغَرَضِ..... ٣٠١
- الصَّنُو: الْأَخُ الشَّقِيقُ..... ٣٢
- الْعُلُوفَةُ: الرَاتِبُ وَالْعِطَاءُ..... ٢٠٢
- الْعَمَلَةُ: الْعَامِلُونَ بِأَيْدِيهِمْ ضُرُوبًا مِنَ الْعَمَلِ فِي طِينٍ أَوْ حَفْرِ أَوْ غَيْرِهِ..... ٨٩
- الْعَيْنَةُ: مَادَّةُ الْحَرْبِ..... ١٣٥
- الْفَالِجُ: مَرَضُ الشَّلْلِ النِّصْفِيِّ..... ٣٧٠
- الْفَدْفَدُ: الْمَكَانُ الْمُرتَفِعُ فِيهِ صَلَابَةٌ..... ٩٥
- الْقَبَاءُ: نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ الْأَعْجَمِيَّةِ..... ٤٧
- الْقِفَاطِينَ الصَّرَاصِرُ: مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ الْأَعْجَمِيَّةِ..... ٣١٦
- الْقِفَاطِينَ: مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَابِسِ..... ٢٧١
- الْقُنَّةُ: قُلَّةُ الْجَبَلِ، وَهُوَ أَعْلَاهُ..... ١٠٦
- اللَّحْكُ: مُدَاخَلَةُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ..... ٢٤٤
- الْمِسْكُ الْأَذْقَرُ: نَوْعٌ مِنَ الْمِسْكِ يَأْتِي مِنْ بِلَادِ التُّبَّتِ..... ٢١٩
- الْمُشْمَخِرُ: الْعَالِي مِنَ الْجِبَالِ، وَغَيْرُهَا..... ٢١٨

- الْمَنْظَرَةُ: أعلى موضع في الدار يكون مُسْتَقِيلاً ..... ٨٠
- النَجَاب: ساعي البريد ..... ٢٩١
- النُّقَارَةُ: دَفٌّ كبيرٌ مصنوعٌ مِنَ النحاس ..... ٣٣٦
- بك الإقليم: حاكمه أو أميره ..... ١٣٧
- بيكار: متوسطُ الأشياء ومركزها ..... ١٧
- تَضَوُّعٌ: سَطَعَ وتَفَرَّقَ ..... ٢١٩
- جامِكِيَّة: العطاء والراتب والأجرة ..... ٣٥
- جاوِيش: نوع من الموظفين، كانوا يستخدمون في مختلف الوظائف
- ..... ٨٥
- جَبَاهُ: أعطاه ..... ٩٧
- جبخانة: مستودع السلاح ..... ٢٥٨
- جُوخ: قماش صوف يكتسى به ..... ٣٢١
- حصان مُحَلَّى: مُجَهَّز بِعُدَّةٍ كامِلة ..... ٤٩
- حَبَّ الفَرَسُ: جَرَى ..... ٦٣
- خَنَسَ الرَّجُلُ: تَأَخَّرَ وَانْقَبَضَ ..... ١٢٦
- دَفْتَرُ دار: القابض على الدفاتر المالية للولاية ..... ٢١
- ركاب: حاشية الوزير ..... ٢٧
- زُبْدِي: مكيا لالحبوب ..... ٢١٤
- زُرْبَطَانَة: نوع من الأسلحة النارية ..... ٦٨



- سردار : قائد الجيش ..... ٢٠٣
- سِمْسِرَة : مكان مهيب تنزل به القوافل ..... ٢٤٢
- سَمُور : حيوان ثديي ذو فرو ثمين ..... ١١٢
- سَنَجَق : ولاية ..... ٣٥
- شَاف : رأى ، أدرك ، تصوّر ..... ٤٢٦
- عَرَض : تقرير شفهي أو مكتوب يُعرض على السلطان العثماني ... ٢٣
- فَرَطَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ : تقدّمه إلى الجنة ..... ٦٥
- كُرْبَل : مرض ينتشر بين المحاصرين ..... ٢٠٠
- كُوز : وعاء لحفظ الماء ..... ١١٢
- كيوان : كوكب ..... ٢١٩
- مَسِّيَّة : حوض من النحاس ..... ١١٢
- مهردار : الموظف المسؤول عن الأختام الرسمية ..... ١٤٤
- وَشَن : قربة صغيرة ..... ٣٦٦



## فهرس الكتب

|                                                |                                 |
|------------------------------------------------|---------------------------------|
| الإكليل.....                                   | ٢٤٧، ٤٢                         |
| الرّوض الحسن.....                              | ١٨٨                             |
| الرّوض النّاصر في أخبار الأمير عزّ الدّين..... | ٧                               |
| العقد.....                                     | ٨٠                              |
| سيرة المتوكل على الله.....                     | ٢٢٧                             |
| صفة جزيرة العرب.....                           | ٤٠٨، ١٨٤، ١٦٠، ٩٠               |
| فتح باب المواهب.....                           | ١١٩                             |
| فوائد الارتحال.....                            | ٤٧                              |
| مرصد الاطلاع.....                              | ١٦٤، ٥٥، ٥٢، ٤٢، ٤١، ٣٩، ٣٦، ٢٩ |
| معراج الأرواح.....                             | ١١٩                             |
| مفتاح السّرائر.....                            | ١١٩                             |

## فهرس الشعر

| البيت                          | قافيته  | بحره   | قائله                  | الصفحة |
|--------------------------------|---------|--------|------------------------|--------|
| خمر مولدي وفي مُسندِها         | الهلال  | الخفيف | أسعد الكامل            |        |
| يا داخل القصر حقق عينك النظرًا | الوطرا  | البسيط |                        | ٨١     |
| أدخل إلى قمر في وسطها قمر      | مضمر    | البسيط |                        | ٨١     |
| بث الصنائع في البلاد فأصبحت    | الأخلاق | الكامل |                        | ٩٥     |
| ترد العفاة شرائعًا من جودها    | الأغدام | الكامل |                        | ٩٦     |
| ملآن من شرف السجية نفسه        | جهاتها  | الكامل |                        | ٩٦     |
| يُعطي عطايه لسوَّاله           | كاتب    | السريع |                        | ٩٧     |
| يد ألفت بذل الأبادي وفتحت      | مقفّل   | الطويل |                        | ٩٨     |
| وما قارن لا قدس الله قارنا     | منارع   | الطويل | يحيى شرف الدين         | ١٤١    |
| هيئات أن يأتي الزمان بمثله     | لبحيل   | الكامل |                        | ٢١٦    |
| لا زالت صُحفُ التَّهاني تُنلى  | وثملا   | السريع | عابر بن محمد الدُّعامي | ٢١٩    |
| لم يبقَ بعد فتوح ذُرْوَة رازح  | رازح    | الكامل | محمد بن عبد            | ٢٥٥    |

## القادر الذماري

|     |                             |        |         |                                                 |
|-----|-----------------------------|--------|---------|-------------------------------------------------|
| ٢٩٠ | الحسن الداعي                | البيسط | والكرم  | بالماضيين سباً الأسياف والقلم                   |
| ٢٩٠ | الحسن الداعي                | البيسط | العم    | باش الأنام ومصباح الظلام ومن                    |
| ٣٢٤ |                             | الكايل | والإصبح | ملك كأن الشمس فوق جبينه                         |
| ٣٢٦ | محمد بن أحمد<br>التعزي      | السريع | أهلاً   | هَذَا أَبُو الْإِثْبَالِ قَدْ أَتَبَلَا         |
| ٣٣٥ |                             | الكايل | فأقلعاً | إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ أَدَى     |
| ٣٥٥ | محمد بن<br>عبد الله بن يحيى |        | حيب     | نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ            |
| ٣٦٢ | يحيى بن<br>المحسن الحسني    |        | نفيس    | قَبِيلَةٌ لَيْسَ لَهَا فِي الْعُلَا حَظٌّ       |
| ٤٤٤ | عامر بن محمد<br>الدُعامي    | الكايل | أنور    | النَّصْرُ أَشْرَقَ وَالْبِلَادُ رَوَاهِرُ       |
| ٤٤٧ | شاعر من يهامة               | الكايل | ووزيراً | حَسَنَ الَّذِي اسْتَوْلَى حُصُونَنَا<br>شُمَحًا |
| ٤٤٧ | شاعر من اليمن               | الطويل | والنصر  | بَنَى مَجْدَ عَلَيَاكَ السَّعَادَةَ وَالْفَخْرُ |



## فهرس مصادر ومراجع التحقيق

### المخطوطات:

- الجوائز الهنيّة مختصر المواهب السنيّة والفواكه الجنيّة من أغصان الشجرة المهدية والمتوكليّة: لمؤلف مجهول،
- الفتوحات المُرادية في الجهات اليمانيّة: عبد الله بن صلاح بن داود بن علي بن داغر اليماني، نسخة مكتبة راغب باشا، إسطنبول.
- المُستطاب (الطبقات والزهر في أعيان العصر): يحيى بن الحسين بن القاسم اليماني، النسخة التي راجعها القاضي حسين بن أحمد السياغي اليماني.
- اللائل المضيئة في أخبار أئمة الزيدية: أحمد بن محمد الشرفي اليماني، مكتبة الإمام زيد بن علي، صنعاء.

### المطبوعات:

معجم عطية في العامي والدخيل: رشيد عطية، ضبطه وصححه: خالد عبد الله الكرمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية: سهيل صابان، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسن بركات، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠.

موجز دائرة المعارف الإسلامية: مجموعة من المؤلفين، ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨.

البرق اليماني في الفتح العثماني: قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، أشرف على طبعه: حمد الجاسر منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٩٦٧.

تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ٢٠٠٠.

هَجَرِ الْعِلْمِ وَمَعَايِلُهُ فِي الْيَمَنِ: إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَكْوَعُ، دَارُ الْفِكْرِ  
الْمُعَاصِرِ، بَيْرُوتَ، ١٩٩٥.

مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ: يَاقُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَمَوِيُّ، دَارُ صَادِرِ، بَيْرُوتَ، ١٩٧٧.  
مَرَاصِدُ الْإِطْلَاعِ عَلَى أَسْمَاءِ الْأَمْكِنَةِ وَالْبِقَاعِ: عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ  
الْبَغْدَادِيُّ، مَنَشُورَاتُ دَارِ الْجِيلِ، بَيْرُوتَ، ١٤١٢ هـ.

مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ الْيَمَنِيَّةِ: إِبْرَاهِيمُ أَحْمَدُ الْمَقْحَفِيُّ، دَارُ الْكَلِمَةِ  
صَنْعَاءَ، الْمَوْسَسَةُ الْجَامِعِيَّةُ لِلدِّرَاسَاتِ، بَيْرُوتَ، ٢٠٠٢.  
الْأَعْلَامُ: خَيْرُ الدِّينِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّرْكَلِيُّ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ الطَّبَعَةُ:  
الخَامِسَةُ عَشَرَ، ٢٠٠٢.

الْإِكْلِيلُ مِنْ أَخْبَارِ الْيَمَنِ وَأَنْسَابِ حِمْيَرَ (الثَّانِي، الثَّامِنُ): الْحَسَنُ بْنُ  
أَحْمَدَ بْنِ يَعْقُوبَ الْهَمْدَانِي، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَكْوَعُ  
الْجَوَالِي، إِصْدَارَاتُ وَزَارَةِ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاحَةِ، صَنْعَاءَ، ٢٠٠٤.

فَوَائِدُ الْارْتِحَالِ وَنَتَائِجُ السَّفَرِ فِي أَخْبَارِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ: مُصْطَفَى بْنُ  
فَتْحِ اللَّهِ الْحَمَوِيِّ، دَارُ النُّوَادِرِ، ٢٠١١.

الْكَامِلُ فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ: مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ أَبُو  
الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ، دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ، ١٩٩٧.

مَطْلَعُ الْبُدُورِ وَمَجْمَعُ الْبُحُورِ فِي تَرَاجِمِ رِجَالِ الزَّيْدِيَّةِ: أَحْمَدُ بْنُ صَالِحِ  
بْنِ أَبِي الرَّجَالِ، تَحْقِيقُ: عَبْدُ الرَّقِيبِ مُطَهَّرُ مُحَمَّدَ حَجَرِ، مَنَشُورَاتُ مَرْكَزِ  
أَهْلِ الْبَيْتِ لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، صَعْدَةَ، ٢٠٠٤.

الاستيلاء العثماني الأول على صنعاء والسَّيطرة على اليمن: عبد الرحمن بن عبد الله ثامر أحمرى، منشورات الجمعية التاريخية السُّعودية، الرياض، ٢٠١٧.

صفة جزيرة العرب: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق: دافيد هاينريش مولر، منشورات ليدن: بريل، ١٨٨٤.

السَّمطُ الغالي الثَّمَنُ في أخبار الملوك من الغَزْ باليمن: بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل الياضي الهمداني، تحقيق: ركس سمث، منشورات ١٩٧٤.

مآثر الأبرار في تفصيل مُجملات جواهر الأخبار: محمد بن علي الزَّحيف، تحقيق: عبد السلام عباس الوجيه، خالد قاسم المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، ٢٠٠٢.

مجموع بلدان اليمن وقبائلها: محمد بن أحمد الحجري اليماني، تحقيق وتصحيح ومراجعة: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٩٨٤.

قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: الطَّيِّب بن عبد الله بامخرمة الحضرمي، المحقق: بوجمعة مكري، خالد وزاري، دار المنهاج، جدّه، ٢٠٠٨.

تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق  
الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحقّقين، منشورات دار  
الهداية، الكويت، ١٩٦٥.





فِي أَخْبَارِ سِيرِ مَوْلَانَا صَاحِبِ الشَّعَارَةِ الْبَاسِلَةِ حَسَنَ  
فِي أَيَّامِ وِلَايَتِهِ يَا قَلِيمَ الْيَمَنِ